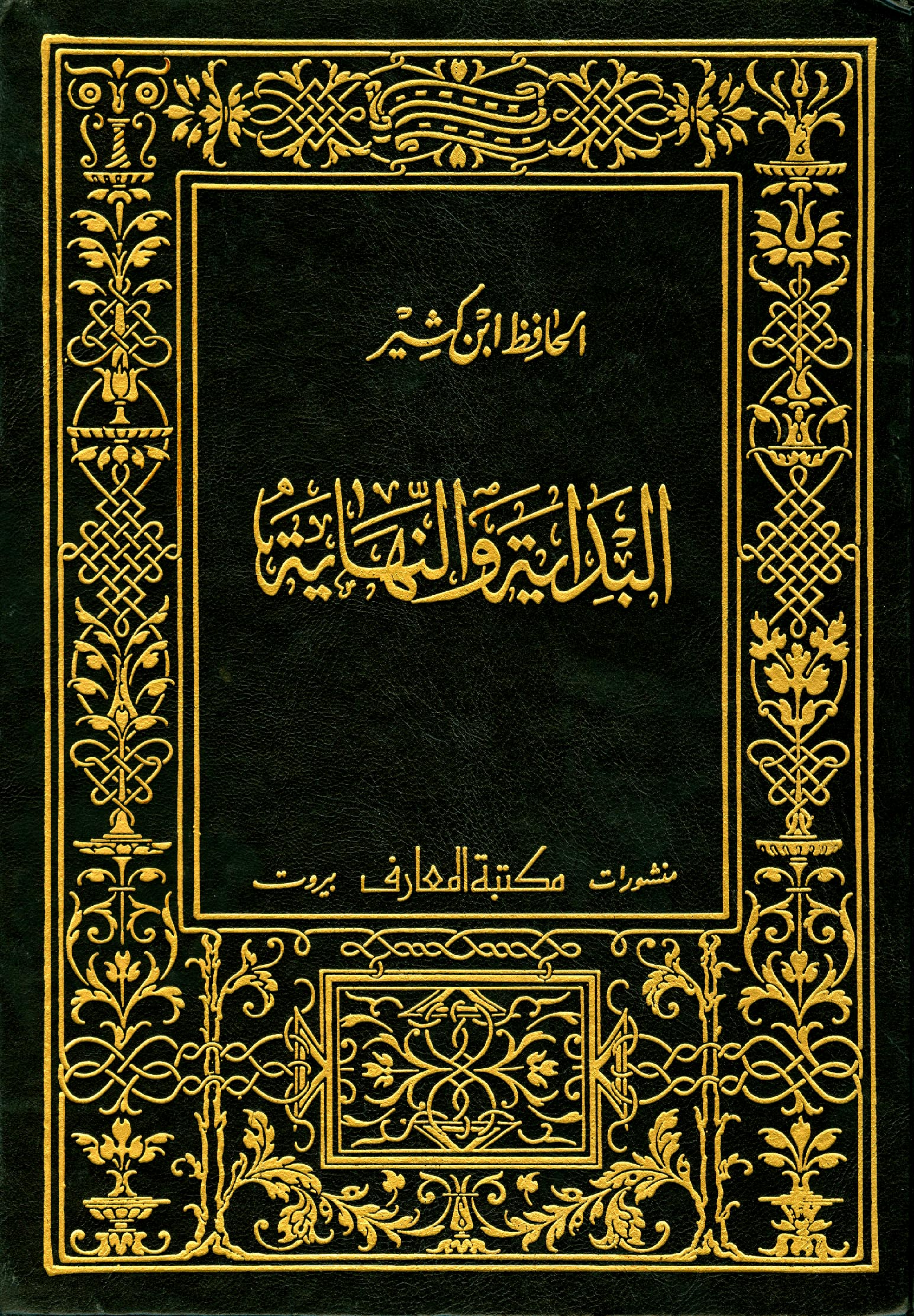


الحافظ ابن كثير
البداية والنهاية
منشورات مكتبة المعارف بيروت

ابو الفداء
الحافظ ابن كثير
الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

البداية والنهاية

الجزء الثاني

ضبطت وصححت هذه الطبعة على عدة نسخ وذيلت بشروح
قامت بها هيئة باشراف

الناشر
مكتبة المعارف
بيروت

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م



بسم الله الرحمن الرحيم

جماعة من أنبياء بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام

ثم نتبعهم بذكر داود وسليمان عليهما السلام . قال ابن جرير فى تاريخه لاخلاف بين أهل العلم بأخبار الماضين وأمور السالفين من أمتنا وغيرهم أن القائم بأمور بنى اسرائيل بعد يوشع كالب بن يوفنا يعنى أحد أصحاب موسى عليه السلام وهو زوج أخته مريم وهو أحد الرجلين اللذين ممن يخافون الله وهما يوشع وكالب وهما القائلان لبنى اسرائيل حين نكلوا عن الجهاد (أدخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) قال ابن جرير ثم من بعده كان القائم بأمور بنى اسرائيل حزقيل بن بوذى وهو الذى دعا الله فأحيا الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت

قصة حزقيل

قال الله تعالى (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) . قال محمد بن اسحاق عن

وهب بن منبه إن كالب بن يوفنا لما قبضه الله اليه بعد يوشع خلف فى بنى إسرائيل حزقيل بن بوذى وهو ابن العجوز وهو الذى دعا للقوم الذين ذكرهم الله فى كتابه فيما بلغنا (ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت) قال ابن إسحاق فروا من الوباء فنزلوا بصعيد من الأرض فقال لهم الله موتوا فماتوا جميعا فحظروا عليهم حظيرة دون السباع فمضت عليهم دهور طويلة فمر بهم حزقيل عليه السلام فوقف عليهم متفكرا فقيل له أتحب أن يبعثهم الله وأنت تنظر فقال نعم فأمر أن يدعو تلك العظام أن تكتسى لحما وأن يتصل العصب بعضه ببعض فناداهم عن أمر الله له بذلك فقام القوم أجمعون وكبروا تكبيرة رجل واحد . وقال أسباط عن السدى عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن اناس من الصحابة فى قوله . (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم) قالوا كانت قرية يقال لها داوردان قبل واسط وقع بها الطاعون فهرب عامة أهلها فنزلوا ناحية منها فهلك من بقى فى القرية وسلم الآخرون فلم يمت منهم كثير فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين فقال الذين بقوا أصحابنا هؤلاء كانوا أحزم منا لو صنعنا كما صنعوا بقينا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن معهم فوقع فى قابل فهربوا وهم بضعة وثلاثون ألفا حتى نزلوا ذلك المكان وهو واد أفيح فناداهم ملك من أسفل الوادى وآخر من أعلاه أن موتوا فماتوا حتى إذا هلكوا وبقيت أجسادهم مر بهم نبى يقال له حزقيل فلما رآهم وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم ويلوى شدقيه وأصابعه فاوحى الله اليه تريد أن أريك كيف أحييهم قال نعم وإنما كان تفكره أنه تعجب من قدرة الله عليهم فقيل له ناد فنادى يا أيتها العظام ان الله يأمرك أن تجتمعى فجعلت العظام يطير بعضها إلى بعض حتى كانت أجسادا من عظام ثم أوحى الله اليه ان ناد يا أيتها العظام ان الله يأمرك أن تكتسى لحما فاكتست لحما ودما وثيابها التى ماتت فيها . ثم قيل له ناد فنادى أيتها الأجساد ان الله يأمرك أن تقومى فقاموا . قال أسباط فزعم منصور عن مجاهد أنهم قالوا حين أحيوا (سبحانك اللهم وبحمدك لا اله إلا أنت) فرجعوا الى قومهم أحياء يعرفون أنهم كانوا موتى سحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا إلا عاد رسما حتى ماتوا لآجالهم التى كتبت لهم . وعن ابن عباس أنهم كانوا أربعة آلاف وعنه ثمانية آلاف وعن أبى صالح تسعة آلاف وعن ابن عباس أيضا كانوا أربعين ألفا . وعن سعيد ابن عبد العزيز كانوا من أهل أذرعات . وقال ابن جريج عن عطاء هذا مثل يعنى أنه سيق مثلا مبينا أنه لن يغنى حذر من قدر وقول الجمهور أقوى ان هذا وقع . وقد روى الامام أحمد وصاحبا الصحيح من طريق الزهرى عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن عبدالله بن الحارث بن نوفل عن عبد الله بن عباس أن عمر بن الخطاب خرج الى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الاجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فاخبروه أن الوباء وقع بالشام فذكر الحديث يعنى فى مشاورته المهاجرين

والأنصار فاختلفوا عليه فجاءه عبد الرحمن بن عوف وكان متغيبا ببعض حاجته فقال إن عندى من هذا علما سمعت رسول الله (ص) يقول إذا كان بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه فحمد الله عمر ثم انصرف . وقال الامام حدثنا حجاج ويزيد المفتى (١) قالا حدثنا ابن أبى ذؤيب عن الزهرى عن سالم عن عبد الله بن عامر بن ربيعة أن عبد الرحمن بن عوف أخبر عمر وهو فى الشام عن النبى (ص) أن هذا السقم عذب به الأمم قبلكم فاذا سمعتم به فى أرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه قال فرجع عمر من الشام . وأخرجاه من حديث مالك عن الزهرى بنحوه *

قال محمد بن اسحاق ولم يذكر لنا مدة لبث حزقيل فى بنى إسرائيل * ثم إن الله قبضه اليه * فلما قبض نسى بنو إسرائيل عهد الله اليهم وعظمت فيهم الأحداث وعبدوا الاوثان وكان فى جملة ما يعبدونه من الأصنام صنم يقال له بعل فبعث الله اليهم الياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون ابن عمران * قلت وقد قدمنا قصة الياس تبعاً لقصة الخضر لأنهما يقرنان فى الذكر غالبا ولأجل أنها بعد قصة موسى فى سورة الصافات فتعجلنا قصته لذلك والله أعلم . قال محمد بن إسحاق فيما ذكر له عن وهب ابن منبه قال ثم تنبأ فيهم بعد الياس وصيه اليسع بن أخطوب عليه السلام وهذه *

قصة اليسع عليه السلام

وقد ذكره الله تعالى مع الانبياء فى سورة الأنعام فى قوله (واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين) وقال تعالى فى سورة ص (واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار) قال إسحاق بن بشر أبو حذيفة انبأنا سعيد عن قتادة عن الحسن قال كان بعد الياس اليسع عليهما السلام فمكث ماشاء الله أن يمكث يدعوهم الى الله مستمسكا بمنهاج الياس وشريعته حتى قبضه الله عز وجل اليه ثم خلف فيهم الخلوف وعظمت فيهم الأحداث والخطايا وكثرت الجبابرة وقتلوا الانبياء وكان فيهم ملك عنيد طاغ * ويقال إنه الذى تكفل له ذو الكفل إن هو تاب ورجع دخل الجنة فسمى ذا الكفل *

قال محمد بن إسحاق هو اليسع بن أخطوب . وقال الحافظ أبو القسم بن عساكر فى حرف الياء من تاريخه اليسع وهو الأسباط بن عدى بن شوتلم بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل * ويقال هو ابن عم الياس النبى عليهما السلام . ويقال كان مستخفيا معه بجبل قاسيون من ملك بعلبك ثم ذهب معه اليها فلما رفع الياس خلفه اليسع فى قومه ونبأه الله بعده . ذكر ذلك عبد المنعم بن

---

(١) هو يزيد بن أبى حبيب قال ابن سعد كان مفتى أهل مصر فى زمانه وكان حليما عاقلا وكان أول من أظهر العلم بمصر .

ادريس عن أبيه عن وهب بن منبه . قال وقال غيره وكان بيا نياس . ثم ذكر ابن عساكر قراءة من قرأ اليسع بالتخفيف وبالتشديد ومن قرأ والليسع وهو إسم واحد لنبي من الانبياء * قلت قد قدمنا قصة ذا الكفل بعد قصة أيوب عليهما السلام لأنه قد قيل إنه ابن أيوب فالله أعلم

فصل

قال ابن جرير وغيره ثم مرج أمر بنى إسرائيل وعظمت منهم الخطوب والخطايا وقتلوا من قتلوا من الأنبياء وسلط الله عليهم بدل الأنبياء ملوكا جبارين يظلمونهم ويسفكون دماءهم وسلط الله عليهم الأعداء من غيرهم أيضا وكانوا إذا قاتلوا أحداً من الاعداء يكون معهم تابوت الميثاق الذى كان فى قبة الزمان كما تقدم ذكره فكانوا ينصرون ببركته وبما جعل الله فيه من السكينة والبقية مما ترك آل موسى وآل هارون فلما كان فى بعض حروبهم مع أهل غزة وعسقلان غلبوهم وقهروهم على أخذه فانتزعوه من أيديهم فلما علم بذلك ملك بنى إسرائيل فى ذلك الزمان مالت عنقه فمات كمداً وبقى بنو إسرائيل كالغنم بلا راع حتى بعث الله فيهم نبياً من الأنبياء يقال له شمويل فطلبوا منه أن يقيم لهم ملكا ليقاتلوا معه الأعداء فكان من أمرهم ماسنذكره مما قص الله فى كتابه . قال ابن جرير فكان من وفاة يوشع بن نون الى أن بعث الله عز وجل شمويل بن بالى أربعمائة سنة وستون سنة * ثم ذكر تفصيلها بمدد الملوك الذين ملكوا عليهم وسماهم واحداً واحدا تركنا ذكرهم قصداً *

قصة شمويل وفيها بدء أمر داود عليهما السلام

﴿ وفيها بدأ أمر داود عليه السلام ﴾

هو شمويل ويقال له أشمويل بن بالى بن علقمة بن يرخام بن اليهو بن تهو بن صوف بن علقمة ابن ماحث بن عموصا بن عزريا * قال مقاتل وهو من ورثة هارون وقال مجاهد هو أشمويل بن هلفاقا ولم يرفع فى نسبه أكثر من هذا فالله أعلم *

حكى السدى باسناده عن ابن عباس وابن مسعود واناس من الصحابة والثعلبى وغيرهم أنه لما غلبت العمالقة من أرض غزة وعسقلان على بنى إسرائيل وقتلوا منهم خلقا كثيرا وسبوا من ابنائهم جمعاً كثيراً وانقطعت النبوة من سبط لاوى ولم يبق فيهم إلا امرأة حبلى فجعلت تدعو الله عز وجل أن يرزقها ولداً ذكراً فولدت غلاما فسمته أشمويل ومعناه بالعبرانية إسماعيل أى سمع الله دعائى فلما ترعرع بعثته الى المسجد وأسلمته عند رجل صالح فيه يكون عنده ليتعلم من خيره وعبادته فكان عنده فلما بلغ أشده بينما هو ذات ليلة نائم إذا صوت يأتيه من ناحية المسجد فانتبه مذعوراً فظنه الشيخ يدعوه فسأله أدعوتنى

فكره أن يفزعه فقال نعم ثم فنام . ثم ناداه الثانيـة فـكذلك ثم الثالثة فاذا جبريل يدعوه فجاءه فقال إن ربك قد بعثك الى قومك فـكان من أمره معهم ما قص الله فى كتابه قال الله تعالى فى كتابه العزيز (ألم تر الى الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملـكا نقاتل فى سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا ومالنا ألا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليـلا منهم والله عليم بالظالمين . وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لـكم طالوت ملـكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المـال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملـكه من يشاء والله واسع عليم . وقال لهم نبيهم ان آية ملـكه أن يأتيكم التابوت فيـه سـكينة من ربكم وبقية ممـا ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائـكة إن فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين . فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى إلا من اغترف غرفة بيـده فشربوا منه إلا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين . ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صـبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الـكافرين فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحـكمة وعلمه ممـا يشاء ولولا دفع الله النـاس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولـكن الله ذو فضل عـلى العالمين)

قال أكثر المفسرين كان نبى هؤلاء القوم المذكورين فى هـذه القصة هو شمويل . وقيل شمعون وقيل هما واحـد وقيل يوشع وهـذا بعيد لما ذكره الامام أبو جعفر بن جرير فى تاريخـه أن بين موت يوشع وبعثة شمويل أربعمائة سنة وستين سنة فالله أعـلم *

والمقصود أن هؤلاء القوم لمـا أنهكتهم الحروب وقهرهم الأعـداء سألوا نبى الله فى ذلك الزمان وطلبوا منه أن ينصب لهم ملـكا يكونون تحت طاعته ليقاتلوا من ورائه ومعه وبين يديه الأعـداء فقال لهم (هل عسيتم إن كتب عليـكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنـا ألا نقاتل فى سبيل الله) أى وأى شئ يمنعنا من القتال وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) يقولون نحن محروبون موتورون فحقيق لنا أن نقاتل عن أبنائنا المنهورين المستضعفين فيهم المأسورين فى قبضتهم . قال تعالى (فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليـلا منهم والله عليم بالظالمين) كما ذكر فى آخر القصة أنه لم يجاوز النهر مع الملك إلا القليـل والباقون رجعوا ونـكلوا عن القتال (وقال لهم نبيهم ان الله قـد بعث لـكم طالوت ملـكا) قال الثعلبى وهو طالوت بن قيش بن أفيـل بن صارو بن تحورت بن أفيح بن أنيس بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم الخليل .

قال عكرمة والسدى كان سقاءا وقال وهب بن منبه كان دباغا. وقيل غير ذلك فالله أعلم ولهذا (قالوا (أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال) وقد ذكروا أن النبوة كانت فى سبط لاوى وأن الملك كان فى سبط يهوذا فلما كان هذا من سبط بنيامين نفروا منه وطعنوا فى امارته عليهم وقالوا نحن أحق بالملك منه وذكروا أنه فقير لا سعة من المال معه فكيف يكون مثل هذا ملكا. (قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم) . قيل كان الله قد أوحى إلى شمويل أن أى بنى إسرائيل كان طوله على طول هذه العصا وإذا حضر عندك يفور هذا القرن الذى فيه من دهن القدس فهو ملكهم فجعلوا يدخلون ويقيسون أنفسهم بتلك العصا فلم يكن أحد منهم على طولها سوى طالوت ولما حضر عند شمويل فار ذلك القرن فدهنه منه وعينه الملك عليهم وقال لهم (إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم) قيل فى أمر الحروب وقيل بل مطلقا (والجسم) قيل الطول وقيل الجمال والظاهر من السياق أنه كان أجملهم وأعلمهم بعد نبيهم عليه السلام(والله يؤتى ملكه من يشاء) فله الحكم وله الخلق والأمر (والله واسع عليم وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين) وهذا أيضا من بركة ولاية هذا الرجل الصالح عليهم ويمنه عليهم أن يرد الله عليهم التابوت الذى كان سلب منهم وقهرهم الأعداء عليه وقد كانوا ينصرون على أعدائهم بسببه (فيه سكينة من ربكم) قيل طشت من ذهب كان يغسل فيه صدور الأنبياء. وقيل السكينة مثل الريح الخجوج. وقيل صورتها مثل الهرة إذا صرخت فى حال الحرب أيقن بنو إسرائيل بالنصر (وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون) قيل كان فيه رضاض الألواح وشئ من المن الذى كان نزل عليهم بالتيه (تحمله الملائكة) أى تأتيكم به الملائكة يحملونه وأنتم ترون ذلك عيانا ليكون آية لله عليكم وحجة باهرة على صدق ماأقوله لكم وعلى صحة ولاية هذا الملك الصالح عليكم ولهذا قال (إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين) وقيل إنه لما غلب العمالقة على هذا التابوت وكان فيه ماذكر من السكينة والبقية المباركة .وقيل كان فيه التوراة أيضا فلما استقر فى أيديهم وضعوه تحت صنم لهم بأرضهم فلما أصبحوا إذا التابوت على رأس الصنم فوضعوه تحته فلما كان اليوم الثانى إذا التابوت فوق الصنم فلما تكرر هذا علموا أن هذا أمر من الله تعالى فأخرجوه من بلدهم وجعلوه فى قرية من قراهم فأخذهم داء فى رقابهم فلما طال عليهم هذا جعلوه فى عجلة وربطوها فى بقرتين وارسلوهما فيقال إن الملائكة ساقتهما حتى جاؤا بهما ملأ بنى إسرائيل وهم ينظرون كما أخبرهم نبيهم بذلك فالله أعلم على أى صفة جاءت به الملائكة والظاهر أن الملائكة كانت تحمله بأنفسهم كما هو المفهوم بالجنود من الآية والله أعلم * وإن كان الأول قد ذكره كثير من المفسرين أو أكثرهم (فلما فصل طالوت قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى إلا من اغترف غرفة بيده) .

قال ابن عباس وكثير من المفسرين هذا النهر هو نهر الاردن وهو المسمى بالشريعة فكان من أمر طالوت بجنوده عند هذا النهر عن أمر نبى الله له عن أمر الله له إختباراً وامتحانا أن من شرب من هذا النهر فلا يصحبنى فى هذه الغزوة ولا يصحبنى إلا من لم يطعمه إلا غرفة فى يده . قال الله تعالى (فشربوا منه إلا قليلا منهم) .

قال السدى كان الجيش ثمانين ألفا فشرب منه ستة وسبعون ألفا فبقى معه أربعة آلاف كذا قال * وقد روى البخارى فى صحيحه من حديث إسرائيل وزهير والثورى عن أبى اسحاق عن البراء بن عازب قال كنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه إلا بضعة عشر وثلثمائة مؤمن . وقول السدى أن عدة الجيش كانوا ثمانين ألفا فيه نظر لأن أرض بيت المقدس لا تحتمل أن يجتمع فيها جيش مقاتلة يبلغون ثمانين ألفا والله أعلم . قال الله تعالى (فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) أى استقلوا أنفسهم واستضعفوها عن مقاومة أعدائهم بالنسبة الى قلتهم وكثرة عدد عدوهم (قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) يعنى بها الفرسان منهم . والفرسان أهل الايمان والايقان الصابرون على الجلاد والجدال والطعان .(ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) طلبوا من الله أن يفرغ عليهم الصبر أى يغمرهم به من فوقهم فتستقر قلوبهم ولا تقلق وأن يثبت أقدامهم فى مجال الحرب ومعترك الابطال وحومة الوغى والدعاء الى النزال فسألوا التثبت الظاهر والباطن وأن ينزل عليهم النصر على أعدائهم وأعدائه من الكافرين الجاحدين بآياته وآلائه فاجابهم العظيم القدير السميع البصير الحكيم الخبير الى ما سألوا وأنا لهم ما اليه فيه رغبوا ولهذا قال (فهزموهم باذن الله) أى بحول الله لا بحولهم وبقوة الله ونصره لا بقوتهم وعددهم مع كثرة أعدائهم وكمال عددهم كما قال تعالى (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون) وقوله تعالى (وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء) فيه دلالة على شجاعة داود عليه السلام وانه قتله قتلا أذل به جنده وكسره ولا أعظم من غزوة يقتل فيها ملك عدوه فيغنم بسبب ذلك الأموال الجزيلة ويأسر الابطال والشجعان والأقران وتعلو كلمة الايمان على الأوثان ويدال لاولياء الله على أعدائه . ويظهر الدين الحق على الباطل وأوليائه * وقد ذكر السدى فيما يرويه أن داود عليه السلام كان أصغر أولاد أبيه وكانوا ثلاثة عشر ذكرا كان سمع طالوت ملك بنى إسرائيل وهو يحرض بنى اسرائيل على قتل جالوت وجنوده وهو يقول من قتل جالوت زوجته بابنتى وأشركته فى ملكى وكان داود عليه السلام يرمى بالقذافة وهو المقلاع رميا عظيما فبينا هو سائر مع بنى إسرائيل إذ ناداه حجر أن خذنى فان بى تقتل جالوت فاخذه ثم

حجر آخر كذلك ثم آخر كذلك فأخذ الثلاثة فى مخلاته فلما تواجه الصفان برز جالوت ودعا الى نفسه فتقدم اليه داود فقال له ارجع فانى أكره قتلك فقال لكنى أحب قتلك وأخذ تلك الأحجار الثلاثة فوضعها فى القذافة ثم أدارها فصارت الثلاثة حجراً واحدا . ثم رمى بها جالوت ففلق رأسه وفر جيشه منهزما فوفى له طالوت بما وعده فزوجه ابنته وأجرى حكمه فى ملكه وعظم داود عليه السلام عند بنى إسرائيل وأحبوه ومالوا اليه أكثر من طالوت فذكروا أن طالوت حسده وأراد قتله واحتال على ذلك فلم يصل اليه وجعل العلماء ينهون طالوت عن قتل داود فتسلط عليهم فقتلهم حتى لم يبق منهم إلا القليل . ثم حصل له توبة وندم واقلاع عما سلف منه وجعل يكثر من البكاء ويخرج الى الجبانة فيبكى حتى يبل الثرى بدموعه فنودى ذات يوم من الجبانة أن يا طالوت قتلتنا ونحن أحياء وآذيتنا ونحن أموات فازداد لذلك بكاؤه وخوفه واشتد وجله ثم جعل يسأل عن عالم يسأله عن أمره وهل له من توبة فقيل له وهل أبقيت عالما ؟ حتى دل على امرأة من العابدات فأخذته فذهبت به الى قبر يوشع عليه السلام قالوا فدعت الله فقام يوشع من قبره فقال أقامت القيامة فقالت لا ولكن هذا طالوت يسألك هل له من توبة فقال نعم ينخلع من الملك ويذهب فيقاتل فى سبيل الله حتى يقتل . ثم عاد ميتا فترك الملك لداود عليه السلام وذهب ومعه ثلاثة عشر من أولاده فقاتلوا فى سبيل الله حتى قتلوا قالوا فذلك قوله (وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء) هكذا ذكره ابن جرير فى تاريخه من طريق السدى باسناده . وفى بعض هذا نظر ونكارة والله أعلم .

وقال محمد بن اسحق النبى الذى بعث فاخبر طالوت بتوبته هو اليسع بن أخطوب حكاه ابن جرير أيضا . وذكر الثعلبى انها أتت به الى قبر اشمويل فعاتبه على ما صنع بعده من الامور وهذا أنسب . ولعله انما رآه فى النوم لا أنه قام من القبر حيا فان هذا انما يكون معجزة لنبى وتلك المرأة لم تكن نبية والله أعلم * وزعم أهل التوراة أن مدة ملك طالوت الى أن قتل مع أولاده أربعون سنة فالله أعلم *

قصة داود وما كان فى أيامه
ثم فضائله وشمائله ودلائل نبوته وأعلامه

هو داود بن ايشا بن عويد بن عابر بن سلمون بن نحشون بن عويناذب بن ارم بن حصرون بن فارص ابن يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل عبد الله ونبيه وخليفته فى أرض بيت المقدس * قال

محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه كان داود عليه السلام قصيرا أزرق العينين قليل الشعر طاهر القلب ونقيه . تقدم أنه لما قتل جالوت وكان قتله له فيما ذكر ابن عساكر عند قصر أم حكيم بقرب مرج الصفر فأحبته بنواسرائيل ومالوا اليه والى ملكه عليهم فكان من أمر طالوت ما كان وصار الملك الى داود عليه السلام وجمع الله له بين الملك والنبوة بين خير الدنيا والآخرة وكان الملك يكون فى سبط والنبوة فى آخر فاجتمع فى داود هذا وهذا كما قال تعالى (وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء . ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذوفضل على العالمين) أى لولا اقامة الملوك حكاما على الناس لأكل قوى الناس ضعيفهم . ولهذا جاء فى بعض الآثار (السلطان ظل الله فى أرضه) . وقال أمير المؤمنين عثمان بن عفان (ان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) . وقد ذكر ابن جرير فى تاريخه أن جالوت لما بارز طالوت فقال له اخرج الى واخرج اليك فندب طالوت الناس فانتدب داود فقتل جالوت . قال وهب بن منبه فمال الناس الى داود حتى لم يكن لطالوت ذكر وخلعوا طالوت وولوا عليهم داود * وقيل ان ذلك عن أمر شمويل حتى قال بعضهم إنه ولاه قبل الوقعة . قال ابن جرير والذى عليه الجمهور انه انما ولى ذلك بعد قتل جالوت والله أعلم * وروى ابن عساكر عن سعيد بن عبد العزيز ان قتله جالوت كان عند قصر أم حكيم وان النهر الذى هناك هو المذكور فى الآية فالله أعلم * وقال تعالى (ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبى معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحا انى بما تعملون بصير) وقال تعالى (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين . وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون) . أعانه الله على عمل الدروع من الحديد ليحصن المقاتلة من الاعداء وارشده الى صنعتها وكيفيتها فقال (وقدر فى السرد) أى لا تدق المسمار فيقلق ولا تغلظه فيفصم قاله مجاهد وقتادة والحكم وعكرمة .

قال الحسن البصرى وقتادة والاعمش كان الله قد ألان له الحديد حتى كان يفتله بيده لا يحتاج الى نار ولا مطرقة . قال قتادة فكان أول من عمل الدروع من زرد وانما كانت قبل ذلك من صفائح قال ابن شوذب كان يعمل كل يوم درعا يبيعها بستة آلاف درهم وقد ثبت فى الحديث أن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وان نبى الله داود كان يأكل من كسب يده وقال تعالى (واذكر عبدنا داود ذا الأيد انه أواب. انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق والطير محشورة كل له أواب وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) قال ابن عباس ومجاهد الايد القوة فى الطاعة يعنى ذا قوة فى العبادة والعمل الصالح قال قتادة اعطى قوة فى العبادة وفقها فى الاسلام قال وقد ذكر لنا أنه كان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر . وقد ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ص.) قال (أحب الصلوة الى الله صلاة داود

وأحب الصيام الى الله صيام داود) كان ينام نصف الليـل ويقوم ثلثه وينام سدسـه وكان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر اذا لاقى . وقوله (انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق والطير محشورة كل له أواب) كما قال (ياجبال أوبي معـه والطير) أي سبحي معه قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد في تفسير هذه الآية) انا سخرنا الجبال معـه يسبحن بالعشي والاشراق) أي عنـد آخر النهار وأوله وذلك انه كان الله تعالى قـد وهبه من الصوت العظيم ما لم يعطه أحـدا بحيث انه كان اذا ترنم بقراءة كتابه يقف الطير في الهواء يُرجّع بترجيعـه ويسبح بتسبيحه وكذلك الجبال تجيبـه وتسبح معه كلما سبح بكرة وعشيا صلوات الله وسلامه عليـه . وقال الاوزاعي حـدثني عبد الله بن عامر قال اعطى داود من حسن الصوت ما لم يعط أحد قط حتى أن كان الطير والوحش ينعكف حوله حتى يموت عطشا وجوعاً وحتى ان الانهار لتقف . وقال وهب بن منبه كان لا يسمعه احد الا حجل كهيئة الرقص وكان يقرأ الزبور بصوت لم تسمع الآذان بمثله فيعكف الجن والانس والطير والدواب على صوته حتى يهلك بعضها جوعا وقال أبو عوانة الاسفرايينى حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا محمد بن منصور الطوسى سمعت صبيحا أنبئنا برادح قال ابو عوانة وحدثني أبو العباس المدني حدثنا محمـد بن صالح العدوى حدثنا سيار هو ابن حاتم عن جعفر عن مالك قال كان داود عليـه السلام اذا أخـذ في قراءة الزبور تفتقت العذارى وهذا غريب . وقال عبد الرزاق عن ابن جريج سألت عطاء عن القراءة على الغناء فقال وما بأس بذلك سمعت عبيد بن عمر يقول كان داود عليه السلام يأخـذ العزفة فيضرب بها فيقرأ عليها فترد عليه صوته يريد بذلك أن يبكى وتبكى . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حـدثنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشـة قالت سمع رسول الله (ص) صوت أبي موسى الأشعري وهو يقرأ فقال لقد أوتى أبو موسى من مزامير آل داود وهذا على شرط الشيخين ولم يخرجاه من هذا الوجه وقال احمد حدثنا حسن حـدثنا حماد بن سلمة عن محمـد بن عمر عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال لقد أعطى أبو موسى من مزامير داود على شرط مسلم وقد روينا عن أبي عثمان الترمذي أنه قال لقد سمعت البربط والمزمار فما سمعت صوتا أحسن من صوت أبي موسى الاشعري . وقد كان مع هذا الصوت الرخيم سريع القراءة لكتابه الزبور كما قال الامام أحمـد حدثنا عبد الرزاق حـدثنا معمر عن همام عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) خفف عـلى داود القراءة فكان يأمر بدابتـه فتسرج فكان يقرأ القرآن من قبل أن تسرج دابته وكان لا يأكل الا من عمـل يديه وكذلك رواه البخاري

منفرداً به عن عبدِ الله بن محمد عن عبد الرزاق به ولفظه خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوا به فتسرج فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه ولا يأكل الا من عمل يديه . ثم قال البخارى ورواه موسى ابن عقبة عن صفوان هو ابن سليم عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة عن النبى (ص) وقد أسنده ابن عساكر فى ترجمة داود عليه السلام فى تاريخه من طرق عن ابراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة ومن طريق أبى عاصم عن أبى بكرالسبرى عن صفوان بن سليم به .

والمراد بالقرآن ههنا الزبور الذى انزله عليه وأوحاه اليه وذكر رواية أشبه أن يكون محفوظا فانه كان ملكا له اتباع فكان يقرأ الزبور بمقدار ما تسرج الدواب وهذا أمر سريع مع التدبر والترنم والتغنى به على وجه التخشع صلوات الله وسلامه عليه وقد قال الله تعالى (وآتينا داود زبوراً) والزبور كتاب مشهور وذكرنا فى التفسير الحديث الذى رواه أحمد وغيره أنه أنزل فى شهر رمضان وفيه من المواعظ والحكم ما هومعروف لمن نظرفيه * وقوله (وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) أى أعطيناه ملكا عظيما وحكما نافذا . روى ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس أن رجلين تداعيا الى داود عليه السلام فى بقر ادعى أحدهما على الاخر أنه اغتصبها منه فانكر المدعى عليه فارجأ أمرهما الى الليل فلما كان الليل أوحى الله اليه أن يقتل المدعى فلما أصبح قال له داود ان الله قدأوحى الى أن أقتلك فانا قاتلك لا محالة فما خبرك فيما ادعيته على هذا قال والله يا نبى الله انى لمحق فيما ادعيت عليه ولكنى كنت اغتلت أباه قبل هذا فأمر به داود فقتل فعظم أمر داود فى بنى اسرائيل جدا وخضعوا له خضوعا عظيما . قال ابن عباس وهو قوله تعالى (وشددنا ملكه) وقوله تعالى (وآتيناه الحكمة) أى النبوة (وفصل الخطاب) قال شريح والشعبى وقتادة وأبو عبد الرحمن السلمى وغيرهم فصل الخطاب الشهود والأيمان يعنون بذلك البينة على المدعى واليمين على من أنكر . وقال مجاهد والسدى هو اصابة القضاء وفهمه . وقال مجاهد هو الفصل فى الكلام وفى الحكم واختاره ابن جرير وهذا لا ينافى ماروى عن أبى موسى أنه قول (اما بعد) . وقال وهب بن منبه لما كثر الشر وشهادات الزورفى بنى اسرائيل أعطى داود سلسلة لفصل القضاء فكانت ممدودة من السماء الى صخرة بيت المقدس وكانت من ذهب فاذا تشاجر الرجلان فى حق فأيهما كان محقا نالها والآخر لا يصل اليها فلم تزل كذلك حتى اودع رجل رجلا لؤلؤة فجحدها منه واتخذ عكازا وأودعها فيه فلما حضرا عند الصخرة تناولها المدعى فلما قيل للاخر خذها بيدك عمد الى العكاز فأعطاه المدعى وفيه تلك اللؤلؤة وقال اللهم انك تعلم أنى دفعتها اليه ثم تناول السلسلة فنالها فأشكل أمرها على بنى اسرائيل . ثم رفعت سريعا من بينهم . ذكره بمعناه غير واحد من المفسرين . وقد رواه اسحق بن بشر عن ادريس ابن سنان عن وهب به بمعناه (وهل أتاك نبؤ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم،

قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهـدنا الى سواء الصراط إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وإن كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم عـلى بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود أنمـا فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب . فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) .

وقد ذكر كثير من المفسرين من السلف والخلف ههنا قصصـا وأخبارا أكثرها اسرائيليات ومنها ما هو مكذوب لا محالة تركنا ايرادها فى كتابنا قصدا اكتفاء واقتصارا على مجرد تلاوة القصة من القرآن العظيم والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ..

وقد اختلف الأئمة فى سجدة ص هل هى من عزائم السجود أو انما هى سجدة شكر ليست من عزائم السجود على قولين * قال البخارى حدثنا محمد بن عبدالله حدثنا محمد بن عبيد الطنافسى عن العوام قال سألت مجاهدا عن سجدة ص فقال سألت ابن عباس من أين سجدت قال أو ما تقرأ (ومن ذريته داود وسليمان) (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتـده) فـكان داود ممن أمر نبيكم (ص) أن يقتدى به فسجدها داود عليه السلام فسجدها رسول الله (ص) وقد قال الامام أحمد حدثنا اسمعيل هو ابن علية عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال فى السجود فى ص ليست من عزائم السجود . وقد رأيت رسول الله (ص) يسجد فيها . وكذا رواه البخارى وأبو داود والترمذى والنسائى من حـديث أيوب وقال الترمذى حسن صحيح وقال النسائى أخبرنى ابراهيم بن الحسن المقسمى حدثنا حجاج بن محمد عن عمر بن ذر عن أبيـه عن سعيد بن جبـير عن ابن عباس أن النبى (ص) سـجد فى ص وقال سجدها داود توبة ونسجدها شكرا تفرد به أحمد ورجاله ثقات وقال أبو داود حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب اخبرنى عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبى هـلال عن عياض بن عبد الله بن سعد بن أبى سرح عن أبى سعيد الخدرى قال قرأ رسول الله (ص) وهو على المنبر ص فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد معه الناس فلما كان يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشرف الناس للسجود فقال انما هى توبة نبى ولـكن رأيتـكم تشرفتم فنزل وسجـد . تفرد به أبو داود واسناده على شرط الصحيح . وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا يزيد بن زريع حدثنا حميد حـدثنا بكر هو ابن عمر وأبو الصديق الناجى أنه أخبره أن أبا سعيد الخدرى رأى رؤيا أنه يكتب ص فلما بلغ الى التى يسجد بها رأى الدواة والقلم وكل شئ بحضرته انقلب ساجدا قال فقصها على النبى (ص) فلم يزل يسجد بها بعد * تفرد به أحمد وروى الترمذى وابن ماجه من حديث محمد بن يزيد بن خنيس عن الحسن بن محمد بن عبيـد الله بن أبى يزيد قال قال لى ابن جريج حدثنى جدك عبيـد الله بن أبى يزيد عن ابن عباس قال جاء رجل الى النبى (ص) فقال يا رسول الله انى

رأيت فيما يرى النائم كأنى أصلى خلف شجرة فقرأت السجدة فسجدت الشجرة بسجودى فسمعتها تقول وهى ساجدة (اللهم ا كتب لى بها عندك أجرا واجعلها لى عندك ذخراً وضع عنى بها وزرا واقبلها منى كما قبلت من عبدك داود) وقال ابن عباس فرأيت النبى (ص) قام فقرأ السجدة ثم سجد فسمعته يقول وهو ساجد كما حكى الرجل عن كلام الشجرة . ثم قال الترمذى غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه .

وقد ذكر بعض المفسرين أنه عليه السلام مكث ساجداً أربعين يوما وقاله مجاهد والحسن وغيرهما وورد فى ذلك حديث مرفوع لكنه من رواية يزيد الرقاشى وهو ضعيف متروك الرواية * قال الله تعالى (فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) . اى ان له يوم القيامة لزلفى وهى القربة التى يقربه الله بها ويدنيه من حظيرة قدسه بسببها كما ثبت فى حديث (المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يقسطون فى أهليهم وحكمهم وما ولوا) . وقال الامام أحمد فى مسنده حدثنا يحيى بن آدم حدثنا فضيل عن عطية عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله (ص) ان أحب الناس الى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا امام عادل وان أبغض الناس الى الله يوم القيامة وأشدهم عذابا امام جائر وهكذا رواه الترمذى من حديث فضيل بن مرزوق الاغرّ به وقال لا نعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبدالله بن أبى زياد حدثنا سيار حدثنا جعفر بن سليمان سمعت مالك بن دينار فى قوله (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) قال يقوم داود عليه السلام يوم القيامة عند ساق العرش فيقول الله يا داود مجدنى اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم الذى كنت تمجدنى فى الدنيا فيقول وكيف وقد سلبته فيقول انى أرده عليك اليوم قال فيرفع داود بصوت يستفرغ نعيم أهل الجنان (يا داود إنا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) هذا خطاب من الله تعالى مع داود والمراد ولاة الامور وحكام الناس وأمرهم بالعدل واتباع الحق المنزل من الله لاما سواه من الآراء والاهواء وتوعد من سلك غير ذلك وحكم بغير ذلك وقدكان داود عليه السلام هو المقتدى به فى ذلك الوقت فى العدل وكثرة العبادة وأنواع القربات حتى إنه كان لا يمضى ساعة من آناء الليل وأطراف النهار إلا وأهل بيته فى عبادة ليلا ونهاراً كما قال تعالى (اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادى الشكور) قال أبو بكر بن أبى الدنيا حدثنا اسمعيل بن ابراهيم بن بسام حدثنا صالح المزى عن أبى عمران الجونى عن أبى الجلد قال قرأت فى مسألة داود عليه السلام أنه قال يا رب كيف لى أن أشكرك وأنا لا أصل الى شكرك إلا بنعمتك قال فأتاه الوحى « أن يا داود ألست تعلم أن الذى بك من النعم منى قال بلى يارب قال فانى أرضى بذلك منك » وقال البيهقى أنبأنا أبوعبد الله الحافظ أنبأنا أبو بكر بن بالويه حدثنا محمد بن يونس القرشى حدثنا روح بن عبادة حدثنى عبد الله ابن لاحق عن ابن

شهاب قال قال داود« الحمد لله كما ينبغى لكرم وجهه وعز جلاله فاوحى الله اليه إنك أتعبت الحفظة يا داود » ورواه أبو بكر بن أبى الدنيا عن على بن الجعد عن الثورى مثله وقال عبد الله بن المبارك فى كتاب الزهد أنبأنا سفيان الثورى عن رجل عن وهب بن منبه قال ان فى حكمة آل داود حق على العاقل أن لا يغفل عن أربع ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يفضى فيها الى إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه وساعة يخلى بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل فان هذه الساعة عون على هذه الساعات واجمام للقلوب وحق على العاقل أن يعرف زمانه ويحفظ لسانه ويقبل على شأنه * وحق على العاقل أن لا يظعن إلا فى إحدى ثلاث زاد لمعاده ومرمة لمعاشه ولذة فى غير محرم وقد رواه أبو بكر بن أبى الدنيا عن أبى بكر بن أبى خيثمة عن ابن مهدى عن سفيان عن أبى الاغر عن وهب بن منبه فذكره . ورواه أيضا عن على بن الجعد عن عمر بن الهيثم الرقاشى عن أبى الاغر عن وهب بن منبه فذكره وأبو الاغر هذا هو الذى أبهمه ابن المبارك فى روايته . قاله ابن عساكر وقال عبد الرزاق أنبأنا بشر بن رافع حدثنا شيخ من أهل صنعاء يقال له أبو عبد الله قال سمعت وهب بن منبه فذكر مثله . وقد روى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة داود عليه السلام أشياء كثيرة مليحة منها قوله كن لليتيم كالأب الرحيم * واعلم أنك كما تزرع كذلك تحصد . وروى بسند غريب مرفوعا قال داود يازارع السيئات أنت تحصد شوكها وحسكها وعن داود عليه السلام أنه قال مثل الخطيب الاحمق فى نادى القوم كمثل المغنى عند رأس الميت وقال أيضا ما أقبح الفقر بعد الغنى وأقبح من ذلك الضلالة بعد الهدى وقال انظر ماتكره أن يذكر عنك فى نادى القوم فلا تفعله اذا خلوت . وقال لاتعدن أخاك بما لاتنجزه له فان ذلك عداوة مابينك وبينه. وقال محمد بن سعد أنبأنا محمد بن عمر الواقدى حدثنى هشام بن سعد عن عمر مولى عفرة قال قالت يهود لما رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوج النساء انظروا الى هذا الذى لايشبع من الطعام ولا والله ماله همة الا الى النساء حسدوه لكثرة نسائه وعابوه بذلك فقالوا لو كان نبيا مارغب فى النساء وكان أشدهم فى ذلك حيي بن أخطب فأكذبهم الله وأخبرهم بفضل الله وسعته على نبيه صلوات الله عليه وسلامه فقال (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) يعنى بالناس رسول الله صلى الله عليه وسلم (فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما) يعنى ما آتى الله سليمان ابن داود كانت له الف امرأة سبعمائة مهرية وثلثمائة سرية وكانت لداود عليه السلام مائة امرأة منهن امرأة أوريا أم سليمان بن داود التى تزوجها بعد الفتنة هذا أكثر مما لمحمد صلى الله عليه وسلم . وقد ذكر الكلبى نحو هذا وانه كان لداود عليه السلام مائة امرأة ولسليمان الف امرأة منهن ثلثمائة سرية

(١) وروى الحافظ فى تاريخه فى ترجمة صدقة الدمشقى الذى يروى عن ابن عباس من طريق الفرج

---

(١) من هنا لآخر القصة لم يوجد فى النسختين الموجودتين بالمكتبة المصرية .

ابن فضالة الحمصى عن أبى هريرة الحمصى عن صدقة الدمشقى أن رجلا سأل ابن عباس عن الصيام فقال لأحدثنك بحديث كان عندى فى البحث (١) مخزونا إن شئت أنبأتك بصوم داود فانه كان صواما قواما وكان شجاعا لايفر اذا لاقى وكان يصوم يوما ويفطر يوما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام صيام داود وكان يقرأ الزبور بسبعين صوتا يكون فيها وكانت له ركعة من الليل يبكى فيها نفسه ويبكى ببكائه كل شئ ويصرف بصوته الهموم والمحموم * وان شئت أنبأتك بصوم ابنه سليمان فانه كان يصوم من أول الشهر ثلاثة أيام ومن وسطه ثلاثة أيام ومن آخره ثلاثة أيام يستفتح الشهر بصيام ووسطه بصيام ويختمه بصيام . وان شئت أنبأتك بصوم ابن العذراء البتول عيسى بن مريم فانه كان يصوم الدهر ويأكل الشعير ويلبس الشعر يأكل ما وجد ولايسأل عما فقد ليس له ولد يموت ولا بيت يخرب وكان أينما أدركه الليل صفن بين قدميه وقام يصلى حتى يصبح وكان راميا لا يفوته صيد يريده وكان يمر بمجالس بنى اسرائيل فيقضى لهم حوائجهم .

وان شئت أنبأتك بصوم أمه مريم بنت عمران فانها كانت تصوم يوما وتفطر يومين .

وان شئت أنبأتك بصوم النبى العربي الامى محمد (ص) فانه كان يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ويقول إن ذلك صوم الدهر . وقد روى الامام احمد عن أبى النصر عن فرج بن فضالة عن أبى هرم عن صدقة عن ابن عباس مرفوعا فى صوم داود *

كمية حياته وكيفية وفاته عليه السلام

قد تقدم فى ذكر الاحاديث الواردة فى خلق آدم أن الله لما استخرج ذريته من ظهره فرأى فيهم الانبياء عليهم السلام ورأى فيهم رجلا يزهر فقال أى رب من هذا قال هذا ابنك داود قال أى رب كم عمره قال ستون عاما قال أى رب زد فى عمره قال لا الا أن أزيده من عمرك وكان عمر آدم ألف عام فزاده أربعين عاما فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت فقال بقى من عمرى أربعون سنة ونسى آدم ما كان وهبه لولده داود فأتمها الله لآدم الف سنة ولداود مائة سنة رواه احمد عن ابن عباس والترمذى وصححه عن أبى هريرة وابن خزيمة وابن حبان . وقال الحاكم على شرط مسلم . وقد تقدم ذكر طرقه والفاظه فى قصة آدم * قال ابن جرير وقد زعم بعض أهل الكتاب أن عمر داود كان سبعا وسبعين سنة . قلت هذا غلط مردود عليهم قالوا وكان مدة ملكه أربعين سنة وهذا قد يقبل نقله لانه ليس عندنا ما ينافيه ولا ما يقتضيه

---

(١) البحث المعدن اه

واما وفاته عليه السلام فقال الامام احمد فى مسنده حدثنا قبيصة حدثنا يعقوب بن عبدالرحمن بن محمد بن عمرو بن أبى عمرو عن المطلب عن أبى هريرة أن رسول الله (ص) قال : كان داود عليه السلام فيه غيرة شديدة فكان اذا خرج أغلق الابواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع قال فخرج ذات يوم وغلقت الدار فاقبلت امرأته تطلع الى الدار فاذا رجل قائم وسط الدار فقالت لمن فى البيت من أين دخل هذا الرجل والدار مغلقة والله لتفتضحن بداود فجاء داود فاذا الرجل قائم فى وسط الدار فقال له داود من أنت فقال أنا الذى لا أهاب الملوك ولا أمنع من الحجاب فقال داود أنت والله إذن ملك الموت مرحبا بأمر الله ثم مكث حتى قبضت روحه فلما غسل وكفن وفرغ من شأنه طلعت عليه الشمس فقال سليمان للطير أظلى على داود فاظلته الطير حتى اظلمت عليه الأرض فقال سليمان للطير اقبضى جناحا قال قال أبو هريرة فطفق رسول الله (ص) يرينا كيف فعلت الطير وقبض رسول الله (ص) بيده وغلبت عليه يومئذ المضرحية . انفرد باخراجه الامام احمد واسناده جيد قوى رجاله ثقات ومعنى قوله وغلبت عليه يومئذ المضرحية أى وغلبت على التظليل عليه الصقور الطوال الاجنحة واحدها مضرحى * قال الجوهرى وهو الصقر الطويل الجناح وقال السدى عن أبى مالك عن ابن عباس قال مات داود عليه السلام فجأة وكان بسبت وكانت الطير تظله . وقال السدى أيضاً عن أبى مالك وعن سعيد بن جبير قال مات داود عليه السلام يوم السبت فجأة . وقال اسحاق بن بشر عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن الحسن قال مات داود عليه السلام وهو ابن مائة سنة ومات يوم الاربعاء فجأة .وقال أبو السكن الهجرى مات ابراهيم الخليل فجأة وداود فجأة وابنه سليمان فجأة صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين رواه ابن عساكر وروى عن بعضهم أن ملك الموت جاءه وهو نازل من محرابه فقال له دعنى أنزل أو أصعد فقال يانبى الله قد نفدت السنون والشهور والآثار والارزاق. قال فخر ساجداً على مرقاة من تلك المراقى فقبضه وهو ساجد . وقال اسحاق بن بشر (١) انبأنا وافر بن سليمان عن أبى سليمان الفلسطينى عن وهب بن منبه قال إن الناس حضروا جنازة داود عليه السلام فجلسوا فى الشمس فى يوم صائف قال وكان قد شيع جنازته يومئذ اربعون الف راهب عليهم البرانس سوى غيرهم من الناس ولم يمت فى بنى إسرائيل بعد موسى وهرون أحد كانت بنو إسرائيل أشد جزعا عليه منهم على داود قال فآذاهم الحر فنادوا سليمان عليه السلام أن يعمل لهم وقاية لما اصابهم من الحر فخرج سليمان فنادى الطير فاجابت فامرها أن تظل الناس فتراص بعضها الى بعض من كل وجه حتى استمسكت الريح فكاد الناس أن يهلكوا غماً فصاحوا

(١) هو اسحاق بن بشر بن حذيفة البخارى صاحب كتاب المبتدا والفتوح وتركوه وكذبه على بن المدينى وقال ابن حبان لا يحل حديثه الا على جهة التعجب وقال الدار قطنى متروك وقوله وافر بن سليمان كذا بالنسخة الحلبية .

الى سليمان عليه السلام من الغم فخرج سليمان فنادى الطير أن أظلى الناس من ناحية الشمس وتنحى عن ناحية الريح ففعلت فكان الناس فى ظل وتهب عليهم الريح فكان ذلك أول ما رأوه من ملك سليمان . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع حدثنى الوليد بن مسلم عن الهيثم بن حميد عن الوضين بن عطاء عن نصر بن علقمة عن جبير بن نفير عن أبى الدرداء قال قال رسول الله (ص) لقد قبض الله داود من بين أصحابه ما فتنوا ولا بدلوا ولقد مكث أصحاب المسيح على سنته وهديه مائتى سنة هذا حديث غريب وفى رفعه نظر والوضين بن عطاء كان ضعيفا فى الحديث والله أعلم *

قصة سليمان بن داود عليهما السلام

قال الحافظ بن عساكر هو سليمان بن داود بن ايشا بن عويد بن عابر بن سلمون بن نحشون بن عمينا داب بن ارم بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم أبى الربيع نبى الله بن نبى الله . جاء فى بعض الآثار أنه دخل دمشق . قال ابن ماكولا فارص بالصاد المهملة وذكر نسبه قريبا مما ذكره ابن عساكر قال الله تعالى (وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ ان هذا لهو الفضل المبين) أى ورثه فى النبوة والملك وليس المراد ورثه فى المال لانه قد كان له بنون غيره فما كان ليخص بالمال دونهم ولأنه قد ثبت فى الصحاح من غير وجه عن جماعة من الصحابة أن رسول الله (ص) قال لا نورث ما تركنا فهو صدقة وفى لفظ نحن معاشر الأنبياء لا نورث فاخبر الصادق المصدوق أن الانبياء لا تورث أموالهم عنهم كما يورث غيرهم بل يكون أموالهم صدقة من بعدهم على الفقراء والمحاويج لا يخصون بها اقرباؤهم لان الدنيا كانت أهون عليهم وأحقر عندهم من ذلك كما هى عند الذى أرسلهم واصطفاهم وفضلهم وقال (يا أيها الناس علمنا منطق الطير الآية) يعنى أنه عليه السلام كان يعرف ما يتخاطب به الطيور بلغاتها ويعبر للناس عن مقاصدها واراداتها . وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقى أنبأنا أبو عبد الله الحافظ (١) أنبأنا على بن حشاد (٢) حدثنا اسمعيل بن قتيبة حدثنا على بن قدامة حدثنا أبو جعفر الاسوانى (٣) يعنى محمد بن عبد الرحمن عن أبى

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبى الطهمانى الحاكم النيسابورى المعروف بابن البيع . وانما عرف بالحاكم لتقلده القضاء وهو صاحب المستدرك وغيره (٢) كذا فى الحلبية وحشاذ فى المصريتين وكلاهما خطأ والصواب حمشاذ عن محمود الامام (٣) كذا فى النسخ بنون بعد الالف وواو بعد السين وهو خطأ والصواب الاستوائى بالهمز بعد الالف وبتاء مثناة بين السين والواو نسبة الى استواء بضم الهمزة ثم السكون وضم التاء المثناة وواو وألف . وهى كورة من نواحى نيسابور ومعناها

يعقوب العمى (١) حدثنى أبو مالك قال مر سليمان بن داود بعصفور يدور حول عصفورة فقال لاصحابه أتدرون ما يقول قالوا وما يقول يا نبى الله : قال يخطبها الى نفسه ويقول زوجينى أسكنك أى غرف دمشق شئت. قال سليمان عليه السلام لان غرف دمشق مبنية بالصخر لا يقدر أن يسكنها أحد ولكن كل خاطب كذاب . رواه ابن عساكر عن أبى القاسم زاهر بن طاهر (٢) عن البيهقى به وكذلك ما عداها من الحيوانات وسائر صنوف المخلوقات والدليل على هذا قوله بعد هذا من الآيات (وأوتينا من كل شئ) أى من كل مايحتاج الملك اليه من العدد والآلات والجنود والجيوش والجماعات من الجن والانس والطيور والوحوش والشياطين السارحات والعلوم والفهوم والتعبير عن ضمائر المخلوقات من الناطقات والصامتات ثم قال (إن هذا لهو الفضل المبين) أى من بارئ البريات وخالق الأرض والسموات كما قال تعالى (وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون حتى اذا أتوا على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين).

يخبر تعالى عن عبده ونبيه وابن نبيه سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام أنه ركب يوما فى جيشه جميعه من الجن والانس والطير فالجن والانس يسيرون معه والطير سائرة معه تظله بأجنحتها من الحر وغيره وعلى كل من هذه الجيوش الثلاثة وزعة أى نقباء يردون أوله على آخره فلا يتقدم أحد عن موضعه الذى يسير فيه ولا يتأخر عنه قال الله تعالى (حتى اذا أتوا على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) فأمرت وحذرت واعتذرت عن سليمان وجنوده بعدم الشعور . وقد ذكر وهب أنه مر وهو على البساط بواد بالطائف وأن هذه النملة كان اسمها جرسا وكانت من قبيلة يقال لهم بنو الشيصبان وكانت عرجاء وكانت بقدر الذئب . وفى هذا كله نظر بل فى هذا السياق دليل على أنه كان فى موكبه راكبا فى خيوله وفرسانه لا كما زعم بعضهم من أنه كان اذ ذاك على البساط لانه لو كان كذلك لم ينل النمل منه شئ ولا وطء لان البساط كان عليه جميع ما يحتاجون اليه من الجيوش والخيول والجمال والاثقال والخيام والانعام والطير من فوق ذلك كله كما سنبينه بعد ذلك إن شاء الله تعالى

---

(١) كذا بالاصول بالعين المهملة والصواب القمى بضم القاف وتشديد الميم . وهو يعقوب بن عبد الله بن سعد بن مالك بن عامر بن هانى بن عامر بن أبى عامر الاشعرى أبو الحسن القمى رحمهم الله بلسانهم المضحاة والمشرقه عن محمود الامام (٢) هو زاهر بن طاهر أبو القاسم الشحامى مسند بنيسابور صحيح السماع لكنه يخل بالصلاة فترك الرواية عنه غير واحد من الحفاظ تورعا وقبله آخرون

والمقصود أن سليمان عليه السلام فهم ماخاطبت به تلك النملة لامتها من الرأى السديد والأمر الحميد وتبسم من ذلك على وجه الاستبشار والفرح والسرور بما أطلعه الله عليه دون غيره وايس كما يقوله بعض الجهلة من أن الدواب كانت تنطق قبل سليمان وتخاطب الناس حتى أخذ عليهم سليمان بن داود العهد وألجمها فلم تتكلم مع الناس بعد ذلك فان هذا لايقوله الا الذين لايعلمون ولو كان هذا هكذا لم يكن لسليمان فى فهم لغاتها مزية على غيره اذ قد كان الناس كلهم يفهمون ذلك ولو كان قد أخذ عليها العهد أن لاتتكلم مع غيره وكان هو يفهمها لم يكن فى هذا أيضا فائدة يعول عليها ولهذا قال (رب أوزعنى) أى ألهمنى وأرشدنى (أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) فطلب من الله أن يقيضه للشكر على ما أنعم به عليه وعلى ماخصه به من المزية على غيره وان ييسر عليه العمل الصالح وان يحشره اذا توفاه مع عباده الصالحين وقد استجاب الله تعالى له * والمراد بوالديه داود عليه السلام وأمه وكانت من العابدات الصالحات كما قال سنيد بن داود عن يوسف بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر عن النبى (ص) قال قالت أم سليمان بن داود يابنى لا تكثر النوم بالليل فان كثرة النوم بالليل تدع العبد فقيراً يوم القيامة . رواه ابن ماجه عن أربعة من مشايخه عنه به نحوه . (١) وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى أن سليمان ابن داود عليه السلام خرج هو وأصحابه يستسقون فرأى نملة قائمة رافعة احدى قوائمها تستسقى فقال لاصحابه ارجعوا فقد سقيتم ان هذه النملة استسقت فاستجيب لها . قال ابن عساكر وقد روى مرفوعا ولم يذكر فيه سليمان ثم ساقه من طريق محمد بن عزيز عن سلامة بن روح بن خالد عن عقيل عن ابن شهاب حدثنى أبو سلمة عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله (ص) يقول خرج نبى من الانبياء بالناس يستسقون الله فاذا هم بنملة رافعة بعض قوائمها الى السماء فقال النبى ارجعوا فقد استجيب لكم من أجل هذه النملة وقال السدى أصاب الناس قحط على عهد سليمان عليه السلام فأمر الناس فخرجوا فاذا بنملة قائمة على رجليها باسطة يديها وهى تقول « اللهم انا خلق من خلقك ولا غناء بنا عن فضلك » قال فصب الله عليهم المطر . قال تعالى (وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبنه عذابا شديداً أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم . وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لايهتدون الا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والارض ويعلم ما يخفون وما تعلنون الله لا إله الا هو رب العرش العظيم . قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين . إذهب بكتابى هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون .

(١) من هنا لغاية قوله فصب الله عليهم المطر لم يوجد بالنسختين الموجودتين بالمكتبة المصرية .

قالت يا أيها الملأ انى القى الى كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علىّ وأتونى مسلمين قالت يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والامر اليك فانظرى ماذا تأمرين . قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة أهلها اذلة وكذلك يفعلون وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بما يرجع المرسلون فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون . ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون) يذكر تعالى ما كان من أمر سليمان والهدهد وذلك أن الطيور كان على كل صنف منها مقدمون يقدمون بما يطلب منهم ويحضرون عنده بالنوبة كما هى عادة الجنود مع الملوك وكانت وظيفة الهدهد على ما ذكره ابن عباس وغيره أنهم كانوا اذا اعوزوا الماء فى القفار فى حال الاسفار يجئ فينظر لهم هل بهذه البقاع من ماء وفيه من القوة التى أودعها الله تعالى فيه أن ينظر الى الماء تحت تخوم الأرض فاذا دلهم عليه حفروا عنه واستنبطوه واخرجوه واستعملوه لحاجتهم فلما تطلبه سليمان عليه السلام ذات يوم فقده ولم يجده فى موضعه من محل خدمته (فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين) أى ماله مفقود من ههنا أو قد غاب عن بصرى فلا أراه بحضرتى (لأعذبنه عذابا شديدا) توعده بنوع من العذاب * اختلف المفسرون فيه والمقصود حاصل على كل تقدير (أولا ذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين) أى بحجة تنجيه من هذه الورطة . قال الله تعالى (فمكث غير بعيد) أى فغاب الهدهد غيبة ليست بطويلة ثم قدم منها (فقال) لسليمان (احطت بما لم تحط به) أى اطلعت على ما لم تطلع عليه (وجئتك من سبأ بنبأ يقين) أى بخبر صادق (انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم) يذكر ما كان عليه ملوك سبأ فى بلاد اليمن من المملكة العظيمة والتبابعة المتوجين وكان الملك قد آل فى ذلك الزمان الى امرأة منهم ابنة ملكهم لم يخلف غيرها فملكوها عليهم .

وذكر الثعلبى وغيره أن قومها ملكوا عليهم بعد ابيها رجلا فعم به الفساد فارسلت اليه تخطبه فتزوجها فلما دخلت عليه سقته خمرا ثم حزت رأسه ونصبته على بابها فاقبل الناس عليها وملكوها عليهم وهى بلقيس بنت السيرح وهو الهدهاد وقيل شراحيل بن ذى جدن بن السيرح بن الحرث بن قيس ابن صيفى بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان أبوها من اكابر الملوك وكان يأبى أن يتزوج من أهل اليمن فيقال إنه تزوج بامرأة من الجن اسمها ريحانة بنت السكن فولدت له هذه المرأة واسمها تلقمة ويقال لها بلقيس . وقد روى الثعلبى من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن النضر بن انس عن بشير بن نهيك عن أبى هريرة عن النبى (ص) أنه قال كان أحد أبوى بلقيس جنياً . وهذا حديث غريب وفى سنده ضعف. وقال الثعلبى اخبرنى أبو عبد الله بن قبحونة حدثنا أبو بكر بن جرجة حدثنا ابن أبى الليث حدثنا أبو كريب حدثنا أبو معاوية عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن عن أبى بكرة قال ذكرت بلقيس

عند رسول الله (ص) فقال لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة . اسماعيل بن مسلم هذا هو المكى ضعيف .
وقد ثبت فى صحيح البخارى من حديث عوف عن الحسن عن أبى بكرة أن رسول الله (ص) لما بلغه أن أهل فارس ملكوا عليهم ابنة كسرى قال لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة . ورواه الترمذى والنسائى من حديث حميد عن الحسن عن أبى بكرة عن النبى (ص) وقال الترمذى حسن صحيح وقوله (واوتيت من كل شئ) أى مما من شأنه أن تؤتاه الملوك (ولها عرش عظيم) يعنى سرير مملكتها كان مزخرفا بانواع الجواهر واللآلى والذهب والحلى الباهر . ثم ذكر كفرهم بالله وعبادتهم الشمس من دون الله واضلال الشيطان لهم وصده اياهم عن عبادة الله وحده لا شريك له الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض ويعلم ما يخفون وما يعلنون أى يعلم السرائر والظواهر من المحسوسات والمعنويات (الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) أى له العرش العظيم الذى لا أعظم منه فى المخلوقات . فعند ذلك بعث معه سليمان عليه السلام كتابه يتضمن دعوته لهم الى طاعة الله وطاعة رسوله والانابة والاذعان الى الدخول فى الخضوع لملكه وسلطانه ولهذا قال لهم (ألا تعلوا على) أى لا تستكبروا عن طاعتى وامتثال أوامرى (واتونى مسلمين) أى وأقدموا على سامعين مطيعين بلا معاودة ولا مراودة فلما جاءها الكتاب مع الطير ومن ثم اتخذ الناس البطائق ولكن أين الثريا من الثرى تلك البطاقة كانت مع طائر سامع مطيع فاهم عالم بما يقول ويقال له فذكر غير واحد من المفسرين وغيرهم أن الهدهد حمل الكتاب وجاء الى قصرها فالقاه اليها وهى فى خلوة لها ثم وقف ناحية ينتظر ما يكون من جوابها عن كتابها فجمعت أمراءها ووزراءها واكابر دولتها الى مشورتها (قالت يا أيها الملأ انى القى الى كتاب كريم) ثم قرأت عليهم عنوانه أولا (انه من سليمان) ثم قرأته (وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على واتونى مسلمين) ثم شاورتهم فى أمرها وما قد حل بها وتأدبت معهم وخاطبتهم وهم يسمعون (قالت ياأيها الملأ أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون) تعنى ماكنت لأبت أمراً الا وأنتم حاضرون (قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد) يعنون لنا قوة وقدرة على الجلاد والقتال ومقاومة الابطال فان أردت منا ذلك فانا عليه من القادرين (و) مع هذا (الامر اليك فانظرى ماذا تأمرين) فبذلوا لها السمع والطاعة وأخبروها بما عندهم من الاستطاعة وفوضوا اليها فى ذلك الامر لترى فيه ماهو الارشد لها ولهم فكان رأيها أتم وأسد من رأيهم وعلمت أن صاحب هذا الكتاب لا يغالب ولا يمانع ولا يخالف ولا يخادع (قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) تقول برأيها السديد إن هذا الملك لو قد غلب على هذه المملكة لم يخلص الأمر من بينكم الا الى ولم تكن الحدة والشدة والسطوة البليغة الا على (وإنى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون) أرادت أن تصانع عن نفسها وأهل مملكتها بهدية ترسلها وتحف تبعثها ولم تعلم ان سليمان عليه السلام لا يقبل منهم والحالة هذه صرفا ولا عدلا لانهم كافرون وهو

وجنوده عليهم قادرون ولهذا (لما جاء سليمان قال اتمدونن بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون) هذا وقد كانت تلك الهدايا مشتملة على أمور عظيمة كما ذكره المفسرون ثم قال لرسولها اليه ووافدها الذى قدم عليه والناس حاضرون يسمعون (ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون) يقول ارجع بهديتك التى قدمت بها الى من قدمن بها فان عندى مما قد أنعم الله علىّ وأسداه الىّ من الاموال والتحف والرجال ما هو اضعاف هذا وخير من هذا الذى أنتم تفرحون به وتفخرون على أبناء جنسكم بسببه (فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها) أى فلأ بعثن اليهم بجنود لا يستطيعون دفاعهم ولانزالهم ولا مما نعتهم ولا قتالهم ولأخرجنهم من بلدهم وحوزتهم ومعاملتهم ودولتهم أذلة (وهم صاغرون) عليهم الصغار والعار والدمار فلما بلغهم ذلك عن نبى الله لم يكن لهم بد من السمع والطاعة فبادروا الى اجابته فى تلك الساعة وأقبلوا صحبة الملكة أجمعين سامعين مطيعين خاضعين فلما سمع بقدومهم عليه ووفودهم اليه قال لمن بين يديه ممن هو مسخر له من الجان ماقصه الله عنه فى القرآن . (قال ياأيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى أمين . قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لايهتدون فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كانه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين قيل . لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين).

لما طلب سليمان من الجان أن يحضروا له عرش بلقيس وهو سرير مملكتها التى تجلس عليه وقت حكمها قبل قدومها عليه (قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) يعنى قبل أن ينقضى مجلس حكمك وكان فيما يقال من أول النهار الى قريب الزوال يتصدى لمهمات بنى اسرائيل ومالهم من الاشغال(وانى عليه لقوى أمين) أى وانى لذو قدرة على احضاره اليك وامانة على مافيه من الجواهر النفيسة لديك (قال الذى عنده علم من الكتاب) المشهور أنه آصف بن برخيا وهو ابن خالة سليمان . وقيل هو رجل من مؤمنى الجان كان فيما يقال يحفظ الاسم الاعظم. وقيل رجل من بنى اسرائيل من علمائهم وقيل إنه سليمان وهذا غريب جداً . وضعفه السهيلى بانه لايصح فى سياق الكلام قال وقد قيل فيه قول رابع وهو جبريل (أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك) قيل معناه قبل أن تبعث رسولا الى أقصى ماينتهى اليه طرفك من الارض ثم يعود اليك . وقيل قبل أن يصل اليك أبعد من تراه من

الناس وقيل قبل أن يكل طرفك اذا أدمت النظر به قبل أن تطبق جفنك . وقيل قبل أن يرجع اليك طرفك اذا نظرت به الى أبعد غاية منك ثم أغمضته وهـذا أقرب ما قيل . (فلما رآه مستقراً عنده) أى فلما رأى عرش بلقيس مستقرا عنده فى هذه المدة القريبة من بلاد اليمن الى بيت المقدس فى طرفة عين (قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر) أى هذا من فضل الله على وفضله على عبيده ليختبرهم على الشكر أو خلافه (ومن شكر فانما يشكر لنفسه) أى انما يعود نفع ذلك عليه (ومن كفر فان ربى غنى كريم) أى غنى عن شكر الشاكرين ولا يتضرر بكفر الكافرين ثم أمر سليمان عليه السلام أن يغير حلى هذا العرش وينكر لها ليختبر فهمها وعقلها ولهذا قال (ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو) وهـذا من فطنتها وغزارة فهمها لأنها استبعدت أن يكون عرشها لانها خلفته وراءها بأرض اليمن ولم تكن تعلم أن أحداً يقدر على هذا الصنع العجيب الغريب قال الله تعالى اخباراً عن سليمان وقومه (وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين) أى ومنعها عبادة الشمس التى كانت تسجد لها هى وقومها من دون الله اتباعا لدين آبائهم واسلافهم لا لدليل قادهم الى ذلك ولا حداهم على ذلك وكان سليمان قد أمر ببناء صرح من زجاج وعمل فى ممره ماء وجعل عليه سقفا من زجاج وجعل فيه من السمك وغيرها من دواب الماء وأمرت بدخول الصرح وسليمان جالس على سريره فيه (فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت ربى إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) وقد قيل إن الجن أرادوا أن يبشعوا منظرها عند سليمان وأن تبدى عن ساقيها ليرى ماعليها من الشعر فينفره ذلك منها وخشوا أن يتزوجها لأن أمها من الجان فتتسلط عليهم معه . وذكر بعضهم أن حافرها كان كحافر الدابة وهذا ضعيف وفى الاول أيضا نظر والله أعلم الا أن سليمان قيل إنه لما أراد ازالته حين عزم على تزوجها سأل الانس عن زواله فذكروا له الموسى فامتنعت من ذلك فسأل الجان فصنعوا له النورة ووضعوا له الحمام فكان أول من دخل الحمام فلما وجد مسه قال أوه من عذاب اوه أوه قبل أن لا ينفع اوه. رواه الطبرانى مرفوعا وفيه نظر *

وقد ذكر الثعلبى وغيره أن سليمان لما تزوجها اقرها على مملكة اليمن وردها اليه وكان يزورها فى كل شهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام ثم يعود على البساط وأمر الجان فبنوا له ثلاثة قصور باليمن غمدان وسالحين وبيتون فالله أعلم . وقد روى ابن إسحاق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه أن سليمان لم يتزوجها بل زوجها بملك همدان وأقرها على ملك اليمن وسخر زوبعة ملك جن اليمن فبنى لها القصور الثلاثة التى ذكرناها باليمن والأول اشهر واظهر والله أعلم .

وقال تعالى فى سورة ص (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد فقال إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب ردوها على فطفق مسحا بالسوق والاعناق . ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسداً ثم أناب .قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى انك أنت الوهاب . فسخرنا له الريح تجرى بامره رخاء حيث أصاب . والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الاصفاد . هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى وحسن مآب). يذكر تعالى أنه وهب لداود سليمان عليهما السلام ثم أثنى الله عليه تعالى فقال (نعم العبد إنه أواب) أى رجاع مطيع لله. ثم ذكر تعالى ما كان من أمره فى الخيل الصافنات وهى التى تقف على ثلاث وطرف حافر الرابعة . الجياد وهى المضمرة السراع (فقال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب) يعنى الشمس . وقيل الخيل على ما سنذكره من القولين . (ردوها على فطفق مسحا بالسوق والاعناق) قيل مسح عراقيبها وأعناقها بالسيوف . وقيل مسح عنها العرق لما أجراها وسابق بينها وبين يديه على القول الآخر * والذى عليه أكثر السلف الاول فقالوا اشتغل بعرض تلك الخيول حتى خرج وقت العصر وغربت الشمس روى هذا عن على بن أبى طالب وغيره والذى يقطع به أنه لم يترك الصلاة عمداً من غير عذر اللهم الا أن يقال إنه كان سائغا فى شريعتهم فأخر الصلاة لاجل أسباب الجهاد وعرض الخيل من ذلك * وقد ادعى طائفة من العلماء فى تأخير النبى (ص) صلاة العصر يوم الخندق أن هذا كان مشروعا اذ ذاك حتى نسخ بصلاة الخوف قاله الشافعى وغيره . وقال مكحول والاوزاعى بل هو حكم محكم الى اليوم أنه يجوز تأخيرها بعذر القتال الشديد كما ذكرنا تقرير ذلك فى سورة النساء عند صلاة الخوف . وقال آخرون بل كان تأخير النبى (ص) صلاة العصر يوم الخندق نسيانا وعلى هذا فيحمل فعل سليمان عليه السلام على هذا والله أعلم . واما من قال الضمير فى قوله حتى توارت بالحجاب عائد على الخيل وانه لم تفته وقت صلاة وان المراد بقوله (ردوها على فطفق مسحا بالسوق والاعناق) يعنى مسح العرق عن عراقيبها وأعناقها فهذا القول اختاره ابن جرير ورواه الوالبى عن ابن عباس فى مسح العرق * ووجه هذا القول ابن جرير بأنه ما كان ليعذب الحيوان بالعرقبة ويهلك مالا بلا سبب ولا ذنب لها وهذا الذى قاله فيه نظر لانه قد يكون هذا سائغا فى ملتهم وقد ذهب بعض علمائنا الى أنه اذا خاف المسلمون أن يظفر الكفار على شئ من الحيوانات من أغنام ونحوها جاز ذبحها واهلاكها لئلا يتقووا بها وعليه حمل صنيع جعفر بن أبى طالب يوم عقر فرسه بموته وقد قيل إنها كانت خيلا عظيمة .قيل كانت عشرة آلاف فرس . وقيل عشرين الف فرس . وقيل كان فيها عشرون فرسا من ذوات الاجنحة . وقد روى أبو داود فى سننه حدثنا محمد بن عوف حدثنا سعيد ابن أبى مريم أنبأنا يحيى بن أيوب حدثنى عمارة بن عزية أن محمد بن ابراهيم حدثه عن محمد بن أبى سلمة

ابن عبد الرحمن عن عائشة قالت قدم رسول الله (ص.) من غزوة تبوك أو خيبر وفى سهوتها ستر فهبت الريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة تلعب فقال ماهذا ياعائشة فقالت بناتى ورأى بينهن فرسا له جناحان من رقاع فقال ماهذا الذى أرى وسطهن قالت فرس قال وما الذى عليه هذا قالت جناحان قال فرس له جناحان قالت أما سمعت أن لسليمان خيلا لها أجنحة قالت فضحك حتى رأيت نواجذه (ص.) . وقال بعض العلماء لما ترك الخيل لله عوضه الله عنها بما هو خير له منها وهو الريح التى كانت غدوها شهرا ورواحها شهرا كما سيأتى الكلام عليها كما قال الامام احمد حدثنا اسمعيل حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال عن أبى قتادة وأبى الدهماء وكانا يكثران السفر نحو البيت قالا أتينا على رجل من أهل البادية فقال البدوى أخذ بيدى رسول الله (ص.) فجعل يعلمنى مما علمه الله عزوجل وقال انك لاتدع شيئا اتقاء الله عزوجل الا أعطاك الله خيراً منه . وقوله تعالى (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب) . ذكر ابن جرير وابن أبى حاتم وغيرهما من المفسرين ههنا آثارا كثيرة عن جماعة من السلف وأكثرها أو كلها متلقاة من الاسرائيليات وفى كثير منها نكارة شديدة وقد نبهنا على ذلك فى كتابنا التفسير واقتصرنا ههنا على مجرد التلاوة ومضمون ماذكروه أن سليمان عليه السلام غاب عن سريره أربعين يوما ثم عاد اليه ولما عاد أمر ببناء بيت المقدس فبناه بناء محكما . وقد قدمنا أنه جدده وأن أول من جعله مسجداً اسرائيل عليه السلام كما ذكرنا ذلك عند قول أبى ذر قلت يارسول الله أى مسجد وضع أول قال المسجد الحرام قلت ثم أى قال مسجد بيت المقدس قلت كم بينهما قال أربعون سنة ومعلوم أن بين ابراهيم الذى بنى المسجد الحرام وبين سليمان بن داود عليهما السلام أزيد من ألف سنة دع أربعين سنة وكان سؤاله الملك الذى لا ينبغى لاحد من بعده بعد اكماله البيت المقدس كما قال الامام احمد والنسائى وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان والحاكم باسانيدهم عن عبد الله بن فيروز الديلمى عن عبد الله ابن عمرو ابن العاص قال قال رسول الله (ص.) إن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل ربه عزوجل خلالا ثلاثا فأعطاه اثنتين ونحن نرجو أن تكون لنا الثالثة سأله حكما يصادف حكمه فأعطاه اياه وسأله ملكا لا ينبغى لاحد من بعده فأعطاه إياه وسأله ايما رجل خرج من بيته لايريد الا الصلاة فى هذا المسجد خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه فنحن نرجو أن يكون الله قد أعطانا اياها . فاما الحكم الذى يوافق حكم الله تعالى فقد أثنى الله تعالى عليه وعلى أبيه فى قوله (وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما) وقد ذكر شريح القاضى وغير واحد من السلف أن هؤلاء القوم كان لهم كرم فنفشت فيه غنم قوم آخرين أى رعته بالليل فاكلت شجره بالكلية فتحاكموا الى داود عليه السلام فحكم لاصحاب الكرم بقيمته فلما خرجوا على سليمان قال بما حكم لكم نبى الله فقالوا بكذا وكذا فقال أما لو كنت أنا لما حكمت الا بتسليم الغنم الى أصحاب الكرم فيستغلونها نتاجا ودرا حتى

يصلح أصحاب الغنم كرم أولئك ويردوه الى ماكان عليه ثم يتسلموا غنمهم فبلغ داود عليه السلام ذلك فحكم به وقريب من هذا ماثبت فى الصحيحين من حديث أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص.) بينما امرأتان معهما ابناهما اذ عدا الذئب فأخذ ابن احداهما فتنازعتا فى الا خر فقالت الكبرى انما ذهب بابنك وقالت الصغرى بل انما ذهب بابنك فتحا كمتا الى داود فحكم به للكبرى فخرجتا على سليمان فقال ائتونى بالسكين أشقه نصفين لكل واحدة منكما نصفه فقالت الصغرى لاتفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به لها ولعل كلا من الحكمين كان سائغا فى شريعتهم ولكن ماقاله سليمان أرجح ولهذا أثنى الله عليه بما ألهمه اياه ومدح بعد ذلك أباه فقال (وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون).

ثم قال (ولسليمان الريح عاصفة) أى وسخرنا لسليمان الريح عاصفة (تجرى بأمره الى الارض التى باركنا فيها وكنا بكل شئ عالمين. ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنالهم حافظين).

وقال فى سورة ص (فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الاصفاد هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب. وان له عندنا لزلفى وحسن مآب). لما ترك الخيل ابتغاء وجه الله عوضه الله منها الريح التى هى أسرع سيراً وأقوى وأعظم ولا كلفة عليه لها تجرى بأمره رخاء (حيث أصاب) أى حيث أراد من أى البلاد. كان له بساط مركب من أخشاب بحيث إنه يسع جميع مايحتاج اليه من الدور المبنية والقصور والخيام والأمتعة والخيول والجمال والاثقال والرجال من الانس والجان وغير ذلك من الحيوانات والطيور فاذا أراد سفراً أو مستنزها أو قتال ملك أو أعداء من أى بلاد الله شاء فاذا حمل هذه الأمور المذكورة على البساط أمر الريح فدخلت تحته فرفعته فاذا استقل بين السماء والارض أمر الرخاء فسارت به فان أراد أسرع من ذلك أمر العاصفة فحملته أسرع مايكون فوضعته فى أى مكان شاء بحيث إنه كان يرتحل فى أول النهار من بيت المقدس فتغدو به الريح فتضعه باصطخر مسيرة شهر فيقيم هناك الى آخر النهار * ثم يروح من آخره فترده الى بيت المقدس كما قال تعالى (ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادى الشكور).

قال الحسن البصرى كان يغدو من دمشق فينزل باصطخر فيتغدى بها ويذهب رائحا منها فيبيت بكابل وبين دمشق وبين اصطخر مسيرة شهر وبين اصطخر وكابل مسيرة شهر قلت قد ذكر المتكلمون على العمران والبلدان أن اصطخر بنتها الجان لسليمان وكان فيها قرار مملكة الترك قديما وكذلك غيرها من بلدان شتى كتدمر وبيت المقدس وباب جبرون وباب البريد اللذان بدمشق على أحد الاقوال.

وأما القطر فقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وغير واحد هو النحاس قال قتادة وكانت باليمن أنبعها الله له قال السدى ثلاثة أيام فقط أخذ منها جميع ما يحتاج اليه للبنايات وغيرها وقوله (ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير) أى وسخر الله له من الجن عمالا يعملون له مايشاء لا يفترون ولا يخرجون عن طاعته ومن خرج منهم عن الامر عذبه ونكل به (يعملون له ما يشاء من محاريب) وهى الاماكن الحسنة وصدور المجالس (وتماثيل) وهى الصور فى الجدران وكان هذا سائغا فى شريعتهم وملتهم (وجفان كالجواب). قال ابن عباس الجفنة كالجوبة من الارض وعنه كالحياض وكذا قال مجاهد والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم وعلى هذه الرواية يكون الجواب جمع جابية وهى الحوض الذى يجبى فيه الماء كما قال الاعشى .

تَروحُ على آلِ المحلّق جَفنةٍ كجابيةِ الشّيخِ العِراقيِ يَفْهَقُ

وأما القدور الراسيات فقال عكرمة أثافيها منها يعنى أنهن ثوابت لايزلن عن أماكنهن وهكذا قال مجاهد وغير واحد ولما كان هذا بصدد اطعام الطعام والاحسان الى الخلق من انسان وجان قال تعالى (اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور) وقال تعالى (والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الاصفاد) يعنى أن منهم من قد سخره فى البناء ومنهم من يأمره بالغوص فى الماء لاستخراج ماهنالك من الجواهر واللآلى وغيرذلك مما لايوجد الا هنالك وقوله (وآخرين مقرنين فى الاصفاد) أى قد عصوا فقيدوا مقرنين اثنين اثنين فى الاصفاد وهى القيود . هذا كله من جملة ماهيأه الله وسخر له من الاشياء التى هى من تمام الملك الذى لا ينبغى لاحد من بعده ولم يكن أيضا لمن كان قبله

وقد قال البخارى ثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن محمد بن زياد عن أبى هريرة عن النبى (ص) قال إن عفريتا من الجن تفلت على البارحة ليقطع على صلاتى فأمكننى الله منه فاخذته فأردت أن أربطه الى سارية من سوارى المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة أخى سليمان (رب اغفر لى وهب لى ملكا لاينبغى لاحد من بعدى فرددته خاسئا) . وكذا رواه مسلم والنسائى من حديث شعبة

وقال مسلم حدثنا محمد بن سلمة المرادى حدثنا عبدالله بن وهب عن معاوية بن صالح حدثنى ربيعة بن يزيد عن أبى ادريس الخولانى عن أبى الدرداء قال قام رسول الله (ص) فصلى فسمعناه يقول أعوذ بالله منك ألعنك بلعنة الله ثلاثا وبسط يده كأنه يتناول شيئا فلما فرغ من الصلاة قلنا يا رسول الله سمعناك تقول فى الصلاة شيئا لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك قال إن عدو الله ابليس جاء بشهاب من نار ليجعله فى وجهى فقلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات ثم قلت ألعنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثلاث مرات . ثم أردت أخذه والله لولا دعوة أخينا سليمان لاصبح موثقا يلعب به ولدان أهل المدينة . وكذا رواه النسائى عن محمد بن سلمة به . وقال احمد حدثنا أبو احمد حدثنا مرة بن معبد ثنا أبو عبيد

حاجب سليمان قال رأيت عطاء بن يزيد الليثى قائما يصلى فذهبت أمر بين يديه فردنى ثم قال حدثنى أبو سعيد الخدرى أن رسول الله (ص.) قام فصلى صلاة الصبح وهو خلفه فقرأ فالتبست عليه القراءة. فلما فرغ من صلاته قال لو رأيتمونى وابليس فاهويت بيدى فما زلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين أصبعى هاتين الابهام والتى تليها ولولا دعوة أخى سليمان لاصبح مربوطا بسارية من سوارى المسجد يتلاعب به صبيان المدينه فمن استطاع منكم أن لايحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل. روى أبو داود منه فمن استطاع الى آخره عن احمد بن سريج عن احمد الزبيرى به *

وقد ذكر غير واحد من السلف أنه كانت لسليمان من النساء الف امرأة سبعمائة بمهور وثلثمائة سرارى، وقيل بالعكس ثلثمائة حرائر وسبعمائة من الاماء. وقد كان يطيق من التمتع بالنساء أمراً عظيما جداً قال البخارى حدثنا خالد بن مخلد حدثنا مغيرة بن عبد الرحمان عن أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة عن النبى (ص.) قال قال سليمان بن داود لاطوفن الليلة على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارسا يجاهد فى سبيل الله فقال له صاحبه إن شاء الله فلم يقل فلم تحمل شيئا الا واحدا ساقطا أحد شقيه فقال النبى (ص.) لو قالها لجاهدوا فى سبيل الله * وقال شعيب وابن أبى الزناد تسعين وهو أصح تفرد به البخارى من هذا الوجه وقال أبو يعلى حدثنا زهير حدثنا يزيد أنبأنا هشام بن حسان عن محمد عن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص.) قال سليمان بن داود لاطوفن الليلة على مائة امرأة كل امرأة منهن تلد غلاما يضرب بالسيف فى سبيل الله ولم يقل إن شاء الله فطاف تلك الليلة على مائة امرأة فلم تلد منهن امرأة إلا امرأة ولدت نصف انسان فقال رسول الله (ص.) لو قال إن شاء الله لولدت كل امرأة منهن غلاما يضرب بالسيف فى سبيل الله عز وجل. إسناده على شرط الصحيح ولم يخرجوه من هذا الوجه. وقال الامام احمد حدثنا هشيم ثنا هشام عن ابن سيرين عن أبى هريرة قال قال سليمان بن داود لاطوفن الليلة على مائة امرأة تلد كل واحدة منهن غلاما يقاتل فى سبيل الله ولم يستثن فما ولدت الا واحدة منهن بشق انسان قال قال رسول الله (ص.) لو استثنى لولد له مائة غلام كلهم يقاتل فى سبيل الله عز وجل تفرد به احمد أيضاً.

وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص.) قال سليمان بن داود لا طوفن الليلة بمائة امرأة تلد كل امرأة منهن غلاما يقاتل فى سبيل الله قال ونسى أن يقول إن شاء الله فاطاف بهن قال فلم تلد منهن امرأة الا واحدة نصف إنسان فقال رسول الله (ص.) لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان دركا لحاجته وهكذا أخرجاه فى الصحيحين من حديث عبد الرزاق به مثله. وقال اسحاق بن بشر أنبأنا مقاتل عن أبى الزناد وابن أبى الزناد عن أبيه عن عبد الرحمن عن أبى هريرة أن سليمان بن داود كان له اربعمائة امرأة وستمائة سرية فقال يوما لأطوفن الليلة على الف امرأة فتحمل كل واحدة منهن بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يستثن فطاف عليهن فلم تحمل واحدة منهن

الا امرأة واحدة منهن جاءت بشق إنسان فقال النبي (ص) والذي نفسي بيده لو استثنى فقال إن شاء الله لولد له ما قال فرسان ولجاهدوا في سبيل الله عز وجل . وهذا اسناد ضعيف لحال اسحاق بن بشر فانه منكر الحديث ولاسيما وقد خالف الروايات الصحاح . وقد كان له عليه السلام من أمور الملك واتساع الدولة وكثرة الجنود وتنوعها ما لم يكن لاحد قبله ولا يعطيه الله أحـدا بعده كما قال (وأوتينا من كل شئ وقال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك أنت الوهاب) وقد اعطاه الله ذلك بنص الصادق المصدوق . ولما ذكر تعالى ما أنعم به عليه واسداه من النعم الكاملة العظيمة اليه قال (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب) أي أعط من شئت واحرم من شئت فلا حساب عليك أي تصرف في المال كيف شئت فان الله قد سوغ لك كما تفعله من ذلك ولا يحاسبك على ذلك وهذا شان النبي الملك بخلاف العبد الرسول فان من شأنه أن لا يعطي أحدا ولا يمنع أحدا إلا باذن الله له في ذلك وقد خير نبينا محمـد صلوات الله وسلامه عليه بين هـذين المقامين فاختار أن يكون عبداً رسولا . وفي بعض الروايات أنه استشار جبريل في ذلك فاشار اليه أن تواضع فاختار أن يكون عبداً رسولا صلوات الله وسلامه عليه وقد جعل الله الخلافة والملك من بعده في أمته الى يوم القيامة فـلا تزال طائفة من أمته ظاهرين حتى تقوم الساعة فلله الحمد والمنة .

ولما ذكر تعالى ما وهبه لنبيه سليمان عليه السلام من خير الدنيا نبه على ما أعده له في الآخرة من الثواب الجزيل والاجر الجميل والقربة التي تقربه اليه والفوز العظيم والاكرام بين يديه وذلك يوم المعاد والحساب حيث يقول تعالى (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) .

وفاته ومدة ملكه وحياته

قال الله تبارك وتعالى (فلما قضينا عليـه الموت مادلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين) . روى ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما من حديث ابراهيم بن طهمان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي (ص) قال كان سليمان نبي الله عليه السـلام اذا صـلى رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول لها ما اسمك فتقول كذا فيقول لاي شئ أنت فان كانت لغرس غرست وان كانت لدواء أنبتت فبينما هو يصلي ذات يوم اذ رأى شجرة بين يديه فقال لها ما اسمك قالت الخروب قال لاي شئ أنت قالت لخراب هذا البيت فقال سليمان اللهم عم على الجن موتي حتى تعلم الانس أن الجن لا يعلمون الغيب فنحتها عصا فتوكأ عليها حولا والجن تعمل فاكلتها الارضة فتبينت الانس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولا في العذاب المهين. قال وكان ابن عباس يقرؤها كذلك قال فشكرت الجن للارضة فكانت تأتيها بالماء .

لفظ ابن جرير وعطاء الخراسانى فى حـديثه نـكارة * وقد رواه الحافظ ابن عساكر من طريق سلمة ابن كهيل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفا وهو أشبه بالصواب والله أعلم . وقال السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن أناس من الصحابة كان سليمان عليه السلام يتجرد فى بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر يدخل طعامه وشرابه فأدخله فى المرة التى توفى فيها فـكان بدء ذلك أنه لم يكن يوم يصبح فيه الا نبتت فى بيت المقدس شجرة فيأتيها فيسألها ما اسمك فتقول الشجرة اسمى كذا وكذا فان كانت لغرس غرسها وان كانت نبتت دواء قالت نبت دواء لـكذا وكذا فيجعلها كذلك حتى نبتت شجرة يقال لها الخروبة فسألها ما اسمك فقالت أنا الخروبة فقال ولاى شئ نبت فقالت نبت لخراب هذا المسجد فقال سليمان ما كان الله ليخربه وأنا حى أنت التى على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها فى حائط له. ثم دخـل المحراب فقام يصلى متـكئا على عصاه فمات ولم تعلم به الشياطين وهم فى ذلك يعملون له يخافون أن يخرج فيعاقبهم وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب وكان المحراب له كوى بين يديه وخلفه فـكان الشيطان الذى يريد أن يخلع يقول الست جليداً ان دخلت فخرجت من ذلك الجانب فيدخل حتى يخرج من الجانب الاخر فدخل شيطان من اولئك فمر ولم يكن شيطان ينظر الى سليمان عليه السلام وهو فى المحراب الااحترق ولم يسمع صوت سليمان ثم رجع فلم يسمع ثم رجع فوقع فى البيت ولم يحترق ونظر الى سليمان عليه السلام قد سقط ميتاً فخرج فاخبر الناس أن سليمان قد مات ففتحوا عنه فاخرجوه ووجـدوا منسأته وهى العصا بلسان الحبشة قد اكلتها الارضة ولم يعلموا منذكم مات فوضعوا الارضة على العصا فاكلت منها يوما وليلة . ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وهى قراءة ابن مسعود فمكثوا يدأبون له من بعد موته حولا كاملا فايقن الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبون ولو أنهم علموا الغيب لعلموا بموت سليمان ولم يلبثوا فى العذاب سنة يعملون له وذلك قول الله عز وجل (ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين) يقول تبين أمرهم للنـاس أنهم كانوا يكذبونهم ثم إن الشياطين قالوا للارضة لو كنت تأكلين الطعام لأتيناك باطيب الطعام ولو كنت تشربين الشراب سقيناك اطيب الشراب ولـكنا سننقل اليك الماء والطين قال فانهم ينقلون اليها ذلك حيث كانت قال الم تر الى الطـين الذى يكون فى جوف الخشب فهو ما يأتيهـا به الشيطان تشكراً لها. وهذا فيه من الاسرائيلات التى لا تصدق ولا تكذب .

وقال أبو داود فى كتاب القدر حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن الاعمش عن خيثمة قال قال سليمان بن داود عليهما السـلام لملك الموت اذا أردت أن تقبض روحى فأعلمنى قال ما أنا أعـلم بذاك منك انما هى كتب يلقى الى فيها تسمية من يموت . وقال اصبغ بن الفرج وعبد الله بن وهب عن

عبد الرحمن بن زيد بن اسلم قال قال سليمان لملك الموت اذا أمرت بى فاعلمنى فأتاه فقال ياسليمان قد امرت بك قد بقيت لك سويعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلى فاتكأ على عصاه قال فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متوك على عصاه ولم يصنع ذلك فراراً من ملك الموت قال والجن تعمل بين يديه وينظرون اليه يحسبون أنه حى قال فبعث الله دابة الارض يعنى الى منسأته فاكلتها حتى اذا أكلت جوف العصا ضعفت وثقل عليها فخر فلما رأت الجن ذلك انفضوا وذهبوا قال فذلك قوله (مادلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لوكانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين) . قال اصبغ وبلغنى عن غيره أنها مكثت سنة تأكل فى منسأته حتى خر وقد روى نحو هذا عن جماعة من السلف وغيرهم والله أعلم .

قال اسحاق بن بشر عن محمد ابن اسحاق عن الزهرى وغيره ان سليمان عليه السلام عاش ثنتين وخمسين سنة وكان ملكه أربعين سنة وقال اسحاق أنبأنا أبو روق عن عكرمة عن ابن عباس أن ملكه كان عشرين سنة والله أعلم وقال ابن جرير فكان جميع عمر سليمان بن داود عليهما السلام نيفاً وخمسين سنة وفى سنة اربع من ملكه ابتدأ ببناء بيت المقدس فيما ذكر ثم ملك بعده ابنه رحبعام مدة سبع عشرة سنة فيما ذكره ابن جرير وقال ثم تفرقت بعده مملكة بنى إسرائيل .

جماعة من انبياء بنى اسرائيل بعد داود وسليمان وقبل زكريا ويحيى عليهم السلام

فمنهم شعيا بن امصيا قال محمد بن اسحاق وكان قبل زكريا ويحيى وهو ممن بشر بعيسى ومحمد عليهما السلام وكان فى زمانه ملك اسمه حزقيا على بنى إسرائيل ببلاد بيت المقدس وكان سامعاً مطيعاً لشعيا فيما يأمره به وينهاه عنه من المصالح وكانت الاحداث قد عظمت فى بنى إسرائيل فمرض الملك وخرجت فى رجله قرحة . وقصد بيت المقدس ملك بابل فى ذلك الزمان وهو سنحاريب قال ابن اسحاق فى ستمائة الف راية وفزع الناس فزعاً عظيما شديداً وقال الملك للنبى شعيا ماذا أوحى الله اليك فى أمر سنحاريب وجنوده فقال لم يوح الى فيهم شئ بعد . ثم نزل عليه الوحى بالأمر للملك حزقيا بان يوصى ويستخلف على ملكه من يشاء فانه قد اقترب أجله فلما أخبره بذلك أقبل الملك على القبلة فصلى وسبح ودعا وبكى فقال وهو يبكى ويتضرع الى الله عز وجل بقلب مخلص وتوكل وصبر (اللهم رب الأرباب وإله الآلهة يارحمن

يارحيم يامن لاتأخذه سنة ولانوم اذكرنى بعلمى وفعلى وحسن قضائى على بنى إسرائيل وذلك كله كان منك فانت أعلم به من نفسى سرى واعلانى لك) قال فاستجاب الله له ورحمه واوحى الله الى شعيا أن يبشره بانه قد رحم بكاءه وقد أخر فى أجله خمس عشر سنة وأنجاه من عدوه سنحاريب فلما قال له ذلك ذهب منه الوجع وانقطع عنه الشر والحزن وخر ساجداً وقال فى سجوده (اللهم أنت الذى تعطى الملك من تشاء وتنزعه ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة أنت الأول والآخر والظاهر والباطن وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين) فلما رفع رأسه أوحى الله الى شعيا أن يأمره أن يأخذ ماء التين فيجعله على قرحته فيشفى ويصبح قد برئ . ففعل ذلك فشفى وارسل الله على جيش سنحاريب الموت فاصبحوا وقد هلكوا كلهم سوى سنحاريب وخمسة من اصحابه منهم بخت نصر فارسل ملك بنى إسرائيل فجاء بهم فجعلهم فى الاغلال وطاف بهم فى البلاد على وجه التنكيل بهم والاهانة لهم سبعين يوما ويطعم كل واحد منهم كل يوم رغيفين من شعير ثم أودعهم السجن واوحى الله تعالى الى شعيا أن يأمر الملك بارسالهم الى بلادهم لينذروا قومهم ماقد حل بهم فلما رجعوا جمع سنحاريب قومه واخبرهم بما قد كان من امرهم فقال له السحرة والكهنة انا اخبرناك عن شأن ربهم وانبيائهم فلم تطعنا وهى أمة لايستطيعها احد من ربهم فكان أمر سنحاريب مما خوفهم الله به . ثم مات سنحاريب بعد سبع سنين .قال ابن اسحاق ثم لما مات حزقيا ملك بنى اسرائيل مرج امرهم واختلطت احداثهم وكثر شرهم فاوحى الله تعالى إلى شعيا فقام فيهم فوعظهم وذكرهم واخبرهم عن الله بما هو اهله وانذرهم بأسه وعقابه ان خالفوه وكذبوه . فلما فرغ من مقالته عدوا عليه وطلبوه ليقتلوه فهرب منهم فمر بشجرة فانفلقت له فدخل فيها وادركه الشيطان فاخذ بهدبة ثوبه فابرزها فلما رأوا ذلك جاؤا بالمنشار فوضعوه على الشجرة فنشروها ونشروه معها فانا لله وإنا اليه راجعون

ومنهم ارميا بن حلقيا من سبط لاوى بن يعقوب

وقد قيل إنه الخضر رواه الضحاك عن ابن عباس وهو غريب وليس بصحيح * قال ابن عساكر جاء فى بعض الآثار أنه وقف على دم يحيى بن زكريا وهو يفور بدمشق فقال أيها الدم فتنت الناس فاسكن فسكن ورسب حتى غاب * وقال أبو بكر بن ابى الدنيا حدثنى على بن أبى مريم عن احمد بن حباب عن عبدالله بن عبدالرحمن قال قال أرميا أى رب أى عبادك احب اليك قال اكثرهم لى ذكراً الذين يشتغلون بذكرى عن ذكر الخلائق . الذين لا تعرض لهم وساوس الفناء ولا يحدثون انفسهم بالبقاء . الذين اذا عرض لهم عيش الدنيا قلوه واذا زوى عنهم سروا بذلك . أولئك انحلهم محبتى واعطيهم فوق غاياتهم .

خراب بيت المقدس

وقوله تعالى (وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى إسرائيل أن لاتتخذوا من دونى وكيلا ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبداً شكورا . وقضينا الى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علواً كبيراً . فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا اولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا . ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم باموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً إن أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيرا . عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) وقال وهب بن منبه أوحى الله الى نبى من أنبياء بنى إسرائيل يقال له أرميا حين ظهرت فيهم المعاصى أن قم بين ظهرانى قومك فاخبرهم أن لهم قلوبا ولا يفقهون وأعينا ولا يبصرون وآذانا ولا يسمعون وانى تذكرت صلاح آبائهم فعطفنى ذلك على أبنائهم فسلهم كيف وجدوا غب طاعتى وهل سعد أحد ممن عصانى بمعصيتى وهل شقى أحد ممن أطاعنى بطاعتى إن الدواب تذكر أوطانها فتنزع اليها وان هولاء القوم تركوا الأمر الذى أكرمت عليه آباءهم والتمسوا الكرامة من غير وجهها أما أحبارهم فانكروا حقى وأما قراؤهم فعبدوا غيرى وأما نساكهم فلم ينتفعوا بما علموا وأما ولاتهم فكذبوا على وعلى رسلى . خزنوا المكر فى قلوبهم وعودوا الكذب ألسنتهم . وإنى أقسم بجلالى وعزتى لاهيجن عليهم جيولا لا يفقهون ألسنتهم ولا يعرفون وجوههم ولا يرحمون بكاءهم ولأبعثن فيهم ملكا جباراً قاسياً له عساكر كقطع السحاب ومواكب كامثال الفجاج كان خفقان راياته طيران النسور وكان حمل فرسانه كر العقبان يعيدون العمران خرابا ويتركون القرى وحشة فياويل أيليا وسكانها كيف أذللهم للقتل وأسلط عليهم السبا واعيد بعد لجب الاعراس صراخا وبعد صهيل الخيل عواء الذآب وبعد شرافات القصور مساكن السباع وبعد ضوء السرج وهج العجاج وبالعز ذلا وبالنعمة العبودية وأبدلن نساءهم بعد الطيب التراب. وبالمشى على الزرابى الخبب ولاجعلن أجسادهم زبلا للأرض وعظامهن ضاحية للشمس ولأدوسنهم بالوان العذاب ثم لآمرن السماء فتكون طبقاً من حديد والأرض سبيكة من نحاس فان أمطرت لم تنبت الارض وان أنبتت شيئا فى خلال ذلك فبرحمتى للبهائم . ثم أحبسه فى زمان الزرع وأرسله فى زمان الحصاد فان زرعوا فى خلال ذلك شيئا سلطت عليه الآفة فان خلص منه شئ نزعت منه البركة فان دعونى لم أجبهم وان سألوا لم أعطهم وان بكوا لم أرحمهم وان تضرعوا صرفت وجهى عنهم . رواه ابن عساكر بهذا اللفظ .

وقال اسحاق بن بشر أنبئنا إدريس عن وهب بن منبه قال ان الله تعالى لما بعث أرميا الى بنى إسرائيل وذلك حين عظمت الاحداث فيهم فعملوا بالمعاصى وقتلوا الانبياء طمع بخت نصر فيهم وقذف

الله فى قلبه وحدث نفسه بالمسير اليهم لما أراد الله أن ينتقم به منهم فاوحى الله الى أرميا إنى مهلك بنى إسرائيل ومنتقم منهم فقم على صخرة بيت المقدس يأتيك أمرى ووحيى فقام أرميا فشق ثيابه وجعل الرماد على رأسه وخر ساجداً وقال يارب وددت أمى لم تلدنى حين جعلتنى آخر أنبياء بنى إسرائيل فيكون خراب بيت المقدس وبوار بنى إسرائيل من أجلى فقال له ارفع رأسك فرفع رأسه فبكى ثم قال يارب من تسلط عليهم فقال عبدة النيران لا يخافون عقابى ولا يرجون ثوابى قم يا أرميا فاستمع وحيى أخبرك خبرك وخبر بنى إسرائيل. من قبل أن أخلقك اخترتك . ومن قبل أن أصورك فى رحم أمك قدستك ومن قبل أن أخرجك من بطن أمك طهرتك ومن قبل أن تبلغ نبأتك ومن قبل أن تبلغ الاشد اخترتك ولأمر عظيم أجتبيتك فقم مع الملك تسدده وترشده فكان مع الملك يسدده ويأتيه الوحى من الله حتى عظمت الاحداث ونسوا مانجاهم الله به من عدوهم سنحاريب وجنوده فاوحى الله الى أرميا قم فاقصص عليهم ما آمرك به وذكرهم نعمتى عليهم وعرفهم أحداثهم فقال أرميا (يارب انى ضعيف إن لم تقونى عاجز إن لم تبلغنى مخطئ إن لم تسددنى مخذول إن لم تنصرنى ذليل إن لم تعزنى) فقال الله تعالى (أو لم تعلم أن الأمور كلها تصدر عن مشيئتى وأن الخلق والأمر كله لى وأن القلوب والألسنة كلها بيدى فاقلبها كيف شئت فتطيعنى فانا الله الذى ليس شئ مثلى . قامت السموات والأرض ومافيهن بكلمتى . وانه لايخلص التوحيد ولم تتم القدرة إلالى ولا يعلم ماعندى غيرى وأنا الذى كلمت البحار ففهمت قولى وأمرتها ففعلت أمرى وحددت عليها حدوداً فلا تعدو حدى وتأتى بامواج كالجبال فاذا بلغت حدى ألبستها مذلة لطاعتى وخوفا واعترافا لأمرى وانى معك ولن يصل اليك شئ معى وانى بعثتك الى خلق عظيم من خلقى لتبلغهم رسالاتى فتستوجب لذلك أجر من اتبعك ولا ينقص ذلك من أجورهم شيئا انطلق الى قومك فقم فيهم وقل لهم ان الله قد ذكركم بصلاح آبائكم فلذلك استبقاكم يامعشر أبناء الأنبياء وكيف وجد آباؤكم مغبة طاعتى وكيف وجدتم مغبة معصيتى وهل وجدوا أحداً عصانى فسعد بمعصيتى وهل علموا أحدا أطاعنى فشقى بطاعتى ان الدواب اذا ذكرت أوطانها الصالحة نزعت اليها وان هؤلاء القوم رتعوا فى مروج الهلكة وتركوا الأمر الذى به أكرمت آباءهم وابتغوا الكرامة من غير وجهها * أما أحبارهم ورهبانهم فاتخذوا عبادى خولا يتعبدونهم ويعملون فيهم بغير كتابى حتى أجهلوهم امرى وأنسوهم ذكرى وسنتى وغروهم عنى فدان لهم عبادى بالطاعة التى لاتنبغى الالى فهم يطيعونهم فى معصيتى *

وأما ملوكهم وأمراؤهم فبطروا نعمتى وآمنوا مكرى وغرتهم الدنيا حتى نبذوا كتابى ونسوا عهدى فهم يحرفون كتابى ويفترون على رسلى جرأة منهم على وغرة بى فسبحان جلالى وعلو مكانى وعظمة شأنى هل ينبغى أن يكون لى شريك فى ملكى وهل ينبغى لبشر أن يطاع فى معصيتى وهل ينبغى لى

أن أخلق عباداً أجعلهم أربابا من دونى أو آذن لاحد بالطاعة لاحد وهى لاتنبغى إلا لى *

وأما قراؤهم وفقهاؤهم فيدرسون ما يتخيرون فينقادون للملوك فيتابعونهم على البدع التى يبتدعون فى دينى ويطيعونهم فى معصيتى ويوفون لهم بالعهود الناقضة لعهدى فهم جهلة بما يعلمون لاينتفعون بشئ مما علموا من كتابى *

وأما أولاد النبيين فمقهورون ومفتونون يخوضون مع الخائضين يتمنون مثل نصرى آباءهم والكرامة التى أكرمتهم بها ويزعمون أنه لا أحد أولى بذلك منهم بغير صدق منهم ولاتفكر ولا يذكرون كيف كان صبر آبائهم وكيف كان جهدهم فى أمرى حين اغتر المغترون وكيف بذلوا أنفسهم ودماءهم فصبروا وصدقوا حتى عز أمرى وظهر دينى فتأنيت هؤلاء القوم لعلهم يستحيون منى ويرجعون فتطولت عليهم وصفحت عنهم فأكثرت ومددت لهم فى العمر وأعذرت لهم لعلهم يتذكرون * وكل ذلك أمطر عليهم السماء وأنبت لهم الارض وألبسهم العافية وأظهرهم على العدو ولا يزدادون الا طغيانا وبعداً منى فحتى متى هـذا . أبى يسخرون أم بى يتحرشون أم اياى يخادعون أم على يجترئون فانى أقسم بعزتى لأتيحن عليهم فتنـة يتحير فيها الحكيم ويضل فيها رأى ذوى الرأى وحكمة الحكيم ثم لاسلطن عليهم جباراً قاسيا عاتيا ألبسه الهيبة وأنزع من قلبه الرأفة والرحمة وآليت أن يتبعه عدد وسواد مثل الليل المظلم . له فيه عساكر مثل قطع السحاب ومواكب مثل العجاج وكأن حفيف راياته طيران النسور وحمل فرسانه كسرب العقبان يعيدون العمران خرابا والقرى وحشا ويعثون فى الارض فسادا ويتبرون ماعلوا تتبيراً قاسـية قلوبهم لايكترثون ولا يرقبون ولا يرحمون ولايبصرون ولا يسمعون يجولون فى الأسواق بأصوات مرتفعة مثل زئير الاسد تقشعر من هيبتها الجلود وتطيش من سمعها الاحلام بالسنة لا يفقهونها ووجوه ظاهر عليها المنكر لايعرفونها . فوعزتى لاعطلن بيوتهم من كتبى وقدسى ولاخلين مجالسهم من حديثها ودروسها ولاوحشن مساجـدهم من عمارها وزوارها الذين كانوا يتزينون بعمارتها لغيرى ويتهجدون فيها ويتعبدون لـكسب الدنيا بالدين ويتفقهون فيها لغير الدين ويتعلمون فيها لغير العمل لأبدلن ملوكها بالعز الذل وبالأمن الخوف وبالغنى الفقر وبالنعمة الجوع وبطول العافيـة والرخاء أنواع البلاء وبلباس الديباج والحرير مدارع الوبر والعباء وبالارواح الطيبـة والادهان جيف القتل وبلباس التيجان أطواق الحديد والسلاسل والاغلال . ثم لاعيدن فيهم بعد القصور الواسعة والحصون الحصينة الخراب وبعد البروج المشيدة مساكن السباع وبعد صهيل الخيل عواء الذئاب وبعد ضوء السراج دخان الحريق وبعد الانس الوحشة والقفار * ثم لابدلن نساءها بالاسورة الاغلال وبقلائد الدر والياقوت سلاسل الحـديد وبالوان الطيب والادهان النقع والغبار وبالمشى على الزرابى عبور الاسـواق والانهار والخبب الى الليـل فى بطون الاسواق وبالخـدور والستور الحسور عن الوجوه والسوق والاسفار

والارواح السموم .ثم لادوسنهم بانواع العذاب حتى لو كان الـكائن منهم فى حالق لوصل ذلك اليـه انى إنما أ كرم من أ كرمنى وانما أهين من هان عليه أمرى . ثم لآمرن السماء خـلال ذلك فلتـكونن عليهم طبقا من حديد ولآمرن الارض فلتـكونن سبيكة من نحاس فلا سماء تمطر ولا أرض تنبت . فان أمطرت خلال ذلك شيئا سلطت عليهم الآفة فان خلص منه شئ نزعت منه البركة وان دعونى لم أجبهم وان سألونى لم أعطهم وان بكوا لم أرحمهم وان تضرعوا الى صرفت وجهى عنهم .وان قالوا أللهم أنت الذى ابتدأتنا وآباءنا من قبلنا برحمتك وكرامتك وذلك بانك اخترتنا لنفسك وجعلت فينا نبوتك وكتابك ومساجدك ثم مكنت لنا فى البلاد واستخلفتنا فيها وربيتنا وآباءنا من قبلنا بنعمتك صغاراً وحفظتنا واياهم برحمتك كبارا فانت أوفى المنعمين وان غيرنا .ولا تبدل .وان بدلنا وان تمم فضلك ومنك وطولك واحسانك فان قالوا ذلك قلت لهم إنى ابتدىء عبادى برحمتى ونعمتى * فان قبلوا اتممت وان استزادوا زدت وان شكروا اضاعفت وان غيروا غيرت واذا غيروا غضبت *واذا غضبت عذبت وليس يقوم شئ بغضبى .

قال كعب فقال أرميا برحمتك أصبحت أتعلم بين يديك وهـل ينبغى ذلك لى وأنا أذل وأضعف من أن ينبغى لى أن أتـكلم بين يديك ولـكن برحمتك أبقيتنى لهذا اليوم وليس أحـد أحق أن يخاف هذا العذاب وهذا الوعيد منى بما رضيت به منى طولا والاقامة فى دار الخاطئين وهم يعصونك حولى بغير نـكر ولا تغيير منى فان تعذبنى فبذنبى وان ترحمنى فذلك ظنى بك *ثم قال يارب سبحانك وبحمدك وتباركت ربنا وتعاليت أتهلك هذه القرية وما حولها وهى مساكن أنبيائك ومنزل وحيك يارب سبحانك وبحمدك وتباركت ربنا وتعاليت لخرب هذا المسجد وما حوله من المساجد ومن البيوت التى رفعت لذكرك يارب سـبحانك وبحمدك وتباركت وتعاليت لمقتل هـذه الامة وعذابك اياهم وهم من ولد ابراهيم خليلك وأمة موسى نجيك وقوم داود صفيك يارب أى القرى تأمن عقوبتك بعد وأى العباد يأمنون سطوتك بعد ولد خليلك ابراهيم وأمة نجيك موسى وقوم خليفتك داود تسلط عليهم عبدة النيران قال الله تعالى (ياأرميا من عصانى فلا يستنكر نقمتى فانى انما أ كرمت هؤلاء القوم على طاعتى ولو أنهم عصونى لانزلنهم دار العاصين الا أن أتداركهم برحمتى .

قال أرميا يارب اتخذت ابراهيم خليلا وحفظتنا به. وموسى قربته نجيا فنسألك أن تحفظنا ولا تتخطفنا ولا تسلط علينا عدونا فاوحى الله اليه (ياأرميا إنى قدستك فى بطن أمك وأخرتك الى هذا اليوم فلو أن قومك حفظو اليتامى والارامل والمساكين وابن السبيل لمكنت الداعم لهم وكانوا عندى بمنزلة جنة ناعم شجرها طاهر ماؤها ولا يغور ماؤها ولا تبور ثمارها ولا تنقطع ولـكن سأشكو اليك بنى اسرائيل إنى كنت لهم بمنزلة الداعى الشفيق أجنبهم كل قحط وكل عسرة واتبع بهم الخصب حتى صاروا كباشا ينطح

بعضها بعضا فياويلهم ثم ياويلهم انما أكرم من أكرمني وأهين من هان عليه امري ان من كان قبل هؤلاء القوم من القرون يستخفون بمعصيتي وان هؤلاء القوم يتبرعون بمعصيتي تبرعا فيظهرونها في المساجد والاسواق وعلى رؤس الجبال وظلال الاشجار حتى عجت السماء الى منهم وعجت الارض والجبال ونفرت منها الوحوش باطراف الارض وأقاصيها وفي كل ذلك لاينتهون ولاينتفعون بما علموا من الكتاب) .

قال فلما بلغهم أرميا رسالة ربهم وسمعوا مافيها من الوعيد والعذاب عصوه وكذبوه واتهموه وقالوا (كذبت وأعظمت على الله الفرية فتزعم أن الله معطل أرضه ومساجده من كتابه وعبادته وتوحيده فمن يعبده حين لا يبقى له في الارض عابد ولا مسجد ولا كتاب لقد أعظمت الفرية على الله واعتراك الجنون) فأخذوه وقيدوه وسجنوه فعند ذلك بعث الله عليهم بخت نصر فاقبل يسير بجنوده حتى نزل بساحتهم ثم حاصرهم فكان كما قال تعالى (فجاسوا خلال الديار) قال فلما طال بهم الحصر نزلوا على حكمه ففتحوا الابواب وتخللوا الازقة وذلك قوله (فجاسوا خلال الديار) وحكم فيهم حكم الجاهلية وبطش الجبارين فقتل منهم الثلث وسبى الثلث وترك الزمنى والشيوخ والعجائز ثم وطئهم بالخيل وهدم بيت المقدس وساق الصبيان وأوقف النساء في الاسواق حاسرات وقتل المقاتلة وخرب الحصون وهدم المساجد وحرق التوراة وسأل عن دانيال الذي كان قد كتب له الكتاب فوجدوه قد مات وأخرج أهل بيته الكتاب اليه وكان فيهم دانيال بن حزقيل الاصغر وميشائيل وعزرائيل وميخائيل فأمضى لهم ذلك الكتاب وكان دانيال بن حزقيل خلفا من دانيال الاكبر ودخل بخت نصر بجنوده بيت المقدس ووطئ الشام كلها وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم * فلما فرغ منها انصرف راجعاً وحمل الأموال التي كانت بها وساق السبايا فبلغ معه عدة صبيانهم من أبناء الاحبار والملوك تسعين الف غلام وقذف الكناسات في بيت المقدس وذبح فيه الخنازير وكان الغلمان سبعة آلاف غلام من بيت داود واحد عشر الفا من سبط يوسف بن يعقوب وأخيه بنيامين وثمانية آلاف من سبط ايشى بن يعقوب وأربعة عشر الفا من سبط زبالون ونفتالى ابنى يعقوب وأربعة عشر الفا من سبط دان بن يعقوب وثمانية آلاف من سبط يستاخر بن يعقوب والفين من سبط زبالون بن يعقوب وأربعة آلاف من سبط روبيل ولاوى واثنى عشر الفا من سائر بنى إسرائيل وانطلق حتى قدم أرض بابل .

قال اسحاق بن بشر قال وهب بن منبه فلما فعل مافعل قيل له كان لهم صاحب يحذرهم ما أصابهم ويصفك وخبرك لهم ويخبرهم أنك تقتل مقاتلتهم وتسبي ذراريهم وتهدم مساجدهم وتحرق كنائسهم فكذبوه واتهموه وضربوه وقيدوه وحبسوه فأمر بخت نصر فاخرج أرميا من السجن فقال له أكنت تحذر هؤلاء القوم ما أصابهم قال نعم قال فاني علمت ذلك قال أرسلني الله اليهم فكذبوني قال كذبوك وضربوك وسجنوك قال نعم قال (بئس القوم قوم كذبوا نبيهم و كذبوا رسالة ربهم فهل لك أن تلحق

بى فاكرمك وأواسيك وان أحببت أن تقيم فى بلادك فقد أمنتك) قال له أرميا إنى لم أزل فى أمان الله منذ كنت لم أخرج منه ساعة قط ولو أن بنى إسرائيل لم يخرجوا منه لم يخافوك ولا غيرك ولم يكن لك عليهم سلطان فلما سمع بخت نصر هذا القول منه تركه فاقام أرميا مكانه بأرض أيليا . وهذا سياق غريب . وفيه حكم ومواعظ وأشياء مليحة وفيه من جهة التعريب غرابة .

وقال هشام بن محمد بن السائب الكلبى كان بخت نصر أصفهبذا لما بين الاهواز الى الروم للملك على الفرس وهو لهراسب وكان قد بنى مدينة بلخ التى تلقب بالحسناء وقاتل الترك والجأهم الى أضيق الاماكن وبعث بخت نصر لقتال بنى إسرائيل بالشام فلما قدم الشام صالحه أهل دمشق وقد قيل إن الذى بعث بخت نصر إنما هو بهمن ملك الفرس بعد بشتاسب بن لهراسب وذلك لتعدى بنى إسرائيل على رسله اليهم . وقد روى ابن جرير عن يونس بن عبد الاعلى عن بن وهب عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد الانصارى عن سعيد بن المسيب أن بخت نصر لما قدم دمشق وجد بها دما يغلى على كبا يعنى القمامة فسألهم ما هذا الدم فقالوا أدركنا آباءنا على هذا وكلما ظهر عليه الكبا ظهر قال فقتل على ذلك سبعين ألفاً من المسلمين وغيرهم فسكن . وهذا إسناد صحيح الى سعيد بن المسيب وقد تقدم من كلام الحافظ بن عساكر مايدل على أن هذا دم يحيى بن زكريا وهذا لايصح لأن يحيى بن زكريا بعد بخت نصر بمدة والظاهر أن هذا دم نبى متقدم أو دم لبعض الصالحين أو لمن شاء الله ممن الله أعلم به.

قال هشام بن الكلبى ثم قدم بخت نصر بيت المقدس فصالحه ملكها وكان من آل داود وصانعه عن بنى إسرائيل وأخذ منه بخت نصر رهائن ورجع . فلما بلغ طبرية بلغه أن بنى إسرائيل ثاروا على ملكهم فقتلوه لاجل أنه صالحه فضرب رقاب من معه من الرهائن ورجع اليهم فاخذ المدينة عنوة . وقتل المقاتلة وسبى الذرية . قال وبلغنا أنه وجد فى السجن أرميا النبى فاخرجه وقص عليه ماكان من أمره اياهم وتحذيره لهم عن ذلك فكذبوه وسجنوه فقال بخت نصر بئس القوم قوم عصوا رسول الله وخلى سبيله وأحسن اليه واجتمع اليه من بقى من ضعفاء بنى إسرائيل فقالوا إنا قد أسأنا وظلمنا ونحن نتوب الى الله عز وجل مما صنعنا فادع الله أن يقبل توبتنا فدعا ربه فاوحى الله اليه أنه غير فاعل فان كانوا صادقين فليقيموا معك بهذه البلدة فاخبرهم ما أمره الله تعالى به فقالوا كيف نقيم بهذه البلدة وقد خربت وغضب الله على أهلها فابوا ان يقيموا .

قال ابن الكلبى ومن ذلك الزمان تفرقت بنو إسرائيل فى البلاد فنزلت طائفة منهم الحجاز وطائفة يثرب وطائفة وادى القرى وذهبت شرذمة منهم الى مصر فكتب بخت نصر الى ملكها يطلب منه من شرد منهم اليه فابى عليه فركب فى جيشه فقاتله وقهره وغلبه وسبى ذراريهم . ثم ركب الى بلاد المغرب حتى بلغ أقصى تلك الناحية . قال ثم انصرف بسبى كثير من أرض المغرب ومصر وأهل بيت

المقدس وأرض فلسطين والأردن وفى السبى دانيال * قلت والظاهر أنه دانيال بن حزقيل الاصغر لا الاكبر على ماذكره وهب بن منبه والله أعلم *

شئ من خبر دانيال عليه السلام

قال ابن أبى الدنيا حدثنا احمد بن عبد الاعلى الشيبانى قال إن لم أكن سمعته من شعيب بن صفوان فحدثنى بعض أصحابنا عنه عن الأجلح الكندى عن عبدالله بن أبى الهذيل قال ضرا بخت نصر أسدين فالقاهما فى جب وجاء بدانيال فالقاه عليهما فلم يهيجاه فمكث ماشاء الله ثم اشتهى مايشتهى الآدميون من الطعام والشراب فاوحى الله الى أرمياوهو بالشام أن اعدد طعاما وشرابا لدانيال فقال يارب أنا بالارض المقدسة ودانيال بأرض بابل من أرض العراق فاوحى الله اليه أن أعدد ماأمرناك به فانا سنرسل من يحملك ويحمل ما أعددت ففعل وأرسل اليـه من حمله وحمل ما أعده حتى وقف على رأس الجب فقال دانيال من هـذا قال أنا أرميا فقال ما جاء بك فقال أرسلنى اليك ربك . قال وقد ذكرنى ربى قال نعم فقال دانيال الحمد لله الذى لاينسى من ذكره . والحمد لله الذى يجيب من رجاه . والحمد لله الذى من وثق به لم يكله الى غيره . والحمد لله الذى يجزى بالاحسان احسانا . والحمد لله الذى يجزى بالصبر نجاة . والحمد لله الذى هو يكشف ضرنا بعد كربنا . والحمد لله الذى يقينا حين يسوء ظننا بأعمالنا والحمد لله الذى هو رجاؤنا حين ينقطع الحيل عنا

وقال يونس بن بكير عن محمد بن اسحق عن أبى خلد بن دينار حدثنا أبو العاليـة قال لما افتتحنا تستر وجدنا فى مال بيت الهرمزان سريراً عليه رجل ميت عند رأسه مصحف فاخذنا المصحف فحملناه الى عمر بن الخطاب فدعا له كعبا فنسخه بالعربية .فانا أول رجل من العرب قرأه قرأته مثل ماأقرأ القرآن هذا فقلت لأبى العالية ما كان فيـه قال سيركم وأموركم ولحون كلامكم وماهو كائن بعد قلت فما صنعتم بالرجل قال حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبرا متفرقة فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس فلا ينبشونه . قلت فمايرجون منه قال كانت السماء اذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون قلت من كنتم تظنون الرجل قال رجل يقال له دانيال قلت منذكم وجدتموه قد مات قال منذ ثلثمائة سـنة قلت ماتغير منه شئ قال لا الاشعرات من قفاه إن لحوم الانبياء لاتبليها الارض ولا تأكلها السباع . وهذا اسناد صحيح الى أبى العالية ولـكن إن كان تاريخ وفاته محفوظا من ثلثمائة سنة فليس بنبى بل هو رجل صالح لأن عيسى بن مريم ليس بينه وبين رسول الله (ص.) نبى بنص الحديث الذى فى البخارى والفترة التى كانت بينهما أربعمائة سنة * وقيل ستمائة وقيل ستمائة وعشرون سنة وقد يكون تاريخ وفاته من ثمانمائةسنة وهو قريب من وقت دانيال إن كان كونه دانيال هو المطابق لما فى نفس الامر فانه قد يكون رجلا آخر

إما من الانبياء أو الصالحين ولكن قربت الظنون أنه دانيال لأن دانيال كان قد أخذه ملك الفرس فأقام عنده مسجونا كما تقدم . وقد روى باسناد صحيح الى أبى العالية أن طول انفه شبر . وعن أنس ابن مالك باسناد جيد أن طول انفه ذراع فيحتمل على هذا أن يكون رجلا من الأنبياء الاقدمين قبل هذه المدد والله أعلم .

وقد قال أبو بكر بن أبى الدنيا فى كتاب احكام القبور حدثنا أبو بلال محمد بن الحارث بن عبد الله ابن أبى بردة بن أبى موسى الاشعرى حدثنا أبو محمد القاسم بن عبد الله عن ابى الاشعث الاحمرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان دانيال دعا ربه عز وجل ان يدفنه امة محمد فلما افتتح أبو موسى الاشعرى تستر وجده فى تابوت تضرب عروقه ووريده وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دل على دانيال فبشروه بالجنة فكان الذى دل عليه رجل يقال له حرقوص فكتب أبو موسى الى عمر بخبره فكتب اليه عمر أن ادفنه وابعث الى حرقوص فان النبى صلى الله عليه وسلم بشره بالجنة وهذا مرسل من هذا الوجه وفى كونه محفوظا نظر والله اعلم .

ثم قال ابن ابى الدنيا حدثنا أبو بلال حدثنا قاسم بن عبد الله عن عنبسة بن سعيد وكان عالما قال وجد أبو موسى مع دانيال مصحفا وجرة فيها ودك ودراهم وخاتمه فكتب أبو موسى بذلك الى عمر فكتب اليه عمر أما المصحف فابعث به الينا وأما الودك فابعث الينا منه ومر من قبلك من المسلمين يستشفون به واقسم الدراهم بينهم وأما الخاتم فقد نفلنا كه *وروى عن ابن ابى الدنيا من غير وجه ان أبا موسى لما وجده وذكروا له انه دانيال التزمه وعانقه وقبله . وكتب الى عمر يذكر له امره وانه وجد عنده مالا موضوعا قريبا من عشرة آلاف درهم وكان من جاء اقترض منها فان ردها والامرض وان عنده ربعة فامر عمر بان يغسل بماء وسدر ويكفن ويدفن ويخفى قبره فلا يعلم به احد وامر بالمال أن يرد الى بيت المال وبالربعة فتحمل اليه ونفله خاتمه . وروى عن أبى موسى انه أمر اربعة من الاسراء فسكروا نهرا وحفروا فى وسطه قبراً فدفنه فيه ثم قدم الاربعة الاسراء فضرب اعناقهم فلم يعلم موضع قبره غير أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه * وقال ابن ابى الدنيا حدثنى ابراهيم بن عبد الله حدثنا احمد بن عمرو بن السرح حدثنا ابن وهب عن عبد الرحمن بن ابى الزناد عن ابيه قال رأيت فى يد ابن بردة بن ابى موسى الاشعرى خاتما نقش فصه أسدان بينهما رجل يلحسان ذلك الرجل قال ابو بردة هذا خاتم ذلك الرجل الميت الذى زعم اهل هذه البلدة أنه دانيال اخذه أبو موسى يوم دفنه . قال أبو بردة فسأل أبو موسى علماء تلك القرية عن نقش ذلك الخاتم فقالوا ان الملك الذى كان دانيال فى سلطانه جاءه المنجمون واصحاب العلم فقالوا له انه يولد ليلة كذا وكذا غلام يعور ملكك ويفسده فقال الملك والله لا يبقى تلك الليلة غلام الا قتلته الا أنهم أخذوا دانيال فالقوه فى اجمة الاسد فبات

الاسـد ولبوته يلحسانه ولم يضراه فجاءت أمه فوجدتهما يلحسانه فنجاه الله بذلك حتى بلغ مابلغ قال أبو بردة قال أبو موسى قال علماء تلك القرية فنقش دانيال صورته وصورة الاسدين يلحسانه فى فص خاتمه لئلا ينسى نعمة الله عليه فى ذلك . اسناد حسن.

عمارة بيت المقدس بعد خرابها واجتماع بنى اسرائيل بعد تفرقهم فى بقاع الأرض

قال الله تعالى فى كتابه المبين وهو أصدق القائلين (أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها . قال انى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم ان الله على كل شيء قدير) قال هشام بن الكلبى ثم أوحى الله تعالى الى ارميا عليه السلام فيما بلغنى انى عامر بيت المقدس فاخرج اليها فانزلها فخرج حتى قدمها وهى خراب فقال فى نفسه سبحان الله أمرنى الله أن أنزل هذه البلدة واخبرنى انه عامرها فمتى يعمرها ومتى يحييها الله بعد موتها ثم وضع رأسه فنام ومعه حماره وسلة من طعام فمكث فى نومه سبعين سنة حتى هلك بخت نصر والملك الذى فوقه وهو لهراسب وكان ملكه مائة وعشرين سنة وقام بعده ولده بشتاسب بن لهراسب وكان موت بخت نصر فى دولته فبلغه عن بلاد الشام انها خراب وان السباع قد كثرت فى ارض فلسطين فلم يبق بها من الانس احد فنادى فى ارض بابل فى بنى اسرائيل ان من شاء ان يرجع الى الشام فليرجع وملك عليهم رجلا من آل داود وامره ان يعمر بيت المقدس ويبنى مسجدها فرجعوا فعمروها وفتح الله لارميا عينيه فنظر الى المدينة كيف تبنى وكيف تعمر ومكث فى نومه ذلك حتى تمت له مائة سنة ثم بعثه الله وهو لايظن انه نام اكثر من ساعة وقد عهد المدينة خرابا فلما نظر اليها عامرة آهلة قال أعلم أن الله على كل شيء قدير . قال فأقام بنو اسرائيل بها ورد الله عليهم امرهم فمكثوا كذلك حتى غلبت عليهم الروم فى زمن ملوك الطوائف . ثم لم يكن لهم جماعة ولا سلطان يعنى بعد ظهور النصارى عليهم . هكذا حكاه ابن جرير فى تاريخه عنه . وذكر ابن جرير ان لهراسب كان ملكا عادلا سائسا لمملكته قد دانت له العباد والبلاد والملوك والقواد وانه كان ذا رأى جيد فى عمارة الامصار والانهار والمعاقل. ثم لما ضعف عن تدبير المملكة بعد مائة سنة ونيف نزل عن الملك لولده بشتاسب فكان فى زمانه ظهور دين المجوسية[1] وذلك ان رجلا كان اسمه زردشت

---

(١) (قوله وذلك أن رجلا كان اسمه زردشت الخ) هذه الحكاية خلاف الواقع . بل الواقع أن زردشت هو ابراهيم الزردشت احد الانبياء الذين ظهروا فى وادى نهر الأرس بقفقازيا المشار اليهم فى

كان قد صحب ارميا عليه السلام فاغضبه فدعا عليه ارميا فبرص زردشت فذهب فلحق بارض آذربيجان وصحب بشتاسب فلقنه دين المجوسية الذى اخترعه من تلقاء نفسه فقبله منه بشتاسب وحمل الناس عليه وقهرهم وقتل منهم خلقاً كثيراً ممن اباه منهم * ثم كان بعد بشتاسب بهمن بن بشتاسب وهو من ملوك الفرس المشهورين والابطال المذكورين وقد ناب بخت نصر لكل واحد من هؤلاء الثلاثة وعمر دهراً طويلا قبحه الله * والمقصود ان هذا الذى ذكره ابن جرير من أن هذا المار على هذه القرية هو ارميا عليه السلام* قال وهب بن منبه وعبد الله بن عبيد بن عمير وغيرهما وهو قوى من حيث السباق المتقدم وقد روى عن على وعبد الله بن سلام وابن عباس والحسن وقتادة والسدى وسليمان ابن بريدة وغيرهم أنه عزير . وهذا اشهر عند كثير من السلف والخلف والله أعلم .

وهذه قصة العزير

قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر هو عزير بن جروة ويقال بن سوريق بن عديا بن أيوب بن درزنا بن عرى بن تقى بن اسبوع بن فنحاص بن العازر بن هارون بن عمران * ويقال عزير بن سروخا جاء فى بعض الآثار ان قبره بدمشق . ثم ساق من طريق أبى القاسم البغوى عن داود بن عمرو عن حبان بن على عن محمد بن كريب عن أبيه عن ابن عباس مرفوعا لا أدرى العين بيع أم لا ولا أدرى أكان عزير نبيا ام لا ثم رواه من حديث مؤمل بن الحسن عن محمد بن اسحاق السجزى عن عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبى ذؤيب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة مرفوعا نحوه . ثم روى من طريق اسحاق بن بشر وهو متروك عن جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس ان عزيراً كان ممن سباه بخت نصر وهو غلام حدث فلما بلغ اربعين سنة اعطاه الله الحكمة قال ولم يكن أحد أحفظ ولا أعلم بالتوراة منه قال وكان يذكر مع الانبياء حتى محى الله اسمه من ذلك حين سأل ربه عن القدر وهذا ضعيف

قوله تعالى (وأصحاب الرس) فان الرس تخفيف ارس . وله الى الآن اتباع تعد بالملايين فى الهند وايران وله كتاب باللغة الفارسية القديمة مشتمل على المبادى والتعاليم والاحكام والبشارات بالامور الآتية على نهج سائر الكتب . منها بشاراته بظهور الرسول عليه السلام بقوله سيظهر فى العرب نبى عظيم وبعد أن يمضى من ظهور شريعته الف سنة وكسور اذا جاء ثانيا لا يعرف أن هذه كانت شريعته اه ترجمته بالمعنى . ويقصد بذلك أن شريعته عليه السلام بمضى الزمان يدخل فيها من البدع والاهواء وما لم يكن منها بحيث اذا رآها بعد الف سنة لا يعرفها لكثرة ما دخل فيها من البدع . فانظراً نه لم يكتف بالبشارة بظهوره بل أخبر ايضا بما يقع فى المستقبل فى شريعته فهذا من جملة الأدلة على صدق نبوته كما لا يخفى على من تتبع تواريخ الأديان والمذاهب اه (فرج الله زكى الكردى)

ومنقطع ومنكر والله أعلم .

وقال اسحاق بن بشر عن سعيد عن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن عبـد الله بن سلام ان عزيراً هو العبد الذى أماته الله مأة عام ثم بعثه . وقال اسحاق بن بشر انبأنا سعيدبن بشير عن قتادة عن كعب وسعيد بن ابى عروبة عن قتادة عن الحسن ومقاتل وجو يبر عن الضحاك عن ابن عباس وعبد الله بن اسماعيل السدى عن أبيـه عن مجاهد عن ابن عباس وادريس عن جده وهب بن منبه قال اسحاق كل هؤلاء حدثونى عن حديث عزير وزاد بعضهم على بعض قالوا باسنادهم ان عزيراً كان عبداً صالحاً حكيما خرج ذات يوم الى ضيعة له يتعاهدها فلما انصرف أتى الى خربة حين قامت الظهيرة واصابه الحر ودخل الخربة وهو عـلى حماره فنزل عن حماره ومعه سلة فيها تين وسـلة فيها عنب فنزل فى ظل تلك الخربة واخرج قصعة معه فاعتصر من العنب الذى كان معه فى القصـعة ثم أخرج خبزاً يابساً معه فالقاه فى تلك القصعة فى العصير ليبتل ليأ كاه ثم استلقى على قفاه واسند رجليـه الى الحائط فنظر سقف تلك البيوت ورأى مافيها وهى قائمة على عروشها وقد باد أهلها ورأى عظاما بالية فقال (أنى يحيى هذه الله بعد موتها) فلم يشك أن الله يحييها ولـكن قالها تعجباً فبعث الله ملك الموت فقبض روحه فاماته الله مائة عام. فلما اتت عليه مائة عام وكانت فيما بين ذلك فى بنى اسرائيل أمور واحداث قال فبعث الله الى عزير ملـكا فخلق قلبه ليعقل قلبه وعينيه لينظر بهما فيعقل كيف يحيي الله الموتى . ثم ركب خلقه وهو ينظر ثم كسى عظامه اللحم والشعر والجلد ثم نفخ فيـه الروح كل ذلك وهو يرى ويعقل فاستوى جالسا فقال له الملك كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم وذلك أنه كان لبث صدر النهار عند الظهيرة وبعث فى آخر النهار والشمس لم تغب فقال أو بعض يوم ولم يتم لى يوم فقال له الملك بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك يعنى الطعام الخـبز اليابس وشرابه العصـير الذى كان اعتصره فى القصعة فاذاهما على حالهما لم يتغير العصـير والخبز يابس فذلك قوله (لم يتسنه) يعنى لم يتغير وكذلك التين والعنب غض لم يتغير شيء من حالهما فـكأنه انكر فى قلبه فقال له الملك انـكرت ماقلت لك انظر الى حمـارك فنظر الى حماره قد بليت عظامـه وصارت نخرة فنادى الملك عظام الحمار فاجابت واقبلت من كل ناحية حتى ركبه الملك وعزير ينظر اليـه ثم البسها العروق والعصب ثم كساها اللحم ثم انبت عليها الجلد والشعر ثم نفخ فيه الملك فقام الحمار رافعاً رأسه وأذنيه الى السماء ناهقا يظن القيامة قد قامت فذلك قوله (وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نـكسوها لحما) يعنى وانظر الى عظام حمارك كيف يركب بعضها بعضا فى أوصالها حتى اذا صارت عظاما مصوراً حماراً بلا لحم ثم انظر كيف نـكسوها لحما فلما تبين له قال اعلم أن الله على كل شيء قدير من احياء الموتى وغيره قال فركب حماره حتى أتى محلتـه فانـكره الناس وانـكر الناس وانـكر منزله فانطلق على وهم منه حتى أتى منزله فاذا هو

بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها مائة وعشرون سنة كانت أمةلهم فخرج عنهم عزير وهى بنت عشرين سنة كانت عرفته وعقلته فلما أصابها الكبر اصابها الزمانة . فقال لها عزير يا هذه اهذا منزل عزير قالت نعم هذا منزل عزير فبكت وقالت ما رأيت احداً من كذا وكذا سنة يذكر عزيراً وقد نسيه الناس قال فانى انا عزير كان الله اماتنى مائة سنة ثم بعثنى قالت سبحان الله فان عزيراً قد فقدناه منذ مائة سنة فلم نسمع له بذكر قال فانى أنا عزير قالت فان عزيراً رجل مستجاب الدعوة يدعو للمريض ولصاحب البلاء بالعافية والشفاء فادع الله أن يرد على بصرى حتى اراك فان كنت عزيراً عرفتك . قال فدعا ربه ومسح بيده على عينيها فصحتا وأخذ بيدها وقال قومى باذن الله فاطلق الله رجليها فقامت صحيحة كانما نشطت من عقال فنظرت فقالت اشهد انك عزير وانطلقت الى محلة بنى اسرائيل وهم فى انديتهم ومجالسهم وابن لعزير شيخ ابن مائة سنة وثمانى عشر سنة وبنى بنيه شيوخ فى المجلس فنادتهم فقالت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت أنا فلانة مولاتكم دعا لى ربه فرد على بصرى واطلق رجلى وزعم أن الله أماته مائة سنة ثم بعثه قال فنهض الناس فاقبلوا اليه فنظروا اليه فقال ابنه كان لابى شامة سوداء بين كتفيه فكشف عن كتفيه فاذا هو غزير فقالت بنو اسرائيل فانه لم يكن فينا احد حفظ التوراة فيما حدثنا غير عزير وقد حرق بخت نصر التوراة ولم يبق منها شيء الاما حفظت الرجال فاكتبها لنا وكان أبوه سروخا وقد دفن التوراة أيام بخت نصر فى موضع يعرفه احد غير عزير فانطلق بهم الى ذلك الموضع فحفره فاستخرج التوراة وكان قد عفن الورق ودرس الكتاب قال وجلس فى ظل شجرة وبنو اسرائيل حوله فجدد لهم التوراة ونزل من السماء شهابان حتى دخلا جوفه فتذكر التوراة فجددها لبنى اسرائيل . فمن ثم قالت اليهود عزير بن الله للذى كان من أمر الشهابين وتجديده التوراة وقيامه بامر بنى اسرائيل وكان جدد لهم التوراة بارض السواد بدير حزقيل . والقرية التى مات فيها يقال لها سايراباذ * قال ابن عباس فكان كما قال الله تعالى (ولنجعلك آية للناس) يعنى لبنى اسرائيل . وذلك انه كان يجلس مع بنيه وهم شيوخ وهو شاب لانه مات وهو ابن اربعين سنة فبعثه الله شاباً كهيئة يوم مات قال ابن عباس بعث بعد بخت نصر وكذلك قال الحسن وقد أنشد ابو حاتم السجستانى فى معنى ما قاله ابن عباس.

واسودُّ رأسٌ شابَ من قبلِه ابنُهُ … ومن قبلِه ابنُ ابنِه فهو أكبرُ
يرى ابنَه شيخاً يدبُّ على عصا … ولحيتُه سوداء والرأسُ أشقرُ
وما لابنه حَيْلٌ ولا فضلُ قوّةٍ … يقومُ كما يمشي الصبيّ فيعثرُ
يعدّ ابنه فى الناسِ تسعينَ حجة … وعشرين لا يجري ولا يتبختَرُ
وعمرُ أبيهِ اربعُون أمرّها … ولابنه تِسْعون في الناس عبر
فما هُو في المعقولِ ان كنتَ دارياً … وان كنتَ لاتدري فبالجهلِ تُعذَرُ

فصل

المشهور ان عزيراً نبى من أنبياء بنى اسرائيل وانه كان فيما بين داود وسليمان وبين زكريا ويحيى وانه لما لم يبق فى بنى اسرائيل من يحفظ التوراة الهمه الله حفظها فسردها على بنى اسرائيل كما قال وهب بن منبه أمر الله ملكا فنزل بمغرفة من نور فقـذفها فى عزير فنسخ التوراة حرفا بحرف حتى فرغ منها . وروى ابن عساكر عن ابن عباس انه سأل عبـد الله بن سلام عن قول الله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله لم قالوا ذلك فذكر له ابن سلام ما كان من كتبـه لبنى اسرائيل التوراة من حفظه وقول بنى اسرائيل لم يستطع موسى أن يأتينا بالتوراة الا فى كتاب وان عزيراً قدجاءنا بها من غير كتاب فرماه طوائف منهم وقالوا عزير ابن الله . ولهذا يقول كثير من العلماء ان تواتر التوراة انقطع فى زمن العزير . وهذا متجه جدا اذا كان العزيز غـير نبى كما قاله عطاء بن أبى رباح والحسن البصرى وفيما رواه اسحاق ابن بشر عن مقاتل بن سليمان عن عطاء وعن عثمان بن عطاء الخراسانى عن أبيه ومقاتل عن عطاء بن ابى رباح قال كان فى الفترة تسعة اشياء بخت نصر وجنة صنعاء وجنة سبا وأصحاب الاخدود وامر حاصورا(١) واصحاب الـكهف واصحاب الفيـل ومدينة انطاكية وامر تبع . وقال اسحاق بن بشر انبأنا سعيد عن قتادة عن الحسن قال كان امر عزير وبخت نصر فى الفترة . وقد ثبت فى الصحيح ان رسول الله (ص) قال ان أولى الناس بابن مريم لانا إنه ليس بينى وبينـه نبى) . وقال وهب ابن منبه كان فيما بين سليمان وعيسى عليهما السلام . وقد روى ابن عساكر عن أنس بن مالك وعطاء بن السائب أن عزيراً كان فى زمن موسى بن عمران وانه اسـتاذن عليه فلم يأذن له يعنى لما كان من سوآله عن القـدر وانه انصرف وهو يقول مائة موتة أهون من ذل ساعة وفى معنى قول عزير مائة موتة أهون من ذل ساعـة قول بعض الشـعراء

قَد يَصْـبر الحرُّ على السّيفِ ويأنفُ الصبرَ عـلى الحيْفِ
ويؤْثرُ الموتَ عـلى حَالةٍ يعجزُ فيها عن قِرى الضّيفِ

فاما ماروى ابن عساكر وغـيره عن ابن عباس ونوف البكالى وسفيان الثورى وغيرهم من أنه سأل عن القدر فمحى اسمه من ذكر الانبياء فهو منكر وفى صحته نظر وكأنه مأخوذ عن الاسرائيليات وقد روى عبد الرزاق وقتيبة بن سـعيد عن جعفر بن سليمان عن أبى عمران الجونى عن نوف البكالى قال قال عزير فيما يناجى ربه (يارب تخلق خلقا فتضـل من تشاء وتهدى من تشاء) فقيـل له أعرض عن هذا فعاد فقيل له لتعرض عن هذا أولا محون اسمك من الانبياء إنى لاأسأل عما افعل وهم يسألون وهذا لايقتضى وقوع ما توعد عليه لوعاد فما محيا اسمه والله أعلم .

وقـد روى الجماعة سوى الترمذى من حديث يونس بن يزيد عن الزهرى عن سعيد وابى سلمة

(١) هكذا فى النسخة الحلبية . وفى النسخة المصرية (وأمر جاصور)

عن أبي هريرة وكذلك رواه شعيب عن أبي الزناد عن الاعرج عن ابى هريرة قال قال رسول الله (ص) نزل نبي من الانبياء تحت شجرة فلدغته نملة فأمر بجهازه فاخرج من تحتها ثم أمر بها فاحرقت بالنار فاوحى الله اليه مهلا نملة واحدة . فروى اسحاق بن بشر عن ابن جريج عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه أنه عزير . وكذا روى عن ابن عباس والحسن البصرى انه عزير فالله اعلم .

قصة زكريا ويحيى عليهما السلام

قال الله تعالى فى كتابه العزيز بسم الله الرحمن الرحيم (كهيعص . ذكر رحمة ربك عبده زكريا . إذ نادى ربه نداء خفيا . قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقيا . وانى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا فهب لى من لدنك ولياً يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا . يازكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا . قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا . قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا . قال رب اجعل لى آية قال آيتك ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا . فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا . يايحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا . وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا . وبرا بوالديه ولم يكن جباراً عصيا . وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) وقال تعالى (وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب . هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء . فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبيا من الصالحين . قال رب انى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر قال كذلك الله يفعل مايشاء . قال رب اجعل لى آية . قال آيتك انلاتكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار) وقال تعالى فى سورة الانبياء (وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرنى فرداً وانت خير الوارثين . فاستجبناله ووهبناله يحيى واصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين . وقال تعالى وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين) . قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى كتابه التاريخ المشهور الحافل . زكريا بن برخيا ويقال زكريا بن دان يقال زكريا بن لدن بن مسلم بن صدوق بن حشبان بن دواد بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن برخيا بن بلماطة بن ناحور بن شلوم بن بهفاشاط بن اينا من بن رحبعام بن سليمان بن داود أبو يحيى النبى عليه السلام من بنى اسرائيل . دخل البثينة من أعمال دمشق فى طلب ابنه يحيى . وقيل انه كان بدمشق حين قتل ابنه يحيى والله أعلم . وقد قيل غير ذلك فى نسبه

و يقال فيه ز كريا بالمد وبالقصر ويقال ز كرى ايضاً .

والمقصود ان الله تعالى أمر رسوله (ص) أن يقص على الناس خبر زكريا عليه السلام وما كان من أمره حين وهبه الله ولدا على الكبر وكانت امرأته عاقراً فى حال شبيبتها وقد اسنت ايضا حتى لا ييئس احد من فضل الله ورحمته ولا يقنط من فضله تعالى وتقدس فقال تعالى (ذكر رحمت ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداء خفيا) . قال قتادة عند تفسيرها ان الله يعلم القلب النقى ويسمع الصوت الخفى . وقال بعض السلف قام من الليل فنادى ربه مناداة اسرها عمن كان حاضراً عنده مخافته فقال (يارب يارب يارب فقال الله لبيك لبيك لبيك) (قال رب انى وهن العظم منى) أى ضعف وخار من الكبر (واشتعل الرأس شيبا) استعارة من اشتعال النار فى الحطب أى غلب على سواد الشعر شيبه كما قال ابن دريد فى مقصورته .

أَما تَرى رَأسِيَ حاكَى لونُه طرّةَ صُبحٍ تحتَ أذيالِ الدّجا
واشتعلَ المبيضُّ في مُسْودِّه مثلَ اشتعالِ النارِ فى جَمرِ الغَضا
وآضَ عودُ اللهو يُبساً ذاوياً من بعدِ ماقدْ كان مجّاجَ الثّرى

يذكر ان الضعف قد استحوذ عليه باطنا وظاهراً وهكذا قال زكريا عليه السلام (انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا) وقوله (لم أكن بدعائك رب شقيا) أى ما عودتنى فيما اسألك الا الاجابة وكان الباعث له على هذه المسئلة انه لما كفل مريم بنت عمران بن ماثان وكان كلما دخل عليها محرابها وجد عندها فاكهة فى غير إوانها ولا فى آوانها وهذه من كرامات الاولياء فعلم أن الرازق للشىء فى غير أوانه قادر على أن يرزقه ولداً وان كان قد طعن فى سنه (هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء) وقوله (وانى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقراً) قيل المراد بالموالى العصبة وكانه خاف من تصرفهم بعده فى بنى اسرائيل بمالا يوافق شرع الله وطاعته فسأل وجود ولد من صلبه يكون براً تقيا رضيا ولهذا قال (فهب لى من لدنك) أى من عندك بحولك وقوتك(ولياً يرثنى) أى فى النبوة والحكم فى بنى اسرائيل (ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا) يعنى كما كان آباؤه واسلافه من ذرية يعقوب انبياء فاجعله مثلهم فى الكرامة التى أكرمتهم بها من النبوة والوحى وليس المراد ههنا وراثة المال كما زعم ذلك من زعمه من الشيعة ووافقهم ابن جرير ههنا وحكاه عن ابى صالح من السلف لوجوه . احدها ماقدمنا عند قوله تعالى (وورث سليمان داود) أى فى النبوة والملك كما ذكرنا فى الحديث المتفق عليه بين العلماء المروى فى الصحاح والمسانيد والسنن وغيرها من طرق عن جماعة من الصحابة ان رسول الله (ص) قال لا نورث ماتركنا فهو صدقة فهذا نص على أن رسول الله ص لا يورث ولهذا منع الصديق ان يصرف ما كان يختص به فى حياته الى احد من وراثه الذين لولا هذا

النص لصرف اليهم وهم ابنته فاطمة وأزواجه التسع وعمه العباس رضى الله عنهم واحتج عليهم الصديق فى منعه أيام بهذا الحديث وقد وافقه على روايته عن رسول الله (ص) عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب والعباس بن عبد المطلب وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وأبو هريرة وآخرون رضى الله عنهم . الثانى ان الترمذى رواه بلفظ يعم سائر الانبياء نحن معاشر الانبياء لانورث وصححه . الثالث ان الدنيا كانت احقر عند الانبياء من أن يكنزوا لها أو يلتفتوا اليها أو يهمهم أمرها حتى يسألوا الاولاد ليحوزوها بعدهم فان من لايصل الى قريب من منازلهم فى الزهادة لايهتم بهذا المقدار أن يسأل ولداً يكون وارثا له فيها . الرابع أن زكريا عليه السلام كان نجاراً يعمل بيده ويأكل من كسبها كما كان داود عليه السلام يأكل من كسب يده والغالب ولاسيما من مثل حال الانبياء أنه لا يجهد نفسه فى العمل اجهاداً يستفضل منه ما لا يكون ذخيرة له يخلفه من بعده وهذا أمر بين واضح لكل من تأمله وتدبره وتفهم ان شاء الله .

قال الامام أحمد حدثنا يزيد يعنى ابن هرون أنبأنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أبى رافع عن أبى هريرة أن رسول الله (ص) قال كان زكريا نجاراً . وهكذا رواه مسلم وابن ماجه من غير وجه عن حماد بن سلمة به . وقوله (يازكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا) . وهذا مفسر بقوله (فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبيا من الصالحين) فلما بشر بالولد وتحقق البشارة شرع يستعلم على وجه التعجب وجود الولد والحالة هذه له (قال رب انى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقراً وقد بلغت من الكبر عتيا) أى كيف يوجد ولد من شيخ كبير قيل كان عمره إذ ذاك سبعا وسبعين سنة والاشبه والله أعلم أنه كان أسن من ذلك (وكانت امرأتى عاقرا) يعنى وقد كانت امرأتى فى حال شبيبتها عاقرا لاتلد والله أعلم . كما قال الخليل (أبشرتمونى على أن مسنى الكبر فبم تبشرون) وقالت سارة (ياويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا ان هذا لشىء عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد) وهكذا أجيب زكريا عليه السلام قال له الملك الذى يوحى اليه بامر ربه (كذلك قال ربك هو على هين) أى هذا سهل يسير عليه (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا) أى قدرته أوجدتك بعد ان لم تكن شيئا مذكورا أفلا يوجد منك ولداً وان كنت شيخا . وقال تعالى (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانو لنا خاشعين) ومعنى اصلاح زوجته انها كانت لاتحيض فحاضت . وقيل كان فى لسانها شىء أى بذاءة (قال رب اجعل لى آية) أى علامة على وقت تعلق منى المرأة بهذا الولد المبشر به (قال آيتك ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) يقول علامة ذلك أن يعتريك سكت لا تنطق معه ثلاثة أيام الا رمزا وانت فى ذلك سوى الخلق صحيح المزاج معتدل البنية وأمر

بكثرة الذكر فى هذه الحال بالقلب واستحضار ذلك بفؤاده بالعشى والابكار فلما بشر بهذه البشارة خرج مسرورا بها على قومه من محرابه (فأوحى اليهم أن سبحوه بكرة وعشيا) * والوحى ههنا هو الامر الخفى اما بكتابه كما قاله مجاهد والسدى أو اشارة كما قاله مجاهد أيضا ووهب وقتادة .قال مجاهد وعكرمة ووهب والسدى وقتادة اعتقل لسانه من غير مرض . وقال ابن زيد كان يقرأ ويسبح ولكن لا يستطيع كلام احد . وقوله (يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا) ، يخبر تعالى عن وجود الولد وفق البشارة الالهية لأبيه زكريا عليه السلام وأن الله علمه الكتاب والحكمة وهو صغير فى حال صباه* قال عبد الله بن المبارك قال معمر قال الصبيان ليحيى بن ذكريا اذهب بنا نلعب فقال ماللعب خلقنا قال وذلك قوله (وآتيناه الحكم صبيا) وأما قوله (وحناناً من لدنا) فروى ابن جرير عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال لاأدرى ماالحنان. وعن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك (وحنانا من لدنا) أى رحمة من عندنا رحمنا بها زكريا فوهبنا له هذا الولد* وعن عكرمة (وحنانا) أى محبة عليه ويحتمل أن يكون ذلك صفة لتحنن يحيى على الناس ولاسيما على أبويه وهو محبتهما والشفقة عليهما وبره بهما . وأما الزكاة فهو طهارة الخلق وسلامته من النقائص والرذائل . والتقوى طاعة الله بامتثال أوامره وترك زواجره ، ثم ذكر بره بوالديه وطاعته لهما أمراً ونهياً وترك عقوقهما قولا وفعلا فقال (وبراً بوالديه ولم يكن جباراً عصيا) ثم قال (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) هذه الأوقات الثلاثة أشد ماتكون على الانسان فانه ينتقل فى كل منها من عالم الى عالم آخر فيفقد الأول بعد ماكان الفه وعرفه ويصير إلى الآخر ولا يدرى مابين يديه ولهذا يستهل صارخاً إذا خرج من بين الاحشاء وفارق لينها وضمها وينتقل إلى هذه الدار ليكابد همومها وغمها وكذلك إذا فارق هذه الدار وانتقل إلى عالم البرزخ بينها وبين دار القرار وصار بعد الدور والقصور إلى عرصة الاموات سكان القبور وانتظر هناك النفخة فى الصور ليوم البعث والنشور فمن مسرور ومحبور ومن محزون ومثبور وما بين جبير وكسير وفريق فى الجنة وفريق فى السعير .ولقد أحسن بعض الشعراء حيث يقول :

وَلَدتكَ أُمكَ باكياً مستصرِخاً   والناسُ حولَكَ يَضْحكونَ سُروراً

فاحرِصْ لنفسِكَ أن تكونَ إذا بَكَوا   فى يومِ موتِكَ ضاحكاً مسروراً

ولما كانت هذه المواطن الثلاثة اشق ماتكون على ابن آدم سلم الله على يحيى فى كل موطن منها فقال (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) وقال سعيد ابن أبى عروبة عن قتادة أن الحسن قال إن يحيى وعيسى التقيا فقال له عيسى استغفر لى أنت خير منى فقال له الآخر استغفر لى أنت خير منى فقال له عيسى أنت خير منى سلمت على نفسى وسلم الله عليك فعرف والله فضلهما ، وأما قوله فى الآية الاخرى (وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين) فقيل المراد بالحصور الذى لايأتى النساء

وقيل غير ذلك وهو أشبه لقوله (هب لى من لدنك ذرية طيبة) وقد قال الامام احمد حدثنا عفان
حدثنا حماد أنبأنا على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن رسول الله (ص) قال مامن
أحد من ولد آدم إلا وقد اخطأ أو هم بخطيئة ليس يحيى بن زكريا وما ينبغى لأحد يقول أنا خير
من يونس بن متى. على بن زيد بن جدعان تكلم فيه غير واحد من الأئمة وهو منكر الحديث
وقد رواه ابن خزيمة والدار قطنى من طريق أبى عاصم العباداني عن على بن زيد بن جدعان به مطولا
ثم قال ابن خزيمة وليس على شرطنا . وقال ابن وهب حدثنى ابن لهيعة عن عقيل عن ابن شهاب قال
خرج رسول الله (ص) على أصحابه يوما وهم يتذاكرون فضل الانبياء فقال قائل (موسى كليم الله وقال
قائل عيسى روح الله وكلمته وقال قائل ابراهيم خليل الله فقال ابن الشهيد ابن الشهيد يلبس الوبر ويأكل
الشجر مخافة الذنب قال ابن وهب يريد يحيى بن زكريا . وقد رواه محمد ابن اسحاق وهو مدلس عن
يحيى بن سعيد الانصارى عن سعيد بن المسيب حدثنى ابن العاص أنه سمع رسول الله (ص) يقول كل
ابن آدم يأتى يوم القيامة وله ذنب الا ما كان من يحيى بن زكريا . فهذا من رواية ابن اسحاق وهو من
المدلسين وقد عنعن ههنا. ثم قال عبدالرزاق عن معمر عن قتادة عن سعيد بن المسيب مرسلا . ثم رأيت
ابن عساكر ساقه من طريق أبى أسامة عن يحيى بن سعيد الانصارى ثم قد رواه ابن عساكر من طريق
ابراهيم بن يعقوب الجوزجانى خطيب دمشق حدثنا محمد بن الأصبهانى حدثنا أبو خالد الاحمر عن يحيى
ابن سعيد عن سعيد بن المسيب عن عبدالله بن عمرو قال ما أحد الا يلقى الله بذنب الا يحيى بن زكريا. ثم
تلا (وسيدا وحصورا) ثم رفع شيئا من الارض فقال ما كان معه الا مثل هذا ثم ذبح ذبحاً وهذا موقوف
من هذه الطريق وكونه موقوفا اصح من رفعه والله أعلم واورده ابن عساكر من طرق عن معمر من
ذلك ما اورده من حديث اسحاق بن بشر وهو ضعيف عن عثمان بن سباح عن ثور بن يزيد عن خالد
ابن معدان عن معاذ عن النبى (ص) بنحوه . وروى من طريق أبى داود الطيالسى وغيره عن الحكم بن
عبد الرحمن بن أبى نعيم عن ابيه عن أبى سعيد قال قال رسول (ص) الحسن والحسين سيدا شباب أهل
الجنة الا ابنى الخالة يحيى وعيسى عليهما السلام . وقال أبو نعيم الحافظ الاصبهانى حدثنا اسحاق بن احمد
حدثنا ابراهيم بن يوسف حدثنا احمد بن أبى الحوارى سمعت أبا سليمان يقول خرج عيسى بن مريم ويحيى
ابن زكريا يتماشيان فصدم يحيى امرأة فقال له عيسى يا ابن خالة لقد اصبت اليوم خطيئة ما اظن أنه يغفر لك
ابدا قال وماهى يا ابن خالة قال امرأة صدمتها . قال والله ماشعرت بها .قال سبحان الله بدنك معى فاين
روحك قال معلق بالعرش ولو ان قلبى اطمئن الى جبريل لظننت أنى ماعرفت الله طرفة عين. فيه غرابة
وهو من الاسرائيليات * وقال اسرائيل عن ابى حصين عن خيثمة قال كان عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا
ابنى خالة وكان عيسى يلبس الصوف وكان يحيى يلبس الوبر ولم يكن لواحد منهما دينار ولا درهم ولا

عبد ولا أمة ولا مأوى ياويان اليه اين ماجنهما الليل أويا فلما ارادا أن يتفرقا قال له يحيى اوصنى قال لا تغضب قال لا استطيع الا أن اغضب قال لا تقتن مالا قال أما هذه فعسى .

وقد اختلفت الرواية عن وهب بن منبه هل مات زكريا عليه السلام موتاً أو قتل قتلا على روايتين فروى عبدالمنعم بن ادريس بن سنان عن أبيه عن وهب بن منبه أنه قال هرب من قومه فدخل شجرة فجاؤا فوضعوا المنشار عليها فلما وصل المنشار الى أضلاعه أن فأوحى الله اليه لئن لم يسكن أنينك لأقلبن الارض ومن عليها فسكن أنينه حتى قطع باثنتين . وقد روى هذا فى حديث مرفوع سنورده بعد ان شاء الله * وروى اسحق بن بشر عن ادريس بن سنان عن وهب أنه قال الذى انصدعت له الشجرة هو شعيا فأما زكريا فمات موتاً فالله اعلم . وقال الامام احمد حدثنا عفان أنبأنا أبو خلف موسى بن خلف وكان يعد من البدلاء حدثنا يحيى بن أبى كثير عن زيد بن سلام عن جده ممطور عن الحارث الاشعرى أن النبى (ص) قال ان الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن وان يأمر بنى اسرائيل أن يعملوا بهن وكاد أن يبطىء فقال له عيسى عليه السلام إنك قد أمرت بخمس كلمات أن تعمل بهن وتأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بهن . فاما أن تبلغهن وإما أن ابلغهن فقال ياأخى إنى اخشى إن سبقتنى أن أعذب أو يخسف بى قال فجمع يحيى بنى إسرائيل فى بيت المقدس حتى امتلأ المسجد فقعد على الشرف فحمد الله واثنى عليه ثم قال إن الله عز وجل أمرنى بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركم ان تعملوا بهن . واولهن أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئا فان مثل ذلك مثل من اشترى عبداً من خالص ماله بورق أو ذهب فجعل يعمل ويؤدى غلته الى غير سيده فايكم يسره أن يكون عبده كذلك وأن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأمركم بالصلاة فان الله ينصب وجهه قبل عبده مالم يلتفت فاذا صليتم فلا تلتفتوا * وامركم بالصيام فان مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك فى عصابة كلهم يجد ريح المسك وان خلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك * وامركم بالصدقة فان مثل ذلك كمثل رجل اسره العدو فشدوا يده الى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال هل لكم أن أفتدى نفسى منكم فجعل يفتدى نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه * وآمركم بذكر الله عز وجل كثيرا فان مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعا فى اثره فاتى حصناً حصيناً فتحصن فيه وأن العبد احصن مايكون من الشيطان اذا كان فى ذكر الله عز وجل

قال وقال رسول (ص) وأنا آمركم بخمس الله امرنى بهن بالجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد فى سبيل الله فان من خرج عن الجماعة قيد شبر فقد خلع ربق الاسلام من عنقه الا أن يرجع ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من حثا جهنم قال يارسول الله وان صام وصلى قال وان صام وصلى وزعم أنه مسلم ادعوا المسلمين باسمائهم بما سماهم الله عز وجل المسلمين المؤمنين عباد الله عز وجل .

وهكذا رواه أبو يعلى عن هدبة بن خالد عن ابان بن يزيد عن يحيى بن أبى كثير به . وكذلك رواه

الترمذی من حدیث أبی داود الطیالسی وموسى بن اسماعیل کلاهما عن ابان بن یزید العطار به * ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار عن محمد بن شعیب بن سابور عن معاویة بن سلام عن اخیه زید بن سلام عن أبی سلام عن الحارث الاشعری به .ورواه الحاکم من طریق مروان بن محمد الطاطری عن معاویة بن سلام عن اخیه به. ثم قال تفرد به مروان الطاطری عن معاویة بن سلام . قلت ولیس کما قال ورواه الطبرانی عن محمد بن عبدة عن أبی نوبة الربیع بن یافع عن معاویة بن سلام عن أبی سلام عن الحارث الاشعری فذکر نحوه فسقط ذکر زید بن سلام عن أبی سلام عن الحارث الاشعری فذکر نحو هذه الروایة ثم روى الحافظ بن عساکر من طریق عبد الله بن أبی جعفر الرازی عن أبیه عن الربیع بن انس قال ذکر لنا عن اصحاب رسول الله (ص.) فیما سمعوا من علماء بنی اسرائیل أن یحیى بن زکریا أرسل بخمس کلمات وذکر نحو ما تقدم . وقد ذکروا ان یحیى علیه السلام کان کثیر الانفراد من الناس انما کان یانس الى البراری ویاکل من ورق الاشجار ویرد ماء الانهار ویتغذى بالجراد فی بعض الاحیان ویقول من انعم منك یایحیى * وروى ابن عساکر أن أبویه خرجا فی تطلبه فوجداه عند بحیرة الاردن فلما اجتمعا به أبکاهما بکاء شدیدا لما هو فیه من العبادة والخوف من الله عز وجل . وقال ابن وهب عن مالك عن حمید بن قیس عن مجاهد قال کان طعام یحیى بن زکریا العشب وانه کان لیبکی من خشیة الله حتى لو کان القار على عینیه لخرقه

وقال محمد بن یحیى الذهلی حدثنا أبو صالح حدثنا اللیث حدثنی عقیل عن ابن شهاب قال جلست یوما الى أبی ادریس الخولانی وهو یقص فقال الا أخبرکم بمن کان أطیب الناس طعاما فلما رأى الناس قد نظروا الیه قال إن یحیى بن زکریا کان أطیب الناس طعاما انما کان یأکل مع الوحش کراهة أن یخالط الناس فی معایشهم * وقال ابن المبارك عن وهیب بن الورد قال فقد زکریا ابنه یحیى ثلاثة أیام فخرج یلتمسه فی البریة فاذا هو قد احتفر قبراً وأقام فیه یبکی على نفسه فقال یا بنی أنا أطلبك من ثلاثة أیام وانت فی قبر قد احتفرته قائم تبکی فیه فقال یا أبت الست أنت أخبرتنی أن بین الجنة والنار مفازة لا یقطع الا بدموع البکائین فقال له ابك یابنی فبکیا جمیعا . وهکذا حکاه وهب بن منبه ومجاهد بنحوه وروى ابن عساکر عنه أنه قال إن أهل الجنة لا ینامون للذة ماهم فیه من النعیم فکذا ینبغی للصدیقین أن لا یناموا لما فی قلوبهم من نعیم المحبة لله عزوجل * ثم قال کم بین النعیمین وکم بینهما وذکروا أنه کان کثیر البکاء حتى أثر البکاء فی خدیه من کثرة دموعه *

باب سبب قتل یحیى علیه السلام

وذکروا فی قتله أسبابا من أشهرها أن بعض ملوك ذلك الزمان بدمشق کان یرید أن یتزوج ببعض محارمه او من لا یحل له تزویجها فنهاه یحیى علیه السلام عن ذلك فبقی فی نفسها منه . فلما کان بینها وبین الملك

مايحب منها استوهبت منه دم يحيى فوهبه لها فبعث اليه من قتله وجاء برأسه ودمه فى طشت الى عندها فيقال انها هلكت من فورها وساعتها وقيل بل أحبته امرأة ذلك الملك وراسلته فأبى عليها فلما يئست منه تحيلت فى أن استوهبته من الملك فتمنع عليها الملك ثم أجابها الى ذلك فبعث من قتله وأحضر اليها رأسه ودمه فى طشت . وقد ورد معناه فى حديث رواه اسحاق بن بشر فى كتابه المبتدا حيث قال أنبأنا يعقوب الكوفى عن عمرو بن ميمون عن أبيه عن ابن عباس أن رسول الله (ص) ليلة أسرى به رأى زكريا فى السماء فسلم عليه وقال له يا أبا يحيى خبرنى عن قتلك كيف كان ولم قتلك بنو اسرائيل. قال يامحمد أخبرك أن يحيى كان خير أهل زمانه وكان أجملهم وأصبحهم وجها وكان كما قال الله تعالى (سيدا وحصوراً) وكان لايحتاج الى النساء فهوته امرأة ملك بنى اسرائيل وكانت بغية فأرسلت اليه وعصمه الله وامتنع يحيى وأبى عليها فاجمعت على قتل يحيى ولهم عيد يجتمعون فى كل عام وكانت سنة الملك أن يوعد ولا يخلف ولا يكذب . قال فخرج الملك الى العيد فقامت امرأته فشيعته وكان بها معجبا ولم تكن تفعله فيما مضى فلما أن شيعته قال الملك سليني فما سألتني شيئا الا أعطيتك قالت أريد دم يحيى بن زكريا قال لها سليني غيره قالت هو ذاك قال هو لك قال فبعثت جلاوزتها الى يحيى وهو فى محرابه يصلى وأنا الى جانبه أصلى قال فذبح فى طشت وحمل رأسه ودمه اليها . قال فقال رسول الله (ص) فما بلغ من صبرك قال ما انفتلت من صلاتى قال فلما حمل رأسه اليها فوضع بين يديها فلما أمسوا خسف الله بالملك وأهل بيته وحشمه فلما أصبحوا قالت بنو اسرائيل قد غضب إله زكريا لزكريا فتعالوا حتى نغضب للملك فنقتل زكريا قال فخرجوا فى طلبى ليقتلونى وجاءنى النذير فهربت منهم وابليس أمامهم يدلهم على فلما تخوفت أن لا أعجزهم عرضت لى شجرة فنادتنى وقالت الى الى وانصدعت لى ودخلت فيها . قال وجاء ابليس حتى أخذ بطرف ردائى والتأمت الشجرة وبقى طرف ردائى خارجا من الشجرة وجاءت بنو اسرائيل فقال ابليس أما رأيتموه دخل هذه الشجرة هذا طرف ردائه دخلها بسحره فقالوا نحرق هذه الشجرة فقال ابليس شقوه بالمنشار شقا . قال فشققت مع الشجرة بالمنشار قال له النبى (ص) هل وجدت له مسا أو وجعا قال لا انما وجدت ذلك الشجرة التى جعل الله روحى فيها . هذا سياق غريب جدا وحديث عجيب ورفعه منكر وفيه ماينكر على كل حال ولم ير فى شىء من أحاديث الاسراء ذكر زكريا عليه السلام الا فى هذا الحديث وانما المحفوظ فى بعض الفاظ الصحيح فى حديث الاسراء فمررت بابنى الخالة يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة على قول الجمهور كما هو ظاهر الحديث فان أم يحيى أشياع بنت عمران أخت مريم بنت عمران. وقيل بل أشياع وهى امرأة زكريا أم يحيى هى أخت حنة امرأة عمران أم مريم فيكون يحيى ابن خالة مريم فالله أعلم *

ثم اختلف فى مقتل يحيى بن زكريا هل كان فى المسجد الاقصى أم بغيره على قولين فقال الثورى

عن الاعمش عن شمر بن عطية قال قتل على الصخرة التى ببيت المقدس سبعون نبيا منهم يحيى بن زكريا عليه السلام وقال أبو عبيد القاسم بن سلام حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال قدم بخت نصر دمشق فاذا هو بدم يحيى بن زكريا يغلى فسأل عنه فاخبروه فقتل على دمه سبعين الفا فسكن. وهذا اسناد صحيح الى سعيد بن المسيب وهو يقتضى أنه قتل بدمشق وان قصة بخت نصر كانت بعد المسيح كما قاله عطاء والحسن البصرى فالله أعلم.

وروى الحافظ ابن عساكر من طريق الوليد ابن مسلم عن زيد بن واقد قال رأيت رأس يحيى ابن زكريا حين أرادوا بناء مسجد دمشق أخرج من تحت ركن من أركان القبلة الذى يلى المحراب مما يلى الشرق فكانت البشرة والشعر على حاله لم يتغير وفى رواية كانما قتل الساعة. وذكر فى بناء مسجد دمشق أنه جعل تحت العمود المعروف بعمود السكاسكه فالله أعلم.

(١) وقد روى الحافظ ابن عساكر فى المستقصى فى فضائل الاقصى من طريق العباس بن صبح عن مروان عن سعيد بن عبد العزيز عن قاسم مولى معاوية قال كان ملك هذه المدينة يعنى دمشق هداد ابن هداد وكان قد زوجه ابنه بابنة أخيه أريل ملكة صيدا وقد كان من جملة أملاكها سوق الملوك بدمشق وهو الصاغة العتيقة قال وكان قد حلف بطلاقها ثلاثا. ثم انه اراد مراجعتها فاستفتى يحيى بن زكريا فقال لا تحل لك حتى تنكح زوجا غيرك فحقدت عليه وسألت من الملك رأس يحيى بن زكريا وذلك باشارة أمها فابى عليها ثم أجابها الى ذلك وبعث اليه وهو قائم يصلى بمسجد جيرون من أتاه برأسه فى صينية فجعل الرأس يقول له لا تحل له لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره فاخذت المرأة الطبق فحملته على رأسها وأتت به أمها وهو يقول كذلك فلما تمثلت بين يدى أمها خسف بها الى قدميها ثم الى حقويها وجعلت أمها تولول والجوارى يصرخن ويلطمن وجوههن ثم خسف بها الى منكبيها فامرت أمها السياف أن يضرب عنقها لتتسلى برأسها ففعل فلفظت الارض جثتها عند ذلك ووقعوا فى الذل والفناء ولم يزل دم يحيى يفور حتى قدم بخت نصر فقتل عليه خمسة وسبعين الفا * قال سعيد بن عبد العزيز وهى دم كل نبى ولم يزل يفور حتى وقف عنده أرميا عليه السلام فقال أيها الدم أفنيت بنى اسرائيل فاسكن باذن الله فسكن فرفع السيف وهرب من هرب من أهل دمشق الى بيت المقدس فتبعهم اليها فقتل خلقا كثيراً لا يحصون كثرة وسبا منهم ثم رجع عنهم.

---

(١) من هنا الى قصة عيسى ليس فى النسختين المصريتين

قصة عيسى بن مريم عليه افضل الصلاة والسلام

قال الله تعالى فى سورة آل عمران التى أنزل صدرها وهو ثلاث وثمانون آية منها فى الرد على النصارى عليهم لعائن الله الذين زعموا ان لله ولدا تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً . وكان قد قدم وفد نجران منهم على رسول الله (ص) فجعلوا يذكرون ماهم عليه من الباطل من التثليث فى الاقانيم ويدعون بزعمهم ان الله ثالث ثلاثة وهم الذات المقدسة وعيسى ومريم على اختلاف فرقهم فانزل الله عزوجل صدر هذه السورة بين فيها ان عيسى عبد من عباد الله خلقه وصوره فى الرحم كما صور غيره من المخلوقات وانه خلقه من غير أب كما خلق آدم من غير أب ولا أم وقال له كن فكان سبحانه وتعالى . وبين أصل ميلاد أمه مريم وكيف كان من امرها وكيف حملت بولدها عيسى وكذلك بسط ذلك فى سورة مريم كما سنتكلم على ذلك كله بعون الله وحسن توفيقه وهدايته فقال تعالى وهو اصدق القائلين (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين .ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم. إذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى انك أنت السميع العليم. فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى وانى سميتها مريم وانى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتاً حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب)

يذكر تعالى انه اصطفى آدم عليه السلام والخلص من ذريته المتبعين شرعه الملازمين طاعته ثم خصص فقال وآل ابراهيم فدخل فيهم بنو اسماعيل وبنو اسحاق. ثم ذكر فضل هذا البيت الطاهر الطيب وهم آل عمران والمراد بعمران هذا والد مريم عليها السلام وقال محمد ابن اسحاق وهو عمران بن باشم بن أمون ابن ميشا بن حزقيا بن احريق بن موثم بن عزازيا بن امصيا بن ياوش بن احريهو بن يازم بن يهفاشاط بن ايشا بن ايان بن رحبعام بن سليمان بن داود *وقال ابو القاسم بن عساكر مريم بنت عمران بن ماثان بن العازر بن اليود بن اخنر بن صادوق بن عيازوز بن الياقيم بن ابيود بن زريابيل بن شالتال بن يوحينا بن برشا بن امون بن ميشا بن حزقا بن احاز بن موثام بن عزريا بن يورام بن يوشافاط ابن ايشا بن ايبا بن رحبعام ابن سليمان بن داود عليه السلام وفيه مخالفة كما ذكره محمد بن اسحاق ولا خلاف انها من سلالة داود عليه السلام وكان ابوها عمران صاحب صلاة بنى إسرائيل فى زمانه وكانت أمها وهى حنة بنت فاقود بن قبيل من العابدات وكان زكريا نبى ذلك الزمان زوج أخت مريم اشياع فى قول الجمهور وقيل زوج خالتها اشياع فالله أعلم

وقد ذكر محمد بن اسحاق وغيره ان ام مريم كانت لا تحبل فرأت يوما طائرا يزق فرخا له فاشتهت

الولد فنذرت لله ان حملت لتجعلن ولدها محرراً أى حبيساً فى خدمة بيت المقدس قالوا فحاضت من فورها فلما طهرت واقعها بعلها فحملت بمريم عليها السلام (فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى والله اعلم بما وضعت) وقرى بضم التاء (وليس الذكر كالانثى) أى فى خدمة بيت المقدس وكانوا فى ذلك الزمان ينذرون لبيت المقدس خداما من أولادهم وقولها (وانى سميتها مريم) استدل به على تسمية المولود يوم يولد وكما ثبت فى الصحيحين عن أنس فى ذهابه باخيه الى رسول الله (ص.) فحنك اخاه وسماه عبد الله . وجاء فى حديث الحسن عن سمرة مرفوعا « كل غلام رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ويسمى ويحلق رأسه» رواه احمد وأهل السنن وصححه الترمذى وجاء فى بعض ألفاظه ويدمى بدل ويسمى وصححه بعضهم والله أعلم . وقولها (وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) قد استجيب لها فى هذا كما تقبل منها نذرها فقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهرى عن ابن المسيب عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (مامن مولود إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه إلا مريم وابنها) ثم يقول أبو هريرة واقرؤا ان شئتم (وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) أخرجاه من حديث عبد الرزاق ورواه ابن جرير عن احمد بن الفرج عن بقية عن عبدالله بن الزبيدى عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى (ص) بنحوه . وقال احمد أيضا حدثنا اسماعيل بن عمر حدثنا ابن أبى ذؤيب عن عجلان مولى المشمعل عن أبى هريرة عن النبى (ص.) قال (كل مولود من بنى آدم يمسه الشيطان باصبعه إلا مريم بنت عمران وابنها عيسى) . تفرد به من هذا الوجه ورواه مسلم عن أبى الطاهر عن ابن وهب عن عمر بن الحارث عن أبى يونس عن أبى هريرة عن النبى (ص) بنحوه . وقال احمد حدثنا هشيم حدثنا حفص بن ميسرة عن العلاء عن ابيه عن أبى هريرة أن النبى (ص.) قال (كل انسان تلده أمه يلكزه الشيطان فى حضينه إلا ماكان من مريم وابنها ألم تر إلى الصبى حين يسقط كيف يصرخ قالوا بلى يارسول الله قال ذلك حين يلكزه الشيطان بحضينه وهذا على شرط مسلم ولم يخرجه من هذا الوجه ورواه قيس عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله ص (مامن مولود إلا وقد عصره الشيطان عصرة أوعصرتين إلا عيسى بن مريم ومريم) ثم قرأ رسول الله (ص.) (وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) وكذا رواه محمد بن اسحاق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبى هريرة عن النبى ص باصل الحديث . وقال الامام احمد حدثنا عبد الملك حدثنا المغيرة هو ابن عبدالله الحزامى عن ابى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة عن النبى (ص.) قال (كل بنى آدم يطعن الشيطان فى جنبه حين يولد إلا عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن فى الحجاب). وهذا على شرط الصحيحين ولم يخرجوه من هذا الوجه . وقوله (فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا) ذكر كثير من المفسرين أن أمها حين وضعتها لفتها فى خروقها ثم خرجت بها

الى المسجد فسلمتها الى العباد الذين هم مقيمون به وكانت ابنة امامهم وصاحب صلاتهم فتنازعوا فيها . والظاهر انها انما سلمتها اليهم بعد رضاعها وكفالةمثلها فى صغرها . ثم لما دفعتها اليهم تنازعوا فى أيهم يكفلها وكان زكريا نبيهم فى ذلك الزمان وقد أراد أن يستبد بها دونهم من أجل أن زوجته اختها أوخالتها على القولين فشاحوه فى ذلك وطلبوا أن يقترع معهم فساعدته المقادير فخرجت قرعته غالبة لهم وذلك أن الخالة بمنزلة الأم . قال الله تعالى (وكفلها زكريا) أى بسبب غلبه لهم فى القرعة كما قال تعالى (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون) . قالوا وذلك أن كلا منهم ألقى قلمه معروفا به ثم حملوها ووضعوها فى موضع وأمروا غلاما لم يبلغ الحنث فاخرج واحدا منها وظهر قلم زكريا عليه السلام فطلبوا أن يقترعوا مرة ثانية وأن يكون ذلك بان يلقوا أقلامهم فى النهر فأيهم جرى قلمه على خلاف جريه فى الماء فهو الغالب ففعلوا فكان قلم زكريا هو الذى جرى على خلاف جرية الماء وسارت أقلامهم مع الماء ثم طلبوا منه أن يقترعوا ثالثة فايهم جرى قلمه مع الماء ويكون بقية الاقلام قد انعكس سيرها صعدا فهو الغالب ففعلوا فكان زكريا هو الغالب لهم فكفلها اذ كان احق بها شرعا وقدراً لوجوه عديدة . قال الله تعالى (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) قال المفسرون اتخذ لها زكريا مكانا شريفاً من المسجد لايدخله سواه فكانت تعبد الله فيه وتقوم بما يجب عليها من سدانة البيت اذا جاءت نوبتها وتقوم بالعبادة ليلها ونهارها حتى صارت يضرب بها المثل بعبادتها فى بنى اسرائيل واشتهرت بما ظهر عليها من الأحوال الكريمة والصفات الشريفة حتى انه كان نبى الله زكريا كلما دخل عليها موضع عبادتها يجد عندها رزقا غريباً فى غير أوانه فكان يجد عندها فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف فيسألها (أنى لك هذا فتقول هو من عند الله) أى رزق رزقنيه الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب فعند ذلك وهنالك طمع زكريا فى وجود ولد من صلبه وان كان قد اسن وكبر (قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء) . قال بعضهم قال يامن يرزق مريم الثمر فى غير أوانه هب لى ولداً وان كان فى غير أوانه فكان من خبره وقضيته ماقدمنا ذكره فى قصته .

(اذ قالت الملائكة يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين . يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين . ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم إذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون . إذ قالت الملائكة يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً فى الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين . قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق مايشاء اذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون . ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بنى اسرائيل أنى قد

جئتكم بآية من ربكم أنى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً باذن الله وأبرىء الأكمه والأبرص واحيى الموتى باذن الله وأنبئكم بما تأكلون وماتدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين . ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون . ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم)

يذكر تعالى أن الملائكة بشرت مريم باصطفاء الله لها من بين سائر نساء عالمى زمانها بأن اختارها لايجاد ولد منها من غير أب وبشرت بان يكون نبياً شريفاً (يكلم الناس فى المهد) أى فى صغره يدعوهم الى عبادة الله وحده لاشريك له وكذلك فى حال كهولته فدل على أنه يبلغ الكهولة ويدعو الى الله فيها وأمرت بكثرة العبادة والقنوت والسجود والركوع لتكون أهلا لهذه الكرامة ولتقوم بشكر هذه النعمة فيقال إنها كانت تقوم فى الصلاة حتى تفطرت قدماها رضى الله عنها ورحمها ورحم أمها وأباها فقول الملائكة (يامريم ان الله اصطفاك) أى اختارك واجتباك (وطهرك) أى من الاخلاق الرذيلة واعطاك الصفات الجميلة (واصطفاك على نساء العالمين) . يحتمل أن يكون المراد عالمى زمانها كقوله لموسى انى اصطفيتك على الناس وكقوله عن بنى اسرائيل (ولقد اخترناهم على علم على العالمين) ومعلوم أن ابراهيم عليه السلام افضل من موسى وان محمداً (ص) أفضل منهما وكذلك هذه الامة أفضل من سائر الامم قبلها وأكثر عدداً وافضل علما وازكى عملا من بنى اسرائيل وغيرهم . ويحتمل أن يكون قوله (واصطفاك على نساء العالمين) محفوظ العموم فتكون أفضل نساء الدنيا ممن كان قبلها ووجد بعدها لانها إن كانت نبية على قول من يقول بنبوتها ونبوة سارة أم اسحاق ونبوة أم موسى محتجاً بكلام الملائكة والوحى الى أم موسى كما يزعم ذلك ابن حزم وغيره فلا يمتنع على هذا أن يكون مريم أفضل من سارة وأم موسى لعموم قوله (واصطفاك على نساء العالمين) إذ لم يعارضه غيره والله أعلم * وأما قول الجمهور كما قد حكاه أبو الحسن الاشعرى وغيره عن أهل السنة والجماعة من أن النبوة مختصة بالرجال وليس فى النساء نبية فيكون أعلى مقامات مريم كما قال الله تعالى (ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة) فعلى هذا لا يمتنع أن تكون أفضل الصديقات المشهورات ممن كان قبلها وممن يكون بعدها والله أعلم . وقد جاء ذكرها مقرونا مع آسية بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد رضى الله عنهن وأرضاهن .

وقد روى الامام احمد والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى من طرق عديدة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبدالله بن جعفر عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله (ص) خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد . وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن قتادة عن انس قال قال رسول الله (ص) (حسبك من نساء العالمين باربع مريم بنت عمران وآسية

امراة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد) ورواه الترمذى عن ابى بكر بن زانجويه عن عبد الرزاق به وصححه ورواه ابن مردويه من طريق عبد الله بن ابى جعفر الرازى وابن عساكر من طريق تميم بن زياد كلاهما عن أبى جعفر الرازى عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله (ص) خير نساء العالمين اربع (مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد رسول الله) وقال الامام احمد حدثنا عبدالرزاق حدثنا معمر عن الزهرى عن ابن المسيب قال كان أبوهريرة يحدث أن النبى (ص) قال خير نساء ركبن الابل صالح نساء قريش احناه على ولد فى صغره وارعاه لزوج فى ذات يده قال أبو هريرة ولم تركب مريم بعيراً قط. وقد رواه مسلم فى صحيحه عن محمد بن رافع وعبد بن حميد كلاهما عن عبدالرزاق به. وقال احمد حدثنا زيد بن الجباب حدثنى موسى بن على سمعت أبى يقول سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله (ص) خير نساء ركبن الابل نساء قريش احناه على ولد فى صغره وأرأفه بزوج على قلة ذات يده قال أبوهريرة وقد علم رسول الله (ص) أن ابنة عمران لم تركب الابل تفرد به وهو على شرط الصحيح * ولهذا الحديث طرق اخر عن أبى هريرة * وقال أبو يعلى الموصلى حدثنا زهير حدثنا يونس بن محمد حدثنا داود بن ابى الفرات عن علباء بن احمر عن عكرمة عن ابن عباس قال خط رسول الله (ص) فى الارض أربع خطوط فقال اتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم فقال رسول الله (ص) أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ورواه النسائى من طرق عن داود أبى هند. وقد رواه ابن عساكر من طريق أبى بكر عبدالله بن أبى داود سليمان بن الاشعث حدثنا يحيى بن حاتم العسكرى نبأنا بشر بن مهران بن حمدان حدثنا محمد بن دينار عن داود بن ابى هند عن الشعبى عن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله (ص) حسبك منهن أربع سيدات نساء العالمين فاطمة بنت محمد وخديجة بنت خويلد وآسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران. وقال أبوالقاسم البغوى حدثنا وهب بن منبه حدثنا خالد بن عبدالله الواسطى عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن عائشة انها قالت لفاطمة أرأيت حين اكببت على رسول الله (ص) فبكيت ثم ضحكت قالت اخبرنى انه ميت من وجعه هذا فبكيت ثم اكببت عليه فاخبرنى انى أسرع أهله لحوقاً به وانى سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران فضحكت واصل هذا الحديث فى الصحيح. وهذا اسناد على شرط مسلم وفيه انهما أفضل الاربع المذكورات. وهكذا الحديث الذى رواه الامام احمد حدثنا عثمان بن محمد حدثنا جرير عن يزيد هو ابن ابى زياد عن عبدالرحمن بن أبى نعيم عن ابى سعيد قال قال رسول الله (ص) فاطمة سيدة نساء أهل الجنة الا ما كان من مريم بنت عمران اسناد حسن وصححه الترمذى ولم يخرجوه وقد روى نحوه من حديث على بن أبى طالب ولكن فى اسناده ضعف * والمقصود أن هذا يدل على ان مريم وفاطمة افضل هذه الاربع . ثم يحتمل الاستثناء أن تكون مريم أفضل من فاطمة ويحتمل أن يكونا على السواء

فى الفضـيلة لـكن ورد حديث ان صح عين الاحتمال الأول فقال الحافظ أبو القاسم بن عسا كر انبأنا ابو الحسن بن الفرا وابوغالب وأبو عبدالله ابنا البنا قالوا أنبأنا أبوجعفر بن المسلمة انبأنا أبوطاهر المخلص حدثنا احمد بن سليمان حدثنا الزبيرهو بن بكار حدثنا محمد بن الحسن عن عبدالعزيز بن محمد عن موسى بن عقبة عن كريب عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص.) سيدة نساء أهل الجنة مريم بنت عمران ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية امرأة فرعون فان كان هـذا اللفظ محفوظاً بثم التى للترتيب فهو مبين لاحد الاحتمالين اللذين دل عليهما الاستثناء وتقدم على ما تقـدم من الألفاظ التى وردت بواو العطف التى لاتقتضى الترتيب ولا تنفيه والله أعلم .

وقد روى هذا الحديث أبوحاتم الرازى عن داود الجعفرى عن عبدالعزيز بن محمد وهو الدراوردى عن ابراهيم بن عقبة عن كريب عن ابن عباس مرفوعا فذكره بواو العطف لابثم الترتيبية فخالفه اسنادا ومتناً فالله اعلم . فاما الحديث الذى رواه ابن مردويه من حديث شعبة عن معاوية بن قرة عن أبيه قال قال رسول الله (ص.) كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الاثلاث مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام . وهكذا الحديث الذى رواه الجماعة الا أبا داود من طرق عن شـعبة عن عمرو بن مرة عن مرة الهمدانى عن أبى موسى الاشعرى قال قال رسول الله (ص.) كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا آسـية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام . فانه حديث صحيح كما ترى اتفق الشيخان على اخراجه ولفظه يقتضى حصر الكمال فى النساء فى مريم وأسية ولعل المراد بذلك فى زمانهما فان كلا منهما كفلت نبياً فى حال صغره فاسية كفلت موسى الكليم ومريم كفلت ولدها عبدالله ورسوله فلا ينفى كمال غيرهما فى هذه الأمة كخديجة وفاطمة فخديجة خدمت رسول الله (ص.) قبل البعثة خمسة عشر سنة و بعدها ازيد من عشر سنين وكانت له وزير صدق بنفسها ومالها رضى الله عنها وارضاها وأما فاطمة بنت رسول الله (ص.) فانها خصت بمزيد فضيلة على اخواتها لانها اصيبت برسول الله (ص.) وبقية اخواتها متن فى حيات النبى (ص.) وأما عائشة فانها كانت أحب أزواج رسول الله (ص.) اليه ولم يتزوج بكراً غيرها ولا يعرف فى سائر النساء فى هذه الامة بل ولا فى غيرها أعلم منها ولا أفهم وقد غار الله لها حين قال لها أهل الافك ماقالوا فانزل برائتها من فوق سبع سموات وقد عمرت بعـد رسول الله (ص.) قريباً من خمسين سنة تبلغ عنه القران والسنة وتفتى المسلمين وتصلح بين المختلفين وهى أشرف أمهات المؤمنين حتى خديجة بنت خويلد أم البنات والبنين فى قول طائفة من العلماء السابقين واللاحقين والاحسن الوقف فيهما رضى الله عنهما وماذاك الا لأن قوله (ص.) وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام يحتمل أن يكون عاما بالنسبة الى المذكورات وغيرهن ويحتمل أن يكون عاما بالنسبة الى ماعدى المذكورات والله أعلم

والمقصود ههنا ذكر مايتعلق بمريم بنت عمران عليها السلام فان الله طهرها واصطفاها على نساء عالمي زمانها ويجوز أن يكون تفضيلها على النساء مطلقاً كما قدمنا . وقد ورد فى حديث انها تكون من أزواج النبي (ص) فى الجنة هى واسية بنت مزاحم . وقد ذكرنا فى التفسير عن بعض السلف انه قال ذلك واستأنس بقوله ثيبات وابكارا قال فالثيب اسية ومن الابكار مريم بنت عمران. وقد ذكرناه فى آخر سورة التحريم فالله أعلم .

قال الطبرانى حدثنا عبدالله بن ناجية حدثنا محمد بن سعد العوفى حدثنا أبى أنبأنا عمى الحسين حدثنا يونس بن نفيع عن سعد بن جنادة هو العوفى قال قال رسول الله (ص) إن الله زوجنى فى الجنة مريم بنت عمران وامرأة فرعون وأخت موسى . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا ابراهيم بن عرعرة حدثنا عبد النور بن عبد الله حدثنا يونس بن شعيب عن أبى امامة قال قال رسول الله (ص) أشعرت أن الله زوجنى مريم بنت عمران واسية بنت مزاحم وكلثم أخت موسى رواه ابن جعفر العقيلى من حديث عبد النور به وزاد فقلت هنيأ لك يارسول الله . ثم قال العقيلى وليس بمحفوظ . وقال الزبير بن بكار حدثنى محمد بن الحسن عن يعلى بن المغيرة عن ابن أبى داود قال دخل رسول الله (ص) على خديجة وهى فى مرضها الذى توفيت فيه فقال لها بالكره منى ماأرى منك ياخديجة وقد يجعل الله فى الكره خيراً كثيراً أما علمت أن الله قد زوجنى معك فى الجنة مريم بنت عمران وكلثم أخت موسى وآسية امرأة فرعون قالت وقد فعل الله بك ذلك يارسول الله قال نعم قالت بالرفاء والبنين * وروى ابن عساكر من حديث محمد بن زكريا الغلابى حدثنا العباس بن بكار حدثنا أبو بكر الهزلى عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله (ص) دخل على خديجة وهى فى مرض الموت فقال ياخديجة اذا لقيت ضرائرك فاقرئهن منى السلام قالت يارسول الله وهل تزوجت قبلى قال لا ولكن الله زوجنى مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وكلثم أخت موسى وروى ابن عساكر من طريق سويد بن سعيد حدثنا محمد بن صالح بن عمر عن الضحاك ومجاهد عن ابن عمر قال نزل جبريل الى رسول الله (ص) بما أرسل به وجلس يحدث رسول الله (ص) اذ مرت خديجة فقال جبريل من هذه يامحمد قال هذه صديقة أمتى قال جبريل معى اليها رسالة من الرب عزوجل يقرئها السلام ويبشرها ببيت فى الجنة من قصب بعيد من اللهب لا نصب فيه ولا صخب قالت الله السلام ومنه السلام والسلام عليكما ورحمة الله وبركاته على رسول الله ما ذلك البيت الذى من قصب قال لؤلؤة جوفاء بين بيت مريم بنت عمران وبيت آسية بنت مزاحم وهما من أزواجى يوم القيامة .وأصل السلام على خديجة من الله وبشارتها ببيت فى الجنة من قصب لاصخب فيه ولا وصب فى الصحيح ولكن هذا السياق بهذه الزيادات غريب جدا . وكل من هذه الاحاديث فى أسانيدها نظر. وروى ابن عساكر من حديث أبى زرعة الدمشقى حدثنا عبدالله بن صالح

حدثنى معاوية عن صفوان بن عمرو عن خالد بن معدان عن كعب الاحبار أن معاوية سأله عن الصخرة يعنى صخرة بيت المقدس فقال الصخرة على نخلة والنخلة على نهر من أنهار الجنة وتحت النخلة مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم ينظمان سموط أهل الجنة حتى تقوم الساعة. ثم رواه من طريق اسماعيل عن عياش عن ثعلبة بن مسلم عن مسعود عن عبد الرحمن عن خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت عن النبى ﷺ بمثله وهذا منكر من هذا الوجه بل هو موضوع قد رواه أبو زرعة عن عبد الله بن صالح عن معاوية عن مسعود بن عبد الرحمن عن ابن عابد أن معاوية سأل كعبا عن صخرة بيت المقدس فذكره قال الحافظ بن عساكر وكونه من كلام كعب الاحبار أشبه. قلت وكلام كعب الاحبار هذا انما تلقاه من الاسرائيليات التى منها ماهو مكذوب مفتعل وضعه بعض زنادقتهم أوجهالهم وهذا منه والله أعلم*

ميلاد العبد الرسول عيسى بن مريم البتول

قال الله تعالى (واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا . قالت انى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا. قال انما أنا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا . قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا . قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضيا . فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فاجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها أن لاتحزنى قد جعل ربك تحتك سريا . وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلى واشربى وقرى عينا فاما ترين من البشر أحداً فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا . فاتت به قومها تحمله قالوا يامريم لقد جئت شيئا فريا. ياأخت هرون ما كان أبوك أمرء سوء وما كانت أمك بغيا فاشارت اليه قالو كيف نكلم من كان فى المهد صبيا قال إنى عبدالله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا . وجعلنى مباركا اينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا. ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون. ماكان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون وان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم. فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم .)

ذكر تعالى هذه القصة بعد قصة زكريا التى هى كالمقدمة لها والتوطئة قبلها كما ذكر فى سورة آل عمران قرن بينهما فى سياق واحد وكما قال فى سورة الانبياء (وزكريا اذ نادى ربه رب لاتذرنى فردا وانت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين . والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين)

وقد تقدم أن مريم لما جعلتها أمها محررة تخدم بيت المقدس وانه كفلها زوج أختها أو خالتها نبي ذلك الزمان زكريا عليه السلام وانه اتخذ لها محرابا وهو المكان الشريف من المسجد لا يدخله أحد عليها سواه وانها لما بلغت اجتهدت فى العبادة فلم يكن فى ذلك الزمان نظيرها فى فنون العبادات وظهر عليها من الاحوال ماغبطها به زكريا عليه السلام وأنها خاطبتها الملائكة بالبشارة لها باصطفاء الله لها وبانه سيهب لها ولداً زكيا يكون نبيا كريما طاهراً مكرما مؤيدا بالمعجزات فتعجبت من وجود ولد من غير والد لانها لا زوج لها ولا هى ممن تتزوج فاخبرتها الملائكة بان الله قادر على مايشاء اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون فاستكانت لذلك وانابت وسلمت لامر الله وعلمت أن هذا فيه محنة عظيمة لها فان الناس يتكلمون فيها بسببه لانهم لا يعلمون حقيقة الامر وانما ينظرون الى ظاهر الحال من غير تدبر ولا تعقل وكانت انما تخرج من المسجد فى زمن حيضها أو لحاجة ضرورية لابد منها من استقاء ماء أو تحصيل غذاء فبينما هى يوما قد خرجت لبعض شؤونها (وانتبذت) أى انفردت وحدها شرقى المسجد الاقصى اذ بعث الله اليها الروح الامين جبريل عليه السلام (فتمثل لها بشرا سويا) فلما رأته (قالت انى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) . قال أبو العالية علمت أن التقى ذو نهية وهذا يرد قول من زعم انه كان فى بنى اسرائيل رجل فاسق مشهور بالفسق اسمه تقى فان هذا قول باطل بلا دليل وهو من أسخف الاقوال (قال انما أنا رسول ربك) أى خاطبها الملك قائلا انما أنا رسول ربك لست ببشر ولكنى ملك بعثنى الله اليك (ليهب لك غلاما زكيا) أى ولدا زكيا (قالت انى يكون لى غلام) أى كيف يكون لى غلام أو يوجد لى ولد (ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا) أى ولست ذات زوج وما أنا ممن يفعل الفاحشة (قال كذلك قال ربك هو على هين) أى فاجابها الملك عن تعجبها من وجود ولد منها والحالة هذه قائلا (كذلك قال ربك) أى وعد أنه سيخلق منك غلاما ولست بذات بعل ولا تكونين ممن تبغين (هو على هين) أى وهذا سهل عليه ويسير لديه فانه على مايشاء قدير . وقوله (ولنجعله اية للناس) أى ولنجعل خلقه والحالة هذه دليلا على كمال قدرتنا على أنواع الخلق فانه تعالى خلق ادم من غير ذكر ولا أنثى وخلق حواء من ذكر بلا أنثى وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر وخلق بقية الخلق من ذكر وأنثى . وقوله (ورحمة منا) أى نرحم به العباد بان يدعوهم الى الله فى صغره وكبره فى طفوليته وكهوليته بأن يفردوا الله بالعبادة وحده لاشريك له وينزهوه عن اتخاذ الصاحبة والاولاد والشركاء والنظراء والاضداد والانداد . وقوله (وكان أمراً مقضيا) . يحتمل أن يكون هذا من تمام كلام جبريل معها يعنى ان هذا أمر قد قضاه الله وحتمه وقدره وقرره وهذا معنى قول محمد بن اسحاق واختاره ابن جرير ولم يحك سواه والله أعلم . ويحتمل أن يكون قوله (وكان أمرا مقضيا) كناية عن نفخ جبريل فيها كما قال تعالى (ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا) . فذكر غير واحد من السلف ان جبريل نفخ فى جيب درعها فنزلت

النفخة الى فرجها فحملت من فورها كما تحمل المرأة عند جماع بعلها. ومن قال انه نفخ فى فمها أو ان الذى كان يخاطبها هو الروح الذى ولج فيها من فمها فقوله خلاف مايفهم من سياقات هذه القصة فى محالها من القرآن فان هذا السياق يدل على أن الذى أرسل اليها ملك من الملائكة وهو جبريل عليه السلام وانه إنما نفخ فيها ولم يواجه الملك الفرج بل نفخ فى جيبها فنزلت النفخة إلى فرجها فانسلكت فيه كما قال تعالى (فنفخنا فيه من روحنا) يدل على أن النفخة ولجت فيه لافى فمها كما روى عن أبى بن كعب ولا فى صدرها كما رواه السدى باسناده عن بعض الصحابة ولهذا قال تعالى (فحملته) أى حملت ولدها (فانتبذت به مكاناً قصيا) وذلك لأن مريم عليها السلام لما حملت ضاقت به ذرعاً وعلمت أن كثيراً من الناس سيكون منهم كلام فى حقها فذكر غير واحد من السلف منهم وهب بن منبه انها لما ظهرت عليها مخايل الحمل كان أول من فطن لذلك رجل من عباد بنى اسرائيل يقال له يوسف بن يعقوب النجار وكان ابن خالها فجعل يتعجب من ذلك عجباً شديداً وذلك لما يعلم من ديانتها ونزاهتها وعبادتها وهو مع ذلك يراها حبلى وليس لها زوج فعرض لها ذات يوم فى الكلام فقال يامريم هل يكون زرع من غير بذر قالت نعم فمن خلق الزرع الأول . ثم قال فهل يكون شجر من غير ماء ولا مطر قالت نعم فمن خلق الشجر الاول ثم قال فهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم ان الله خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى قال لها فأخبرينى خبرك فقالت إن الله بشرنى (بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين) ويروى مثل هذا عن زكريا عليه السلام أنه سألها فأجابته بمثل هذا والله أعلم *

وذكر السدى باسناده عن الصحابة أن مريم دخلت يوماً على أختها فقالت لها أختها اشعرت أنى حبلى فقالت مريم وشعرت أيضاً أنى حبلى فاعتنقتها وقالت لها أم يحيى إنى أرى مافى بطنى يسجد لما فى بطنك وذلك قوله (مصدقا بكلمة من الله) ومعنى السجود ههنا الخضوع والتعظيم كالسجود عند المواجهة للسلام كما كان فى شرع من قبلنا وكما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم * وقال أبو القاسم قال مالك بلغنى أن عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ابنا خالة وكان حملهما جميعاً معاً فبلغنى أن أم يحيى قالت لمريم انى أرى مافى بطنى يسجد لما فى بطنك قال مالك أرى ذلك لتفضيل عيسى عليه السلام لأن الله تعالى جعله يحيى الموتى ويبرىء الأكمه والابرص. رواه ابن أبى حاتم وروى عن مجاهد قال قالت مريم كنت إذا خلوت حدثنى وكلمنى واذا كنت بين الناس سبح فى بطنى *

ثم الظاهر أنها حملت به تسعة أشهر كما تحمل النساء ويضعن لميقات حملهن ووضعهن إذ لو كان خلاف ذلك لذكر . وعن ابن عباس وعكرمة أنها حملت به ثمانية أشهر وعن ابن عباس ماهو إلا أن حملت به فوضعته قال بعضهم حملت به تسع ساعات واستأنسوا لذلك بقوله (فحملته فانتبذت به مكاناً قصيا فأجاءها

المخاض الى جـذع النخلة) والصحيح أن تعقيب كل شيء بحسبه لقوله (فتصبح الأرض مخضرة) وكقوله (فخلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) * ومعلوم أن بين كل حالين أربعين يوماً كما ثبت فى الحديث المتفق عليه .

قال محمد بن اسحاق شاع واشتهر فى بني اسرائيل أنها حامل فما دخل على أهل بيت مادخل على آل بيت زكريا . قال واتهمها بعض الزنادقة بيوسف الذى كان يتعبد معها فى المسجد وتوارت عنهم مريم واعتزلتهم وانتبذت مكاناً قصيا وقوله (فأجاءها المخاض الى جذع النخلة) أى فالجأها واضطرها الطلق الى جذع النخلة وهو بنص الحديث الذى رواه النسائى باسناد لابأس به عن أنس مرفوعا والبيهقى باسناد وصححه عن شداد بن أوس مرفوعاً أيضا ببيت لحم الذى بنى عليه بعض ملوك الروم فيما بعد على ماسنذكره هذا البناء المشاهد الهائل (قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً) فيه دليل على جواز تمنى الموت عند الفتن وذلك أنها علمت أن الناس يتهمونها ولا يصدقونها بل يكذبونها حين تأتيهم بغلام على يدها مع أنها قد كانت عندهم من العابدات الناسكات المجاورات فى المسجد المنقطعات اليـه المعتكفات فيه ومن بيت النبوة والديانة فحملت بسبب ذلك من الهم ماتمنت ان لو كانت ماتت قبل هـذا الحال أو كانت (نسياً منسياً) أى لم تخلق بالكلية . وقوله (فناداها مَن تحتها) وقرىء من تحتها على الخفض وفى المضمر قولان أحدهما أنه جبريل قاله العوفى عن ابن عباس قال ولم يتكلم عيسى إلا بحضرة القوم وهكذا قال سعيد بن جبير وعمرو بن ميمون والضحاك والسدى وقتادة . وقال مجاهد والحسن وابن زيد وسعيد بن جبير فى رواية هو ابنها عيسى واختاره ابن جرير . وقوله (أن لاتحزنى قد جعل ربك تحتك سريا) قيل النهر واليـه ذهب الجمهور . وجاء فيـه حديث رواه الطبرانى لكنه ضعيف واختاره ابن جرير وهو الصحيح وعن الحسن والربيع بن أنس وابن اسـلم وغيرهم أنه ابنهـا والصحيح الأول لقوله (وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً) فذكر الطعام والشراب ولهـذا قال (فكلى واشربى وقرى عينا) . ثم قيـل كان جذع النخلة يابساً وقيل كانت نخلة مثمرة فالله أعلم . ويحتمل أنها كانت نخـلة لكنها لم تكن مثمرة إذ ذاك لأن ميلاده كان فى زمن الشتاء وليس ذاك وقت ثمر وقـد يفهم ذلك من قوله تعالى على سبيل الامتنان (تساقط عليك رطباً جنياً) قال عمرو بن ميمون ليس شيء أجود للنفساء من التمر والرطب ثم تلا هـذه الآية . وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا شيبان حدثنا مسرور بن سعيد التميمى حدثنا عبد الرحمن بن عمرو الانصارى عن عروة بن رويم عن على بن أبى طالب قال قال رسول الله (ص) (أكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من الطين الذى خلق منه آدم وليس من الشجر شيء يلقح غيرها وقال رسول الله (ص) (أطعموا نساءكم الولد الرطب فان لم يكن رطب فتمر وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة نزلت تحتها

مريم بنت عمران . وكذا رواه أبو يعلى فى مسنده عن شيبان بن فروخ عن مسروق بن سعيد وفى رواية مسرور بن سعد . والصحيح مسرور بن سعيد التميمى أورد له ابن عدى هذا الحديث عن الاوزاعى به ثم قال وهو منكر الحديث ولم اسمع بذكره إلا فى هذا الحديث. وقال ابن حبان يروى عن الأوزاعى المناكير الكثيرة التى لا يجوز الاحتجاج بمن يرويها . وقوله (فاما ترين من البشر أحدا فقولى إنى نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً) . وهذا من تمام كلام الذى ناداها من تحتها قال (كلى واشربى وقرى عينا فاما ترين من البشر أحداً) أى فان رأيت أحداً من الناس (فقولى) له أى بلسان الحال والاشارة (إنى نذرت للرحمن صوماً) أى صمتاً وكان من صومهم فى شريعتهم ترك الكلام والطعام قاله قتادة والسدى وابن اسلم ويدل على ذلك قوله (فلن أكلم اليوم إنسياً) فأما فى شريعتنا فيكره للصائم صمت يوم إلى الليل وقوله تعالى (فاتت به قومها تحمله قالوا يامريم لقد جئت شيئاً فريا . ياأخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا) ذكر كثير من السلف ممن ينقل عن أهل الكتاب أنهم لما افتقدوها من بين أظهرهم ذهبوا فى طلبها فمروا على محلتها والأنوار حولها فلما واجهوها وجدوا معها ولدها فقالوا لها (يامريم لقد جئت شيئاً فريا) أى امراً عظيما منكراً . وفى هذا الذى قالوه نظر مع أنه كلام ينقض أوله آخره وذلك لأن ظاهر سياق القرآن العظيم يدل على أنها حملت بنفسها واتت به قومها وهى تحمله * قال ابن عباس وذلك بعد ماتعلت من نفاسها بعد أربعين يوما *

والمقصود أنهم لما رأوها تحمل معها ولدها (قالوا يامريم لقد جئت شيئا فريا) والفرية هى الفعلة المنكرة العظيمة من الفعال والمقال ثم قالوا لها (ياأخت هرون) قيل شبهوها بعابد من عباد زمانهم كانت تساميه فى العبادة وكان اسمه هرون وقيل شبهوها برجل فاجر فى زمانهم اسمه هرون . قاله سعيد بن جبير وقيل أرادوا بهرون أخا موسى شبهوها به فى العبادة . واخطأ محمد بن كعب القرظى فى زعمه أنها أخت موسى وهرون نسباً فان بينهما من الدهور الطويلة مالا يخفى على أدنى من عنده من العلم ما يرده عن هذا القول الفظيع وكأنه غره أن فى التوراة أن مريم أخت موسى وهرون ضربت بالدف يوم نجا الله موسى وقومه وأغرق فرعون وملأه فاعتقد أن هذه هى هذه وهذا فى غاية البطلان والمخالفة للحديث الصحيح مع نص القرآن كما قررناه فى التفسير مطولا ولله الحمد والمنه . وقد ورد الحديث الصحيح الدال على أنه قد كان لها أخ اسمه هرون وليس فى ذكر قصة ولادتها وتحرير أمها لها مايدل على أنها ليس لها أخ سواها والله أعلم . قال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن ادريس سمعت أبى يذكره عن سماك عن علقمة ابن وائل عن المغيرة بن شعبة قال بعثنى رسول الله (ص) إلى نجران فقالوا أرأيت ماتقرؤن (ياأخت هرون) وموسى قبل عيسى بكذا وكذا قال فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله (ص) فقال (ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالانبياء والصالحين قبلهم) وكذا رواه مسلم والنسائى والترمذى من حديث

عبدالله بن إدريس وقال الترمذى حسن صحيح غريب لانعرفه إلا من حديثه و فى رواية (ألا أخبرتهم أنهم كانوا يتسمون بأسماء صالحيهم وأنبيائهم) وذكر قتادة وغيره أنهم كانوا يكثرون من التسمية بهرون حتى قيل إنه حضر بعض جنائزهم بشر كثير منهم ممن يسمى بهرون أربعون ألفاً فالله أعلم *

والمقصود أنهم قالوا (ياأخت هرون) ودل الحديث على أنها قد كان لها أخ نسبى اسمه هرون وكان مشهوراً بالدين والصلاح والخير ولهذا قالوا (ماكان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً) أى لست من بيت هذا شيمتهم ولا سجيتهم لاأخوك ولا أمك ولا أبوك فاتهموها بالفاحشة العظمى ورموها بالداهية الدهياء فذكر ابن جرير فى تأريخه أنهم اتهموا بها زكريا وأرادوا قتله ففر منهم فلحقوه وقد انشقت له الشجرة فدخلها وأمسك أبليس بطرف ردائه فنشروه فيها كما قدمنا ، ومن المنافقين من اتهمها بابن خالها يوسف بن يعقوب النجار فلما ضاق الحال وانحصر المجال وامتنع المقال عظم التوكل على ذى الجلال ولم يبق إلا الاخلاص والاتكال (فأشارت اليه) أى خاطبوه وكلموه فان جوابكم عليه وما تبغون من الكلام لديه . فعندها (قالوا) من كان منهم جباراً شقيا (كيف نكلم من كان فى المهد صبياً) أى كيف تحيلينا فى الجواب على صبى صغير لايعقل الخطاب وهو مع ذلك رضيع فى مهده ولا يميز بين محض وزبده وما هذا منك إلا على سبيل التهكم بنا والاستهزاء والتنقص لنا والازدراء إذ لاتردين علينا قولا نطقيا بل تحيلين فى الجواب على من كان فى المهد صبياً فعندها (قال إنى عبدالله آتانى الكتاب وجعلنى نبياً . وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا وبراً بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقياً . والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) . هذا أول كلام تفوه به عيسى بن مريم فكان أول ماتكلم به أن (قال انى عبدالله) اعترف لربه تعالى بالعبودية وأن الله ربه فنزه جناب الله عن قول الظالمين فى زعمهم انه ابن الله بل هو عبده ورسوله وابن أمته ثم برأ أمه مما نسبها اليه الجاهلون وقذفوها به ورموها بسببه بقوله (آتانى الكتاب وجعلنى نبياً) فان الله لايعطى النبوة من هو كما زعموا لعنهم الله وقبحهم كما قال تعالى (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيما) وذلك أن طائفة من اليهود فى ذلك الزمان قالوا إنها حملت به من زنا فى زمن الحيض لعنهم الله فبرأها الله من ذلك وأخبر عنها أنها صديقة واتخذ ولدها نبياً مرسلا أحد أولى العزم الخمسة الكبار ولهذا قال (وجعلنى مباركا أينما كنت) وذلك أنه حيث كان دعا إلى عبادة الله وحده لاشريك له ونزه جنابه عن النقص والعيب من اتخاذ الولد والصاحبة تعالى وتقدس (وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حياً) وهذه وظيفة العبيد فى القيام بحق العزيز الحميد بالصلاة والاحسان إلى الخليقة بالزكاة وهى تشتمل على طهارة النفوس من الاخلاق الرذيلة وتطهير الأموال الجزيلة بالعطية للمحاويج على اختلاف الاصناف وقرى الاضياف النفقات على الزوجات والارقاء والقرابات وسائر وجوه الطاعات وأنواع القربات. ثم قال (وبراً بوالدتى

ولم يجعلنى جباراً شقيا) أى وجعلنى براً بوالدتى وذلك أنه تأكد حقها عليه لتمحض جهتها إذ لا والد له سواها فسبحان من خلق الخليقة وبرأها وأعطى كل نفس هداها . (ولم يجعلنى جبارا شقياً) أى لست بفظ ولا غليظ ولا يصدر منى قول ولا فعل ينافى أمر الله وطاعته * (والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً) . وهذه الاماكن الثلاثة التى تقدم الكلام عليها فى قصة يحيى بن زكريا عليهما السلام . ثم لما ذكر تعالى قصته على الجلية وبين أمره ووضحه وشرحه قال (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون . ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون) كما قال تعالى بعد ذكر قصته وما كان من أمره فى آل عمران (ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم * إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون * الحق من ربك فلا تكن من الممترين * فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين * إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم * فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين) * ولهذا لما قدم وفد نجران وكانوا ستين راكباً يرجع أمرهم إلى أربعة عشر منهم ويؤول أمر الجميع الى ثلاثة هم أشرافهم وساداتهم وهم العاقب والسيد وأبو حارثة بن علقمة فجعلوا يناظرون فى أمر المسيح فأنزل الله صدر سورة آل عمران فى ذلك وبين أمر المسيح وابتداء خلقه وخلق أمه من قبله وأمر رسوله بان يباهلهم ان لم يستجيبوا له ويتبعوه فلما رأوا عينها واذنيها نكصوا وامتنعوا عن المباهلة وعدلوا إلى المسالمة والموادعة وقال قائلهم وهو العاقب عبد المسيح يامعشر النصارى لقد علمتم أن محمداً لنبى مرسل ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ولقد علمتم أنه مالاعن قوم نبياً قط فبقى كبيرهم ولا نبت صغيرهم وانها للاستئصال منكم ان فعلتم فان كنتم قد أبيتم الا الف دينكم والاقامة على ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فطلبوا ذلك من رسول الله (ص) وسألوه أن يضرب عليهم جزية وأن يبعث معهم رجلا اميناً فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح وقد بينا ذلك فى تفسير آل عمران وسيأتى بسط هذه القضية فى السيرة النبوية إنشاء الله تعالى وبه الثقة *

والمقصود أن الله تعالى بين أمر المسيح قال لرسوله (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون) يعنى من أنه عبد مخلوق من امرأة من عباد الله ولهذا قال (ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون) أى لايعجزه شئ ولا يكترثه ولا يؤوده بل هو القدير الفعال لما يشاء (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) وقوله (إن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) هو من تمام كلام عيسى لهم فى المهد أخبرهم أن الله ربه وربهم وإلهه والههم وأن هذا هو الصراط المستقيم . قال الله تعالى (فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم)

أى فاختلف أهل ذلك الزمان ومن بعدهم فيه فمن قائل من اليهود إنه ولد زنية واستمروا على كفرهم وعنادهم وقابلهم آخرون فى الكفر فقالوا هو الله وقال آخرون هو ابن الله وقال المؤمنون هو عبدالله ورسوله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم ، وروح منه وهؤلاء هم الناجون المثابون المؤيدون المنصورون ومن خالفهم فى شىء من هذه القيود فهم الكافرون الضالون الجاهلون وقد توعدهم العلى العظيم الحكيم العليم بقوله (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم)

قال البخارى حدثنا صدقة بن الفضل أنبأنا الوليد حدثنا الاوزاعى حدثنى عمير بن هانىء حدثنى جنادة بن أبى أمية عن عبادة بن الصامت عن النبى (ص.) قال (من شهد أن لا إله الا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل) قال الوليد فحدثنى عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عمير عن جنادة وزاد من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء . وقد رواه مسلم عن داود بن رشيد عن الوليد عن جابر به ومن طريق أخرى عن الاوزاعى به *

باب بيان أن الله تعالى منزه عن الولد

قال تعالى فى آخر هذه السورة (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً اداً) أى شيئاً عظيما ومنكراً من القول وزورا (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هداً . أن دعوا للرحمن ولدا * وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا * إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً * لقد احصاهم وعدهم عداً * وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً) فبين أنه تعالى لاينبغى له الولد لانه خالق كل شىء ومالكه وكل شىء فقير اليه ، خاضع ذليل لديه وجميع سكان السموات والأرض عبيده وهو ربهم لا إله إلا هو ولا رب سواه كما قال تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون * بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم * ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شىء فاعبدوه وهو على كل شىء وكيل * لاتدركه الأبصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير)* فبين أنه خالق كل شىء فكيف يكون له ولد والولد لايكون إلا بين شيئين متناسبين والله تعالى لا نظير له ولا شبيه له ولا عديل له فلا صاحبة له فلا يكون له ولد كما قال تعالى (قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) تقرر أنه الاحد الذى لا نظير له فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى افعاله (الصمد) وهو السيد الذى كمل فى علمه وحكمته ورحمته وجميع صفاته (لم يلد) أى لم يوجد منه ولد

(ولم يولد) أى ولم يتولد عن شئ قبله (ولم يكن له كفواً أحد) أى وليس له عدل ولا مكافئ ولا مساوٍ فقطع النظير المدانى الأعلى والمساوى فانتفى أن يكون له ولد إذ لايكون الولد إلا متولداً بين شيئين متعادلين أو متقاربين تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا * وقال تبارك وتعالى وتقدس (يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له مافى السموات ومافى الارض وكفى بالله وكيلا * لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعاً * فأما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيرا).

ينهى تعالى أهل الكتاب ومن شابههم عن الغلو والاطراء فى الدين وهو مجاوزة الحد فالنصارى لعنهم الله غلوا وأطروا المسيح حتى جاوزوا الحد فكان الواجب عليهم أن يعتقدوا أنه عبدالله ورسوله وابن أمته العذراء البتول التى أحصنت فرجها فبعث الله الملك جبريل اليها فنفخ فيها عن أمر الله نفخة حملت منها بولدها عيسى عليه السلام والذى اتصل بها من الملك هى الروح المضافة الى الله اضافة تشريف وتكريم وهى مخلوقة من مخلوقات الله تعالى كما يقال بيت الله وناقة الله وعبد الله وكذا روح الله أضيفت اليه تشريفا لها وتكريما. وسمى عيسى بها لانه كان بها من غير أب وهى الكلمة أيضا التى عنها خلق وبسببها وجد كما قال تعالى (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون). وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل له مافى السموات والارض كل له قانتون بديع السموات والارض واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون). وقال تعالى (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون). فاخبر تعالى أن اليهود والنصارى عليهم لعائن الله كل من الفريقين ادعوا على الله شططا وزعموا أن له ولدا تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً وأخبر أنهم ليس لهم مستند فيما زعموه ولا فيما ائتفكوه الا مجرد القول ومشابهة من سبقهم الى هذه المقالة الضالة تشابهت قلوبهم وذلك أن الفلاسفة عليهم لعنة الله زعموا أن العقل الاول صدر عن واجب الوجود الذى يعبرون عنه بعلة العلل والمبدأ الاول وانه صدر عن العقل الاول عقل ثان ونفس وفلك ثم صدر عن الثانى كذلك حتى تناهت العقول الى عشرة والنفوس الى تسعة والافلاك الى تسعة باعتبارات فاسدة ذكروها واختيارات باردة أوردوها ولبسط الكلام معهم وبيان جهلهم وقلة عقلهم موضع آخر. وهكذا طوائف من مشركى العرب زعموا لجهلهم أن الملائكة بنات الله وانه صاهر سروات الجن فتولد منهما الملائكة تعالى الله عما

يقولون وتنزه عما يشركون كما قال تعالى (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون) وقال تعالى (فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون الا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون أصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون أفلا تذكرون أم لكم سلطان مبين . فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين . وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين) . وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم إنى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين). وقال تعالى فى أول سورة الكهف وهى مكية (الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ما كثين فيه أبدا . وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا مالهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون الا كذبا) . وقال تعالى (قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغنى له ما فى السموات وما فى الارض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع فى الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) فهذه الآيات المكيات الكريمات تشمل الرد على سائر فرق الكفرة من الفلاسفة ومشركى العرب واليهود والنصارى الذين ادعوا وزعموا بلا علم أن لله ولدا سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون المعتدون علوا كبيراً .

ولما كانت النصارى عليهم لعنة الله المتتابعة الى يوم القيامة من أشهر من قال بهذه المقالة ذكروا فى القرآن كثيرا للرد عليهم وبيان تناقضهم وقلة علمهم وكثرة جهلهم وقد تنوعت اقوالهم فى كفرهم وذلك أن الباطل كثير التشعب والاختلاف والتناقض « وأما الحق فلا يختلف ولا يضطرب . قال الله تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً) . فدل على أن الحق يتحد ويتفق والباطل يختلف ويضطرب . فطائفة من ضلالهم وجهالهم زعموا أن المسيح هو الله تعالى وطائفة قالوا هو ابن الله عز الله وطائفة قالوا هو ثالث ثلاثة جل الله . قال الله تعالى فى سورة المائدة (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن فى الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق مايشاء والله على كل شئ قدير). فأخبر تعالى عن كفرهم وجهلهم وبين أنه الخالق القادر على كل شئ المتصرف فى كل شئ وانه رب كل شئ ومليكه والهه . وقال فى أواخرها (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يبنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين

من أنصار . لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من إله الا إله واحد. وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم .أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم. ماالمسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأ كلان الطعام انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر أنى يؤفكون) حكم تعالى بكفرهم شرعا وقدرا فاخبر أن هذا صدر منهم مع أن الرسول اليهم هو عيسى بن مريم قد بين لهم أنه عبد مربوب مخلوق مصور فى الرحم داع الى عبادة الله وحده لاشريك له وتوعدهم على خلاف ذلك بالنار وعدم الفوز بدار القرار والخزى فى الدار الاخرة والهوان والعار ولهذا قال (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) ثم قال (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ومامن إله الا إله واحد) قال ابن جرير وغيره المراد بذلك قولهم بالاقانيم الثلاثة . أقنوم الاب وأقنوم الابن وأقنوم الكلمة المنبثقة من الاب الى الابن على اختلافهم فى ذلك ما بين الملكية واليعقوبية والنسطورية عليهم لعائن الله كما سنبين كيفية اختلافهم فى ذلك ومجامعهم الثلاثة فى زمن قسطنطين بن قسطس وذلك بعد المسيح بثلاثمائة سنة وقبل البعثة المحمدية بثلاثمائة سنة ولهذا قال تعالى (ومامن إله الا إله واحد) أى ومامن إله الا الله وحده لاشريك له ولا نظير له ولا كفوء له ولاصاحبة له ولا ولد ثم توعدهم وتهددهم فقال (وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم) ثم دعاهم برحمته ولطفه الى التوبة والاستغفار من هذه الامور الكبار والعظائم التى توجب النار فقال (أفلايتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم) ثم بين حال المسيح وامه وانه عبد رسول وأمه صديقة أى ليست بفاجرة كما يقوله اليهود لعنهم الله وفيه دليل على أنها ليست بنبية كما زعمه طائفة من علمائنا وقوله (كانا يأ كلان الطعام) كناية عن خروجه منهما كما يخرج من غيرهما اى ومن كان بهذه المثابة كيف يكون الها تعالى الله عن قولهم وجهلهم علوا كبيرا * وقال السدى وغيره المراد بقوله لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة زعمهم فى عيسى وأمه أنهما الالهان مع الله يعنى كما بين تعالى كفرهم فى ذلك بقوله فى آخر هذه السورة الكريمة (واذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله. قال سبحانك مايكون لى أن أقول ماليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم مافى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك أنت علام الغيوب. ماقلت لهم الا ماأمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد. إن تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) . يخبر تعالى أنه يسأل عيسى بن مريم يوم القيامة على سبيل الاكرام له والتقريع والتوبيخ لعابديه ممن كذب عليه وافترى وزعم أنه ابن الله أو أنه الله أو أنه شريكه تعالى الله عما يقولون فيسأله وهو يعلم أنه لم يقع منه مايسأله عنه ولكن لتوبيخ من كذب عليه فيقول له (أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال سبحانك) أى تعاليت أن يكون معك شريك

(مايكون لى أن أقول ماليس لى بحق) أى ليس هذا يستحقه أحد سواك (وان كنت قلته فقد علمته تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك انك أنت علام الغيوب) . وهذا تأدب عظيم فى الخطاب والجواب (ماقلت لهم إلا ماأمرتنى به) حين أرسلتنى اليهم وأنزلت على الكتاب الذى كان يتلى عليهم ثم فسر ماقال لهم بقوله (أن أعبدوا الله ربى وربكم) أى خالقى وخالقكم ورازقى ورازقكم (وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتنى) أى رفعتنى اليك حين أرادوا قتلى وصلبى فرحمتنى وخلصتنى منهم والقيت شبهى على أحدهم حتى انتقموا منه فلما كان ذلك (كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد) . ثم قال على وجه التفويض الى الرب عزوجل والتبرى من أهل النصرانية (إن تعذبهم فانهم عبادك) أى وهم يستحقون ذلك (وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) . وهذا التفويض والاسناد الى المشيئة بالشرط لايقتضى وقوع ذلك ولهذا قال (فانك أنت العزيز الحكيم) ولم يقل الغفور الرحيم

وقد ذكرنا فى التفسير مارواه الامام احمد عن أبى ذران رسول الله (ص) قام بهذه الآية الكريمة ليلة حتى أصبح (إن تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) وقال إنى سألت ربى عز وجل الشفاعة لامتى فأعطانيها وهى نائلة إن شاء الله تعالى لمن لايشرك بالله شيئا . وقال (وما خلقنا السماء والارض ومابينهما لاعبين. لوأردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون .وله من فى السموات والارض ومن عنده لايستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لايفترون) وقال تعالى (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق مايشاء سبحانه هو الله الواحد القهار. خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى ألا هو العزيز الغفار) . وقال تعالى قل إن كان للرحمن ولد فانا أول العابدين سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون) وقال تعالى (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا) وقال تعالى (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) وثبت فى الصحيح عن رسول الله (ص) أنه قال يقول الله تعالى (شتمنى ابن آدم ولم يكن له ذلك يزعم أن لى ولدا وأنا الاحد الصمد الذى لم ألد ولم أولد ولم يكن لى كفوا أحد) وفى الصحيح أيضا عن رسول الله (ص) ، أنه قال لاأحد أصبر على اذى سمعه من الله إنهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافيهم ولكن ثبت فى الصحيح أيضا عن رسول الله (ص) أنه قال ان الله ليملى للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته) ثم قرأ (وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه اليم شديد) وهكذا قوله تعالى (وكأين من قرية أمليت لها وهى ظالمة ثم أخذتها والى المصير) وقال تعالى (نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ) وقال تعالى (قل ان الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون

متاع فى الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) وقال تعالى (فمهل الكافرين أمهلهم رويدا) *

منشأ عيسى بن مريم عليهما السلام وبيان بدو الوحى اليه من الله تعالى

قد تقدم أنه ولد ببيت لحم قريبا من بيت المقدس وزعم وهب بن منبه أنه ولد بمصر وان مريم سافرت هى ويوسف بن يعقوب النجار وهى راكبة على حمار ليس بينهما وبين الا كاف شئ وهذا لا يصح والحديث الذى تقدم ذكره دليل على أن مولده كان ببيت لحم كما ذكرنا ومهما عارضه فباطل

وذكر وهب بن منبه أنه لما ولد خرت الاصنام يومئذ فى مشارق الارض ومغاربها وان الشياطين حارت فى سبب ذلك حتى كشف لهم ابليس الكبير أمر عيسى فوجدوه فى حجر امه والملائكة محدقة به وانه ظهر نجم عظيم فى السماء وأن ملك الفرس اشفق من ظهوره فسأل الكهنة عن ذلك فقالوا هذا لمولد عظيم فى الارض فبعث رسله ومعهم ذهب ومر ولبان هدية الى عيسى فلما قدموا الشام سألهم ملكها عما أقدمهم فذكروا له ذلك فسأل عن ذلك الوقت فاذا قد ولد فيه عيسى بن مريم ببيت المقدس واشتهر أمره بسبب كلامه فى المهد فارسلهم اليه بما معهم وأرسل معهم من يعرفه له ليتوصل الى قتله اذا انصرفوا عنه فلما وصلوا الى مريم بالهدايا ورجعوا قيل لها ان رسل ملك الشام انما جاؤا ليقتلوا ولدك فاحتملته فذهبت به الى مصر فاقامت به حتى بلغ عمره اثنتى عشرة سنة وظهرت عليه كرامات ومعجزات فى حال صغره * فذكر منها أن الدهقان الذى نزلوا عنده افتقد مالا من داره وكانت داره لا يسكنها الا الفقراء والضعفاء والمحاويج فلم يدر من أخذه وعز ذلك على مريم عليها السلام وشق على الناس وعلى رب المنزل وأعياهم أمرها فلما رأى عيسى عليه السلام ذلك عمد الى رجل اعمى وآخر مقعد من جملة من هو منقطع اليه فقال للاعمى إحمل هذا المقعد وانهض به فقال إنى لا أستطيع ذلك فقال بلى كما فعلت أنت وهو حين أخذتما هذا المال من تلك الكوة من الدار فلما قال ذلك صدقاه فيما قال وأتيا بالمال فعظم عيسى فى أعين الناس وهو صغير جداً

ومن ذلك أن ابن الدهقان عمل ضيافة للناس بسبب طهور أولاده فلما اجتمع الناس وأطعمهم ثم أراد أن يسقيهم شرابا يعنى خمراً كما كانوا يصنعون فى ذلك الزمان لم يجد فى جراره شيئاً فشق ذلك عليه فلما رأى عيسى ذلك منه قام فجعل يمر على تلك الجرار ويمر يده على أفواهها فلا يفعل بجرة منها ذلك إلا امتلأت شرابا من خيار الشراب * فتعجب الناس من ذلك جداً وعظموه وعرضوا عليه

وعلى أمه مالا جزيلا فلم يقبلاه وارتحلا قاصدين بيت المقدس والله أعلم *

وقال اسحاق بن بشر أنبأنا عثمان بن ساج وغيره عن موسى بن وردان عن أبى نضرة عن أبى سعيد وعن مكحول عن أبى هريرة قال إن عيسى بن مريم أول ماأطلق الله لسانه بعد الكلام الذى تكلم به وهو طفل فمجد الله تمجيداً لم تسمع الآذان بمثله لم يدع شمساً ولا قمرا ولا جبلا ولانهراً ولا عيناً إلا ذكره فى تمجيده فقال (اللهم أنت القريب فى علوك المتعال فى دنوك الرفيع على كل شىء من خلقك . أنت الذى خلقت سبعاً فى الهواء بكلماتك مستويات طباقا اجبن وهن دخان من فرقك فاتين طائعات لأمرك فيهن ملائكتك يسبحون قدسك لتقديسك وجعلت فيهن نوراً على سواد الظلام وضياء من ضوء الشمس بالنهار وجعلت فيهن الرعد المسبح بالحمد فبعزتك يجلو ضوء ظلمتك وجعلت فيهن مصابيح يهتدى بهن فى الظلمات الحيران فتباركت اللهم فى مفطور سمواتك وفيما دحوت من أرضك دحوتها على الماء فسمكتها على تيار الموج الغامر فاذللتها اذلال التظاهر فذل لطاعتك صعبها واستحيى لامرك أمرها وخضعت لعزتك أمواجها ففجرت فيها بعد البحور الانهار ومن بعد الانهار الجداول الصغار ومن بعد الجداول ينابيع العيون الغزار . ثم أخرجت منها الانهار والاشجار والثمار ثم جعلت على ظهرها الجبال فوتدتها أوتادا على ظهر الماء فاطاعت أطوادها وجلودها فتباركت اللهم فمن يبلغ بنعته نعتك أمن يبلغ بصفته صفتك تنشر السحاب وتفك الرقاب وتقضى الحق وأنت خير الفاصلين لا إله إلا أنت سبحانك أمرت أن نستغفرك من كل ذنب لا إله إلا أنت سبحانك سترت السموات عن الناس لا إله إلا أنت سبحانك انما يخشاك من عبادك الاكياس نشهد أنك لست باله استحدثناك ولارب يبيد ذكره ولا كان معك شركاء فندعوهم ونذكرك ولا أعانك على خلقنا أحد فنشك فيك نشهد أنك أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن لك كفوا أحد)

وقال اسحاق بن بشر عن جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس إن عيسى بن مريم أمسك عن الكلام بعد أن كلمهم طفلا حتى بلغ مايبلغ الغلمان ثم انطقه الله بعد ذلك الحكمة والبيان فاكثر اليهود فيه وفى أمه من القول وكانوا يسمونه ابن البغية وذلك قوله تعالى (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما) قال فلما بلغ سبع سنين أسلمته أمه فى الكتاب فجعل لا يعلمه المعلم شيئا الا بدره اليه فعلمه أباجاد فقال عيسى ما أبوجاد فقال المعلم لاأدرى فقال عيسى كيف تعلمنى مالا تدرى فقال المعلم اذا فعلمنى فقال له عيسى فقم من مجلسك فقام فجلس عيسى مجلسه فقال سلنى فقال المعلم ماأبوجاد فقال عيسى (الالف آلاء الله. والباء بهاء الله والجيم بهجة الله وجماله) فعجب المعلم من ذلك فكان أول من فسر أبا جاد .

ثم ذكر أن عثمان سأل رسول الله (ص) عن ذلك فاجابه على كل كلمة بحديث طويل موضوع

لا يسأل ولا يتمادى وهكذا روى ابن عدى من حديث اسماعيل بن عياش عن اسمعيل بن يحيى عن ابن أبى مليكة عن حدثه عن ابن مسعود وعن مسعر بن كدام عن عطية عن أبى سعيد رفع الحديث فى دخول عيسى الى الكتاب وتعليمه المعلم معنى حروف أبى جاد وهو مطول لا يفرح به * ثم قال ابن عدى وهذا الحديث باطل بهذا الاسناد لا يرويه غير اسمعيل وروى ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة قال كان عبد الله بن عمر يقول (كان عيسى بن مريم وهو غلام يلعب مع الصبيان فكان يقول لاحدهم تريد أن أخبرك ماخبأت لك أمك فيقول نعم فيقول خبأت لك كذا وكذا فيذهب الغلام منهم الى أمه فيقول لها أطعمينى ماخبأت لى فتقول وأى شىء خبأت لك فيقول كذا وكذا فتقول له من أخبرك فيقول عيسى بن مريم فقالوا والله لئن تركتم هؤلاء الصبيان مع ابن مريم ليفسدنهم فجمعوهم فى بيت وأغلقوا عليهم فخرج عيسى يلتمسهم فلم يجدهم فسمع ضوضاءهم فى بيت فسأل عنهم فقالوا إنما هؤلاء قردة وخنازير فقال اللهم كذلك فكانوا كذلك رواه ابن عساكر.

وقال اسحق بن بشر عن جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال وكان عيسى يرى العجائب فى صباه الهاما من الله ففشا ذلك فى اليهود وترعرع عيسى فهمت به بنو اسرائيل فخافت أمه عليه فاوحى الله الى أمه أن تنطلق به الى أرض مصر فذلك قوله تعالى (وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين) *

وقد اختلف السلف والمفسرون فى المراد بهذه الربوة التى ذكر الله من صفتها أنها ذات قرار ومعين وهذه صفة غريبة الشكل وهى أنها ربوة وهو المكان المرتفع من الأرض الذى أعلاه مستو يقر عليه وارتفاعه متسع ومع علوه فيه عيون الماء معين وهو الجارى السارح على وجه الارض فقيل المراد المكان الذى ولدت فيه المسيح وهو نخلة بيت المقدس ولهذا (ناداها من تحتها الا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا) وهو النهر الصغير فى قول جمهور السلف * وعن ابن عباس باسناد جيد انها أنهار دمشق فلعله أراد تشبيه ذلك المكان بأنهار دمشق * وقيل ذلك بمصر كما زعمه من زعمه من أهل الكتاب ومن تلقاه عنهم والله أعلم . وقيل هى الرملة . وقال اسحق بن بشر قال لنا ادريس عن جده وهب بن منبه قال إن عيسى لما بلغ ثلاث عشرة سنة أمره الله أن يرجع من بلاد مصر الى بيت ايليا قال فقدم عليه يوسف بن خال أمه فحملهما على حمار حتى جاء بهما إلى ايليا وأقام بها حتى أحدث الله له الانجيل وعلمه التوراة وأعطاه احياء الموتى وابراء الأسقام والعلم بالغيوب مما يدخرون فى بيوتهم وتحدث الناس بقدومه وفزعوا لما كان يأتى من العجائب فجعلوا يعجبون منه فدعاهم الى الله ففشا فيهم أمره .

بيان نزول الكتب الأربعة ومواقيتها

قال أبو زرعة الدمشقى حدثنا عبد الله بن صالح حدثنى معاوية بن صالح عمن حدثه قال (أنزلت التوراة على موسى فى ست ليال خلون من شهر رمضان * ونزل الزبور على داود فى اثنتى عشر ليلة خلت من شهر رمضان . وذلك بعد التوراة بأربعمائة سنة واثنتين وثمانين سنة . وأنزل الانجيل على عيسى بن مريم فى ثمانية عشرة ليلة خلت من رمضان بعد الزبور بألف عام وخمسين عاما وأنزل الفرقان على محمد (ص) فى أربع وعشرين من شهر رمضان وقد ذكرنا فى التفسير عند قوله (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن) الاحاديث الواردة فى ذلك وفيها أن الانجيل أنزل على عيسى بن مريم عليه السلام فى ثمانى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان *

وذكر ابن جرير فى تاريخه أنه أنزل عليه وهو ابن ثلاثين سنة ومكث حتى رفع الى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة كما سيأتى بيانه ان شاء الله تعالى . وقال اسحاق بن بشر وأنبأنا سعيد بن أبى عروبة عن قتادة ومقاتل عن قتادة عن عبد الرحمن بن آدم عن أبى هريرة قال أوحى الله عز وجل الى عيسى بن مريم (يا عيسى جد فى أمرى ولا تهن واسمع وأطع يا ابن الطاهرة البكر البتول انك من غير فحل وأنا خلقتك آية للعالمين اياى فاعبد وعلى فتوكل خذ الكتاب بقوة فسر لاهل السريانية بلغ من بين يديك إنى انا الحق الحى القائم الذى لا ازول صدقوا النبى الامى العربى صاحب الجمل والتاج (وهى العمامة) والمدرعة والنعلين والهراوة (وهى القضيب) الانجل العينين الصلت الجبين الواضح الخدين الجعد الرأس الكث اللحية المقرون الحاجبين الاقنى الانف المفلج الثنايا البادى العنفقة الذى كأن عنقه ابريق فضة وكأن الذهب يجرى فى تراقيه له شعرات من لبته الى سرته تجرى كالقضيب ليس على بطنه ولا على صدره شعر غيره شثن الكف والقدم إذا التفت التفت جميعاً واذا مشى كأنما يتقلع من صخر وينحدر من صبب عرقه فى وجهه كاللؤلؤ وريح المسك تنفح منه ولم ير قبله ولا بعده مثله ، الحسن القامة الطيب الريح نكاح النساء ذا النسل القليل انما نسله من مباركة لها بيت يعنى فى الجنة من قصب لا نصب فيه ولا صخب تكفله ياعيسى فى آخر الزمان كما كفل زكريا أمك له منها فرخان مستشهدان وله عندى منزلة ليست لأحد من البشر . كلامه القرآن ودينه الاسلام وانا السلام طوبى لمن أدرك زمانه وشهد أيامه وسمع كلامه *

بيان شجرة طوبى ما هى

قال عيسى يارب وما طوبى قال (غرس شجرة أنا غرستها بيدى فهى للجنان كلها أصلها من رضوان وماؤها من تسنيم وبردها برد الكافور وطعمها طعم الزنجبيل وريحها ريح المسك من شرب منه شربة لم

يظمأ بعدها أبداً) قال عيسى يارب اسقنى منها قال (حرام على النبيين أن يشربوا منها حتى يشرب ذلك النبي وحرام على الأمم أن يشربوا منها حتى يشرب منها أمة ذلك النبي) قال يا عيسى ارفعك إلىّ قال رب ولم ترفعنى قال (أرفعك ثم اهبطك فى آخر الزمان لترى من أمة ذلك النبي العجائب ولتعينهم على قتال اللعين الدجال أهبطك فى وقت صلاة ثم لا تصلى بهم لأنها مرحومة ولا نبى بعد نبيهم) وقال هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن زيد عن أبيه أن عيسى قال يارب انبئنى عن هذه الامة المرحومة قال أمة أحمد هم علماء حكماء كأنهم انبياء يرضون منى بالقليل من العطاء وارضى منهم باليسير من العمل وأدخلهم الجنة بلا إله إلا الله . ياعيسى هم أكثر سكان الجنة لأنه لم تذل السن قوم قط بلا إله إلا الله كما ذلت السنتهم ولم تذل رقاب قوم قط بالسجود كما ذلت به رقابهم) رواه بن عساكر وروى بن عساكر من طريق عبد الله بن بديل العقيلى عن عبد الله بن عوسجة قال أوحى الله إلى عيسى ابن مريم (أنزلنى من نفسك كهمك واجعلنى ذخراً لك فى معادك وتقرب إلى بالنوافل أحبك ولا تول غيرى فأخذلك اصبر على البلاء وارض بالقضاء وكن لمسرتى فيك فان مسرتى أن أطاع فلا أعصى وكن منى قريباً وأحى ذكرى بلسانك ولتكن مودتى فى صدرك تيقظ من ساعات الغفلة واحكم فى لطيف الفطنة وكن لى راغباً راهباً وأمت قلبك فى الخشية لى وراع الليل لحق مسرتى واظم نهارك ليوم الرى عندى نافس فى الخيرات جهدك واعترف بالخير حيث توجهت وقم فى الخلائق بنصيحتى واحكم فى عبادى بعدلى فقد أنزلت عليك شفاء وسواس الصدور من مرض النسيان وجلاء الابصار من غشاء الكلال ولا تكن حلسا كأنك مقبوض وأنت حى تنفس * ياعيسى بن مريم ما آمنت بى خليقة إلا خشعت ولا خشعت لى إلا رجت ثوابى فاشهدك أنها امنة من عقابى مالم تغير أو تبدل سنتى * ياعيسى ابن مريم البكر البتول ابك على نفسك أيام الحياة بكاء من ودع الأهل وقلا الدنيا وترك اللذات لاهلها وارتفعت رغبته فيما عند إلهه وكن فى ذلك تلين الكلام وتفشى السلام وكن يقظان إذا نامت عيون الابرار حذار ماهو ات من أمر المعاد وزلازل شدايد الاهوال قبل أن لاينفع أهل ولا مال واكحل عينك بملول الحزن إذا ضحك البطالون وكن فى ذلك صابرا محتسباً وطوبى لك ان نالك ماوعدت الصابرين رح من الدنيا بالله يوم بيوم وذق مذاقة ما قد حرب منك أين طعمه ومالم يأتك كيف لذته فرح من الدنيا بالبلغة وليكفك منها الخشن الجشب قد رأيت الى مايصير اعمل على حساب فانك مسؤل لو رأت عيناك ماأعددت لأوليائى الصالحين ذاب قلبك وزهقت نفسك *

وقال أبو داود فى كتاب القدر حدثنا محمد بن يحيى بن فارس حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهرى عن ابن طاووس عن أبيه قال لقى عيسى بن مريم ابليس فقال أما علمت أنه لن يصيبك إلا ما كتب لك قال ابليس فارق بذروة هذا الجبل فتردى منه فانظر هل تعيش أم لا فقال ابن طاووس

عن أبيه . فقال عيسى أما علمت أن الله قال (لا يجربنى عبدى فانى أفعل ماشئت) وقال الزهرى إن العبدلا يبتلى ربه ولكن الله يبتلى عبده . قال أبو داود حدثنا أحمد بن عبدة أنبأناسفيان عن عمرو عن طاووس قال أتى الشيطان عيسى بن مريم فقال أليس تزعم أنك صادق فأت هوة فألق نفسك قال ويلك أليس قال يا ابن آدم لا تسألنى هلاك نفسك فانى أفعل ما اشاء * وحدثنا أبو توبة الربيع بن نافع حدثنا حسين بن طلحة سمعت خالد بن يزيد قال تعبد الشيطان مع عيسى عشر سنين أو سنتين اقام يوماً على شفير جبل فقال الشيطان ارأيت ان القيت نفسى هل يصيبنى إلا ما كتب لى قال انى لست بالذى ابتلى ربى ولكن ربى إذا شاء ابتلانى وعرفه أنه الشيطان ففارقه . وقال أبو بكر بن أبى الدنيا حدثنا شريح بن يونس حدثنا على بن ثابت عن الخطاب بن القاسم عن أبى عثمان قال كان عيسى عليه السلام يصلى على رأس جبل فأتاه ابليس فقال أنت الذى تزعم أن كل شيء بقضاء وقدر قال نعم قال ألق نفسك من هذا الجبل وقل قدر على فقال يالعين الله يختبر العباد وليس العباد يختبرون الله عز وجل . وقال أبو بكر بن أبى الدنيا حدثنا الفضل بن موسى البصرى حدثنا ابراهيم بن بشار سمعت سفيان بن عيينة يقول لقى عيسى بن مريم ابليس فقال له ابليس ياعيسى بن مريم الذى بلغ من عظم ربوبيتك انك تكلمت فى المهد صبياً . ولم يتكلم فيه أحد قبلك قال بل الربوبية للاله الذى انطقنى ثم يميتنى ثم يحيينى قال فانت الذى بلغ من عظم ربوبيتك أنك تحى الموتى قال بل الربوبية لله الذى يحى ويميت من أحييت ثم يحييه قال والله إنك لاله فى السماء وآله فى الارض قال فصكه جبريل صكة بجناحيه فما نباها دون قرون الشمس ثم صكه اخرى بجناحيه فما نباها دون العين الحامية ثم صكه اخرى فادخله بحار السابعة فساخه وفى رواية فاسلكه فيها حتى وجد طعم الحمأة فخرج منها وهو يقول ما لقى احد من احد مالقيت منك يا ابن مريم * وقد روى نحو هذا بأبسط منه من وجه آخر فقال الحافظ ابو بكر الخطيب اخبرنى ابوالحسن بن رزقويه انبأنا ابو بكر احمد بن سبدى حدثنا ابو محمد الحسن بن على القطان حدثنا اسماعيل ابن عيسى العطار انبأنا على بن عاصم حدثنى ابو سلمة سويد عن بعض أصحابه قال صلى عيسى ببيت المقدس فانصرف فلما كان ببعض العقبة عرض له ابليس فاحتبسه فجعل يعرض عليه ويكلمه و يقول له انه لا ينبغى لك ان تكون عبداً فاكثر عليه وجعل عيسى يحرص على ان يتخلص منه فجعل لا يتخلص منه فقال له فيما يقول لا ينبغى لك ياعيسى ان تكون عبدا قال فاستغاث عيسى بربه فاقبل جبريل وميكائيل فلما رآهما ابليس كف فلما استقر معه على العقبة اكتنفا عيسى وضرب جبريل ابليس بجناحه فقذفه فى بطن الوادى قال فعاد ابليس معه وعلم أنهما لم يؤمرا بغير ذلك فقال لعيسى قد اخبرتك انه لا ينبغى ان تكون عبدا ان غضبك ليس بغضب عبد وقد رأيت مالقيت منك حين غضبت ولكن ادعوك لامر هو لك آمر الشياطين فليطيعوك فاذا رأى البشر أن الشياطين اطاعوك عبدوك اما انى لا اقول ان تكون

إلها ليس معه إله ولكن الله يكون إلها فى السماء وتكون انت الها فى الارض فلما سمع عيسى ذلك منه استغاث بربه وصرخ صرخة شديدة فاذا اسرافيل قد هبط فنظر اليه جبريل وميكائيل فكف ابليس فلما استقر معهم ضرب اسرافيل ابليس بجناحه فصك به عين الشمس ثم ضربه ضربة أخرى فاقبل ابليس يهوى ومر عيسى وهو بمكانه فقال ياعيسى لقد لقيت فيك اليوم تعباً شديدا فرمى به فى عين الشمس فوجد سبعة املاك عند العين الحامية قال فغطوه فجعل كلما صرخ غطوه فى تلك الحمأة قال والله ماعاد اليه بعد. قال وحدثنا اسماعيل العطار حدثنا أبو حذيفة قال واجتمع اليه شياطينه فقالوا سيدنا قد لقيت تعباً قال إن هذا عبد معصوم ليس لى عليه من سبيل وسأضل به بشراً كثيراً وابث فيهم اهواء مختلفة واجعلهم شيعا ويجعلونه وأمه الهين من دون الله قال وأنزل الله فيما أيده عيسى وعصمه من إبليس قرآنا ناطقاً بذكر نعمته على عيسى فقال (ياعيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس) يعنى اذ قويتك بروح القدس يعنى جبريل (تكلم الناس فى المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير) الآية كلها واذ جعلت المساكين لك بطانة وصحابة واعواناً ترضى بهم وصحابة واعواناً يرضون بك هادياً وقائداً الى الجنة فذلك فاعلم خلقان عظيمان من لقينى بهما فقد لقينى بازكى الخلائق وارضاها عندى وسيقول لك بنو اسرائيل صمنا فلم يتقبل صيامنا وصلينا فلم يقبل صلاتنا وتصدقنا فلم يقبل صدقاتنا وبكينا بمثل حنين الجمال فلم يرحم بكاؤنا فقل لهم ولم ذلك وما الذى يمنعنى إن ذات يدى قلت أوليس خزائن السموات والارض بيدى انفق منها كيف أشاء وان البخل لا يعتريني أولست أجود من سأل واوسع من اعطى أوان رحمتى ضاقت وانما يتراحم المتراحمون بفضل رحمتى ولولا أن هؤلاء القوم ياعيسى بن مريم عدوا أنفسهم بالحكمة التى تورث فى قلوبهم مااستأثروا به الدنيا أثره على الآخرة لعرفوا من أين أوتوا واذاً لايقنوا ان أنفسهم هى أعدى الاعداء لهم وكيف اقبل صيامهم وهم يتقوون عليه بالاطعمة الحرام وكيف أقبل صلاتهم وقلوبهم تركن الى الذين يحاربونى ويستحلون محارمى وكيف أقبل صدقاتهم وهم يغصبون الناس عليها فيأخذونها من غير حلها * ياعيسى انما أجزى عليها أهلها وكيف أرحم بكاءهم وأيديهم تقطر من دماء الانبياء ازددت عليهم غضبا * ياعيسى وقضيت يوم خلقت السموات والارض أنه من عبدنى وقال فيكما بقولى أن أجعلهم جيرانك فى الدار ورفقائك فى المنازل وشركاءك فى الكرامة وقضيت يوم خلقت السموات والارض أنه من اتخذك وامك الهين من دون الله أن أجعلهم فى الدرك الاسفل من النار وقضيت يوم خلقت السموات والارض أنى مثبت هذا الامر على يدى عبدى محمد وأختم به الانبياء والرسل ومولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق ولا يزر بالفحش ولا قوال بالخنا أسدده لكل أمر جميل واهب له كل خلق كريم واجعل التقوى ضميره والحكم معقوله والوفاء طبيعته والعدل سيرته والحق شريعته والاسلام ملته اسمه أحمد أهدى به بعد

الضلالة وأعلم به بعد الجهالة واغنى به بعد العائلة وارفع به بعد الضيعة أهدى به وافتح به بين آذان صم وقلوب غلف وأهواء مختلفة متفرقة أجعل أمته خير أمـة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر اخلاصا لاسمى وتصديقاً لما جاءت به الرسل ألهمهم التسبيح والتقديس والتهليل فى مساجدهم ومجالسهم وبيوتهم ومنقلبهم ومثواهم يصلون لى قياماً وقعوداً وركعاً وسجوداً ويقاتلون فى سبيلى صفوفاً وزحوفاً قربانهم دماؤهم واناجيلهم فى صدورهم وقربانهم فى بطونهم رهبان بالليل ليوث فى النهار ذلك فضلى أوتيـه من اشاء وانا ذو الفضل العظيم .

وسنذكر مايصدق كثيراً من هذا السياق بما سنورده من سورتى المائدة والصف إن شاء الله وبه الثقة * وقد روى أبو حذيفة اسحق بن بشر باسانيده عن كعب الاحبار ووهب بن منبه وابن عباس وسلمان الفارسى دخـل حـديث بعضهم فى بعض قالوا لما بعث عيسى بن مريم وجاءهم بالبينات جعل المنافقون والـكافرون من بنى اسرائيل يعجبون منه ويستهزؤن به فيقولون ما أكل فلان البارحة وما ادخر فى منزله فيخبرهم فيزداد المؤمنون ايمانا والـكافرون والمنافقون شكا وكفرانا وكان عيسى مع ذلك ليس له منزل يأوى اليه انما يسيح فى الارض ليس له قرار ولا موضع يعرف به فـكان أول ما أحيا من الموتى أنه مر ذات يوم على امرأة قاعدة عند قبر وهى تبكى فقال لها مالك أيتها المرأة فقالت ماتت ابنة لى لم يكن لى ولد غـيرها وانى عاهدت ربى أن لا أبرح من موضعى هذا حتى أذوق ماذاقت من الموت أو يحييها الله لى فانظر اليها فقال لها عيسى أرأيت إن نظرت اليها أراجعة أنت قالت نعم قالوا فصلى ركعتين ثم جاء فجلس عند القبر فنادى يافلانة قومى باذن الرحمن فاخرجى قال فتحرك القبر ثم نادى الثانية فانصدع القبر باذن الله ثم نادى الثالثـة فخرجت وهى تنفض رأسها من التراب فقال لها عيسى ما أبطأ بك عنى فقالت لما جاءتنى الصيحة الاولى بعث الله لى ملـكا فركب خلقى ثم جاءتنى الصيحة الثانية فرجع الى روحى ثم جاءتنى الصيحة الثالثة فخفت أنها صيحة القيامة فشاب رأسى وحاجباى وأشفار عينى من مخافة القيمة ثم أقبلت على أمها فقالت ياأماه ماحملك على ان أذوق كرب الموت مرتين ياأماه أصبرى واحتسبى فلا حاجة لى فى الدنيا ياروح الله وكلمته سل ربى أن يردنى الى الآخرة وان يهون على كرب الموت فدعا ربه فقبضها اليـه واستوت عليها الارض فبلغ ذلك اليهود فازدادوا عليه غضبا

وقد منا فى عقيب قصة نوح أن بنى اسرائيل سألوه أن يحيى لهم سام بن نوح فدعا الله عزوجل وصلى لله فأحياه الله لهم فحدثهم عن السفينة وأمرها ثم دعا فعاد ترابا . وقد روى السدى عن أبى صالح وأبى مالك عن ابن عباس فى خبر ذكره وفيه أن ملـكا من ملوك بنى اسرائيل مات وحمل على سريره فجاء عيسى عليه السلام فدعا الله عزوجل فأحياه الله عزوجل فرأى الناس أمراً هائلا ومنظرا عجيبا قال الله تعالى وهو أصدق القائلين ﴿اذ قال الله ياعيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك

بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيراً باذنى وتبرىء الاكمه والابرص باذنى واذ تخرج الموتى باذنى واذ كففت بنى اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون) يذكره تعالى بنعمته عليه واحسانه اليه فى خلقه اياه من غير أب بل من أم بلا ذكر وجعله له آية للناس ودلالة على كمال قدرته تعالى ثم ارساله بعد هذا كله (وعلى والدتك) فى اصطفائها واختيارها لهذه النعمة العظيمة واقامة البرهان على براءتها مما نسبها اليه الجاهلون ولهذا قال(اذ ايدتك بروح القدس) وهو جبريل بالقاء روحه الى أمه وقرنه معه فى حال رسالته ومدافعته عنه لمن كفر به (تكلم الناس فى المهد وكهلا) أى تدعو الناس الى الله فى حال صغرك فى مهدك وفى كهولتك (واذ علمتك الكتاب والحكمة) أى الخط والفهم نص عليه بعض السلف (والتوراة والانجيل) وقوله (واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى) أى تصوره وتشكله من الطين على هيئته عن أمر الله له بذلك (فتنفخ فيه فتكون طيراً باذنى) أى بامرى يؤكد تعالى بذكر الاذن له فى ذلك لرفع التوهم وقوله (وتبرئ الاكمه) قال بعض السلف وهو الذى يولد أعمى ولا سبيل لاحد من الحكماء الى مداواته (والابرص)هو الذى لاطب فيه بل قد مرض بالبرص وصار داؤه عضالا (واذ تخرج الموتى) أى من قبورهم أحياء باذنى وقد تقدم مافيه دلالة على وقوع ذلك مرارا متعددة مما فيه كفاية . وقوله (واذ كففت بنى اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا الا سحر مبين) وذلك حين أرادوا صلبه فرفعه الله اليه وانقذه من بين أظهرهم صيانة لجنابه الكريم عن الاذى وسلامة له من الردى وقوله (واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون) قيل المراد بهذا الوحى وحى الهام أى أرشدهم الله اليه ودلهم عليه كما قال (وأوحى ربك الى النحل وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم) وقيل المراد وحى بواسطة الرسول وتوفيق فى قلوبهم لقبول الحق ولهذا استجابوا قائلين (آمنا واشهد بأننا مسلمون)

وهذا من جملة نعم الله على عبده ورسوله عيسى بن مريم أن جعل له أنصاراً وأعواناً ينصرونه ويدعون معه الى عبادة الله وحده لاشريك له كما قال تعالى لعبده محمد (ص) (هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم إنه عزيز حكيم) وقال تعالى(ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بنى اسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيراً باذن الله وابرىء الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله وانبئكم بما تأكلون وماتدخرون فى بيوتكم ان فى

ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنامع الشاهدين . ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين).

كانت معجزة كل نبى فى زمانه بما يناسب أهل ذلك الزمان فذكروا أن موسى عليه السلام كانت معجزته مما يناسب أهل زمانه وكانوا سحرة أذكياء فبعث بآيات بهرت الابصار وخضعت لها الرقاب ولما كان السحرة خبيرين بفنون السحر ومايتنهى اليه وعاينوا ماعاينوا من الامر الباهر الهائل الذى لايمكن صدوره الاعمن أيده الله وأجرى الخارق على يديه تصديقا له أسلموا سراعا ولم يتلعثموا وهكذا عيسى ابن مريم بعث فى زمن الطبائعية الحكماء فارسل بمعجزات لايستطيعونها ولا يهتدون اليها وانى لحكيم إبراء الاكمه الذى هو أسوأ حالا من الاعمى والابرص والمجذوم ومن به مرض مزمن وكيف يتوصل أحد من الخلق الى ان يقيم الميت من قبره هذا مما يعلم كل أحد معجزة دالة على صدق من قامت به وعلى قدرة من أرسله وهكذا محمد(ص) وعليهم أجمعين بعث فى زمن الفصحاء البلغاء فانزل الله عليه القرآن العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فلفظه معجز تحدى به الانس والجن أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة وقطع عليهم بانهم لايقدرون لا فى الحال ولا فى الاستقبال فان لم يفعلوا ولن يفعلوا وماذاك الا لانه كلام الخالق عز وجل والله تعالى لايشبهه شئ لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله .

والمقصود ان عيسى عليه السلام لما أقام عليهم الحجج والبراهين استمر أكثرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم وطغيانهم فانتدب له من بينهم طائفة صالحة فكانوا له انصاراً واعواناً قاموا بمتابعته ونصرته ومناصحته وذلك حين هم به بنو اسرائيل ووشوا به الى بعض ملوك ذلك الزمان فعزموا على قتله وصلبه فانقذه الله منهم ورفعه اليه من بين أظهرهم والقى شبهه على أحد أصحابه فاخذوه فقتلوه وصلبوه وهم يعتقدونه عيسى وهم فى ذلك غالطون وللحق مكابرون وسلم لهم كثير من النصارى ماادعوه وكلا الفريقين فى ذلك مخطئون قال تعالى (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) وقال تعالى (وإذ قال عيسى بن مريم يابنى اسرائيل إنى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين. ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى للاسلام والله لايهدى القوم الظالمين يريدون ليطفئوا نورالله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) الى أن قال بعد ذلك (ياأيها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم

فاصبحوا ظاهرين) فعيسى عليه السلام هو خاتم انبياء بنى اسرائيل وقد قام فيهم خطيباً فبشرهم بخاتم الانبياء الآتى بعده ونوه باسمه وذكر لهم صفته ليعرفوه ويتابعوه اذا شاهدوه اقامة للحجة عليهم واحسانا من الله اليهم كما قال تعالى (الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه أولئك هم المفلحون)

قال محمد بن اسحاق حدثنى ثور بن يزيد عن خالد بن معد ان عن أصحاب رسول الله (ص.) انهم قالوا يارسول الله أخبرنا عن نفسك قال دعوة أبى ابراهيم وبشرى عيسى ورأت أمى حين حملت بى كانه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام . وقد روى عن العرباض بن سارية وأبى امامة عن النبى (ص.) نحو هذا وفيه دعوة أبى ابراهيم وبشرى عيسى وذلك ان ابراهيم لما بنى الكعبة قال (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية) ولما انتهت النبوة فى بنى اسرائيل الى عيسى قام فيهم خطيبا فاخبرهم أن النبوة قد انقطعت عنهم وانها بعده فى النبى العربى الامى خاتم الانبياء على الاطلاق احمد وهو محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم الذى هو من سلالة اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهم السلام قال الله تعالى (فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) يحتمل عود الضمير الى عيسى عليه السلام ويحتمل عوده الى محمد (ص.) ثم حرض تعالى عباده المؤمنين على نصرة الاسلام واهله ونصرة نبيه ومؤازرته ومعاونته على اقامة الدين ونشر الدعوة فقال (ياأيها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصارى الى الله أى من يساعدنى فى الدعوة الى الله (قال الحواريون نحن انصار الله وكان ذلك فى قرية يقال لها الناصرة فسموا بذلك النصارى قال الله تعالى (فامنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة) يعنى لما دعا عيسى بنى اسرائيل وغيرهم الى الله تعالى منهم من آمن ومنهم من كفر وكان ممن آمن به أهل انطاكية بكمالهم فيما ذكره غير واحد من أهل السير والتواريخ والتفسير بعث اليهم رسلا ثلاثة أحدهم شمعون الصفا فآمنوا واستجابوا وليس هؤلاء هم المذكورون فى سورة يس لما تقدم تقريره فى قصة أصحاب القرية وكفر آخرون من بنى اسرائيل وهم جمهور اليهود فايد الله من آمن به على من كفر فيما بعد واصبحوا ظاهرين عليهم قاهرين لهم كما قال تعالى (اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة الاية) فكل من كان اليه أقرب كان عاليا فمن دونه ولما كان قول المسلمين فيه هو الحق الذى لا شك فيه من أنه عبد الله ورسوله كانوا ظاهرين على النصارى الذين غلوا فيه واطروه وانزلوه فوق ما انزله الله به ولما كان النصارى أقرب فى الجملة مما ذهب اليه اليهود عليهم لعائن الله كان النصارى قاهرين لليهود فى أزمان الفترة الى زمن الاسلام واهله .

ذكر خبر المائدة

قال الله تعالى (اذ قال الحواريون ياعيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين قال عيسى بن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا واية منك وارزقنا وانت خير الرازقين . قال الله انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا لا اعذبه أحداً من العالمين) قد ذكرنا فى التفسير الآثار الواردة فى نزول المائدة عن ابن عباس وسلمان الفارسى وعمار بن ياسر وغيرهم من السلف ومضمون ذلك أن عيسى عليه السلام امر الحواريين بصيام ثلاثين يوماً فلما أتموها سألوا من عيسى انزال مائدة من السماء عليهم ليأكلوا منها وتطمئن بذلك قلوبهم ان الله قد تقبل صيامهم واجابهم الى طلبتهم وتكون لهم عيداً يفطرون عليها يوم فطرهم وتكون كافية لأولهم واخرهم لغنيهم وفقيرهم فوعظهم عيسى فى ذلك وخاف عليهم أن لا يقوموا بشكرها ولا يؤدوا حق شروطها فأبوا عليه الا أن يسأل لهم ذلك من ربه عزوجل فلما لم يقلعوا عن ذلك قام الى مصلاه ولبس مسحا من شعر وصف بين قدميه وأطرق راسه وأسبل عينيه بالبكاء وتضرع الى الله فى الدعاء والسؤال أن يجابوا الى ماطلبوا فانزل الله تعالى المائدة من السماء والناس ينظرون اليها تنحدر بين غمامتين وجعلت تدنو قليلا قليلا وكلما دنت سأل عيسى ربه عزوجل أن يجعلها رحمة لا نقمة وان يجعلها بركة وسلامة فلم تزل تدنو حتى استقرت بين يدى عيسى عليه السلام وهى مغطاة بمنديل فقام عيسى يكشف عنها وهو يقول (بسم الله خير الرازقين) فاذا عليها سبعة من الحيتان وسبعة أرغفة . ويقال وخل . ويقال ورمان وثمار ولها رائحة عظيمة جدا قال الله لها كونى فكانت ثم أمرهم بالاكل منها فقالوا لا نأكل حتى تأكل فقال إنكم الذين ابتدأ تم السؤال لها فابوا أن يأكلوا منها ابتداء فامر الفقراء والمحاويج والمرضى والزمنى وكانوا اقريبا من الف وثلثمائة فأكلوا منها فبرأ كل من به عاهة أو آفة أو مرض مزمن فندم الناس على ترك الاكل منها لما رأوا من اصلاح حال أولئك . ثم قيل إنها كانت تنزل كل يوم مرة فيأكل الناس منها يأكل آخرهم كما يأكل أولهم حتى قيل إنها كان يأكل منها نحو سبعة آلاف . ثم كانت تنزل يوما بعد يوم كما كانت ناقة صالح يشربون لبنها يوما بعد يوم . ثم أمر الله عيسى أن يقصرها على الفقراء أو المحاويج دون الاغنياء فشق ذلك على كثير من الناس وتكلم منافقوهم فى ذلك فرفعت بالكلية ومسخ الذين تكلموا فى ذلك خنازير .

وقد روى ابن ابى حاتم وابن جرير جميعا حدثنا الحسن بن قزعة الباهلى حدثنا سفيان بن حبيب حدثنا سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن خلاس عن عمار بن ياسر عن النبى (ص) قال نزلت المائدة من السماء خبز ولحم وأمروا أن لايخونوا ولا يدخروا ولا يرفعوا لغد فخانوا وادخروا ورفعوا فمسخوا قردة

وخنازير ثم رواه ابن جرير عن بندار عن ابن أبى عدى عن سعيد عن قتادة عن خلاس عن عمار موقوفا وهذا أصح وكذا رواه من طريق سماك عن رجل من بنى عجل عن عمار موقوفا وهو الصواب والله أعلم. وخلاس عن عمار منقطع فلو صح هذا الحديث مرفوعا لكان فيصلا فى هذه القصة فان العلماء اختلفوا فى المائدة هل نزلت أم لا فالجمهور أنها نزلت كما دلت عليه هذه الآثار كما هو المفهوم من ظاهر سياق القرآن ولاسيما قوله (انى منزلها عليكم) كما قرره ابن جرير والله أعلم. وقد روى ابن جرير باسناد صحيح الى مجاهد والى الحسن بن أبى الحسن البصرى أنهما قالا لم تنزل وانهم أبوا نزولها حين قال (فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين). ولهذا قيل ان النصارى لا يعرفون خبر المائدة وليس مذكورا فى كتابهم مع أن خبرها مما يتوفر الدواعى على نقله والله أعلم. وقد تقصينا الكلام على ذلك فى التفسير فليكتب من هناك * ومن أراد مراجعته فلينظره من ثم ولله الحمد والمنة

فصل

قال أبو بكر بن أبى الدنيا حدثنا رجل سقط اسمه حدثنا حجاج بن محمد حدثنا أبو هلال محمد بن سليمان عن بكر بن عبد الله المزنى قال فقد الحواريون نبيهم عيسى فقيل لهم توجه نحو البحر فانطلقوا يطلبونه فلما انتهوا الى البحر اذا هو يمشى على الماء يرفعه الموج مرة ويضعه أخرى وعليه كساء مرتد بنصفه ومؤتزر بنصفه حتى انتهى اليهم فقال له بعضهم قال أبو هلال ظننت أنه من أفاضلهم ألا أجئ اليك يانبى الله قال بلى قال فوضع احدى رجليه على الماء ثم ذهب ليضع الاخرى فقال أوه غرقت يانبى الله فقال أرنى يدك ياقصير الايمان لو أن لابن آدم من اليقين قدر شعيرة مشى على الماء. ورواه أبو سعيد ابن الاعرابى عن ابراهيم بن أبى الجحيم عن سليمان بن حرب عن أبى هلال عن بكر بنحوه. ثم قال ابن أبى الدنيا حدثنا محمد بن على بن الحسن بن سفيان حدثنا ابراهيم بن الاشعث عن الفضيل بن عياض قال قيل لعيسى بن مريم ياعيسى بأى شئ تمشى على الماء قال بالايمان واليقين. قالوا فانا آمنا كما آمنت وأيقنا كما أيقنت قال فامشوا اذا قال فمشوا معه فى الموج فغرقوا فقال لهم عيسى مالكم فقالوا خفنا الموج قال ألا خفتم رب الموج قال فأخرجهم ثم ضرب بيده الى الارض فقبض بها ثم بسطها فاذا فى احدى يديه ذهب وفى الاخرى مدر أو حصى فقال أيهما أحلى فى قلوبكم قالوا هذا الذهب قال فانهما عندى سواء وقدمنا فى قصة يحيى بن زكريا عن بعض السلف أن عيسى عليه السلام كان يلبس الشعر ويأكل من ورق الشجر ولا يأوى الى منزل ولا أهل ولا مال ولا يدخر شيئا لغد. قال بعضهم كان يأكل من غزل أمه صلوات الله وسلامه عليه.

وروى ابن عساكر عن الشعبى أنه قال كان عيسى عليه السلام اذا ذكر عنده الساعة صاح ويقول لا ينبغى لابن مريم أن تذكر عنده الساعة ويسكت وعن عبد الملك ابن سعيد بن بحر أن عيسى كان

إذا سمع الموعظة صرخ صراخ الثكلى . وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر حدثنا جعفر بن بلقان أن عيسى كان يقول (اللهم إنى أصبحت لا أستطيع دفع ما اكره ولا املك نفع ماأرجو وأصبح الأمر بيد غيرى وأصبحت مرتهناً بعملى فلا فقير أفقر منى اللهم لا تشمت بى عدوى ولا تسؤبى صديقى ولا تجعل مصيبتى فى دينى ولا تسلط على من لايرحمنى) . وقال الفضيل بن عياض عن يونس بن عبيد كان عيسى يقول لا نصيب حقيقة الايمان حتى لا نبالى من أكل الدنيا . قل الفضيل وكان عيسى يقول فكرت فى الخلق فوجدت من لم يخلق اغبط عندى ممن خلق . وقال اسحاق بن بشر عن هشام ابن حسان عن الحسن قال إن عيسى رأس الزاهدين يوم القيامة . قال وان الفرارين بذنوبهم يحشرون يوم القيامة مع عيسى قال وبينا عيسى يوما نائم على حجر قد توسده وقد وجد لذة النوم إذ مر به ابليس فقال (ياعيسى ألست تزعم أنك لاتريد شيئا من عرض الدنيا فهذا الحجر من عرض الدنيا فقال فأخذ الحجر ورمى به اليه وقال هذا لك مع الدنيا . وقال معتمر بن سليمان خرج عيسى على أصحابه وعليه جبة صوف وكساء وتبان حافيا باكيا شعثاً مصفر اللون من الجوع يابس الشفتين من العطش فقال السلام عليكم يابنى اسرائيل أنا الذى انزلت الدنيا منزلتها باذن الله ولا عجب ولا فخر أتدرون أين بيتى قالوا أين بيتك ياروح الله قال بيتى المساجد وطيبى الماء وإدامى الجوع وسراجى القمر بالليل وصلاتى فى الشتاء مشارق الشمس وريحانى بقول الأرض ولباسى الصوف وشعارى خوف رب العزة وجلسائى الزمنى والمساكين أصبح وليس لى شئ وأمسى وليس لى شئ وأنا طيب النفس غير مكترث فمن أغنى منى وأربح رواه بن عساكر (١) وروى فى ترجمة محمد بن الوليد بن ابان بن حبان أبى الحسن العقيلى المصرى حدثنا هانئ بن المتوكل الاسكندرانى عن حيوة بن شريح حدثنى الوليد ابن أبى الوليد عن سفى بن نافع عن ابى هريرة عن النبى (ص) قال أوحى الله تعالى إلى عيسى أن ياعيسى انتقل من مكان الى مكان لئلا تعرف فتؤذى فوعزتى وجلالى لأزوجنك ألف حوراء ولأولمن عليك أربعمائة عام . وهذا حديث غريب رفعه وقد يكون موقوفا من رواية سفى بن نافع عن كعب الاحبار أو غيره من الاسرائيليين والله أعلم . وقال عبد الله بن المبارك عن سفيان بن عيينة عن خلف بن حوشب قال قال عيسى للحواريين كما ترك لكم الملوك الحكمة فكذلك فاتركوا لهم الدنيا . وقال قتادة قال عيسى عليه السلام سلونى فانى لين القلب وانى صغير عند نفسى وقال اسماعيل بن عياش عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال قال عيسى للحواريين كلوا خبز الشعير واشربوا الماء القراح واخرجوا من الدنيا سالمين آمنين بحق ماأقول لكم أن حلاوة الدنيا مرارة الآخرة وأن مرارة الدنيا حلاوة الآخرة وأن عباد الله ليسوا بالمتنعمين بحق ماأقول لكم ان شركم عالم يؤثر هواه على علمه يود أن الناس كلهم مثله .

وروى نحوه عن أبى هريرة وقال أبو مصعب عن مالك أنه بلغه أن عيسى كان يقول (يا بنى اسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البَرى وخبز الشعير واياكم وخبز البر فانكم لن تقوموا بشكره) وقال ابن وهب عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد قال كان عيسى يقول اعبروا الدنيا ولا تعمروها وكان يقول حب الدنيا رأس كل خطيئة والنظر يزرع فى القلب الشهوة * وحكى وهيب بن الورد مثله وزاد ورب شهوة أورثت أهلها حزنا طويلا وعن عيسى عليه السلام (يا ابن آدم الضعيف اتق الله حيث ما كنت وكن فى الدنيا ضيفاً واتخذ المساجد بيتا وعلم عينك البكاء وجسدك الصبر وقلبك التفكر ولا تهتم برزق غد فانها خطيئة) وعنه عليه السلام أنه قال كما أنه لا يستطيع أحدكم أن يتخذ على موج البحر داراً فلا يتخذ الدنيا قراراً وفى هذا يقول سابق البربرى *

لكُم بيوتٌ بمستَنّ السيولِ وَهلْ * يُبنَى على الماءِ بيتٌ أُسّه مَدَرُ

وقال سفيان الثورى قال عيسى بن مريم (لا يستقيم حب الدنيا وحب الآخرة فى قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار فى اناء) . وقال ابراهيم الحربى عن داود بن رشيد عن أبى عبد الله الصوفى قال قال عيسى (طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشاً حتى يقتله) وعن عيسى عليه السلام (ان الشيطان مع الدنيا وفكره من المال وتزيينه مع الهوى واستمكانه عند الشهوات) وقال الاعمش عن خيثمة كان عيسى يضع الطعام لأصحابه ويقوم عليهم ويقول هكذا فاصنعوا بالقرى وبه قالت امرأة لعيسى عليه السلام طوبى لحجر حملك ولثدى أرضعك . فقال : طوبى لمن قرأ كتاب الله واتبعه . وعنه طوبى لمن بكى من ذكر خطيئته وحفظ لسانه ووسعه بيته . وعنه طوبى لعين نامت ولم تحدث نفسها بالمعصية وانتبهت إلى غير اثم * وعن مالك بن دينار قال مرّ عيسى وأصحابه بجيفة فقالوا ما أنتن ريحها فقال ما أبيض أسنانها لينهاهم عن الغيبة . وقال أبو بكر بن أبى الدنيا حدثنا الحسين بن عبد الرحمن عن زكريا بن عدى قال قال عيسى بن مريم يا معشر الحواريين ارضوا بدنى الدنيا مع سلامة الدين كما رضى أهل الدنيا بدنى الدين مع سلامة الدنيا . قال زكريا وفى ذلك يقول الشاعر .

أرى رجالاً بأدنى الدينِ قد قَنِعوا * ولا أَراهُمُ رَضوا فى العيشِ بالدّونِ

فاستغنِ بالدينِ عنْ دنيا الملوكِ كما * استغنَى الملوكُ بدُنياهُمُ عنِ الدّينِ

وقال أبو مصعب عن مالك قال عيسى بن مريم عليه السلام (لا تكثروا الحديث بغير ذكر الله فتقسو قلوبكم فان القلب القاسى بعيد من الله ولكن لا تعلمون . ولا تنظروا فى ذنوب العباد كأنكم أرباب وانظروا فيها كأنكم عبيد فانما الناس رجلان معافى ومبتلى فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية) وقال الثورى سمعت أبى يقول عن ابراهيم التيمى قال قال عيسى لأصحابه (بحق أقول لكم من طلب الفردوس فخبز الشعير والنوم فى المزابل مع الكلاب كثير) . وقال

مالك بن دينار قال عيسى إن أكل الشعير مع الرماد والنوم على المزابل مع الكلاب لقليل فى طلب الفردوس . وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا سفيان عن منصور عن سالم بن أبى الجعد قال قال عيسى اعملوا لله ولا تعملوا لبطونكم انظروا إلى هذه الطير تغدو وتروح لاتحرث ولا تحصد والله يرزقها فان قلتم نحن اعظم بطوناً من الطير فانظروا إلى هذه الأباقير من الوحوش والحمر فانها تغدو وتروح لا تحرث ولا تحصد والله يرزقها . وقال صفوان بن عمرو عن شريح بن عبد الله عن يزيد بن ميسرة قال قال الحواريون للمسيح يا مسيح الله انظر إلى مسجد الله ماأحسنه قال آمين آمين بحق ماأقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجراً قائماً إلا اهلكه بذنوب أهله ان الله لا يصنع بالذهب ولا بالفضة ولا بهذه الاحجار التى تعجبكم شيئاً ان أحب إلى الله منها القلوب الصالحة وبها يعمر الله الارض وبها يخرب الله الارض إذا كانت على غير ذلك . وقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى تاريخه أخبرنا أبو منصور أحمد ابن محمد الصوفى أخبرتنا عائشة بنت الحسن بن ابراهيم الوركانية قالت حدثنا أبو محمد عبد الله بن عمر بن عبد الله بن الهشيم أملاء حدثنا الوليد بن ابان املاء حدثنا أحمد بن جعفر الرازى حدثنا سهيل بن ابراهيم الحنظلى حدثنا عبد الوهاب بن عبد العزيز عن المعتمر عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس عن النبى (ص.) قال مر عيسى عليه السلام على مدينة خربة فأعجبه البنيان فقال أى رب مر هذه المدينة أن تجيبنى فأوحى الله الى المدينة أيتها المدينة الخربة جاوبى عيسى قال فنادت المدينة عيسى حبيبى وما تريد منى قال ما فعل أشجارك وما فعل أنهارك وما فعل قصورك وأين سكانك ؟ قالت حبيبى جاء وعد ربك الحق فيبست أشجارى ونشفت أنهارى وخربت قصورى ومات سكانى . قال فأين أموالهم فقالت جمعوها من الحلال والحرام موضوعة فى بطنى . لله ميراث السموات والارض .قال فنادى عيسى عليه السلام (فعجبت من ثلاث أناس طالب الدنيا والموت يطلبه وبانى القصور والقبر منزله ومن يضحك ملء فيه والنار أمامه ابن آدم لا بالكثير تشبع ولا بالقليل تقنع تجمع مالك لمن لا يحمدك وتقدم على رب لا يعذرك إنما أنت عبد بطنك وشهوتك وانما تملأ بطنك إذا دخلت قبرك وانت يا ابن آدم ترى حشد مالك فى ميزان غيرك) هذا حديث غريب جداً وفيه موعظة حسنة فكتبناه لذلك .

وقال سفيان الثورى عن أبيه عن ابراهيم التيمى قال قال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين اجعلوا كنوزكم فى السماء فان قلب الرجل حيث كنزه وقال ثور بن يزيد عن عبد العزيز بن ظبيان قال قال عيسى بن مريم من تعلم وعلم وعمل دعى عظيما فى ملكوت السماء . وقال أبو كريب روى أن عيسى عليه السلام قال لا خير فى علم لا يعبر معك الوادى ويعبر بك النادى. وروى ابن عساكر باسناد غريب عن ابن عباس مرفوعا أن عيسى قام فى بنى اسرائيل فقال (يامعشر الحواريين لا تحدثوا بالحكم غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم والأمور ثلاثة . أمر تبين رشده فاتبعوه وأمر تبين غيه

فاجتنبوه وأمر اختلف عليكم فيه فردوا علمه إلى الله عز وجل) . وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن رجل عن عكرمة قال قال عيسى (لا تطرحوا اللؤلؤ إلى الخنزير فان الخنزير لا يصنع باللؤلؤ شيئاً ولا تعطوا الحكمة من لا يريدها فان الحكمة خير من اللؤلؤ ومن لا يريدها شر من الخنزير) . وكذا حكى وهب وغيره عنه وعنه أنه قال لأصحابه (أنتم ملح الارض فاذا فسدتم فلا دواء لكم وان فيكم خصلتين من الجهل الضحك من غير عجب والصبحة من غير سهر) وعنه أنه قيل له من أشد الناس فتنة قال زلة العالم فان العالم إذا زل يزل بزلته عالم كثير . وعنه أنه قال (يا علماء السوء جعلتم الدنيا على رؤسكم والاخرة تحت أقدامكم قولكم شفاء وعملكم داء مثلكم مثل شجرة الدفلى تعجب من رآها وتقتل من أكلها) وقال وهب قال عيسى (يا علماء السوء جلستم على أبواب الجنة فلا تدخلوها ولا تدعون المساكين يدخلونها إن شر الناس عند الله عالم يطلب الدنيا بعلمه . وقال مكحول (التقى يحيى وعيسى فصافحه عيسى وهو يضحك فقال له يحيى يا ابن خالة مالى أراك ضاحكا كأنك قد أمنت) فقال له عيسى (مالى أراك عابساً كأنك قد يئست) فأوحى الله اليهما (ان أحبكما الى أبشكما بصاحبه) وقال وهب بن منبه وقف عيسى هو وأصحابه على قبر وصاحبه يدلى فيه فجعلوا يذكرون القبر وضيقه فقال (قد كنتم فيما هو أضيق منه من أرحام امهاتكم فاذا احب الله أن يوسع وسع) وقال أبو عمر الضرير بلغنى أن عيسى كان إذا ذكر الموت يقطر جلده دما . والآثار فى مثل هذا كثيرة جداً . وقد أورد الحافظ بن عساكر منها طرفا صالحا اقتصرنا منها على هذا القدر والله الموفق للصواب *

رفع عيسى عليه السلام الى السماء

﴿ فى حفظ الرب وبيان كذب اليهود والنصارى فى دعوى الصلب ﴾

قال الله تعالى (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين . إذ قال الله ياعيسى إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) وقال تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا . وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما . وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً حكيما . وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا] فأخبر تعالى أنه رفعه الى السماء بعد ماتوفاه بالنوم على الصحيح المقطوع به وخلصه ممن كان أراد أذيته من اليهود الذين وشوا به الى بعض الملوك الكفرة فى ذلك الزمان *

قال الحسن البصرى ومحمد بن اسحاق كان اسمه داود بن نورا فأمر بقتله وصلبه فحصروه فى دار بيت المقدس وذلك عشية الجمعة ليلة السبت فلما حان وقت دخولهم ألقى شبهه على بعض أصحابه الحاضرين عنده ورفع عيسى من روزنة ذلك البيت الى السماء وأهل البيت ينظرون ودخل الشرط فوجدوا ذلك الشاب الذى ألقى عليه شبهه فأخذوه ظانين أنه عيسى فصلبوه ووضعوا الشوك على رأسه اهانة له وسلم لليهود عامة النصارى الذين لم يشاهدوا ماكان من أمر عيسى انه صلب وضلوا بسبب ذلك ضلالا مبيناً كثيراً فاحشاً بعيداً وأخبر تعالى بقوله (وإن من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) اى بعد نزوله الى الارض فى آخر الزمان قبل قيام الساعة فانه ينزل ويقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية ولا يقبل إلا الاسلام كما بينا ذلك بما ورد فيه من الاحاديث عند تفسير هذه الآية الكريمة من سورة النساء وكما سنورد ذلك مستقصى فى كتاب الفتن والملاحم عند أخبار المسيح الدجال فنذكر ما ورد فى نزول المسيح المهدى عليه السلام من ذى الجلال لقتل المسيح الدجال الكذاب الداعى الى الضلال وهذا ذكر ما ورد فى الآثار فى صفة رفعه الى السماء * قال ابن ابى حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما اراد الله ان يرفع عيسى الى السماء خرج على أصحابه وفى البيت اثنا عشر رجلا منهم من الحواريين يعنى فخرج عليهم من عين فى البيت ورأسه يقطر ماء فقال ان منكم من يكفر بى اثنى عشرة مرة بعد أن آمن بى ثم قال أيكم يلقى عليه شبهى فيقتل مكانى فيكون معى فى درجتى فقام شاب من احدثهم سناً فقال له اجلس ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال اجلس . ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال أنا فقال أنت هو ذاك فالقى عليه شبه عيسى ورفع عيسى من روزنة فى البيت الى السماء . قال وجاء الطلب من اليهود فاخذوا الشبه فقتلوه ثم صلبوه فكفر به بعضهم اثنى عشرة مرة بعد ان آمن به وافترقوا ثلاث فرق فقالت طائفة كان الله فينا ما شاء ثم صعد الى السماء وهؤلاء اليعقوبية وقالت فرقة كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله اليه وهؤلاء النسطورية وقالت فرقة كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء ثم رفعه الله اليه وهؤلاء المسلمون فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها فلم يزل الاسلام طامساً حتى بعث الله محمداً (ص) . قال ابن عباس وذلك قوله تعالى (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين) وهذا اسناد صحيح الى ابن عباس على شرط مسلم ورواه النسائى عن ابى كريب عن ابى معاوية بنحوه ورواه ابن جرير عن مسلم بن جنادة عن ابى معاوية وهكذا ذكر غير واحد من السلف وممن ذكر ذلك مطولا محمد بن اسحق بن يسار قال وجعل عيسى عليه السلام يدعو الله عز وجل أن يؤخر اجله يعنى ليبلغ الرسالة ويكمل الدعوة ويكثر الناس الدخول فى دين الله قيل وكان عنده من الحواريين اثنى عشر رجلا بطرس ويعقوب بن زبدا ويحنس اخو يعقوب واندراوس وفليبس وابرثلما ومتى وتوماس ويعقوب بن

حلقيا وتداوس وفتانيا ويودس كريا يوطا وهـذا هو الذى دل اليهود عـلى عيسى * قال ابن اسحق وكان فيهم رجل اخر اسمه سرجس كتمته النصارى وهو الذى التى شبه المسيح عليـه فصلب عنه قال وبعض النصارى يزعم ان الذى صلب عن المسيح والتى عليه شبهه هو يودس بن كريا يوطا والله اعلم .

وقال الضحاك عن ابن عباس استخلف عيسى شمعون وقتلت اليهود يودس الذى التى عليه الشبه وقال احمـد بن مروان حـدثنا محمد بن الجهم قال سمعت الفراء يقول فى قوله (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) قال ان عيسى غاب عن خالته زمانا فاتاها فقام رأس الجالوت اليهودى فضرب على عيسى حتى اجتمعوا عـلى باب داره فـكسروا الباب ودخل رأس جالوت ليأخذ عيسى فطمس الله عينيـه عن عيسى ثم خرج الى أصحابه فقال لم أره ومعـه سيف مسلول فقالوا أنت عيسى وألقى الله شبه عيسى عليه فاخذوه فقتلوه وصلبوه فقال جل ذكره (وما قتلوه وما صلبوه ولـكن شبه لهم) وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمى عن هرون بن عنترة عن وهب بن منبه قال أتى عيسى ومعه سبعة عشر من الحوارين فى بيت فاحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صورهم الله كلهم عـلى صورة عيسى فقالوا لهم سحرتمونا ليبرزن الينا عيسى أولنقتلنـكم جميعاً فقال عيسى لاصحابه من يشترى منـكم نفسه اليوم بالجنة فقال رجل أنا فخرج اليهم فقال أنا عيسى وقـد صوره الله على صورة عيسى فاخذوه فقتلوه وصلبوه فمن ثم شبه لهم وظنوا أنهم قد قتلوا عيسى فظنت النصارى مثـل ذلك انه عيسى ورفع الله عيسى من يومه ذلك

قال ابن جرير وحدثنا المثنى حدثنا اسحاق حدثنا اسماعيل بن عبد الكريم حدثنى عبدالصمد بن معقل أنه سمع وهباً يقول ان عيسى بن مريم لما أعلمه الله أنه خارج من الدنيا جزع من الموت وشق عليه فدعا الحواريين وصنع لهم طعاماً فقال احضرونى الليلة فان لى اليـكم حاجة فلما اجتمعوا اليه من الليـل عشاهم وقام يخدمهم فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسل ايديهم ويوضئهم بيده ويمسح ايديهم بثيابه فتعاظموا ذلك وتـكارهوه فقال ألا من رد على شيئا الليلة مما أصنع فليس منى ولا أنا منه فأقروه حتى اذا فرغ من ذلك قال أما ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام وغسلت أيديكم بيدى فليكن لـكم بى أسوة فانكم ترون أنى خيركم فلا يتعظم بعضكم على بعض وليبذل بعضكم لبعض نفسه كما بذلت نفسى لـكم وأما حاجتى التى استعنتكم عليها فتدعون الله وتجتهدون فى الدعاء ان يؤخر أجلى فلما نصبوا أنفسهم للدعاء وأرادوا أن يجتهدوا أخذهم النوم حتى لم يستطيعوا دعاء فجعل يوقظهم ويقول سبحان الله أما تصبرون لى ليـلة واحـدة تعينونى فيها فقالوا والله ماندرى مالنا والله لقد كنا نسمر فنكثر السمر وما نطيق الليلة سمرا وما نريد دعاء الا حيـل بيننا وبينه فقال يذهب بالراعى وتتفرق الغنم وجعل يأتى بكلام نحو هـذا ينعى به نفسه . ثم قال الحق ليكفرن بى أحدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات وليبيعنى أحدكم بدراهم يسيرة وليأ كلن ثمنى فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فأخـذوا شمعون أحد الحواريين فقالوا هـذا من

صحابه فجحد وقال ماأنا بصاحبـه فتركوه . ثم أخـذه آخرون فجحد كذلك ثم سمع صوت ديك فبكى وأحزنه . فلما أصبح أتى أحـد الحواريين إلى اليهود فقال ماتجعلون لى إن دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهماً فأخذها ودلهم عليه وكان شبه عليهم قبل ذلك فأخذوه واستوثقوا منه وربطوه بالحبـل وجعـلوا يقودونه ويقولون أنت كنت تحيي الموتى وتنتهر الشيطان وتبرىء المجنون أفلا تنجى نفسك من هذا الحبل ويبصقون عليه ويلقون عليه الشوك حتى أتوا به الخشبة التى أرادوا أن يصلبوه عليها فرفعه الله اليه وصلبوا ما شبه لهم فمكث سبعاً . ثم إن أمه والمرأة التى كان يداويها عيسى فأبرأها الله من الجنون جاءتا تبكيان حيث كان المصلوب فجاءهما عيسى فقال على م تبكيان قالتا عليك فقال إنى قد رفعنى الله اليه ولم يصبنى إلا خير وان هـذا شئ شبه لهم فأمرا الحواريين أن يلقونى إلى مكان كذا وكذا فلقوه الى ذلك المـكان أحد عشر وفقد الذى كان باعه ودل عليـه اليهود فسأل عنه أصحابه فقالوا إنه ندم على ماصنع فاختنق وقتـل نفسه فقال لو تاب لتاب الله عليه * ثم سألهم عن غلام يتبعهم يقال له يحيى فقال هو معكم فانطلقوا فانه سيصبح كل انسان منكم يحدث بلغة قوم فلينذرهم وليدعهم * وهـذا اسناد غريب عجيب وهو أصح ممـا ذكره النصارى من أن المسيح جاء إلى مريم وهى جالسة تبكى عند جـذعه فأراها مكان المسامير من جسده وأخبرها أن روحـه رفعت وأن جسده صلب وهـذا بهت وكذب واختلاق وتحريف وتبديل وزيادة باطلة فى الانجيل على خلاف الحق ومقتضى النقل .

وحكى الحافظ بن عساكر من طريق يحيى بن حبيب فيما بلغـه أن مريم سألت من بيت الملك بعـد ماصلب المصلوب بسبعة أيام وهى تحسب أنه ابنها أن ينزل جسده فأجابهم الى ذلك ودفن هنالك فقالت مريم لأم يحيى ألا تذهبين بنا نزور قبر المسيح فذهبتا فلمـا دنتا من القبر قالت مريم لأم يحيى ألا تستترين فقالت وممن استتر فقالت من هذا الرجل الذى هو عند القبر فقالت أم يحيى انى لا أرى أحدا فرجت مريم أن يكون جبريل وكانت قـد بعد عهدها به فاستوقفت أم يحيى وذهبت نحو القبر فلمـا دنت من القبر قال لها جبريل وعرفته يا مريم أين تريدين فقالت أزور قبر المسيح فأسلم عليـه وأحدث عهداً به فقال يامريم ان هذا ليس المسيح إن الله قد رفع المسيح وطهره من الذين كفروا ولـكن هذا الفتى الذى التى شبه عليـه وصلب وقتل مكانه . وعلامة ذلك أن أهله قد فقدوه فلا يدرون ما فعل به فهم يبكون عليه فاذا كان يوم كذا وكذا فأت غيضة كذا وكذا فانك تلقـين المسيح قال فرجعت الى أختها وصعد جبريل فأخبرتها عن جبريـل وما قال لهـا من أمر الغيضة . فلما كان ذلك اليوم ذهبت فوجدت عيسى فى الغيضة فلما رآها اسرع اليها وأكب عليها فقبل رأسها وجعل يدعو لها كما كان يفعـل وقال يا امه إن القوم لم يقتلونى ولكن الله رفعنى اليه وأذن لى فى لقائك والموت يأتيـك قريباً فاصبرى واذكرى الله كثيراً ثم صعد عيسى فلم تلقه إلا تلك المرة حتى ماتت . قال وبلغنى أن مريم بقيت بعـد

عيسى خمس سنين وماتت ولها ثلاث وخمسون سنة رضى الله عنها وأرضاها .

وقال الحسن البصرى كان عمر عيسى عليه السلام يوم رفع أربعاً وثلاثين سنة وفى الحديث (إن أهل الجنة يدخلونها جرداً مرداً مكحلين ابناء ثلاث وثلاثين) . وفى الحديث الآخر على ميلاد عيسى وحسن يوسف وكذا قال حماد بن سلمة عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب أنه قال رفع عيسى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة *

فأما الحديث الذى رواه الحاكم فى مستدركه ويعقوب بن سفيان الفسوى فى تاريخه عن سعيد بن أبى مريم عن نافع بن يزيد عن عمارة بن غزية عن محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان أن أمه فاطمة بنت الحسين حدثته أن عائشة كانت تقول أخبرتنى فاطمة أن رسول الله (ص) اخبرها أنه لم يكن نبى كان بعده نبى إلا عاش الذى بعده نصف عمر الذى كان قبله وأنه أخبرنى أن عيسى بن مريم عاش عشرين ومائة سنة فلا أرانى إلا ذاهب على رأس ستين * هذا لفظ الفسوى فهو حديث غريب .

قال الحافظ بن عساكر والصحيح أن عيسى لم يبلغ هذا العمر وإنما أراد به مدة مقامه فى أمته كما روى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة قال قالت فاطمة قال لى رسول الله (ص) أن عيسى بن مريم مكث فى بنى إسرائيل أربعين سنة وهذا منقطع . وقال جرير والثورى عن الاعمش أن ابراهيم مكث عيسى فى قومه أربعين عاما ويروى عن أمير المؤمنين على أن عيسى عليه السلام رفع ليلة الثانى والعشرين من رمضان وتلك الليلة فى مثلها توفى على بعد طعنه بخمسة أيام وقد روى الضحاك عن ابن عباس أن عيسى لما رفع الى السماء جاءته سحابة فدنت منه حتى جلس عليها وجاءته مريم فودعته وبكت ثم رفع وهى تنظر والقى اليها عيسى برداً له وقال هذا علامة ما بينى وبينك يوم القيامة والقى عمامته على شمعون وجعلت أمه تودعه باصبعها تشير بها اليه حتى غاب عنها وكانت تحبه حبا شديداً لأنه توفر عليها حبه من جهتى الوالدين اذ لا أب له وكانت لا تفارقه سفراً ولا حضراً . قال بعض الشعراء

وكنتُ أرى كالموتِ من بينِ ساعةٍ فكيفَ ببينٍ كانَ موعدُه الحشْرُ

وذكر اسحاق بن بشر عن مجاهد بن جبير أن اليهود لما صلبوا ذلك الرجل الذى شبه لهم وهم يحسبونه المسيح وسلم لهم أكثر النصارى بجهلهم ذلك تسلطوا على أصحابه بالقتل والضرب والحبس فبلغ أمرهم الى صاحب الروم وهو ملك دمشق فى ذلك الزمان فقيل له إن اليهود قد تسلطوا على أصحاب رجل كان يذكر لهم أنه رسول الله وكان يحيى الموتى ويبرىء الأكمه والأبرص ويفعل العجائب فعدوا عليه فقتلوه وأهانوا أصحابه وحبسوهم فبعث فجئ بهم وفيهم يحيى بن زكريا وشمعون وجماعة فسألهم عن أمر المسيح فاخبروه عنه فبايعهم فى دينهم وأعلى كلمتهم وظهر الحق على اليهود وعلت كلمة النصارى عليهم وبعث الى المصلوب فوضع عن جذعه وجئ بالجذع الذى صلب عليه ذلك الرجل فعظمه

فمن ثم عظمت النصارى الصليب ومن هاهنا دخل دين النصرانية فى الروم وفى هذا نظر من وجوه .
أحدها ان يحيى بن زكريا نبى لا يقر على أن المصلوب عيسى فانه معصوم يعلم ما وقع على جهة الحق .
الثانى أن الروم لم يدخلوا فى دين المسيح إلا بعد ثلثمائة سنة وذلك فى زمان قسطنطين بن قسطن بانى المدينة المنسوبة اليه على ما سنذكره . الثالث أن اليهود لما صلبوا ذلك الرجل ثم القوه بخشبته جعلوا مكانه مطرحاً للقمامة والنجاسة وجيف الميتات والقاذورات فلم يزل كذلك حتى كان فى زمان قسطنطين المذكور فعمدت أمه هيلانة الحرانية الفندقانية فاستخرجته من هنالك معتقدة أنه المسيح ووجدوا الخشبة التى صلب عليها المصلوب فذكروا أنه ما مسها ذو عاهة الا عوفى فالله أعلم أ كان هذا أم لا وهل كان هذا لان ذلك الرجل الذى بذل نفسه كان رجلا صالحاً أو كان هذا محنة وفتنة لأمة النصارى فى ذلك اليوم حتى عظموا تلك الخشبة وغشوها بالذهب واللآلئ ومن ثم اتخذوا الصلبانات وتبركوا بشكلها وقبلوها . وأمرت أم الملك هيلانة فازيلت تلك القمامة وبنى مكانها كنيسة هائلة مزخرفة بأنواع الزينة فهى هذه المشهورة اليوم ببلد بيت المقدس التى يقال لها القمامة باعتبار ما كان عندها ويسمونها القيامة يعنون التى يقوم جسد المسيح منها . ثم أمرت هيلانة بأن توضع قمامة البلد وكناسته وقاذوراته على الصخرة التى هى قبلة اليهود فلم يزل كذلك حتى فتح عمر بن الخطاب بيت المقدس فكنس عنها القمامة بردائه وطهرها من الاخباث والأنجاس ولم يضع المسجد وراءها ولكن أمامها حيث صلى رسول الله (ص) ليلة الاسراء بالانبياء وهو الاقصى .

صفة عيسى عليه السلام وشمائله وفضائله

قال الله تعالى (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة) قيل سمى المسيح لمسحه الارض وهو سياحته فيها وفراره بدينه من الفتن فى ذلك الزمان لشدة تكذيب اليهود له وافترائهم عليه وعلى أمه عليهما السلام . وقيل لانه كان ممسوح القدمين . وقال تعالى (وقفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور) وقال تعالى (وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) والآيات فى ذلك كثيرة جداً وقد تقدم ماثبت فى الصحيحين (مامن مولود إلا والشيطان يطعن فى خاصرته حين يولد فيستهل صارخا إلا مريم وابنها ذهب يطعن فطعن فى الحجاب) وتقدم حديث عمير بن هانىء عن جنادة عن عبادة عن رسول الله (ص) أنه قال (من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته التى القاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل) رواه البخارى (وهذا لفظه ومسلم)

وروى البخارى ومسلم من حديث الشعبى عن أبى بردة بن أبى موسى عن أبيه قال قال رسول الله (ص) (إذا أدب الرجل أمته فاحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم اعتقها فتزوجها كان له أجران واذا آمن بعيسى بن مريم ثم آمن بى فله أجران والعبد إذا اتقى ربه وأطاع مواليه فله أجران) هذا لفظ البخارى . وقال البخارى حدثنا ابراهيم بن موسى أنبأنا هشام عن معمر (ح) وحدثنى محمود حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهرى أخبرنى سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال قال النبى (ص) (ليلة أسرى بى لقيت موسى قال فنعته فاذا رجل حسبته قال مضطرب رَجِل الرأس كأنه من رجال شنؤة قال ولقيت عيسى فنعته النبى (ص) فقال ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس يعنى الحمام ورأيت ابراهيم وأنا اشبه ولده به الحديث) وقد تقدم فى قصتى ابراهيم وموسى ثم قال حدثنا محمد بن كثير انبانا اسرائيل عن عثمان بن المغيرة عن مجاهد عن بن عمر قال قال النبى (ص) (رأيت عيسى وموسى وابراهيم . فأما عيسى فاحمر جعد عريض الصدر . وأما موسى فآدم جسيم سبط كأنه من رجال الزط تفرد به البخارى . وحدثنا ابراهيم بن المنذر حدثنا أبو ضمرة حدثنا موسى بن عقبة عن نافع قال قال عبد الله بن عمر ذكر النبى (ص) يوما بين ظهرانى الناس المسيح الدجال فقال ان الله ليس بأعور إلا أن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية وأرانى الليلة عند الكعبة فى المنام فاذا رجل آدم كأحسن مايرى من آدم الرجال تضرب لمته بين منكبيه رجل الشعر يقطر رأسه ماء واضعاً يديه على منكبى رجلين وهو يطوف بالبيت فقلت من هذا فقالوا المسيح بن مريم . ثم رأيت رجلا وراءه جعد قطط أعور عين اليمنى كاشبه من رأيت بابن قطن واضعاً يده على منكبى رجل يطوف بالبيت فقلت من هذا فقالوا المسيح الدجال . ورواه مسلم من حديث موسى بن عقبة . ثم قال البخارى تابعه عبد الله بن نافع ثم ساقه من طريق الزهرى عن سالم بن عمر قال الزهرى وابن قطن رجل من خزاعة هلك فى الجاهلية . فبين صلوات الله وسلامه عليه صفة المسيحين مسيح الهدى ومسيح الضلالة ليعرف هذا إذا نزل فيؤمن به المؤمنون ويعرف الآخر فيحذره الموحدون . وقال البخارى حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن همام بن منبه عن أبى هريرة عن النبى (ص) قال (رأى عيسى بن مريم رجلا يسرق فقال له أسرقت قال كلا والذى لا إله إلا هو فقال عيسى آمنت بالله وكذبت عينى) وكذا رواه محمد بن رافع عن عبد الرزاق وقال أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن حميد الطويل عن الحسن وغيره عن أبى هريرة قال ولا أعلمه إلا عن النبى (ص) قال (رأى عيسى رجلا يسرق فقال يافلان أسرقت فقال لا والله ماسرقت فقال آمنت بالله وكذبت بصرى) . وهذا يدل على سجية طاهرة حيث قدم حلف ذلك الرجل فظن أن أحداً لا يحلف بعظمة الله كاذبا على ماشاهده منه عياناً فقبل عذره ورجع على نفسه فقال آمنت بالله أى صدقتك وكذبت بصرى لأجل حلفك . وقال البخارى حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن

المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص.) (تحشرون حفاة عراة غرلا . ثم قرأ (كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا انا كنافاعلين) فأول الخلق يكسى ابراهيم ثم يؤخذ برجال من أصحابى ذات اليمين وذات الشمال فأقول أصحابى فيقال انهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم فأقول كما قال العبد الصالح عيسى بن مريم(وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد * إن تعذبهم فانهم عبادك . وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) تفرد به دون مسلم من هذا الوجه . وقال أيضا حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدى حدثنا سفيان سمعت الزهرى يقول أخبرنى عبد الله بن عبد الله عن ابن عباس سمع عمر يقول على المنبر سمعت رسول الله (ص.) يقول (لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فانما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله *

وقال البخارى حدثنا ابراهيم حدثنا جرير بن حازم عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة عن النبى (ص.) قال (لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة عيسى وكان فى بنى اسرائيل رجل يقال له جريج يصلى إذ جاءته أمه فدعته قال أجيبها أو أصلى فقالت اللهم لاتمته حتى تريه وجوه المومسات وكان جريج فى صومعة فعرضت له امرأة وكلمته فأبى فأتت راعياً فأمكنته من نفسها فولدت غلاما فقيل لها من قالت من جريج فأتوه وكسروا صومعته فأنزلوه وسبوه فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام فقال من أبوك ياغلام قال فلان الراعى قالوا أنبنى صومعتك من ذهب قال لا إلا من طين . وكانت امرأة ترضع ابناً لها فى بنى اسرائيل فمر بها رجل راكب ذو شارة فقالت اللهم اجعل ابنى مثله فترك ثديها وأقبل على الراكب فقال اللهم لاتجعلنى مثله . ثم أقبل على ثديها يمصه . قال أبو هريرة كأنى أنظر إلى النبى (ص.) يمص أصبعه ثم مر بأمة فقالت اللهم لاتجعل ابنى مثل هذه فترك ثديها فقال . اللهم اجعلنى مثلها فقالت لم ذلك فقال الراكب جبار من الجبابرة وهذه الأمة يقولون سرقت وزنت ولم تفعل * وقال البخارى حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب عن الزهرى أخبرنى أبو سلمة أن أبا هريرة قال سمعت رسول الله (ص.) يقول (أنا أولى الناس بابن مريم والانبياء أولاد علات ليس بينى وبينه نبى تفرد به البخارى من هذا الوجه . ورواه ابن حبان فى صحيحه من حديث أبى داود الحفرى[1] عن الثورى عن أبى الزناد عن أبى سلمة عن أبى هريرة وقال أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان هو الثورى عن أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص.) (أنا أولى الناس بعيسى عليه السلام والانبياء اخوة أولاد علات وليس بينى وبين عيسى نبى. وهذا أسناد صحيح على شرطهما ولم يخرجوه من هذا الوجه وأخرجه أحمد عن عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبى هريرة عن النبى (ص.) بنحوه وأخرجه ابن حبان من حديث عبد الرزاق نحوه . وقال أحمد

(١) هو عمر بن سعد

حدثنا يحيى عن ابن أبى عروبة حدثنا قتادة عن عبد الرحمن بن آدم عن أبى هريرة عن النبى (ص) قال (الانبياء اخوة لعلات . ودينهم واحد وأمهاتهم شتى . وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه لم يكن بينى وبينه نبى وإنه نازل فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الى الحمرة والبياض سبط كأن رأسه يقطر وان لم يصبه بلل بين ممصرتين فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويعطل الملل حتى يهلك فى زمانه كلها غير الاسلام ويهلك الله فى زمانه المسيح الدجال الكذاب وتقع الأمنة فى الارض حتى ترتع الابل مع الأسد جميعا والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان والغلمان بالحيات لا يضر بعضهم بعضاً فيمكث ماشاء الله أن يمكث ثم يتوفى فيصلى عليه المسلمون ويدفنونه . ثم رواه احمد عن عفان عن همام عن قتادة عن عبد الرحمن عن أبى هريرة فذكر نحوه وقال فيمكث أربعين سنة . ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون . ورواه أبو داود عن هدبة بن خالد عن همام بن يحيى به نحوه . وروى هشام بن عروة عن صالح مولى أبى هريرة عنه أن رسول الله (ص) قال (فيمكث فى الأرض أربعين سنة . وسيأتى بيان نزوله عليه السلام فى آخر الزمان فى كتاب الملاحم كما بسطنا ذلك أيضاً فى التفسير عند قوله تعالى فى سورة النساء (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً) وقوله (وانه لعلم للساعة الآية) وانه ينزل على المنارة البيضاء بدمشق وقد اقيمت صلاة الصبح فيقول له امام المسلمين تقدم ياروح الله فصل فيقول لا بعضكم على بعض أمراء مكرمة الله هذه الأمة . وفى رواية فيقول له عيسى انما أقيمت الصلاة لك فيصلى خلفه . ثم يركب ومعه المسلمون فى طلب المسيح الدجال فيلحقه عند باب لد فيقتله بيده الكريمة . وذكرنا أنه قوى الرجاء حين بنيت هذه المنارة الشرقية بدمشق التى هى من حجارة بيض وقد بنيت أيضاً من اموال النصارى حين حرقوا التى هدمت وما حولها فينزل عليها عيسى ابن مريم عليه السلام فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ولا يقبل من أحد إلا الاسلام وأنه يحج من فج الروحاء حاجاً أو معتمرا أو لتثنيهما ويقيم أربعين سنة ثم يموت فيدفن فيما قيل فى الحجرة النبوية عند رسول الله (ص) وصاحبيه . وقد ورد فى ذلك حديث ذكره ابن عساكر فى آخر ترجمة المسيح عليه السلام فى كتابه عن عائشة مرفوعا أنه يدفن مع رسول الله (ص) وأبى بكر وعمر فى الحجرة النبوية ولكن لايصح اسناده وقال أبو عيسى الترمذى حدثنا زيد بن اخزم الطائى حدثنا أبو قتيبة مسلم بن قتيبة حدثنى أبو مودود المدنى حدثنا عثمان بن الضحاك عن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده قال مكتوب فى التوراة صفة محمد وعيسى بن مريم عليهم السلام يدفن معه . قال أبو مودود وقد بقى من البيت موضع قبر . ثم قال الترمذى هذا حديث حسن كذا قال . والصواب الضحاك بن عثمان المدنى . وقال البخارى هذا الحديث لايصح عندى ولا يتابع عليه وروى البخارى عن يحيى بن حماد عن أبى عوانة عن عاصم الأحول عن أبى عثمان النهدى عن سلمان قال الفترة مابين عيسى ومحمد (ص) ستمائة سنة وعن قتادة خمسمائة

وستون سنة . وقيل خمسمائة وأربعون سنة وعن الضحاك أربعمائة وبضع وثلاثون سنة . والمشهور ستمائة سنة * ومنهم من يقول ستمائة وعشرون سنة بالقمرية لتكون ستمائة بالشمسية والله أعلم *

وقال ابن حبان فى صحيحه (ذكر المدة التى بقيت فيها أمة عيسى على هديه) حدثنا أبو يعلى حدثنا أبو همام حدثنا الوليد بن مسلم عن الهيثم بن حميد عن الوضين بن عطاء عن نصر بن علقمة عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء قال قال رسول الله (ص) (لقد قبض الله داود من بين أصحابه فما فتنوا ولا بدلوا ولقد مكث أصحاب المسيح على سنته وهديه مائتى سنة) . وهذا حديث غريب جداً وان صححه ابن حبان . وذكر ابن جرير عن محمد بن اسحاق أن عيسى عليه السلام قبل أن يرفع وصى الحواريين بان يدعو الناس إلى عبادة الله وحده لاشريك له وعين كل واحد منهم إلى طائفة من الناس فى اقليم من الأقاليم من الشام والمشرق وبلاد المغرب فذكروا أنه أصبح كل انسان منهم يتكلم بلغة الذين أرسله المسيح اليهم . وذكر غير واحد أن الانجيل نقله عنه أربعة لوقا ومتى ومرقس ويوحنا وبين هذه الاناجيل الأربعة تفاوت كثير بالنسبة الى كل نسخة ونسخة وزيادات كثيرة ونقص بالنسبة إلى الأخرى وهؤلاء الأربعة منهم اثنان ممن أدرك المسيح ورآه وهما متى ويوحنا ومنهم اثنين من أصحاب أصحابه[1] وهما مرقس ولوقا وكان ممن آمن بالمسيح وصدقه من اهل دمشق رجل يقال له ضينا وكان مختفياً فى مغارة داخل الباب الشرقى قريباً من الكنيسة المصلبة خوفا من بولس اليهودي وكان ظالماً غاشما مبغضاً للمسيح ولما جاء به . وكان قد حلق رأس ابن أخيه حين آمن بالمسيح وطاف به فى البلد * ثم رجمه حتى مات رحمه الله * ولما سمع بولص أن المسيح عليه السلام قد توجه نحو دمشق جهز بغاله وخرج ليقتله فتلقاه عند كوكبا فلما واجه أصحاب المسيح جاء اليه ملك فضرب وجهه بطرف جناحه فأعماه . فلما رأى ذلك وقع

---

(١) من هنا الى قوله (كتاب اخبار الماضين الخ) لم يوجد بالنسختين الموجودتين بالمكتبة المصرية ووجد بها بدله هذه العبارة . وهى وقد أنشد الشيخ شهاب الدين القرافى فى كتابه الرد على النصارى لبعضهم يرد عليهم فى قولهم بصلب المسيح وتسليمهم ذلك لليهود مع دعواهم أنه ابن الله تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً *

عَجَباً للمسيح بينَ النّصارى * وإلى اللهِ ولداً نسبوهُ
أسلموه إلى اليهودِ وقالوا * إنهم بعد قتلِهِ صَلَبوه
فاذا كانَ ما تقولون حقّاً * وصَحيحاً فأينَ كانَ أبوه
حينَ خلّى ابنَه رهينَ الأعادي * أتُراهم أرضَوْه أم أغْضَبوه
فلئنْ كانَ راضياً بأذاهم * فاعذرُوهم لأنّهم وَافقوه
ولئنْ كانَ ساخِطاً فاتركوهُ * واعبدُوهم لأنّهم غلَبوه

فى نفسه تصديق المسيح فجاء اليه واعتذر مما صنع وآمن به فقبل منه وسأله أن يمسح عينيه ليرد الله عليه بصره فقال اذهب الى ضينا عندك بدمشق فى طرف السوق المستطيل من المشرق فهو يدعو لك فجاء اليه فدعا فرد عليه بصره وحسن ايمان بولص بالمسيح عليه السلام أنه عبد الله ورسوله وبنيت له كنيسة باسمه فهى كنيسة بولص المشهورة بدمشق من زمن فتحها الصحابة رضى الله عنهم حتى خربت فى الزمان الذى سنورده إن شاء الله تعالى .

فصل

اختلف أصحاب المسيح عليه السلام بعد رفعه الى السماء فيه على أقوال كما قاله ابن عباس وغيره من أئمة السلف كما أوردناه عند قوله (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) قال ابن عباس وغيره قال قائلون منهم كان فينا عبد الله ورسوله فرفع الى السماء وقال آخرون هو الله وقال آخرون هو ابن الله فالأول هو الحق والقولان الآخران كفر عظيم كما قال(فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) وقد اختلفوا فى نقل الأناجيل على أربعة أقاويل مابين زيادة ونقصان وتحريف وتبديل ثم بعد المسيح بثلثمائة سنة حدثت فيه الطامة العظمى والبلية الكبرى . اختلف البتاركة الاربعة وجميع الاساقفة والقساوسة والشمامسة والرهابين فى المسيح على أقوال متعددة لاتنحصر ولا تنضبط واجتمعوا وتحاكموا إلى الملك قسطنطين بانى القسطنطينية وهم المجمع الاول فصار الملك إلى قول أكثر فرقة اتفقت على قول من تلك المقالات فسموا الملائكة ودحض من عداهم وأبعدهم وتفردت الفرقة التابعة لعبدالله بن اديوس الذى ثبت على أن عيسى عبد من عباد الله ورسول من رسله فسكنوا البرارى والبوادى وبنوا الصوامع والديارات والقلايات وقنعوا بالعيش الزهيد ولم يخالطوا أولئك الملل والنحل وبنت الملائكة الكنائس الهائلة عمدوا إلى ماكان من بناء اليونان فحولوا محاريبها الى الشرق وقد كانت إلى الشمال الى الجدى *

بيان بناء بيت لحم والقمامة

وبنى الملك قسطنطين بيت لحم على محل مولد المسيح وبنت أمه هيلانة القمامة يعنى على قبر المصلوب وهم يسلمون لليهود أنه المسيح . وقد كفرت هؤلاء وهؤلاء ووضعوا القوانين والأحكام.ومنها مخالف للعتيقة التى هى التوراة وأحلوا أشياء هى حرام بنص التوراة ومن ذلك الخنزير وصلوا إلى الشرق ولم يكن المسيح صلى إلا الى صخرة بيت المقدس وكذلك جميع الانبياء بعد موسى . ومحمد خاتم النبيين صلى اليها بعد هجرته الى المدينة ستة عشر أو سبعة عشر شهراً ثم حول الى الكعبة التى بناها ابراهيم الخليل . وصوروا الكنائس ولم تكن مصورة قبل ذلك ووضعوا العقيدة التى يحفظها أطفالهم ونساؤهم

ورجالهم التى يسمونها بالامانة . وهى فى الحقيقة أكبر الكفر والخيانة وجميع الملكية والنسطورية أصحاب نسطورس أهل المجمع الثانى واليعقوبية اصحاب يعقوب البرادعى أصحاب المجمع الثالث يعتقدون هذه العقيدة ويختلفون فى تفسيرها وهاأنا أحكيها وحاكى الكفر ليس بكافر لابث على مافيها ركة الالفاظ وكثرة الكفر والخبال المفضى بصاحبه الى النار ذات الشواظ فيقولون نؤمن بالله واحد ضابط الكل خالق السموات والارض كل مايرى وكل مالايرى وبرب واحديسوع المسيح بن الله الوحيد المولود من الاب قبل الدهور نور من نور إله حق من إله حق مولود غير مخلوق مساو للأب فى الجوهر الذى كان به كل شئ من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس ومن مريم العذراء وتأنس وصلب على عهد ملاطس النبطى وتالم وقبر وقام فى اليوم الثالث كما فى الكتب وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الاب وأيضاً فسيأتى بجسده ليدبر الاحياء والاموات الذى لافناء لملكه وروح القدس الرب المحيي المنبثق من الأب مع الأب والابن مسجود له وممجد الناطق فى الانبياء كنسبة واحدة جامعة مقدسة يهولية واعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا وأنه حى قيامة الموتى وحياة الدهر العتيد كونه آمين

كتاب اخبار الماضين

من بنى اسرائيل وغيرهم الى آخر زمن الفترة سوى أيام العرب وجاهليتهم فانا سنورد ذلك بعد فراغنا من هذا الفصل إن شاء الله تعالى قال الله تعالى (كذلك نقص عليك من أنباء ماقد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكراً) . وقال (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين) .

خبر ذى القرنين

قال الله تعالى (ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا . انا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شئ سبباً فأتبع سببا . حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوما . قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب واما أن تتخذ فيهم حسنا . قل أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً . وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسراً . ثم أتبع سبباً . حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً . كذلك وقد أحطنا بما لديه خبراً . ثم أتبع سبباً . حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولا . قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً . قال مامكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً آتونى زبر الحديد حتى إذا ساوى

بين الصـدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتونى أفرغ عليه قطرا . فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا . قال هذا رحمة من ربى فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقاً). ذكر الله تعالى ذا القرنين هذا وأثنى عليه بالعدل وانه بلغ المشارق والمغارب وملك الاقاليم وقهر اهلها وسار فيهم بالمعدلة التامة والسلطان المؤيد المظفر المنصور القاهر المقسط. والصحيح أنه كان ملكا من الملوك العادلين وقيل كان نبياً . وقيل رسولا . وأغرب من قال ملكا من الملائكة . وقد حكى هذا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فانه سمع رجلا يقول لآخر ياذا القرنين فقال مه ماكفاكم أن تتسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة ذكره السهيلى . وقد روى وكيع عن اسرائيل عن جابر عن مجاهد عن عبد الله ابن عمرو قال كان ذو القرنين نبياً . وروى الحافظ بن عساكر من حديث أبى محمد بن أبى نصر عن أبى اسحاق بن ابراهيم بن محمد بن أبى ذؤيب حدثنا محمد بن حماد أنبأنا عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبى ذؤيب عن المقبرى عن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص) (لأدرى أتبع كان لعيناً أم لا ولا أدرى الحدود كفارات لاهلها أم لا ولا أدرى ذو القرنين كان نبيـاً أم لا) . وهـذا غريب من هذا الوجـه . وقال اسحاق بن بشر عن عثمان بن الساج عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس قال كان ذو القرنين ملـكا صالحاً رضى الله عمله وأثنى عليه فى كتابه وكان منصورا وكان الخضر وزيره .وذكر أن الخضر عليـه السلام كان على مقدمة جيشه وكان عنده بمنزلة المشاور الذى هو من الملك بمنزلة الوزير فى اصلاح الناس اليوم . وقد ذكر الازرقى وغيره أن ذا القرنين أسلم على يدى ابراهيم الخليل وطاف معه بالكعبة المكرمة هو واسماعيل عليه السـلام [(١)] وروى عن عبيد بن عمير وابنه عبـد الله وغيرهما أن ذا القرنين حج ماشياً وأن ابراهيم لما سمع بقدومه تلقاه ودعا له ورضاه وأن الله سخر لذى القرنين السحاب يحمله حيث أراد والله أعلم *

واختلفوا فى السبب الذى سمى به ذا القرنين فقيل لانه كان له فى رأسه شبه القرنين. قال وهب بن منبه كان له قرنان من نحاس فى رأسه وهذا ضعيف وقال بعض أهل الـكتاب لانه ملك فارس والروم وقيل لأنه بلغ قرنى الشمس غربا وشرقاً . وملك مابينهمـا من الأرض وهذا أشبه من غيره وهو قول الزهرى وقال [(٢)] الحسن البصرى كانت له غديرتان من شعر يطافهما فسمى ذا القرنين وقال اسحاق ابن بشر عن عبد الله بن زياد بن سمعان عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال دعا ملـكا جباراً إلى الله فضربه على قرنه فكسره ورضـه . ثم دعاه فدق قرنه الثـانى فكسره فسمى ذا القرنين وروى، الثورى عن حبيب بن أبى ثابت عن أبى الطفيل عن عـلى بن أبى طالب أنه سئل عن ذى القرنين فقال

---

(١) من هنا الى قوله قال وهب بن منبه الخ لم يوجد بالنسختين المصريتين .

(٢) من هنا الى قوله وروى الثورى لم يوجد بهما أيضا

كان عبداً ناصحَ اللهَ فناصحه دعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه فمات فأحياه الله فدعا قومه الى الله فضربوه على قرنه الآخر فمات فسمى ذا القرنين . وهكذا رواه شعبة القاسم بن أبى بزة عن أبى الطفيل عن على به * وفى بعض الروايات عن أبى الطفيل عن على قال لم يكن نبياً ولا رسولا ولا ملكا ولكن كان عبداً صالحاً .

وقد اختلف فى اسمه فروى الزبير بن بكار عن ابن عباس كان اسمه عبد الله بن الضحاك بن معد وقيل مصعب بن عبد الله بن قنان بن منصور بن عبد الله بن الأزد بن عون[1] بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن قحطان .

وقد جاء فى حديث أنه كان من حمير وأمه رومية وأنه كان يقال له ابن الفيلسوف لعقله . وقد أنشد بعض الحميريين [2] فى ذلك شعراً يفتخر بكونه أحد اجداده فقال :

قَد كانَ ذو القرنَين جَدّي [3] مُسْلماً ملْكاً تدين له الملوكَ وتَحشِد [4]

---

(١) كذا فى العينى على البخارى بالعين المهلة والنون وهو خطأ والصواب غوث بالغين المعجمة والثاء المثلثة كما فى أنساب السمعانى . (٢) قوله بعض الحميريين هو تبع على ما فى العرائس للثعلبى وهو تبع أبو كرب كما فى التيجان فى ملوك حمير والشعر من قصيدة هى احد وخمسون بيتاً

(٣) قوله جده جدى كذا فى التيجان ورواه صاحب العرائس فى قصص الانبياء والفخر الرازى فى تفسيره قبلى . (٤) قوله ملكا تدين له الملوك وتحشد كذا بالاصل بالشين المعجمة بعد الحاء المهملة ورواية العرائس وتسجد بالجيم بعد السين المهملة وعلى كلتا الروايتين يكون فى البيت عيب من عيوب القوافى وهو الاكفاء وهو اختلاف القوافى بالضم والكسر فان الشعر مكسور الروى وهو الدال قال الشاعر فى أول القصيدة

نحن الملوك ذوو العلا والسوددِ نحن الحماة بنو الهمام الامجد

سميتُ أسعد والسعود طوالع لا بدأن ترقى النحوس لأسعد

أفبعدَ وائل والمقعقع بعده ترجو الخلود وأنت غير مخلد

إلى آخره وأنشد الفخر الرازى فى تفسيره هذا الشعر هكذا

قد كان ذو القرنين قبلى مسلماً ملكا علا فى الارض غير مفند

بلغ المشارق والمغارب يبتغى اسباب ملك من كريم سيد

وعليه فلا إكفاء واقتصر فى العرائس على الابيات الثلاثة وترك البيت الأخير هنا وأنشدها كما أنشدها المؤرخ هنا غير أنه قال قبلى بدل جدى وقال تسجد بدل تحشد كما علمت والشعر فى التيجان هكذا وليس فيه البيت الاخير أيضاً مع ذكره القصيدة كلها قال الشاعر فى مكة

بلغَ المشارقَ والمغاربَ يبتغي   اسبابَ أمرٍ مِنْ حكيمٍ مُرشِدِ
فرأى مغيبَ الشّمسِ عندَ غُروبها   في عيْنِ ذي خلبٍ وثأطٍ حرْمد
من بعدِهِ بلقيسُ كانتْ عمّتي   مَلَكَتْهُمُ حتّى أتاها الهدهدُ

قال السهيلي وقيل كان اسمه مرزبان بن مرزبة . ذكره ابن هشام (١) وذكر فى موضع آخر أن اسمه الصعب بن ذى مرائد وهو أول التبابعة وهو الذى حكم لابراهيم فى بئر السبع . وقيل إنه أفريدون ابن أسفيان الذى قتل الضحاك وفى خطبة قس يا معشر اياد بن الصعب ذو القرنين ملك الخافقين وأذل الثقلين وعمر الفين . ثم كان ذلك كلحظة عين ثم انشد ابن هشام للاعشى .

والصّعبُ ذو القرنَيْنِ أصبحَ ثاوياً   بالجنوِ في جَـدَثٍ أشمَّ مقيماً

وذكر الدار قطنى وابن ما كولا أن اسمه هرمس (٢) ويقال هرويس بن قيطون بن رومى بن لنطى ابن كشلوخين بن يونان بن يافث بن نوح فالله أعلم . وقال اسحق بن بشر عن سعيد بن بشير عن قتادة قال اسكندر هو ذو القرنين وأبوه أول القياصرة وكان من ولد سام بن نوح عليه السلام . فاما ذو القرنين الثانى فهو اسكندر بن فيلبس بن مصريم بن هرمس بن ميطون بن رومى بن لنطى بن يونان بن يافث ابن يونة بن شرخون بن رومة بن شرفط بن توفيل بن رومى بن الاصفر بن يقز بن العيص بن اسحق ابن ابراهيم الخليل كذا نسبه الحافظ ابن عساكر فى تاريخه . المقدونى اليونانى المصرى بانى اسكندرية الذى يؤرخ بأيامه الروم وكان متأخراً عن الاول بدهر طويل كان هذا قبل المسيح بنحو من ثلاثمائة سنة وكان ارطاطاليس الفيلسوف وزيره وهو الذى قتل دارا بن دارا وأذل ملوك الفرس وأوطأ أرضهم.

وأقام ذو القرنين فيها حجة   خوفا يطوف على اللظى المتوقد
إذ كان ذوالقرنين جدى مسلما   فمتى تراه له المقاولُ تسجدِ
طاف المشارق والمغارب عالماً   يبغى علوماً من كريم مرشد
ورأى مسير الشمس عندغروبها   فى عين ذى خلبٍ وثأطٍ حرمدِ
فلقد أذل الصعب صعب زمانه   وأناط قوة عزه بالفرقد

ثم قال فى التيجان قال معاوية يا ابن عباس فما الخلب والثأط والحرمد قال الخلب الحمأة والثأط ما تحتها من الطين والحرمد ما تحته من الحصى والحجر .

(١) قوله ذكره ابن هشام أى فى السيرة وقوله وذكر فى موضع آخر أى فى التيجان فى ملوك حمير روايته عن وهب بن منبه اه محمود الامام .

(٢) والذى فى العرائس عن اكثر أهل السير هو الاسكندر بن فيلبش بن بطريوس بن هرمس ابن هردوس بن منطون بن رومى بن لطين بن يونان بن يافث . اه محمود الامام

وانما نبهنا عليه لان كثيرا من الناس يعتقد أنهما واحد وان المذكور فى القرآن هو الذى كان ارطاطاليس وزيره فيقع بسبب ذلك خطأ كبير وفساد عريض طويل كثير فان الأول كان عبداً مؤمناً صالحاً وملكا عادلا وكان وزيره الخضر وقد كان نبياً على ما قررناه قبل هذا . وأما الثانى فكان مشركا وكان وزيره فيلسوفاً وقد كان بين زمانيهما أزيد من الفى سنة . فأين هذا من هذا لا يستويان ولا يشتبهان إلا على غبى لا يعرف حقائق الامور * فقوله تعالى (ويسألونك عن ذى القرنين) كان سببه أن قريشاً سألوا اليهود عن شئ يمتحنون به علم رسول الله (ص) فقالوا لهم سلوه عن رجل طواف فى الأرض وعن فتية خرجوا لا يدرى ما فعلوا فأنزل الله تعالى قصة أصحاب الكهف وقصة ذى القرنين . ولهذا قال (قل سأتلوا عليكم منه ذكراً) أى من خبره وشأنه (ذكراً) أى خبراً نافعاً كافياً فى تعريف امره وشرح حاله فقال (إنا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شئ سبباً) أى وسعنا مملكته فى البلاد وأعطيناه من آلات المملكة ما يستعين به على تحصيل ما يحاوله من المهمات العظيمة والمقاصد الجسيمة . قال قتيبة عن أبى عوانة عن سماك عن حبيب بن حماد قال كنت عند على بن أبى طالب وسأله رجل عن ذى القرنين كيف بلغ المشرق والمغرب فقال له (سخر له السحاب ومدت له الأسباب وبسط له فى النور) وقال أزيدك فسكت الرجل وسكت على رضى الله عنه . وعن أبى اسحاق السبيعى عن عمرو بن عبد الله الوادعى سمعت معاوية يقول : ملك الارض أربعة . سليمان بن داود النبى عليهما السلام . وذو القرنين ورجل من أهل حلوان . ورجل آخر . فقيل له الخضر قال لا * وقال الزبير بن بكار حدثنى ابراهيم بن المنذر عن محمد بن الضحاك عن أبيه عن سفيان الثورى قال بلغنى أنه ملك الارض كلها أربعة (مؤمنان وكافران سليمان النبى وذو القرنين ونمرود وبخت نصر) وهكذا قال سعيد بن بشير سواء وقال اسحاق بن بشر عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن الحسن قال (كان ذو القرنين ملك بعد النمرود وكان من قصته أنه كان رجلا مسلماً صالحاً أتى المشرق والمغرب مد الله له فى الاجل ونصره حتى قهر البلاد واحتوى على الاموال وفتح المدائن وقتل الرجال وجال فى البلاد والقلاع فسار حتى أتى المشرق والمغرب فذلك قول الله (ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً) أى خبراً (إنا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شئ سبباً) أى علماً بطلب اسباب المنازل *

قال اسحاق وزعم مقاتل أنه كان يفتح المدائن ويجمع الكنوز فمن اتبعه على دينه وتابعه عليه وإلا قتله . وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وعبيد بن يعلى والسدى وقتادة والضحاك (وآتيناه من كل شئ سبباً) يعنى علماً وقال قتادة ومطر الوراق معالم الارض ومنازلها واعلامها وآثارها وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعنى تعلم الالسنة كان لا يغزو قوماً إلا حدثهم بلغتهم والصحيح أنه يعم كل سبب يتوصل به الى نيل مقصوده فى المملكة وغيرها فانه كان يأخذ من كل أقليم من الامتعة

والمطاعم والزاد ما يكفيه ويعينه على اهل الاقليم الآخر *

وذكر بعض أهل الكتاب أنه مكث الفا وستمائة سنة يجوب الارض ويدعو أهلها الى عبادة الله وحده لا شريك له وفى كل هذه المدة نظر والله أعلم . وقد روى البيهقى وابن عساكر حديثاً متعلقا بقوله (وآتيناه من كل شىء سبباً) مطولا جداً وهو منكر جداً . وفى اسناده محمد بن يونس الكديمى وهو متهم فلهذا لم نكتبه لسقوطه عندنا والله أعلم وقوله (فأتبع سببا) أى طريقاً (حتى إذا بلغ مغرب الشمس) يعنى من الارض انتهى الى حيث لا يمكن أحدا أن يجاوزه ووقف على حافة البحر المحيط الغربى الذى يقال له أوقيانوس الذى فيه الجزائر المسماة بالخالدات التى هى مبدأ الاطوال على أحد قولى ارباب الهيئة والثانى من ساحل هذا البحر كما قدمنا . وعنده شاهد مغيب الشمس فيما رآه بالنسبة الى مشاهدته (تغرب فى عين حمئة) والمراد بها البحر فى نظره فان من كان فى البحر أو على ساحله يرى الشمس كأنها تطلع من البحر وتغرب فيه ولهذا قال (وجدها) أى فى نظره ولم يقل فاذا هى تغرب فى عين حمئة أى ذات حمأة . قال كعب الاحبار وهو الطين الاسود . وقرأه بعضهم حامية . فقيل يرجع إلى الاول . وقيل من الحرارة وذلك من شدة المقابلة لوهج ضوء الشمس وشعاعها . وقد روى الامام احمد عن يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب حدثنى مولى لعبد الله بن عمرو عن عبد الله . قال نظر رسول الله ص إلى الشمس حين غابت فقال (فى نار الله الحامية لولا ما يزعها من أمر الله لاحرقت ما على الارض) فيه غرابة وفيه رجل مبهم لم يسم ورفعه فيه نظر وقد يكون موقوفا من كلام عبد الله بن عمرو فانه أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب المتقدمين فكان يحدث منها والله أعلم *

ومن زعم من القصاص أن ذا القرنين جاوز مغرب الشمس وصار يمشى بجيوشه فى ظلمات مدداً طويلة فقد اخطأوا بعد النجعة . وقال ما يخالف العقل والنقل .

باب طلب ذي القرنين عين الحياة

وقد ذكر ابن عساكر من طريق وكيع عن أبيه عن معتمر بن سليمان عن أبى جعفر الباقر عن أبيه زين العابدين خبراً مطولا جداً فيه أن ذا القرنين كان له صاحب من الملائكة يقال له رناقيل فسأله ذو القرنين هل تعلم فى الأرض عيناً يقال لها عين الحياة فذكر له صفة مكانها فذهب ذو القرنين فى طلبها وجعل الخضر على مقدمته فانتهى الخضر اليها فى واد فى أرض الظلمات فشرب منها ولم يهتد ذو القرنين اليها . وذكر اجتماع ذى القرنين ببعض الملائكة فى قصر هناك وأنه اعطاه حجراً فلما رجع إلى جيشه سأل العلماء عنه فوضعوه فى كفة ميزان وجعلوا فى مقابلته ألف حجر مثله فوزنها حتى سأل الخضر فوضع قباله حجراً وجعل عليه حفنة من تراب فرجح به . وقال هذا مثل ابن آدم لايشبع حتى يوارى

بالتراب فسجد له العلماء تكريماً له واعظاماً والله اعلم * ثم ذكر تعالى أنه حكم فى أهل تلك الناحية (قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا . قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكرا) أى فيجتمع عليه عذاب الدنيا والآخرة وبدأ بعذاب الدنيا لانه أزجر عند الكافر (وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من امرنا يسرا) فبدأ بالاهم وهو ثواب الآخرة وعطف عليه الاحسان منه اليه وهذا هو العدل والعلم والايمان قال الله تعالى (ثم أتبع سببا) أى سلك طريقاً راجعاً من المغرب الى المشرق فيقال إنه رجع فى ثنتى عشر سنة (حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) أى ليس لهم بيوت ولا اكنان يستترون بها من حر الشمس . قال كثير من العلماء ولكن كانوا يأوون إذا اشتد عليهم الحر الى اسراب قد اتخذوها فى الارض شبه القبور قال الله تعالى (كذلك وقد احطنا بما لديه خبرا) أى ونحن نعلم ما هو عليه ونحفظه ونكاؤه بحراستنا فى مسيره ذلك كله من مغارب الارض الى مشارقها .

وقد روى عن عبيد بن عمير وابنه عبد الله وغيرهما من السلف أن ذوا القرنين حج ماشياً فلما سمع ابراهيم الخليل بقدومه تلقاه فلما اجتمعا دعا له الخليل ووصاه بوصايا ويقال انه جيء بفرس ليركبها فقال لا أركب فى بلد فيه الخليل فسخر الله له السحاب وبشر دابراهيم بذلك فكانت تحمله إذا أراد . وقوله تعالى (ثم اتبع سبباً . حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولا) يعنى غتما . يقال انهم هم الترك ابناء عم يأجوج ومأجوج فذكروا له أن هاتين القبيلتين قد تعدوا عليهم وأفسدوا فى بلادهم وقطعوا السبل عليهم وبذلوا له حملا وهو الخراج على أن يقيم بينهم وبينهم حاجزاً يمنعهم من الوصول اليهم فامتنع من أخذ الخراج اكتفاءا بما أعطاه الله من الاموال الجزيلة (قال ما مكنى فيه ربى خير) ثم طلب منهم أن يجمعوا له رجالا وآلات ليبنى بينهم وبينهم سداً وهو الردم بين الجبلين وكانوا لا يستطيعون الخروج اليهم إلا من بينهما وبقية ذلك بحار مغرقة وجبال شاهقة فبناه كما قال تعالى من الحديد والقطر وهو النحاس المذاب . وقيل الرصاص والصحيح الاول فجعل بدل اللبن حديداً وبدل الطين نحاساً ولهذا قال تعالى (فما اسطاعوا أن يظهروه) أى يعلوا عليه بسلالم ولا غيرها (وما استطاعوا له نقبا) أى بمعاول ولا فؤس ولا غيرها فقابل الاسهل بالاسهل والاشد بالاشد (قال هذا رحمة من ربى) أى قدر الله وجوده ليكون رحمة منه بعباده أن يمنع بسببه عدوان هؤلاء القوم على من جاورهم فى تلك المحلة (فاذا جاء وعد ربى) أى الوقت الذى قدر خروجهم على الناس فى آخر الزمان (جعله دكاء) أى مساوياً للارض ولا بد من كون هذا ولهذا قال (وكان وعد ربى حقاً) كما قال تعالى (حتى إذا فتحت يأجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون . واقترب الوعد الحق الآية) ولذا قال ههنا (وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض) يعنى يوم فتح السد على الصحيح (ونفخ فى

الصور فجمعناهم جمعاً) وقد أوردنا الاحاديث المروية فى خروج يأجوج ومأجوج فى التفسير وسنوردها ان شاء الله فى كتاب الفتن والملاحم من كتابنا هذا إذا انتهينا اليه بحول الله وقوته وحسن توفيقه ومعونته وهدايته .

قال أبو داود الطيالسى عن الثورى بلغنا أن أول من صافح ذو القرنين . وروى عن كعب الاحبار انه قال لمعاوية إن ذا القرنين لما حضرته الوفاة أوصى أمه إذا هو مات أن تصنع طعاماً وتجمع نساء أهل المدينة وتضعه بين أيديهن وتأذن لهن فيه إلا من كانت ثكلى فلا تأكل منه شيئا فلما فعلت ذلك لم تضع واحدة منهن يدها فيه فقالت لهن سبحان الله كلكن ثكلى فقلن أى والله ما منا إلا من اثكلت فكان ذلك تسلية لأمه . وذكر اسحاق بن بشر عن عبد الله بن زياد عن بعض أهل الكتاب وصية ذى القرنين وموعظة أمه موعظة بليغة طويلة فيها حكم وأمور نافعة وأنه مات وعمره ثلاثة آلاف سنة وهذا غريب .

قال ابن عساكر وبلغنى من وجه آخر أنه عاش ستا وثلاثين سنة . وقيل كان عمره ثنتين وثلاثين سنة . وكان بعد داود بسبعمائة سنة وأربعين سنة . وكان بعد آدم بخمسة آلاف ومائة واحدى وثمانين سنة . وكان ملكه ست عشرة سنة . وهذا الذى ذكره انما ينطبق على اسكندر الثانى لا الأول وقد خلط فى أول الترجمة وآخرها بينهما والصواب التفرقة كما ذكرنا اقتداء بجماعة من الحفاظ والله أعلم * ومما جعلهما واحداً الامام عبد الملك بن هشام راوى السيرة وقد أنكر ذلك عليه الحافظ أبو القاسم السهيلى رحمه الله انكاراً بليغاً ورد قوله رداً شنيعاً وفرق بينهما تفريقاً جيداً كما قدمنا قال ولعل جماعة من الملوك المتقدمين تسموا بذى القرنين تشبهاً بالاول والله اعلم *

ذكر أمتى يأجوج ومأجوج

وصفاتهم وما ورد من أخبارهم وصفة السد

هم من ذرية آدم بلا خلاف نعلمه ثم الدليل على ذلك ماثبت فى الصحيحين من طريق الاعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد قال قال رسول الله (ص) يقول الله تعالى يوم القيامة يا آدم قم فابعث بعث النار من ذريتك فيقول يارب وما بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة فحينئذ يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد * قالوا يارسول الله أينا ذلك الواحد فقال رسول الله (ص) (ابشروا فان منكم واحداً ومن يأجوج ومأجوج ألفاً) وفى رواية فقال ابشروا فان فيكم أمتين ما كانتا فى شئ إلا كثرتاه أى غلبتاه كثرة وهذا يدل على كثرتهم وانهم اضعاف الناس مراراً عديدة . ثم هم من ذرية نوح لان

الله تعالى أخبر أنه استجاب لعبده نوح فى دعائه على أهل الارض بقوله (رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً) وقال تعالى (فأنجيناه وأصحاب السفينة) وقال (وجعلنا ذريته هم الباقين) وتقدم فى الحديث المروى فى المسند والسنن أن نوحا ولد له ثلاثة وهم سام وحام ويافث فسام أبو العرب وحام أبو السودان ويافث أبو الترك فيأجوج ومأجوج طائفة من الترك وهم مثل المغول وهم أشد بأساً وأكثر فساداً من هؤلاء ونسبتهم اليهم كنسبة هؤلاء إلى غيرهم . وقد قيل إن الترك إنما سموا بذلك حين بنى ذو القرنين السد والجأ يأجوج ومأجوج إلى ما وراءه فبقيت منهم طائفة لم يكن عندهم كفسادهم فتركوا من ورائه * فلهذا قيل لهم الترك .

ومن زعم أن يأجوج ومأجوج خلقوا من نطفة آدم حين احتلم فاختلطت بتراب فخلقوا من ذلك وانهم ليسوا من حواء فهو قول حكاه الشيخ أبو زكريا النواوى فى شرح مسلم وغيره وضعفوه وهو جدير بذلك إذ لا دليل عليه بل هو مخالف لما ذكرناه من أن جميع الناس اليوم من ذرية نوح بنص القرآن * وهكذا من زعم أنهم على أشكال مختلفة واطوال متباينة جداً . فنهم من هو كالنخلة السحوق . ومنهم من هو غاية فى القصر . ومنهم من يفترش أذناً من أذنيه ويتغطى بالأخرى فكل هذه أقوال بلا دليل ورجم بالغيب بغير برهان . والصحيح أنهم من بنى آدم وعلى اشكالهم وصفاتهم . وقد قال النبى (ص) (إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعا) ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن . وهذا فيصل فى هذا الباب وغيره . وما قيل من أن أحدهم لا يموت حتى يرى من ذريته ألفاً فان صح فى خبر قلنا به والا فلا نرده إذ يحتمله العقل والنقل أيضا قد يرشد اليه والله أعلم . بل قد ورد حديث مصرح بذلك ان صح قال الطبرانى حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس الاصبهانى حدثنا أبو مسعود احمد بن الفرات حدثنا أبو داود الطيالسى حدثنا المغيرة عن مسلم عن أبى اسحاق عن وهب بن جابر عن عبد الله بن عمرو عن النبى (ص) قال (ان يأجوج ومأجوج من ولد آدم ولو أرسلوا لأفسدوا على الناس معائشهم ولن يموت منهم رجل إلا ترك من ذريته الفاً فصاعداً . وان من ورائهم ثلاث أمم (تاويل وتاريس ومنسك) . وهو حديث غريب جداً واسناده ضعيف . وفيه نكارة شديدة * وأما الحديث الذى ذكره بن جرير فى تاريخه أن رسول الله (ص) ذهب اليهم ليلة الاسراء فدعاهم إلى الله فامتنعوا من اجابته ومتابعته وأنه دعا تلك الامم التى هناك (تاريس وتاويل ومنسك) فاجابوه فهو حديث موضوع اختلقه أبو نعيم عمرو بن الصبح أحد الكذابين الكبار الذين اعترفوا بوضع الحديث والله اعلم .

فان قيل فكيف دل الحديث المتفق عليه أنهم فداء المؤمنين يوم القيامة وأنهم فى النار ولم يبعث اليهم رسل . وقد قال الله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) فالجواب أنهم لا يعذبون إلا بعد قيام الحجة عليهم والاعذار اليهم كما قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) فان كانوا فى زمن

الذى قبل بعث محمد (ص) قد أتتهم رسل منهم فقد قامت على أولئك الحجة وان لم يكن قد بعث الله اليهم رسلا فهم فى حكم أهل الفترة . ومن لم تبلغه الدعوة وقد دل الحديث المروى من طرق عن جماعة من الصحابة عن رسول الله (ص) (ان من كان كذلك يمتحن فى عرصات القيامة فمن أجاب الداعى دخل الجنة ومن أبى دخل النار) وقد أوردنا الحديث بطرقه وألفاظه وكلام الائمة عليه عند قوله (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقد حكاه الشيخ أبو الحسن الاشعرى اجماعاً عن أهل السنة والجماعة وامتحانهم لا يقتضى نجاتهم ولا ينافى الأخبار عنهم بأنهم من أهل النار لأن الله يطلع رسوله (ص) على ما يشاء من أمر الغيب وقد اطلعه على أن هؤلاء من أهل الشقاء وأن سجاياهم تأبى قبول الحق والانقياد له فهم لا يجيبون الداعى الى يوم القيامة فيعلم من هذا أنهم كانوا أشد تكذيباً للحق فى الدنيا لو بلغهم فيها لأن فى عرصات القيامة ينقاد خلق ممن كان مكذبا فى الدنيا فايقاع الايمان هناك لما يشاهد من الأهوال أولى واحرى منه فى الدنيا والله أعلم . كما قال تعالى (ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون) وقال تعالى (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) * وأما الحديث الذى فيه أن رسول الله (ص) دعاهم ليلة الاسراء فلم يجيبوا فانه حديث منكر بل موضوع وضعه عمرو بن الصبح .

وأما السد فقد تقدم أن ذا القرنين بناه من الحديد والنحاس وساوى به الجبال الصم الشامخات الطوال فلا يعرف على وجه الارض بناء أجل منه ولا أنفع للخلق منه فى أمر دنياهم . قال البخارى وقال رجل للنبى (ص) رأيت السد قال وكيف رأيته قال مثل البرد المحبر فقال رأيته هكذا . ذكره البخارى معلقاً بصيغة الجزم ولم أره مسنداً من وجه متصل أرتضيه غير أن ابن جرير رواه فى تفسيره مرسلا فقال حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن رجلا قال (يا رسول الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج قال انعته لى قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رأيته .

وقد ذكر أن الخليفة الواثق بعث رسلا من جهته وكتب لهم كتباً إلى الملوك يوصلونهم من بلاد إلى بلاد حتى ينهوا إلى السد فيكشفوا عن خبره وينظروا كيف بناه ذو القرنين على أى صفة فلما رجعوا أخبروا عن صفته وأن فيه باباً عظيما وعليه أقفال وأنه بناء محكم شاهق منيف جداً وأن بقية اللبن الحديد والآلات فى برج هناك وذكروا أنه لا يزال هناك حرس لتلك الملوك المتاخمة لتلك البلاد ومحلته فى شرقى الارض فى جهة الشمال فى زاوية الارض الشرقية الشمالية ويقال ان بلادهم متسعة جداً وانهم يقتاتون باصناف من المعايش من حراثة وزراعة واصطياد من البر ومن البحر وهم أمم وخلق لا يعلم عددهم إلا الذى خلقهم .

فان قيل فما الجمع بين قوله تعالى (فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا) وبين الحديث الذى رواه البخارى ومسلم عن زينب بنت جحش أم المؤمنين رضى الله عنها قالت استيقظ رسول الله (ص)

من نوم محمراً وجهه وهو يقول (لا إلاله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هـذه وحلق تسعين) قلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث . وأخرجاه فى الصحيحين من حديث وهيب عن ابن طاوس عن أبيه عن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص) (فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وعقد تسعين) . فالجواب أما على قول من ذهب الى أن هـذا اشارة إلى فتح ابواب الشر والفتن وان هذا استعارة محضة وضرب مثل فلا اشكال . واما على قول من جعل ذلك اخبارا عن امر محسوس كما هو الظاهر المتبادر فلا اشكال أيضاً لان قوله (فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً) أى فى ذلك الزمان لأن هذه صيغة خبر ماض فلا ينفى وقوعه فيما يستقبل باذن الله لهم فى ذلك قدرا وتسليطهم عليه بالتدريج قليلا قليلا حتى يتم الاجل وينقضى الامر المقدور فيخرجون كما قال الله تعالى (وهم من كل حدب ينسلون) ولكن الحديث الآخر اشكل من هذا وهو مارواه الامام أحمد فى مسنده قائلا حدثنا روح حدثنا سعيد بن أبى عروبة عن قتادة حدثنا أبو رافع عن أبى هريرة عن رسول الله (ص) قال (ان يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرونه غداً فيعودون اليه كأشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرون غداً إن شاء الله ويستثنى فيعودون اليه وهو كهيئة يوم تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فيستقون المياه وتتحصن الناس فى حصونهم فيرمون بسهامهم الى السماء فترجع وعليها كهيئة الدم فيقولون قهرنا أهل الارض وعلونا أهل السماء فيبعث الله عليهم نغفاً فى اقفائهم فيقتلهم بها . قال رسول الله (ص) (والذى نفس محمد بيده إن دواب الارض لتسمن وتشكر شكراً من لحومهم ودمائهم) ورواه احمد أيضاً عن حسن بن موسى عن سفيان عن قتادة به وهكذا رواه ابن ماجه من حديث سعيد عن قتادة الا أنه قال حديث أبو رافع ورواه الترمذى من حديث أبى عوانة عن قتادة به . ثم قال غريب لا نعرفه إلا من هـذا الوجه فقد أخبر فى هـذا الحديث أنهم كل يوم يلحسونه حتى يكادوا ينذرون شعاع الشمس من ورائه لرقته فان لم يكن رفع هذا الحديث محفوظاً وانما هو مأخوذ عن كعب الاحبار كما قاله بعضهم فقد استرحنا من المؤنة وان كان محفوظاً فيكون محمولا على أن ضيعهم هذا يكون فى آخر الزمان عند اقتراب خروجهم كما هو المروى عن كعب الاحبار أو يكون المراد بقوله (وما استطاعوا له نقبا) أى نافذاً منه فلا ينفى أن يلحسوه ولا ينفذوه والله أعلم وعلى هذا فيمكن الجمع بين هذا وبين مافى الصحيحين عن أبى هريرة فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد تسعين أى فتح فتحاً نافذاً فيه والله أعلم *

قصة أصحاب الكهف

قال الله تعالى (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً إذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً. نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى. وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذاً شططا . هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا . واذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من أمركم مرفقاً . وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً. وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم. قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا . انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم فى ملتهم ولن تفلحوا اذا أبدا . وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وان الساعة لاريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً . سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب . ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم . قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلاتمار فيهم إلا مراء ظاهراً ولا تستفت فيهم منهم أحداً. ولاتقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربى لاقرب من هذا رشداً . ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعاً . قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض أبصر به واسمع مالهم من دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه احدا)

كان سبب نزول قصة أصحاب الكهف وخبر ذى القرنين ماذكره محمد بن اسحاق فى السيرة وغيره ان قريشاً بعثوا الى اليهود يسألونهم عن اشياء يمتحنون بها رسول الله (ص) ويسألونه عنها ليختبروا ما يجيب به فيها فقالوا سلوه عن أقوام ذهبوا فى الدهر فلا يدرى ماصنعوا وعن رجل طواف فى الارض وعن الروح فأنزل الله تعالى (ويسألونك عن الروح. ويسألونك عن ذى القرنين) وقال ههنا (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) أى ليسوا بعجب عظيم بالنسبة الى ما اطلعناك عليه من الاخبار العظيمة والآيات الباهرة والعجائب الغريبة . والكهف هو الغار فى الجبل. قال شعيب الجبائى

واسم كهفهم حيزم وأما الرقيم فعن ابن عباس أنه قال لا أدرى ما المراد به .وقيل هو الكتاب المرقوم فيه اسماؤهم وما جرى لهم كتب من بعدهم اختاره ابن جرير وغيره .وقيل هو اسم الجبل الذى فيه كهفهم. قال ابن عباس وشعيب الجبائى واسمه بناجلوس . وقيل هو اسم واد عند كهفهم وقيل اسم قرية هنالك والله أعلم

قال شعيب الجبائى واسم كلبهم حمران واعتناء اليهود بامرهم ومعرفة خبرهم يدل على أن زمانهم متقدم على ماذكره بعض المفسرين انهم كانوا بعد المسيح وانهم كانوا نصارى. والظاهر من السياق أن قومهم كانوا مشركين يعبدون الأصنام . قال كثير من المفسرين والمؤرخين وغيرهم كانوا فى زمن ملك يقال له دقيانوس وكانوا من ابناء الاكابر .وقيل من ابناء الملوك واتفق اجتماعهم فى يوم عيد لقومهم فرأوا ما يتعاطاه قومهم من السجود للاصنام والتعظيم للاوثان فنظروا بعين البصيرة وكشف الله عن قلوبهم حجاب الغفلة والهمهم رشدهم فعلموا أن قومهم ليسوا على شىء فخرجوا عن دينهم وانتموا الى عبادة الله وحده لا شريك له. ويقال إن كل واحد منهم لما أوقع الله فى نفسه ماهداه اليه من التوحيد انحاز عن الناس واتفق اجتماع هؤلاء الفتية فى مكان واحد كما صح فى البخارى (الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وماتناكر منها اختلف) فكل منهم سأل الآخر عن امره وعن شأنه فاخبره ماهو عليه واتفقوا على الانحياز عن قومهم والتبرى منهم والخروج من بين أظهرهم والفرار بدينهم منهم وهو المشروع حال الفتن وظهور الشرور . قال الله تعالى(نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الهاً لقد قلنا اذاشططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين) أى بدليل ظاهر على ماذهبوا اليه وصاروا من الامر عليه (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الاالله) أى واذ فارقتموهم فى دينهم وتبرأتم مما يعبدون من دون الله وذلك لانهم كانوا يشركون مع الله كما قال الخليل(انني براء مما تعبدون إلا الذى فطرنى فانه سيهدين) وهكذا هؤلاء الفتية قال بعضهم اذ قد فارقتم قومكم فى دينهم فاعتزلوهم بابدانكم لتسلموا منهم أن يوصلوا اليكم شرا (فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من أمركم مرفقا)أى يسبل عليكم ستره وتكونوا تحت حفظه وكنفه ويجعل عاقبة أمركم الى خير كما جاء فى الحديث (اللهم أحسن عاقبتنا فى الامور كلها وأجرنا من خزى الدنيا ومن عذاب الآخرة) ثم ذكر تعالى صفة الغار الذى آووا اليه وان بابه موجه الى نحو الشمال واعماقه الى جهة القبلة وذلك انفع الاماكن أن يكون المكان قبليا وبابه نحو الشمال فقال(وترى الشمس اذا طلعت تزاور) وقرىء تزورّ (عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال) فاخبر ان الشمس يعنى فى زمن الصيف وأشباهه تشرق أول طلوعها فى الغار فى جانبه الغربى ثم تشرع فى

الخروج منه قليلا قليلا وهو ازورارها ذات اليمين فترتفع فى جو السماء وتتقلص عن باب الغار ثم اذا تضيفت للغروب تشرع فى الدخول فيه من جهته الشرقية قليلا قليلا الى حين الغروب كما هو المشاهد بمثل هذا المكان والحكمة فى دخول الشمس اليه فى بعض الاحيان أن لا يفسد هواؤه (وهم فى فجوة منه ذلك من آيات الله) أى بقاؤهم على هذه الصفة دهراً طويلا من السنين لا يأكلون ولا يشربون ولا تتغذى اجسادهم فى هذه المدة الطويلة من آيات الله وبرهان قدرته العظيمة (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً وتحسبهم أيقاظا وهم رقود) قال بعضهم لان اعينهم مفتوحة لئلا تفسد بطول الغمض (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) قيل فى كل عام يتحولون مرة من جنب الى جنب ويحتمل أكثر من ذلك فالله أعلم (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) قال شعيب الجبائى اسم كلبهم حمران وقال غيره الوصيد اسكفة الباب . والمراد أن كلبهم الذى كان معهم وصحبهم حال انفرادهم من قومهم لزمهم ولم يدخل معهم فى الكهف بل ربض على بابه ووضع يديه على الوصيد وهذا من جملة أدبه ومن جملة ما اكرموا به فان الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولما كانت التبعية مؤثرة حتى كان فى كلب هؤلاء صار باقياً معهم ببقائهم لأن من أحب قوماً سعد بهم فاذا كان هذا فى حق كلب فما ظنك بمن تبع أهل الخير وهو أهل للاكرام . وقد ذكر كثير من القصاص والمفسرين لهذا الكلب نبأوخبراً طويلا أكثره متلقى من الاسرائيليات وكثير منها كذب ومما لا فائدة فيه كاختلافهم فى اسمه ولونه .

واما اختلاف العلماء فى محلة هذا الكهف فقال كثيرون هو بارض ايلة . وقيل بارض نينوى . وقيل بالبلقاء وقيل ببلاد الروم وهو اشبه والله أعلم . ولما ذكر الله تعالى ماهو الانفع من خبرهم والأهم من أمرهم ووصف حالهم حتى كأن السامع راء والمخبر مشاهد لصفة كهفهم وكيفيتهم فى ذلك الكهف وتقلبهم من جنب الى جنب وان كلبهم باسط ذارعيه بالوصيد . قال (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً) أى لما عليهم من المهابة والجلالة فى أمرهم الذى صاروا اليه ولعل الخطاب ههنا لجنس الانسان المخاطب لا بخصوصية الرسول (ص) كقوله (فما يكذبك بعد بالدين) أى أيها الانسان وذلك لان طبيعة البشرية تفر من رؤية الاشياء المهيبة غالباً ولهذا قال (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً) ودل على أن الخبر ليس كالمعاينة كما جاء فى الحديث لان الخبر قد حصل ولم يحصل الفرار ولا الرعب . ثم ذكر تعالى انه بعثهم من رقدتهم بعد نومهم بثلاثمائة سنة وتسع سنين فلما استيقظوا قال بعضهم لبعض كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة) أى بدراهمكم هذه يعنى التى معهم الى المدينة ويقال كان اسمها دفسوس (فلينظر ايها أزكى طعاما) أى أطيب مالا (فليأتكم برزق منه) أى بطعام تأكلونه وهذا من زهدهم

وورعهم (وليتلطف) أى فى دخوله اليها (ولا يشعرن بكم أحـدا انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيـدوكم فى ملتهم ولن تفلحوا اذا أبدا) أى ان عـدتم فى ملتهم بعد اذ انقذكم الله منها وهـذا كله لظنهم أنهم رقدوا يوماً أو بعض يوم أو أكثر من ذلك ولم يحسبوا انهم قدرقدوا أزيد من ثلثمائة سـنة وقد تبدلت الدول أطوارا عديدة وتغيرت البلاد ومن عليها وذهب أولئك القرن الذين كانوا فيهم وجاء غيرهم وذهبوا وجاء غيرهم ولهذا لما خرج أحدهم وهو تيذوسيس (١) فيما قيل وجاء الى المدينة متنكرا لئلا يعرفه أحد من قومه فيما يحسبه تنكرت له البـلاد واستنكره من يراه من اهلها واستغربوا شكله وصـفته ودراهمه فيقال انهم حملوه الى متوليهم وخافوا من أمره أن يكون جاسوساً أو تكون له صولة يخشون من مضرتها فيقال انه هرب منهم ويقال بل أخبرهم خبره ومن معه وما كان من أمرهم فانطلقوا معه ليريهم مكانهم فلما قربوا من الـكهف دخل الى اخوانه فاخبرهم حقيقـة أمرهم ومقدار ما رقدوا فعلموا أن هـذا أمر قدره الله فيقال انهم استمروا راقدين ويقال بل ماتوا بعد ذلك .

وأما أهل البلدة فيقال انهم لم يهتدوا الى موضعهم من الغار وعمى الله عليهم أمرهم ويقال لم يستطيعوا دخوله حسا (٢) ويقال مهابة لهم .

واختلفوا فى أمرهم فقائلون يقولون (ابنوا عليهم بنيانا) أى سدوا عليهم باب الـكهف لئلا يخرجوا أو لئلا يصل اليهم ما يؤذيهم وآخرون وهم الغالبون على أمرهم قالوا (لنتخذن عليهم مسجدا) أى معبداً يكون مباركا لمجاورته هؤلاء الصالحين . وهذا كان شائعاً فيمن كان قبلنا فاما فى شرعنا فقد ثبت فى الصحيحين عن رسول الله (ص) أنه قال (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبورا نبيائهم مساجد) يحذر مافعلوا وأما قوله (وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعـد الله حق وان الساعـة لا ريب فيها) فمعنى أعثرنا أطلعنا على أمرهم الناس . قال كثير من المفسرين ليعلم الناس أن المعاد حق وان الساعة لا ريب فيها اذا علموا أن هؤلاء القوم رقـدوا أزيد من ثلثمائة سـنة ثم قاموا كما كانوا من غـير تغير منهم فان من أبقاهم كما هم قادر عـلى اعادة الابدان وان أكلتها الديدان وعلى إحياء الاموات وان صارت اجسامهم وعظامهم رفاتا وهذا مما لا يشك فيه المؤمنون (إنما أمره اذا أراد شيئاً ان يقول له كن فيكون) . هـذا ويحتمل عود الضمير فى قوله ليعلموا الى أصحاب الـكهف إذ علمهم بذلك من أنفسهم ابلغ من علم غيرهم بهم ويحتمل أن يعود على الجميع والله أعلم . ثم قال تعالى (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم) فذكر اختلاف الناس فى كميتهم فحكى ثلاثة أقوال وضعف الاولين وقرر الثالث فدل على انه الحق اذ لو قيل غير ذلك لحكاه ولو لم يكن هذا الثالث هو الصحيح

---

(١) كذا بالاصول والذى فى ابن جرير أن اسمـه يمليخا وان تيذوسيس فهو اسم الملك الذى كان على المدينة حين قيامهم

(٢) كذا بالاصول ولعله جبنا

لوهاه فدل على ماقلناه ولما كان النزاع فى مثل هذا لاطائل تحته ولا جدوى عنده أرشد نبيه (ص) الى الادب فى مثل هذا الحال اذا اختلف الناس فيه أن يقول الله أعلم . ولهذا قال (قل ربى أعلم بعدتهم) وقوله (ما يعلمهم إلا قليل) أى من الناس فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا) أى سهلا ولا تتكلف اعمال الجدال فى مثل هذا الحال ولا تستفت فى أمرهم احدا من الرجال ولهذا أبهم تعالى عدتهم فى أول القصة فقال (إنهم فتية آمنوا بربهم) ولو كان فى تعين عدتهم كبير فائدة لذكرها عالم الغيب والشهادة وقوله تعالى (ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا إلا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربى لاقرب من هذا رشدا) ادب عظيم ارشده الله تعالى اليه وحث خلقه عليه وهو ما اذا قال احدهم انى سأفعل فى المستقبل كذا فيشرع له ان يقول ان شاء الله ليكون ذلك تحقيقاً لعزمه لان العبد لا يعلم مافى غد ولا يدرى اهـذا الذى عزم عليه مقدر املا وليس هـذا الاستثناء تعليقاً وانما هو الحقيقى ولهـذا قال ابن عباس يصح الى سنة ولكن قد يكون فى بعض الحال لهذا ولهذا كما تقدم فى قصة سليمان عليه السلام حين قال لاطوفن الليلة على سبعين امرأة تلد كل واحدة منهن غلاما يقاتل فى سبيل الله فقيل له قل ان شاء الله فلم يقل فطاف فلم تلد منهن إلا امرأة واحـدة نصف انسان قال رسول الله (ص) والذى نفسى بيده لو قال ان شاء الله لم يحنث وكان دركا لحاجته . وقوله (واذكر ربك اذا نسيت) وذلك لان النسيان قـد يكون من الشيطان فذكر الله يطرده عن القلب فيذكر ما كان قد نسيه . وقوله (وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هـذا رشدا) أى اذا اشتبه أمر واشكل حال والتبس أقوال الناس فى شئ فارغب إلى الله ييسره لك ويسهله عليـك ثم قال (ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين وزدادوا تسعاً) . لما كان فى الاخبار بطول مـدة لبثهم فائدة عظيمة ذكرها تعالى وهـذه التسع المزيدة بالقمرية وهى لتكميل ثلثمائة شمسية فان كل مائة قمرية تنقص عن الشمسية ثلاث سنين (قال الله أعلم بما لبثوا) أى اذا سئلت عن مثـل هذا وليس عنـدك فى ذلك فقل فرد الامر فى ذلك الى الله عز وجل (له غيب السموات والارض) أى هو العالم بالغيب فلا يطلع عليه إلا من شاء من خلقه أبصر به واسمع) يعنى أنه يضع الاشياء فى محالها لعلمه التام بخلقه وبما يستحقونه ثم قال (مالهم من دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه أحدا) أى ربك المنفرد بالملك والمتصرف وحده لا شريك له .

قصة الرجلين المؤمن والكافر

قال الله تعالى فى سورة الـكهف بعد قصة أهل الـكهف (واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلالهما نهراً وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا اكثر منك مالا وأعز نفراً ودخل جنتـه

وهو ظالم لنفسه قال ماأظن أن تبيد هذه أبدا . وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيراً منها منقلبا) إلى قوله (هنالك الولاية لله الحق هو خير ثواباً وخير عقبا) . قال بعض الناس هذا مثل مضروب ولا يلزم أن يكون واقعاً والجمهور أنه أمر قد وقع وقوله (واضرب لهم مثلا) يعنى لكفار قريش فى عدم اجتماعهم بالضعفاء والفقراء وازدرائهم بهم وافتخارهم عليهم كما قال تعالى (واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون) كما قدمنا الكلام على قصتهم قبل قصة موسى عليه السلام والمشهور أن هذين كانا رجلين مصطحبين وكان أحدهما مؤمناً والآخر كافراً ويقال إنه كان لكل منهما مال فانفق المؤمن ماله فى طاعة الله ومرضاته ابتغاء وجهه * وأما الكافر فانه اتخذ له بساتين وهما الجنتان المذكورتان فى الآية على الصفة والنعت المذكور. فيهما اعناب ونخيل تحف تلك الاعناب والزروع فى ذلك والانهار سارحة ههنا وههنا للسقى والتنزه وقد استوثقت فيهما الثمار واضطربت فيهما الأنهار وابتهجت الزروع والثمار وافتخر مالكهما على صاحبه المؤمن الفقير قائلا له (أنا اكثر منك مالا وأعز نفرا) أى أوسع جنانا. ومراده انه خير منه ومعناه ماذا أغنى عنك انفاقك ماكنت تملكه فى الوجه الذى صرفته فيه كان الأولى بك أن تفعل كما فعلت لتكون مثلى فافتخر على صاحبه (ودخل جنته وهو ظالم لنفسه) أى وهو على غير طريقة مرضية قال (ماأظن أن تبيد هذه أبدا) وذلك لما رأى من اتساع أرضها وكثرة مائها وحسن نبات أشجارها ولو قد بادت كل واحدة من هذه الأشجار لاستخلف مكانها أحسن منها وزروعها دارة لكثرة مياهها . ثم قال (وما أظن الساعة قائمة) فوثق بزهرة الحياة الدنيا الفانية وكذب بوجود الآخرة الباقية الدائمة . ثم قال (ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيراً منها منقلبا) أى ولئن كان ثم آخرة ومعاد فلأجدن هناك خيراً من هذا وذلك لانه اغتر بدنياه واعتقد أن الله لم يعطه ذلك فيها إلا لحبه له وحظوته عنده كما قال العاص بن وائل فيما قص الله من خبره وخبر خباب بن الارت فى قوله (أفرأيت الذى كفر بآياتنا) وقال (لأوتين مالا وولدا . أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً) وقال تعالى اخباراً عن الانسان إذا أنعم الله عليه (ليقولن هذالى وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى) قال الله تعالى (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ) وقال قارون (إنما أوتيته على علم عندى) أى لعلم الله بى أنى أستحقه قال الله تعالى (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) وقد قدمنا الكلام على قصته فى أثناء قصة موسى . وقال تعالى (وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون) . وقال تعالى (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لايشعرون) . ولما اغتر هذا الجاهل بما خول به فى الدنيا فجحد الآخرة وادعى أنها ان وجدت ليجدن عند ربه خيراً مما هو فيه وسمعه صاحبه يقول ذلك قال له

(وهو يحاوره) أى يجادله (أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا) أى أجحدت المعاد وأنت تعلم أن الله خلقك من تراب. ثم من نطفة ثم صورك أطواراً حتى صرت رجلا سويا سميعاً بصيراً تعلم وتبطش وتفهم فكيف أنكرت المعاد والله قادر على البداءة (لكنا هو الله ربى) أى لكن أنا أقول بخلاف ماقلت وأعتقد خلاف معتقدك (هو الله ربى ولا أشرك بربى أحداً) أى لا أعبد سواه واعتقد أنه يبعث الاجساد بعد فنائها ويعيد الاموات ويجمع العظام الرفات وأعلم أن الله لا شريك له فى خلقه ولا فى ملكه ولا إله غيره ثم أرشده إلى ماكان الاولى به أن يسلكه عند دخول جنته فقال (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لاقوة إلا بالله) ولهذا يستحب لكل من أعجبه شيء من ماله أو أهله أو حاله أن يقول كذلك وقد ورد فيه حديث مرفوع فى صحته نظر * قال أبو يعلى الموصلى حدثنا جراح بن مخلد حدثنا عمرو بن يوسف حدثنا عيسى بن عون حدثنا عبد الملك بن زرارة عن أنس قال قال رسول الله (ص) (ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل أو مال أو ولد فيقول ماشاء الله لاقوة إلا بالله) فيرى فيه آفة دون الموت وكان يتأول هذه الآية (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لاقوة إلا بالله) قال الحافظ أبو الفتح الأزدى عيسى بن عون عن عبد الملك بن زرارة عن أنس لايصح ثم قال المؤمن للكافر (فعسى ربى أن يؤتين خيراً من جنتك) أى فى الدار الآخرة (ويرسل عليها حسباناً من السماء) قال ابن عباس والضحاك وقتادة أى عذاباً من السماء. والظاهر أنه المطر المزعج الباهر الذى يقتلع زروعها وأشجارها فتصبح صعيداً زلقاً) وهو التراب الأملس الذى لانبات فيه (أو يصبح ماؤها غوراً) وهو ضد المعين السارح (فلن تستطيع له طلبا) يعنى فلا تقدر على استرجاعه قال الله تعالى (وأحيط بثمره) أى جاءه أمر أحاط بجميع حواصله وخرب جنته ودمرها (فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها) أى خربت بالكلية فلا عودة لها وذلك ضد ما كان عليه أمل حيث قال (وما أظن أن تبيد هذه أبداً) وندم على ماكان سلف منه من القول (الذى كفر بسببه بالله العظيم فهو يقول ياليتنى لم أشرك بربى أحداً). قال الله تعالى (ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً هنالك) أى لم يكن أحد يتدارك مافرط من أمره وما كان له قدرة فى نفسه على شيء من ذلك كما قال تعالى (فما له من قوة ولا ناصر) وقوله (الولاية لله الحق) ومنهم من يبتدىء بقوله (هنالك الولاية لله الحق) وهو حسن أيضاً لقوله (الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيراً) فالحكم الذى لايرد ولا يمانع ولا يغالب فى تلك الحال وفى كل حال لله الحق. ومنهم من رفع الحق جعله صفة للولاية وهما متلازمتان وقوله (هو خير ثواباً وخير عقبا) أى معاملته خير لصاحبها ثوابا وهو الجزاء وخير عقبا وهو العاقبة فى الدنيا والآخرة. وهذه القصة تضمنت أنه لاينبغى لاحد أن يركن إلى الحياة الدنيا ولا يغتر

بها ولا يثق بها بل يجعل طاعة الله والتوكل عليه فى كل حال نصب عينيه. وليكن بما فى يد الله أوثق منه بما فى يديه . وفيها أن من قدم شيئاً على طاعة الله والانفاق فى سبيله عذب به وربما سلب منه معاملة له بنقيض قصده . وفيها أن الواجب قبول نصيحة الأخ المشفق وان مخالفته وبال ودمار على من رد النصيحة الصحيحة . وفيها أن الندامه لاتنفع إذا حان القدر ونفذ الأمر الحتم بالله المستعان وعليه التكلان *

قصّة أصحاب الجنّة

قال الله تعالى (إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين. ولا يستثنون .فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون . فأصبحت كالصريم . فتنادوا مصبحين . أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين . فانطلقوا وهم يتخافتون .أن لايدخلنها اليوم عليكم مسكين . وغدوا على حرد قادرين . فلما رأوها قالوا إنا لضالون . بل نحن محرومون . قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون . قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين * فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون * قالوا ياويلنا إنا كنا طاغين * عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها انا إلى ربنا راغبون * كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) .

وهذا مثل ضربه الله لكفار قريش فيما أنعم به عليهم من ارسال الرسول العظيم الكريم اليهم فقابلوه بالتكذيب والمخالفة كما قال تعالى (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار * جهنم يصلونها وبئس القرار) . قال ابن عباس هم كفار قريش فضرب تعالى لهم مثلا بأصحاب الجنة المشتملة على أنواع الزروع والثمار التى قد انتهت واستحقت أن تجد وهو الصرام ولهذا قال (اذ أقسموا) فيما بينهم (ليصرمنها) أى ليجدنها وهو الاستغلال (مصبحين) أى وقت الصبح حيث لايراهم فقير ولا محتاج فيعطوه شيئاً فحلفوا على ذلك ولم يستثنوا فى يمينهم فعجزهم الله وسلط عليها الآفة التى احرقتها وهى السفعة التى اجتاحتها ولم تبق بها شيئاً ينتفع به ولهذا قال (فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون * فأصبحت كالصريم) أى كالليل الأسود المنصرم من الضياء وهذه معاملة بنقيض المقصود (فتنادوا مصبحين) أى فاستيقظوا من نومهم فنادى بعضهم بعضاً قائلين (أغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين) أى باكروا إلى بستانكم فاصرموه قبل أن يرتفع النهار ويكثر السؤال (فانطلقوا وهم يتخافتون) أى يتحدثون فيما بينهم خفية قائلين (لايدخلنها اليوم عليكم مسكين) أى اتفقوا على هذا واشتوروا عليه (وغدوا على حرد قادرين) أى انطلقوا مجدين فى ذلك قادرين عليه مضمرين على هذه النية الفاسدة .وقال عكرمة والشعبى (وغدوا على حرد) أى غضب على المساكين وأبعد السدى فى قوله أن اسم حرثهم حرد (فلما رأوها) أى وصلوا اليها ونظروا ماحل بها وما قد صارت اليه من الصفة المنكرة بعد تلك النضرة والحسن والبهجة فانقلبت بسبب النية الفاسدة فعند ذلك (قالوا انا لضالون) أى قد تهينا عنها وسلكنا غير طريقها ثم قالوا (بل نحن محرومون) أى بل عوقبنا بسبب سوء قصدنا وحرمنا بركة حرثنا (قال أوسطهم) . قال ابن عباس

ومجاهد وغير واحد هوأعدلهم وخيرهم (ألم أقل لكم لولا تسبحون) قيل تستثنون قاله مجاهد والسدى وابن جرير وقيل تقولون خيراً بدل ما قلتم من الشر (قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين . فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون . قالوا ياويلنا إنا كنا طاغين) . فندموا حيث لا ينفع الندم واعترفوا بالذنب بعد العقوبة وذلك حيث لا ينجع وقد قيل ان هؤلاء كانوا اخرة وقد ورثوا هذه الجنة من أبيهم وكان يتصدق منها كثيراً فلما صار أمرها اليهم استهجنوا أمر أبيهم وأرادوا استغلالها من غير أن يعطوا الفقراء شيئاً فعاقبهم الله أشد العقوبة ولهذا أمر الله تعالى بالصدقة من الثمار وحث على ذلك يوم الجداد كما قال تعالى (كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده) ثم قيل كانوا من أهل اليمن من قرية يقال لها ضروان . وقيل من أهل الحبشة والله أعلم قال الله تعالى (كذلك العذاب) أى هكذا نعذب من خالف أمرنا ولم يعطف على المحاويج من خلقنا (ولعذاب الآخرة أكبر) أى أعظم وأحكم من عذاب الدنيا (لو كانوا يعلمون) . وقصة هؤلاء شبيه بقوله تعالى (ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون . ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون) قيل هذا مثل مضروب لأهل مكة وقيل هم أهل مكة أنفسهم ضربهم مثلا لأنفسهم ولا ينافى ذلك والله أعلم اه

قصة أصحاب أيلة الذين اعتدوا فى سبتهم

قال الله تعالى فى سورة الاعراف (واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر إذ يعدون فى السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون . واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديداً قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون . فلما نسوا ماذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون . فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) وقال تعالى فى سورة البقرة (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين . فجعلناها نكالا لما بين يديها وماخلفها وموعظة للمتقين) وقال تعالى فى سورة النساء (أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا) . قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة والسدى وغيرهم هم أهل ايلة . زاد ابن عباس بين مدين والطور . قالوا وكانوا متمسكين بدين التوراة فى تحريم السبت فى ذلك الزمان فكانت الحيتان قد ألفت منهم السكينة فى مثل هذا اليوم وذلك أنه كان يحرم عليهم الاصطياد فيه وكذلك جميع الصنائع والتجارات والمكاسب فكانت الحيتان فى مثل يوم السبت يكثر غشيانها محلتهم من البحر فتأتى من ههنا وههنا ظاهرة آمنة مسترسلة فلا يهيجونها ولا يذعرونها (ويوم لا يسبتون لا تأتيهم) وذلك لأنهم كانوا يصطادونها فيما عدا السبت

قال الله تعالى (كذلك نبلوهم) أى نختبرهم بكثرة الحيتان فى يوم السبت (بما كانوا يفسقون) أى بسبب فسقهم المتقدم فلما رأوا ذلك احتالوا على اصطيادها فى يوم السبت بأن نصبوا الحبال والشباك والشصوص وحفروا الحفر التى يجرى معها الماء الى مصانع قد أعدوها إذا دخلها السمك لا يستطيع أن يخرج منها ففعلوا ذلك فى يوم الجمعة فاذا جاءت الحيتان مسترسلة يوم السبت علقت بهذه المصايد فاذا خرج سبتهم أخذوها فغضب الله عليهم ولعنهم لما احتالوا على خلاف أمره وانتهكوا محارمه بالحيل التى هى ظاهرة للناظر وهى فى الباطن مخالفة محضة فلما فعل ذلك طائفة منهم افترق الذين لم يفعلوا فرقتين . فرقة أنكروا عليهم صنيعهم هذا واحتيالهم على مخالفة الله وشرعه فى ذلك الزمان . وفرقة أخرى لم يفعلوا ولم ينهوا بل أنكروا على الذين نهوا وقالوا (لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً) يقولون ما الفائدة فى نهيكم هؤلاء وقد استحقوا العقوبة لامحالة فأجابتهم الطائفة المنكرة بان قالوا (معذرة إلى ربكم) أى فيما أمرنا به من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فنقوم به خوفا من عذابه (ولعلهم يتقون) أى ولعل هؤلاء يتركون ماهم عليه من هذا الصنيع فيقيهم الله عذابه ويعفو عنهم إذا هم رجعوا واستمعوا . قال الله تعالى (فلما نسوا ما ذكروا به) أى لم يلتفتوا الى من نهاهم عن هذا الصنيع الشنيع الفظيع (انجينا الذين ينهون عن السوء) وهم الفرقة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر (وأخذنا الذين ظلموا) وهم المرتكبون الفاحشة (بعذاب بئيس) وهو الشديد المؤلم الموجع (بما كانوا يفسقون) . ثم فسر العذاب الذى أصابهم بقوله (فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) . وسنذكر ماورد من الآيات فى ذلك .

والمقصود هنا أن الله اخبر أنه أهلك الظالمين ونجى المؤمنين المنكرين وسكت عن الساكتين . وقد اختلف فيهم العلماء على قولين فقيل إنهم من الناجين وقيل إنهم من الهالكين والصحيح الاول عند المحققين وهو الذى رجع اليه ابن عباس أمام المفسرين وذلك عن مناظرة مولاه عكرمة فكساه من أجل ذلك حلة سنية تكرمة . قلت وانما لم يذكروا مع الناجين لأنهم وان كرهوا ببواطنهم تلك الفاحشة إلا أنهم كان ينبغى لهم أن يحملوا ظواهرهم بالعمل المأمور به من الانكار القولى الذى هو أوسط المراتب الثلاث التى أعلاها الانكار باليد ذات البنان وبعدها الانكار القولى باللسان وثالثها الانكار بالجنان فلما لم يذكروا نجوا مع الناجين إذ لم يفعلوا الفاحشة بل أنكروها . وقد روى عبد الرزاق عن ابن جريج عن رجل عن عكرمة عن ابن عباس وحكى مالك عن ابن رومان وشيبان عن قتادة وعطاء الخراسانى ما مضمونه أن الذين ارتكبوا هذا الصنع اعتزلهم بقية أهل البلد ونهاهم من نهاهم منهم فلم يقبلوا فكانوا يبيتون وحدهم ويغلقون بينهم وبينهم أبواباً حاجزاً لما كانوا يترقبون من هلاكهم فاصبحوا ذات يوم وأبواب ناحيتهم مغلقة لم يفتحوها وارتفع النهار واشتد الضحاء فأمر بقية أهل البلد رجلا أن يصعد على سلالم ويشرف عليهم من فوقهم فلما أشرف عليهم إذاهم قردة لها أذناب يتعاوون ويتعادون ففتحوا عليهم الابواب

فجعلت القردة تعرف قراباتهم ولا يعرفهم قراباتهم فجعلوا يلوذون بهم ويقول لهم الناهون ألم ننهكم عن صنيعكم فتشير القردة برؤسها أن نعم . ثم بكى عبدالله بن عباس وقال إنا لنرى منكرات كثيرة ولا ننكرها ولا نقول فيها شيئاً . وقال العوفى عن ابن عباس صار شباب القرية قردة وشيوخها خنازير . وروى ابن أبى حاتم من طريق مجاهد عن ابن عباس أنهم لم يعيشوا إلا فواقا ثم هلكوا ما كان لهم نسل وقال الضحاك عن ابن عباس أنه لم يعش مسخ قط فوق ثلاثة أيام ولم يأكل هؤلاء ولم يشربوا ولم ينسلوا وقد استقصينا الآثار فى ذلك فى تفسير سورة البقرة والاعراف . ولله الحمد والمنة . وقد روى ابن أبى حاتم وابن جرير من طريق ابن أبى نجيح عن مجاهد أنه قال مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردة وخنازير وانما هو مثل ضربه الله (كمثل الحمار يحمل اسفارا)وهذا صحيح اليه وغريب منه جداً ومخالف لظاهر القرآن ولما نص عليه غير واحد من السلف والخلف والله أعلم * ﴿ قصة أصحاب القرية ﴾ (إذ جاءها المرسلون) تقدم ذكرها قبل قصة موسى عليه السلام ﴿ قصة سبأ ﴾ سيأتى ذكرها فى أيام العرب إن شاء الله تعالى وبه الثقة * ﴿ قصة قارون وقصة بلعام ﴾ تقدمتا فى قصة موسى وهكذا (قصة الخضر) و (قصة فرعون والسحرة) كلها فى ضمن قصة موسى و(قصة البقرة) تقدمت فى قصة موسى وقصة (الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت) فى قصة حزقيل وقصة (الملأ من بنى اسرائيل من بعد موسى) فى قصة شمويل وقصة (الذى مرّ على قرية) فى قصة عزير *

قصة لقمان

قال تعالى (ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غنى حميد . وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم . ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير . وإن جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلىّ ثم إلىّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون . يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير . يا بنى أقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور . ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الاصوات لصوت الحمير). هو لقمان بن عنقاء بن سدون . ويقال لقمان بن ثاران حكاه السهيلى عن ابن جرير والقتيبى . قال السهيلى وكان نوبيا من أهل أيلة . قلت وكان رجلا صالحاً ذا عبادة وعبارة وحكمة عظيمة ويقال كان قاضيا فى زمن داود عليه السلام فالله أعلم . وقال سفيان الثورى عن الاشعث عن عكرمة عن ابن عباس قال كان

عبداً حبشياً نجاراً . وقال قتادة عن عبد الله بن الزبير قلت لجابر بن عبد الله ماانتهى اليكم فى شأن لقمان قال كان قصيرا افطس من النوبة . وقال يحيى بن سعيد الانصارى عن سعيد بن المسيب قال كان لقمان من سودان مصر ذو مشافر أعطاه الله الحكمة ومنعه النبوة . وقال الأوزاعى حدثنى عبد الرحمن بن حرملة قال جاء اسود إلى سعيد بن المسيب يسأله فقال له سعيد لا تحزن من أجل انك اسود فانه كان من أخير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر ولقمان الحكيم كان أسود نوبيا ذا مشافر . وقال الاعمش عن مجاهد كان لقمان عبداً أسود عظيم الشفتين مشقق القدمين وفى رواية مصفح القدمين . وقال عمر بن قيس كان عبداً اسود غليظ الشفتين مصفح القدمين فأتاه رجل وهو فى مجلس أناس يحدثهم فقال له ألست الذى كنت ترعى معى الغنم فى مكان كذا وكذا قال نعم قال فما بلغ بك ما أرى قال صدق الحديث والصمت عما لا يعنينى رواه ابن جرير عن ابن حميد عن الحكم عنه وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا عبد الرحمن ابن أبى يزيد بن جابر قال إن الله رفع لقمان الحكيم لحكمته فرآه رجل كان يعرفه قبل ذلك فقال ألست عبد بن فلان الذى كنت ترعى غنمى بالامس قال بلى قال فما بلغ بك ماأرى قال قدر الله واداء الأمانة وصدق الحديث وترك مالا يعنينى وقال ابن وهب أخبرنى عبد الله بن عياش الفتيانى عن عمر مولى عفرة قال وقف رجل على لقمان الحكيم فقال أنت لقمان أنت عبد بنى النحاس قال نعم قال فأنت راعى الغنم الاسود قال أما سوادى فظاهر فما الذى يعجبك من أمرى قال وطء الناس بساطك وغشيهم بابك ورضاهم بقولك قال ياابن أخى إن صنعت ما أقول لك كنت كذلك قال ماهو قال لقمان غضى بصرى وكفى لسانى وعفة مطعمى وحفظى فرجى وقيامى بعدتى ووفائى بعهدى وتكرمتى ضيفى وحفظى جارى وتركى ما لا يعنينى فذاك الذى صيرنى كما ترى وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن فضيل حدثنا عمرو بن واقد عن عبدة ابن رباح عن ربيعة عن أبى الدرداء أنه قال يوما وذكر لقمان الحكيم فقال ما أوتى عن أهل ولا مال ولا حسب ولا خصال ولكنه كان رجلا صمصامة سكيتاً طويل التفكر عميق النظر لم ينم نهاراً قط ولم يره أحد يبزق ولا يتنحنح ولا يبول ولا يتغوط ولا يغتسل ولا يعبث ولا يضحك وكان لا يعيد منطقاً نطقه إلا أن يقول حكمة يستعيدها إياه أحد وكان قد تزوج وولد له أولاد فماتوا فلم يبك عليهم وكان يغشى السلطان ويأتى الحكام لينظر ويتفكر ويعتبر فبذلك أوتى ما أوتى * ومنهم من زعم أنه عرضت عليه النبوة فخاف أن لا يقوم باعبائها فاختار الحكمة لأنها اسهل عليه وفى هذا نظر والله أعلم . وهذا مروى عن قتادة كما سنذكره . وروى ابن أبى حاتم وابن جرير من طريق وكيع عن اسرائيل عن جابر الجعفى عن عكرمة أنه قال كان لقمان نبياً وهذا ضعيف لحال الجعفى .

والمشهور عن الجمهور أنه كان حكيما وليا ولم يكن نبيا وقد ذكره الله تعالى فى القرآن فأثنى عليه وحكى من كلامه فيما وعظ به ولده الذى هو أحب الخلق اليه وهو أشفق الناس عليه فكان من أول ما وعظ به أن قال (يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم). فنهاه عنه وحذره منه. وقد قال البخارى حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) شق ذلك على أصحاب رسول الله (ص) وقالوا أينا لم يلبس ايمانه بظلم فقال رسول الله (ص) إنه ليس بذاك ألم تسمع الى قول لقمان (يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) رواه مسلم من حديث سليمان بن مهران الاعمش به ثم اعترض تعالى بالوصية بالوالدين وبيان حقهما على الولد وتأكده وأمر بالاحسان اليهما حتى ولو كانا مشركين ولكن لا يطاعان على الدخول فى دينهما الى أن قال مخبرا عن لقمان فيما وعظ به ولده (يا بنى أنها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الارض يأت بها الله إن الله لطيف خبير) ينهاه عن ظلم الناس ولو بحبة خردل فان الله يسأل عنها ويحضرها حوزة الحساب ويضعها فى الميزان كما قال تعالى (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) وقال تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) وأخبره أن هذا الظلم لو كان فى الحقارة كالخردلة ولو كان فى جوف صخرة صماء لا باب لها ولا كوة أو لو كانت ساقطة فى شىء من ظلمات الارض أو السموات فى اتساعهما وامتداد أرجائهما لعلم الله مكانها (إن الله لطيف خبير) أى علمه دقيق فلا يخفى عليه الذر مما تراآى للنواظر أو توارى كما قال تعالى (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين) وقال (ومامن غائبة فى السماء والارض الا فى كتاب مبين) وقال (عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين) وقد زعم السدى فى خبره عن الصحابة أن المراد بهذه الصخرة الصخرة التى تحت الارضين السبع وهكذا حكى عن عطية العوفى وأبى مالك والثورى والمنهال بن عمر وغيرهم وفى صحة هذا القول من أصله نظر. ثم ان فى هذا هو المراد نظر آخر فان هذه الآية نكرة غير معرفة فلو كان المراد بها ما قالوه لقال فتكن فى الصخرة وانما المراد فتكن فى صخرة أى صخرة كانت كما قال الامام احمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبى الهيثم عن أبي سعيد الخدرى عن رسول الله (ص) قال لو أن أحدكم يعمل فى صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس كائنا ما كان ثم قال (يا بنى أقم الصلاة) أى أدها بجميع واجباتها من حدودها وأوقاتها وركوعها وسجودها وطمأنينتها وخشوعها وما شرع فيها واجتنب ما ينهى عنه فيها. ثم قال (وامر بالمعروف وانه عن المنكر) أى بجهدك وطاقتك أى ان استطعت باليد فباليد والا فبلسانك فان لم تستطع فبقلبك ثم أمره بالصبر فقال (واصبر على ما أصابك) وذلك ان

الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر فى مظنة أن يعادى وينال منه ولكن له العاقبة ولهذا أمره بالصبر على ذلك ومعلوم أن عاقبة الصبر الفرج وقوله (ان ذلك من عزم الأمور) التى لابد منها ولا محيد عنها .
وقوله (ولا تصعر خدك للناس) قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك ويزيد بن الاصم وأبو الجوزاء وغير واحد معناه لا تتكبر على الناس وتميل خدك حال كلامك لهم وكلامهم لك على وجه التكبر عليهم والازدراء لهم . قال أهل اللغة وأصل الصعر داء يأخذ الابل فى أعناقها فتلتوى رؤسها فشبه به الرجل المتكبر الذى يميل وجهه اذا كلم الناس أو كلموه على وجه التعظم عليهم
قال أبو طالب فى شعره

وكُنّا قديماً لا نُقرّ ظُلامةً   اذا ماثنوا صُعْر الخدودِ نُقيمها

وقال عمرو بن حيي التغلبى   وكنّا إذا الجبّار صَعّر خدّه   أقمنا لَهُ من مَيْلِهِ فتقوّما

وقوله (ولا تمش فى الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور) ينهاه عن التبختر فى المشية على وجه العظمة والفخر على الناس كما قال تعالى (ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا) . يعنى لست بسرعة مشيك تقطع البلاد فى مشيتك هذه ولست بدقك الارض برجلك تخرق الارض بوطئك عليها ولست بتشامخك وتعاظمك وترفعك تبلغ الجبال طولا فاتئد على نفسك فلست تعدو قدرك . وقد ثبت فى الحديث بينما رجل يمشى فى برديه يتبختر فيهما اذ خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وفى الحديث الآخر (اياك واسبال الازار فانها من المخيلة لا يحبها الله) كما قال فى هذه الاية (ان الله لا يحب كل مختال فخور) ولما نهاه عن الاختيال فى المشى أمره بالقصد فيه فانه لا بد له أن يمشى فنهاه عن الشر وأمره بالخير فقال واقصد فى مشيك أى لا تتباطأ مفرطا ولا تسرع اسراعا مفرطا ولكن بين ذلك قواما كما قال تعالى (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) ثم قال (واغضض من صوتك) يعنى اذا تكلمت لا تتكلف رفع صوتك فان أرفع الاصوات وأنكرها صوت الحمير . وقد ثبت فى الصحيحين الامر بالاستعاذة عند سماع صوت الحمير بالليل فانها رأت شيطانا ولهذا نهى عن رفع الصوت حيث لا حاجة اليه ولا سيما عند العطاس فيستحب خفض الصوت وتخمير الوجه كما ثبت به الحديث من صنيع رسول الله (ص) فاما رفع الصوت بالاذان وعند الدعاء الى الفئة للقتال وعند الاهلاك ونحو ذلك فذلك مشروع فهذا مما قصه الله تعالى عن لقمان عليه السلام فى القرآن من الحكم والوصايا النافعة الجامعة للخير المانعة من الشر وقد وردت آثار كثيرة فى أخباره ومواعظه وقد كان له كتاب يؤثر عنه يسمى بحكمة لقمان ونحن نذكر من ذلك ماتيسر إن شاء الله تعالى .

قال الامام أحمد حدثنا على بن اسحاق أنبأنا ابن المبارك أنبأنا سفيان أخبرنى نهيك بن يجمع الضبى

عن قزعة عن ابن عمر قال أخبرنا رسول الله (ص.) قال إن لقمان الحكيم كان يقول إن الله إذا استودع شيئاً حفظه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا عيسى بن يونس عن الاوزاعى عن موسى ابن سليمان عن القاسم بن مخيمرة أن رسول الله (ص.) قال قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى إياك والتقنع فانه مخونة بالليل مذمة بالنهار وقال أيضاً حدثنا أبى حدثنا عمرو بن عمارة حدثنا ضمرة حدثنا السرى بن يحيى قال لقمان لابنه (يابنى إن الحكمة أجلست المساكين مجالس الملوك) وحدثنا أبى حدثنا عبدة بن سليمان أنبأنا ابن المبارك أنبأنا عبد الرحمن المسعودى عن عون بن عبد الله قال قال لقمان لابنه يا بنى إذا أتيت نادى قوم فادمهم بسهم الاسلام يعنى السلام ثم اجلس بناحيتهم فلا تنطق حتى تراهم قد نطقوا فان أفاضوا فى ذكر الله فاجل سهمك معهم وان أفاضوا فى غير ذلك فحول عنهم الى غيرهم وحدثنا أبى حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا ضمرة عن حفص بن عمر قال وضع لقمان جرابا من خردل الى جانبه وجعل يعظ ابنه وعظة ويخرج خردلة حتى نفد الخردل فقال يابنى لقد وعظتك موعظة لو وعظها جبل تفطر قال فتفطر ابنه. وقال أبو القاسم الطبرانى حدثنا يحيى بن عبد الباقى المصيصى حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الحرانى حدثنا عثمان ابن عبد الرحمن الطرائفى عن ابن سفيان المقدسى عن خليفة بن سلام عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص.) (اتخذوا السودان فان ثلاثة منهم من أهل الجنة لقمان الحكيم والنجاشى وبلال المؤذن قال الطبرانى يعنى الحبشى وهذا حديث غريب منكر وقد ذكر له الامام أحمد فى كتاب الزاهد ترجمة ذكر فيها فوائد مهمة جمة فقال حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن رجل عن مجاهد (ولقد آتينا لقمان الحكمة) قال الفقه والاصابة فى غير نبوة . وكذا روى عن وهب بن منبه وحدثنا وكيع حدثنا سفيان عن أشعث عن عكرمة عن ابن عباس قال كان لقمان عبداً حبشيا وحدثنا اسود حدثنا حماد عن على بن يزيد عن سعيد بن المسيب أن لقمان كان خياطاً وحدثنا سياد حدثنا جعفر حدثنا مالك يعنى بن دينار قال قال لقمان لابنه يا بنى اتخذ طاعة الله تجارة تأتك الأرباح من غير بضاعة . وحدثنا يزيد حدثنا أبو الاشهب عن محمد بن واسع قال كان لقمان يقول لابنه يابنى اتق الله ولا ترى الناس أنك تخشى الله ليكرموك بذلك وقلبك فاجر . وحدثنا يزيد بن هرون ووكيع قالا حدثنا أبو الاشهب عن خالد الربعى قال كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً فقال له سيده اذبح لى شاة فذبح له شاة فقال ائتنى باطيب مضغتين فيها فأتاه باللسان والقلب فقال اما كان فيها شيء أطيب من هذين قال لا قال فسكت عنه ماسكت ثم قال له اذبح لى شاة فذبح له شاة فقال له والق أخبثها مضغتين فرمى باللسان والقلب فقال أمرتك أن تأتينى بأطيبها مضغتين فأتيتنى باللسان والقلب وأمرتك أن تلقى أخبثها مضغتين فألقيت اللسان والقلب فقال له إنه ليس شئ أطيب منهما إذا طابا ولا أخبث منهما إذا خبثا . وحدثنا داود بن رشيد حدثنا ابن المبارك حدثنا معمر عن أبى عثمان رجل من أهل البصرة يقال له الجعد أبو عثمان قال قال لقمان لابنه لا ترغب فى ود الجاهل

فيرى أنك ترضى عمله ولا تهاون بمقت الحكيم فيزهده فيك . وحدثنا داود بن أسيد حدثنا اسماعيل ابن عياش عن ضمضم ابن زرعة عن شريح بن عبيد الحضرمي عن عبد الله بن زيد قال قال لقمان ألا أن يد الله على أفواه الحكماء لا يتكلم أحدهم إلا ماهيأ الله له . وحدثنا عبد الرزاق سمعت بن جريج قال كنت أقنع رأسي بالليل فقال لى عمر أما علمت أن لقمان قال القناع بالنهار مذلة معذرة أو قال معجزة بالليل فلم تقنع رأسك بالليل قال قلت له إن لقمان لم يكن عليه دين . وحدثني حسن بن الجنيد حدثنا سفيان قال لقمان لابنه يابني ما ندمت على السكوت قط وان كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب . وحدثنا عبد الصمد ووكيع قالا حدثنا أبو الاشهب عن قتادة أن لقمان قال لابنه يا بني اعتزل الشر يعتزلك فإن الشر للشر خلق . وحدثنا أبو معاوية حدثنا هشام بن عروة عن أبيه قال مكتوب في الحكمة يا بني إياك والرغب فان الرغب كل الرغب يبعد القريب من القريب ويزيل الحكم كما يزيل الطرب . يا بني إياك وشدة الغضب فان شدة الغضب ممحقة لفؤاد الحكيم . قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة عن عبيد بن عمير قال قال لقمان لابنه وهو يعظه (يا بني اختر المجالس على عينك فاذا رأيت المجلس يذكر فيه الله عز وجل فاجلس معهم فانك إن تك عالما ينفعك علمك وإن تك غبياً يعلموك وان يطلع الله عليهم برحمة تصيبك معهم . يابني لاتجلس في المجلس الذى لايذكر الله فيه فانك إن تك عالما لا ينفعك علمك وان تك غبيا يزيدوك غبيا وان يطلع الله إليهم بعد ذلك بسخط يصيبك معهم يا بني لا تغبطوا أمراء رحب الذراعين يسفك دماء المؤمنين فان له عند الله قاتلا لا يموت .

وحدثنا أبو معاوية حدثنا هشام بن عروة عن أبيه قال مكتوب في الحكمة (بني لتكن كلمتك طيبة وليكن وجهك بسطا تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء) وقال مكتوب في الحكمة أو في التوراة (الرفق رأس الحكمة) وقال مكتوب في التوراة كما ترحمون تُرحمون وقال مكتوب في الحكمة (كما تزرعون تحصدون) وقال مكتوب في الحكمة أحب خليلك وخليل أبيك . وحدثنا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة قال (قيل للقمان أي الناس أصبر قال صبر لا يتبعه أذى . قيل فأى الناس أعلم قال من ازداد من علم الناس إلى علمه . قيل فأى الناس خير قال الغنى . قيل الغنى من المال قال لا ولكن الغنى الذى إذا التمس عنده خير وجد والا أغنى نفسه عن الناس .

وحدثنا سفيان هو ابن عيينة قال قيل للقمان أى الناس شر قال الذى لا يبالى أن يراه الناس مسيئاً . وحدثنا أبو الصمد عن مالك بن دينار قال وجدت في بعض الحكمة يبدد الله عظام الذين يتكلمون باهواء الناس ووجدت فيها لا خير لك في أن تعلم ما لم تعلم ولما تعمل بما قد علمت فان مثل ذلك مثل رجل احتطب حطباً فحزم حزمة ثم ذهب يحملها فعجز عنها فضم إليه أخرى . وقال عبد الله بن أحمد حدثنا الحكم بن أبي زهير وهو الحكم بن موسى حدثنا الفرج بن فضالة عن أبي سعيد قال قال لقمان لابنه

(يابنى لا يأكل طعامك إلا الاتقياء وشاور فى أمرك العلماء . وهذا مجموع ماذكره الامام أحمد فى هذه المواضع وقد قدمنا من الآثار كثيراً لم يروها كما أنه ذكر أشياء ليست عندنا والله أعلم .

وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا العباس بن الوليد حدثنا زيد بن يحيى بن عبيد الخزاعى حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة قال خير الله لقمان الحكيم بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة على النبوة قال فأتاه جبريل وهو نائم فذر عليه الحكمة قال فأصبح ينطق بها . قال سعد سمعت قتادة يقول قيل للقمان كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد خيرك ربك فقال إنه لو أرسل إلى بالنبوة عزمة لرجوت فيه الفوز منه ولكنت أرجو أن أقوم بها ولكن خيرنى فخفت أن أضعف عن النبوة فكانت الحكمة أحب إلى . وهذا فيه نظر لأن سعيد بن بشير عن قتادة قد تكلموا فيه والذى رواه سعيد بن أبى عروبة عن قتادة فى قوله (ولقد آتينا لقمان الحكمة) قال يعنى الفقه والاسلام ولم يكن نبياً ولم يوح اليه . وهكذا نص على هذا غير واحد من السلف منهم مجاهد وسعيد بن المسيب وابن عباس والله أعلم *

قصة أصحاب الأخدود

قال الله تعالى (والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود. إذهم عليها قعود. وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود .وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد . الذى له ملك السموات والأرض والله على كل شىء شهيد ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) . قد تكلمنا على ذلك مستقصى فى تفسير هذه السورة ولله الحمد . وقد زعم محمد بن اسحاق أنهم كانوا بعد مبعث المسيح وخالفه غيره فزعموا أنهم كانوا قبله. وقد ذكر غير واحد أن هذا الصنيع مكرر فى العالم مراراً فى حق المؤمنين من الجبارين الكافرين ولكن هؤلاء المذكورون فى القرآن قد ورد فيهم حديث مرفوع واثر أورده ابن اسحاق وهما متعارضان وها نحن نوردهما لتقف عليهما . قال الامام أحمد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن صهيب أن رسول الله (ص) قال كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر الساحر قال للملك انى قد كبرت سنى وحضر أجلى فادفع إلى غلاماً فلأعلمه السحر فدفع إليه غلاماً فكان يعلمه السحر وكان بين الملك وبين الساحر راهب فأتى الغلام على الراهب فسمع من كلامه فأعجبه نحوه وكلامه وكان إذا أتى الساحر ضربه وقال ماحبسك وإذا أتى أهله ضربوه وقالوا ماحبسك فشكا ذلك إلى الراهب فقال إذا أراد الساحر أن يضربك فقل حبسنى أهلى وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل حبسنى الساحر قال فبينا هو ذات يوم إذ أتى على دابة فظيعة عظيمة قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا فقال اليوم أعلم أمر الساحر أحب إلى الله ام أمر الراهب قال فأخذ حجراً فقال اللهم إن كان أمر الراهب

أحب اليك وأرضى من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس ورماها فقتلها ومضى فأخبر الراهب بذلك فقال أى بنى أنت أفضل منى وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل على فكان الغلام يبرىء الاكمه والأبرص وسائر الأدواء ويشفيهم الله على يديه وكان جليس للملك فعمى فسمع به فأتاه بهدايا كثيرة فقال اشفنى ولك ماههنا اجمع فقال ماأنا اشفى أحدا إنما يشفى الله عز وجل فان آمنت به ودعوت الله شفاك فآمن فدعا الله فشفاه. ثم أتى الملك فجلس منه نحو ماكان يجلس فقال له الملك يافلان من رد عليك بصرك فقال ربى قال أنا قال لا ربى وربك الله قال ولك رب غيرى قال نعم ربى وربك الله فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فأتى به فقال أى بنى بلغ من سحرك أن تبرىء الاكمه والابرص وهذه الادواء قال ماأشفى أنا أحداً انما يشفى الله عزوجل قال أنا قال لا قال أولك رب غيرى قال ربى وربك الله قال فاخذه أيضا بالعذاب ولم يزل به حتى دل على الراهب فأتى الراهب فقال ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار فى مفرق رأسه حتى وقع شقاه وقال للاعمى ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار فى مفرق رأسه حتى وقع شقاه وقال للغلام ارجع عن دينك فأبى فبعث به مع نفر الى جبل كذا وكذا وقال اذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا فدهدهوه فذهبوا به فلما علوا الجبل قال اللهم أكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فدهدهوا أجمعون وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك فقال مافعل أصحابك فقال كفانيهم الله فبعث به مع نفر فى قرقرة فقال اذا لججتم البحر فان رجع عن دينه والا فاغرقوه فى البحر فلججوا به البحر فقال الغلام (اللهم اكفنيهم بما شئت فغرقوا أجمعون وجاء الغلام حتى دخل على الملك فقال مافعل أصحابك فقال كفانيهم الله. ثم قال للملك انك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به فان أنت فعلت ما آمرك به قتلتنى والا فانك لا تستطيع قتلى قال وما هو قال تجمع الناس فى صعيد واحد ثم تصلبنى على جذع وتأخذ سهما من كنانتى. ثم قل بسم الله رب الغلام فانك اذا فعلت ذلك قتلتنى ففعل ووضع السهم فى كبد القوس ثم رماه وقال بسم الله رب الغلام فوقع السهم فى صدغه فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات فقال الناس آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام فقيل للملك أرأيت ما كنت تحذر فقد والله نزل بك قد آمن الناس كلهم فأمر بافواه السكك فخد فيها الاخاديد وأضرمت فيها النيران وقال من رجع عن دينه فدعوه والا فأقحموه فيها وقال فكانوا يتعادون فيها ويتواقعون فجاءت امرأة بابن لها ترضعه فكأنها تقاعست أن تقع فى النار فقال الصبى اصبرى يا أماه فانك على الحق كذا رواه الامام احمد ورواه مسلم والنسائى من حديث حماد بن سلمة زاد النسائى وحماد بن زيد كلاهما عن ثابت به ورواه الترمذى من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ثابت باسناده نحوه وجرد ايراده كما بسطنا ذلك فى التفسير

وقد أورد محمد ابن اسحاق هذه القصة على وجه آخر فقال حدثنى يزيد بن زياد عن محمد بن كعب وحدثنى أيضا بعض أهل نجران عن أهلها أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الاوثان وكان فى

قرية من قراها قريبا من نجران (ونجران هى القرية العظمى التى اليها جماع أهـل تلك البلاد) ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر فلما نزلها فيمون ولم يسموه لى بالاسم الذى سماه ابن منبه قالوا رجـل نزلها فابتنى خيمة بين نجران وبين تلك القرية التى فيها الساحر وجعل أهل نجران يرسـلون غلمانهم الى ذلك الساحر يعلمهم السحر فبعث التامر ابنه عبد الله بن التامر مع غلمان أهل نجران فـكان اذا مر بصاحب الخيمة أعجبه مايرى من عبادته وصلاته فجعل يجلس اليه ويسمع منـه حتى أسلم فوحد الله وعبده وجعل يسأله عن شرائع الاسلام حتى اذا فقه فيه جعل يسأله عن الاسم الاعظم وكان يعلمه فـكتمه اياه وقال له يا ابن أخى انك لن تحمله أخشى ضعفك عنه والتامر لا يظن الا أن ابنه عبد الله يختلف الى الساحر كما يختلف الغلمان فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه وتخوف ضعفه فيه عمد الى قداح فجمعها ثم لم يبق لله اسما يعلمه الا كتبه فى قدح لـكل اسم قدح حتى اذا أحصاها أوقد نارا ثم جعل يقذفها قدحا قدحا حتى اذا مر بالاسم الاعظم قذف فيها بقدحه فوثب القدح حتى خرج منها لم تضره شيئا فأخذه ثم أتى به صاحبه فأخبره أنه قد علم الاسم الاعظم الذى قد كتمه فقال وماهو قال كذا وكذا قال وكيف علمته فأخبره بما صنع قال أى ابن أخى قد أصبته فأمسك على نفسك وما أظن أن تفعل فجعل عبد الله بن التامر اذا دخل نجران لم يلق أحداً به ضر الا قال ياعبدالله أتوحد الله وتدخل فى دينى وأدعو الله لك فيعافيك مما أنت فيه من البلاء ودعا له فعوفى حتى رفع شأنه الى ملك نجران فدعاه فقال أفسدت على أهل قريتى وخالفت دينى ودين آبائى لامثلن بك قال لاتقدر على ذلك فجعل يرسل به الى الجبل الطويل فيطرح على رأسه فيقع الى الارض مابه بأس وجعل يبعث به الى مياه بنجران بحور لايلقى فيها شىء الا هلك فيلقى به فيها فيخرج ليس به بأس فلما غلبه قال له عبد الله بن التامر والله لاتقدر على قتلى حتى توحد الله فتؤمن بما آمنت به فانك ان فعلت سلطت على فقتلتنى قال فوحد الله ذلك الملك وشهد شهادة عبد الله بن التامر ثم ضربه بعصا فى يده فشجه شجة غير كبيرة فقتله وهلك الملك مكانه واستجمع أهـل نجران على دين عبد الله بن التامر وكان على ماجاء به عيسى بن مريم من الانجيل وحكمه ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الاحزاب فمن هنالك كان أصل دين النصرانية بنجران قال ابن اسحاق فهذا حديث محمد بن كعب وبعض أهـل نجران عن عبـد الله بن التامر فالله أعـلم أى ذلك كان قال فسار اليهم ذو نواس بجنده فدعاهم الى اليهودية وخيرهم بين ذلك أو القتل فاختاروا القتل فخدوا الاخدود وحرق بالنار وقتل بالسيف ومثل بهم فقتل منهم قريبا من عشرين الفا ففى ذى نواس وجنده أنزل الله على رسوله (قتل أصحاب الاخـدود النار ذات الوقود الآيات) وهذا يقتضى أن هـذه القصة غير ماوقع فى سياق مسلم وقـد زعم بعضهم أن الاخدود وقع فى العالم كثيراً كما قال ابن أبى حاتم. حدثنا أبى حدثنا أبو اليمان أنبأنا صفوان عن عبدالرحمن ابن جبير قال كانت الاخدود فى اليمن زمان تبع وفى القسطنطينية زمان قسطنطين حين صرف النصارى

قبلتهم عن دين المسيح والتوحيد واتخذ أتو ناوالقى فيه النصارى الذين كانوا على دين المسيح والتوحيد فى العراق فى أرض بابل فى زمان بخت نصر حين صنع الصنم وأمر الناس فسجدوا له فامتنع دانيال وصاحباه عزريا ومشايل فأوقد لهم أتو نا والقى فيها الحطب والنار ثم القاها فيه فجعلها الله عليهم برداً وسلاماو أنقذهم منها والقى فيها الذين بغوا عليه وهم تسعة رهط فاكلتهم النار وقال اسباط عن السدى فى قوله (قتل أصحاب الاخدود) قال كان الاخدود ثلاثة خد بالشام وخد بالعراق وخد باليمن رواه بن أبى حاتم . وقد استقصيت ذكر أصحاب الأخدود والكلام على تفسيرها فى سورة البروج ولله الحمد والمنة *

باب الاذن فى الرواية عن اخبار بنى اسرائيل

قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا همام حدثنا زيد عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى عن النبى (ص.) قال قال (حدثوا عنى ولا تكذبوا على ومن كذب على متعمداً فليتبوء مقعده من النار وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج) . وقال أيضاً حدثنا عفان حدثنا همام أنبأنا زيد بن أسلم عن عطاء ابن يسار عن أبى سعيد الخدرى عن النبى (ص.) قال قال (لا تكتبوا عنى شيئاً غير القرآن فمن كتب عنى شيئاً غير القرآن فليمحه وقال حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج حدثوا عنى ولا تكذبوا على قال ومن كذب على قال همام احسبه قال متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) وهكذا رواه مسلم والنسائى من حديث همام ورواه أبوعوانة الاسفراينى عن أبى داود السجستانى عن هدبة عن همام عن زيد بن أسلم به ثم قال قال أبوداود اخطأ فيه همام وهو من قول أبى سعيد كذا قال وقد رواه الترمذى عن سفيان عن وكيع عن سفيان بن عيينة عن زيد بن أسلم ببعضه مرفوعاً فالله أعلم قال الامام أحمد حدثنا الوليد بن مسلم أنبأنا الاوزاعى حدثنا حسان بن عطية حدثنى أبو كبشة السلولى أن عبد الله بن عمرو بن العاص حدثه أنه سمع رسول الله (ص.) يعنى يقول بلغوا عنى ولو آية وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار . ورواه أحمد أيضا عن عبد الله بن نمير وعبد الرزاق كلاهما عن الاوزاعى به وهكذا رواه البخارى عن أبى عاصم النبيل عن الاوزاعى به وكذا رواه الترمذى عن بندار عن أبى عاصم ثم رواه عن محمد بن يحيى الذهلى عن محمد بن يوسف العريانى عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن حسان بن عطية وقال حسن صحيح وقال أبو بكر البزار حدثنا محمد بن المثنى أبوموسى حدثنا هشام بن معاوية حدثنا أبى عن قتادة عن أبى حسان عن عبدالله بن عمرو قال كان نبى الله (ص.) يحدثنا عامة ليلة عن بنى اسرائيل حتى نصبح ماتقوم فيها الا لمعظم صلاة ورواه ابوداود عن محمد بن مثنى ثم قال البزار حدثنا محمد بن مثنى حدثنا عفان حدثنا ابوهلال عن قتادة عن ابى حسان عن عمران بن حسين قال كان رسول الله (ص.) يحدثنا

عامة ليلة عن بنى اسرائيل لا يقوم الا لمعظم صلات قال البزار وهشام احفظ من أبى هلال يعنى أن الصواب عن عبد الله بن عمرو لا عن عمران بن حصين والله أعلم . وقال الامام أحمد حدثنا يحيى هو القطان عن محمد بن عمرو حدثنا أبو سلمة عن أبى هريرة عن النبى (ص) قال حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج اسناد صحيح ولم يخرجوه . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا وكيع حدثنا ربيع بن سعد الجعفى عن عبد الرحمن ابن سابط عن جابر قال قال رسول الله (ص) حدثوا عن بنى اسرائيل فانه قد كان فيهم الاعاجيب ثم أنشأ يحدث (ص) قال خرجت طائفة من بنى اسرائيل حتى أتوا مقبرة من مقابرهم فقالوا لو صلينا ركعتين ودعونا الله عز وجل فيخرج لنا رجلا قد مات نسائله يحدثنا عن الموت ففعلوا فبينما هم كذلك اذ أطلع رجل رأسه من قبر من تلك القبور بين عينيه أثر السجود فقال ياهؤلاء ماأردتم الىّ فقد مت منذ مائة عام فما سكنت عنى حرارة الموت حتى الآن فادعوا الله أن يعيدنى كما كنت وهذا حديث غريب اذا تقرر جواز الرواية عنهم فهو محمول على ما يمكن أن يكون صحيحا فاما ما يعلم أو يظن بطلانه لمخالفته الحق الذى بايدينا عن المعصوم فذاك متروك مردود لا يعرج عليه ثم مع هذا كله لا يلزم من جواز روايته أن تعتقد صحته لما رواه البخارى قائلا حدثنا محمد بن يسار حدثنا عثمان بن عمر حدثنا على بن المبارك عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الاسلام فقال رسول الله (ص) (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل اليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون) تفرد به البخارى من هذا الوجه .

وروى الامام أحمد من طريق الزهرى عن أبى نملة الانصارى عن أبيه أنه كان جالساً عند رسول الله (ص) فقال اذا جاء رجل من اليهود فقال يا محمد هل تتكلم هذه الجنازة فقال رسول الله (ص) الله أعلم فقال اليهودى أنا أشهد أنها تتكلم فقال رسول الله (ص) (اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان حقا لم تكذبوهم وان كان باطلا لم تصدقوهم) تفرد به أحمد وقال الامام أحمد حدثنا شريح بن النعمان حدثنا هشيم أنبأنا مجالد عن الشعبى عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب أتى النبى (ص) بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبى (ص) قال فغضب وقال امتهوكون فيها يا ابن الخطاب والذى نفسى به لقد جئتكم به بيضاء نقية لا تسألوهم عن شئ فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به والذى نفسى به لو أن موسى كان حيا ما وسعه الا أن يتبعنى . تفرد به أحمد واسناده على شرط مسلم فهذه الاحاديث دليل على أنهم قد بدلوا ما بايديهم من الكتب السماوية وحرفوها واولوها ووضعوها على غير مواضعها ولا سيما ما يبدونه من المعربات التى لم يحيطوا بها علما وهى بلغتهم فكيف يعبرون عنها بغيرها ولاجل هذا وقع فى تعريبهم خطأ كبير ووهم كثير مع مالهم من المقاصد الفاسدة والآراء الباردة وهذا يتحققه من نظر فى

كتبهم التى بايديهم وتأمل ما فيها من سوء التعبير وقبيح التبديل والتغيير وبالله المستعان وهو نعم المولى ونعم النصير . وهذه التوراة التى يبدونها ويخفون منها كثيرا فيما ذكروه فيها تحريف وتبديل وتغيير وسوء تعبير يعلم من نظر فيها وتأمل ما قالوه وما أبدوه وما أخفوه وكيف يسوغون عبارة فاسدة البناء والتركيب باطلة من حيث معناها وألفاظها . وهذا كعب الاحبار من أجود من ينقل عنهم وقد أسلم فى زمن عمر وكان ينقل شيئا عن أهل الكتاب فكان عمر رضى الله عنه يستحسن بعض ما ينقله لما يصدقه من الحق وتأليفا لقلبه فتوسع كثير من الناس فى أخذ ما عنده وبالغ أيضا هو فى نقل تلك الأشياء التى كثير منها ما يساوى مداده . ومنها ما هو باطل لا محالة . ومنها ما هو صحيح لما يشهد له الحق الذى بايدينا .وقد قال البخارى وقل أبو اليمان حدثنا شعيب عن الزهرى أخبرنى حميد بن عبدالرحمن أنه سمع معاوية يحدث رهطا من قريش بالمدينة . وذُكر كعب الأحبار فقال ان كان من اصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وان كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب يعنى من غير قصد منه . وروى البخارى من حديث الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس أنه قال . كيف يسألون أهل الكتاب عن شئ وكتابكم الذى أنزل الله على رسوله أحدث الكتب بالله تقرأونه محضا لم يُشب وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بايديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا الا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم لا والله ما رأينا منهم رجلا يسألكم عن الذى أنزل عليكم وروى ابن جرير عن عبد الله بن مسعود أنه قال لا تسألوا أهل الكتاب عن شئ فانهم لن يهدوكم وقد ضلوا إما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل والله أعلم *

قصة جريج أحد عُبّاد بنى اسرائيل

قال الامام أحمد حدثنا وهب بن جرير حدثنى أبى سمعت محمد بن سيرين يحدث عن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص) لم يتكلم فى المهد الا ثلاثة عيسى بن مريم قال وكان فى بنى اسرائيل رجل عابد يقال له جريج فابتنى صومعة وتعبد فيها قال فذكر بنو اسرائيل عبادة جريج فقالت بغى منهم لئن شئتم لافتننه فقالوا قد شئنا ذاك قال فاتته فتعرضت له فلم يلتفت اليها فامكنت نفسها من راع كان يؤوى غنمه الى أصل صومعة جريج فحملت فولدت غلاماً فقالوا ممن قالت من جريج فاتوه فاستنزلوه فشتموه وضربوه وهدموا صومعته فقال ما شأنكم قالوا انك زنيت بهذه البغى فولدت غلاما فقال وأين هو قالوا هو هذا قال فقام فصلى ودعا ثم انصرف الى الغلام فطعنه باصبعه فقال بالله يا غلام من أبوك فقال انا ابن الراعى فوثبوا الى جريج فجعلوا يقبلونه وقالوا نبنى صومعتك من ذهب قال لا حاجة لى فى ذلك ابنوها من طين كما كانت قال وبينما امرأة فى حجرها ابن لها ترضعه اذ مر بها راكب ذو شارة فقالت

اللهم اجعل ابنى مثل هذا قال فترك ثديها وأقبل على الراكب فقال اللهم لا تجعلنى مثله قال ثم عاد الى ثديها فمصه . قال أبو هريرة فكأنى أنظر إلى رسول الله (ص.) يحكى صنيع الصبى ووضع اصبعه فى فيه يمصها . ثم مرت بأمة تضرب فقالت اللهم لاتجعل ابنى مثلها قال فترك ثديها وأقبل على الامة فقال اللهم اجعلنى مثلها قال فذاك حين تراجعا الحديث فقالت خلقى مر الراكب ذو الشارة فقلت اللهم اجعل ابنى مثله فقلت اللهم لاتجعلنى مثله ومررت بهذه الامة فقلت اللهم لا تجعل ابنى مثلها فقلت اللهم اجعلنى مثلها فقال يا أمتاه ان الراكب ذو الشارة جبار من الجبابرة وان هذه الأمة يقولون زنت ولم تزن وسرقت ولم تسرق وهى تقول حسبى الله وهكذا رواه البخارى فى أحاديث الانبياء وفى المظالم عن مسلم بن ابراهيم ومسلم فى كتاب الادب عن زهير بن حرب عن يزيد بن هرون كلاهما عن جرير بن حازم به طريق أخرى وسياق آخر .

قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا حميد بن هلال عن أبى رافع عن أبى هريرة عن النبى (ص.) قال كان جريج يتعبد فى صومعته قال فأتته أمه فقالت يا جريج أنا أمك وكلمنى قال وكان أبو هريرة يصف كيف كان رسول الله (ص.) وضع يده على حاجبه الايمن قال وصادفته يصلى قال يارب أمى وصلاتى فاختار صلاته فرجعت ثم أتته فصادفته يصلى فقالت ياجريج أنا أمك فكلمنى فقال يارب أمى وصلاتى فاختار صلاته فقالت اللهم هذا جريج وانه ابنى وانى كلمته فأبى أن يكلمنى اللهم فلا تمته حتى تريه المومسات. ولو دعت عليه أن يفتتن لافتتن قال وكان راع يأوى إلى ديره فخرجت امرأة فوقع عليها الراعى فولدت غلاماً فقيل ممن هذا فقالت هو من صاحب الدير فأقبلوا بفؤسهم ومساحيهم وأقبلوا إلى الدير فنادوه فلم يكلمهم فأقبلوا يهدمون ديره فنزل اليهم فقالوا سل هذه المرأة قال أراه تبسم قال ثم مسح رأس الصبى فقال من أبوك قال راعى الضأن قالوا ياجريج نبنى ماهدمنا من ديرك بالذهب والفضة قال لا ولكن اعيدوه كما كان ففعلوا ورواه مسلم فى الاستيذان عن شيبان بن فروخ عن سليمان بن المغيرة به .

سياق آخر قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد أنبأنا ثابت عن أبى رافع عن أبى هريرة أن رسول الله (ص.) قال (كان فى بنى اسرائيل رجل يقال له جريج كان يتعبد فى صومعته فأتته أمه ذات يوم فنادته فقالت أى جريج أى بنى أشرف على أكلمك أنا أمك اشرف على فقال أى ربى صلاتى وأمى فأقبل على صلاته ثم عادت فنادته مراراً فقالت أى جريج أى بنى اشرف على فقال أى رب صلاتى وامى فأقبل على صلاته فقالت اللهم لاتمته حتى تريه المومسة وكانت راعية ترعى غنما لأهلها ثم تأوى إلى ظل صومعته فأصابت فاحشة فحملت فاخذت . وكان من زنى منهم قتل فقالوا ممن قالت من جريج صاحب الصومعة فجاؤا بالفؤس والمرور فقالوا أى جريج اى مرائى انزل فأبى وأقبل على صلاته يصلى فأخذوا فى هدم صومعته

فلما رأى ذلك نزل فجعلوا فى عنقه وعنقها حبلا فجعلوا يطوفون بهما فى النـاس فوضع أصبعه على بطنها فقال اى غلام من أبوك فقال أبى فلان راعى الضأن فقبلوه وقالوا إن شئت بنينا لك صومعتك من ذهب وفضة قال أعيدوها كما كانت وهـذا سياق غريب واسناده على شرط مسلم ولم يخرجه أحد من أصحاب الـكتب من هذا الوجه .

فهؤلاء ثلاثة تكلموا فى المهد عيسى بن مريم عليه السلام وقد تقدم الـكلام على قصته وصاحب جريج بن البغى من الراعى كما سمعت واسمه يابوس كما ورد مصرحاً به فى صحيح البخارى والثـالث ابن المرأة التى كانت ترضعه فتمنت له أن يكون كصاحب الشارة الحسنة فتمنى أن يكون كتلك الأمة المتهومة بما هى بريئة منه وهى تقول حسبى الله ونعم الوكيل كما تقدم فى رواية محمد بن سيرين عن أبى هريرة مرفوعا . وقـد رواه الامام أحمد عن هوذة عن عوف الاعرابى عن خلاس عن أبى هريرة عن النبى (ص.) بقصة هذا الغلام الرضيع وهو اسناد حسن.

وقال البخارى حـدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن عبد الرحمن الاعرج حدثه أنه سمع أبا هريرة أنه سمع رسول الله (ص.) قال بينا امرأة ترضع ابنها إذ مر بها راكب وهى ترضعه فقالت اللهم لا تمت ابنى حتى يكون مثل هذا فقال اللهم لا تجعلنى مثله ثم رجع فى الثدى ومر بامرأة تجر ويلعب بها فقالت اللهم لا تجعل ابنى مثـل هذه فقال اللهم اجعلنى مثلها فقال أما الراكب فانه كافر . واما المرأة فانهم يقولون إنها تزنى وتقول حسبى الله ويقولون تسرق وتقول حسبى الله . وقد ورد فى من تكلم فى المهد أيضاً شاهد يوسف كما تقدم وابن ماشطة آل فرعون والله أعـلم *

قصّة برصيصا

وهى عكس قضية جريج فان جريجاً عُصم وذلك فتن . قال ابن جرير حدثنى يحيى بن ابراهيم المسعودى أنبأنا أبى عن أبيه عن جـده عن الاعمش عن عمارة عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله بن مسعود فى هذه الآية ﴿كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلمـا كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين . فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين﴾. قال ابن مسعود وكانت امرأة ترعى الغنم وكان لها اخوة أربعة وكانت تأوى بالليل إلى صومعة راهب قال فنزل الراهب ففجر بها فحملت فأتاه الشيطان فقال له اقتلها ثم ادفنها فانك رجل تصدق ويسمع قولك فقتلها ثم دفنها قال فأتى الشيطان اخوتها فى المنام فقال لهم ان الراهب صاحب الصومعـة فجر بأختكم فلما أحبلها قتلها ثم دفنها فى مكان كذا وكذا . فلما أصبحوا قال رجل منهم والله لقد رأيت البارحة رؤيا ما ادرى اقصها عليكم أم أترك قالوا لا بل قصها علينا قال فقصها فقال الآخر وأنا والله لقد رأيت ذلك فقال الآخر وأنا والله لقـد رأيت

ذلك قالوا فوالله ماهذا إلا لشيء فانطلقوا فاستعدوا ملكهم على ذلك الراهب فأتوه فأنزلوه . ثم انطلقوا به فأتاه الشيطان فقال انى أنا أوقعتك فى هذا ولن ينجيك منه غيرى فاسجد لى سجدة واحدة وانجيك مما أوقعتك فيـه قال فسجد له فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه وأخـذ فقتل . وهكذا روى عن ابن عباس وطاوس ومقاتل ابن حيان نحو ذلك .

وقد روى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه بسياق آخر فقال ابن جرير حدثنـا خلاد بن أسلم حدثنا النضر بن شميل أنبأنا شعبة عن أبى اسحاق سمعت عبد الله بن نهيك سمعت علياً يقول ان راهباً تعبد ستين سنة وان الشيطان أراده فأعياه فعمد الى امرأة فأجنها ولها اخوة فقال لاخوتها عليكم بهذا القس فيداويها قال فجاؤا بها اليه فداواها وكانت عنده فبينما هو يوما عندها إذ أعجبته فأتاها فحملت فعمد اليها فقتلها فجاء إخوتها فقال الشيطان للراهب انا صاحبك انك اعييتنى انا صنعت هذا بك فاطعنى أنجيك مما صنعت بك اسجد لى سجـدة فسجد له قال انى برئ منك اني أخاف الله رب العالمين فذلك قوله (كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إنى برئ منـك انى اخاف الله رب العالمين)

قصة الثلاثة الذين أووا إلى الغار فانطبق عليهم

فتوسلوا الى الله تعالى بصالح اعمالهم ففرج عنهم . قال الامام البخارى حـدثنا اسماعيل بن خليل أخبرنا على بن مسهر عن عبيدالله بن عمر عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله (ص) قال بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون اذ اصابهم مطر فآووا الى غار فانطبق عليهم فقال بعضهم لبعض انه والله ياهؤلاء لاينجيكم الا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم انه قد صدق فيه فقال واحدمنهم (اللهم ان كنت تعلم أنه كان لى أجير عمل لى على فرق من أرز فذهب وتركه وانى عمدت الى ذلك الفرق فزرعته فصار من أمره انى اشتريت منه بقراً وانه اتانى يطلب اجره فقلت اعمد الى تلك البقر فسقها فقال لى انمالى عندك فرق من ارز فقلت له اعمد الى تلك البقر فانها من ذلك الفرق فساقها فان كـنت تعـلم انى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا) فانساخت عنهم الصخرة * فقال الاخر (اللهم ان كنت تعلم كان لى ابوان شيخان كبيران وكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لى فابطأت عنهما ليلة فجئت وقد رقدا وأهلى وعيالى يتضاغون من الجوع وكنت لااسقيهم حتى يشرب أبواى فكرهت أن اوقظهما وكرهت ان ادعهما فيستكنا لشربتهما فلم ازل انتظر حتى طلع الفجر فان كنت تعلم أنى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا الى السماء * فقال الآخر اللهم ان كنت تعلم أنه كانت لى ابنة عم من احب الناس الى وانى راودتها عن نفسها فأبت الا أن آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت فاتيتها بها فدفعتها اليها فامكنتنى من نفسها فلما قعدت بين رجليها قالت اتق الله ولا تفض الخاتم الا بحقه فقمت وتركت المائة دينار فان كنت

تعلم انى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا ، رواه مسلم عن سويد بن سعيد عن على بن مسهر به وقد رواه الامام احمد منفردا به عن مروان بن معاوية عن عمرو بن حمزة بن عبدالله بن عمر عن سالم عن ابيه عن النبى (ص.) بنحوه . ورواه الامام احمد من حديث وهب بن منبه عن النعمان بن بشير عن النبى (ص.) بنحو من هذا السياق وفيه زيادات ورواه البزار من طريق ابى اسحاق عن رجل من بجيلة عن النعمان بن بشير مرفوعا مثله ورواه البزار فى مسنده من حديث ابى حنش عن على بن أبى طالب عن النبى (ص.) بنحوه

خبر الثلاثة الأعمى والأبرص والأقرع

روى البخارى ومسلم من غير وجه عن همام بن يحيى عن اسحاق بن عبدالله بن أبى طلحة حدثنى عبد الرحمن بن ابى عمرة ان أبا هريرة حدثه انه سمع رسول الله (ص.) يقول ان ثلاثة فى بنى اسرائيل أبرص وأعمى وأقرع بدا لله ان يبتليهم فبعث الله اليهم ملكا فأتى الابرص فقال له أى شىء أحب اليك فقال لون حسن وجلد حسن قد قذرنى الناس قال فمسحه فذهب عنه فاعطى لونا حسناً وجلداً حسنا. فقال اى المال أحب اليك قال الابل أوقال البقر (هوشك فى ذلك ان الابرص والاقرع قال احدهما الابل وقال الاخر البقر) فاعطى ناقة عشراء فقال يبارك لك فيها . قال واتى الاقرع فقال له أى المال أحب اليك قال شعر حسن ويذهب عنى هذا قد قذرنى الناس فمسحه فذهب واعطى شعراً حسنا قال فاى المال احب اليك قال البقر فاعطاه بقرة حاملا وقال يبارك لك فيها قال وأتى الأعمى فقال أى شىء أحب اليك قال يرد الله الى بصرى فابصر به الناس قال فمسحه فرد الله اليه بصره قال فأى المال أحب اليك قال الغنم فأعطاه شاة والدا فانتج هذان وولد هذا فكان لهذا واد من الابل ولهذا واد من البقر ولهذا واد من الغنم ثم انه أتى الابرص فى صورته وهيئته فقال رجل مسكين تقطعت بى الحبال فى سفرى فلا بلاغ اليوم الا بالله ثم بك أسألك بالذى اعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرا اتبلغ عليه فى سفرى فقال له ان الحقوق كثيرة فقال له كأنى اعرفك الم تكن ابرص يقذرك الناس فقيرا فاعطاك الله عز وجل فقال لقد ورثت لكابر عن كابر فقال ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت وأتى الاقرع فى صورته وهيئته فقال له مثل ماقال لهذا فرد عليه مثل مارد عليه هذا فقال ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت . وأتى الاعمى فى صورته فقال رجل مسكين وابن سبيل وتقطعت بى الحبال فى سفرى فلا بلاغ اليوم الا بالله ثم بك أسألك بالذى رد عليك بصرك شاة اتبلغ بها فى سفرى فقال قد كنت اعمى فرد الله الى بصرى وفقيراً فقد أغنانى فخذ ماشئت فوالله لا أجهدك اليوم بشىء اخذته لله عز وجل فقال أمسك مالك فانما ابتليتم فقد رضى الله عنك وسخط على صاحبيك هذا لفظ البخارى فى احاديث بنى اسرائيل

حديث الذي استلف من صاحبه الف دينار فأداها

قال الامام احمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا ليث عن جعفر بن ربيعه عن عبد الرحمن بن هرمز عن أبي هريرة عن رسول الله (ص.) انه ذكر أن رجلا من بني اسرائيل سأل بعض بني اسرائيل أن يسلفه الف دينار فقال ائتني بشهداء اشهدهم قال كفى بالله شهيداً قال ائتني بكفيل قال كفى بالله كفيلا قال صدقت فدفعها اليه الى اجل مسمى فخرج فى البحر فقضى حاجته ثم التمس مركبا يقدم عليه للاجل الذى اجله فلم يجد مركبا فاخذ خشبة فنقرها وادخل فيها الف دينار وصحيفة معها الى صاحبها ثم زجج موضعها ثم اتى بها البحر ثم قال اللهم انك قدعلمت انى استسلفت فلانا الف دينار فسألني كفيلا فقلت كفى بالله كفيلا فرضى بذلك وسألنى شهيدا فقلت كفى بالله شهيدا فرضى بذلك وانى قد جهدت ان أجد مركبا أبعث اليه بالذى أعطانى فلم أجد مركبا وانى استودعتكها فرمى بها فى البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو فى ذلك يطلب مركبا الى بلده فخرج الرجل الذى كان أسلفه ينظر لعل مركبا يجيئه بماله فاذا بالخشبة التى فيها المال فاخذها لاهله حطباً فلما كسرها وجد المال والصحيفة ثم قدم الرجل الذى كان تسلف منه فاتاه بالف دينار وقال والله مازلت جاهدا فى طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبا قبل الذى اتيت فيه قال هل كنت بعثت الى بشيء قال الم اخبرك انى لم أجد مركبا قبل هذا الذى جئت فيه قال فان الله ادى عنك الذى بعثت به فى الخشبة فانصرف بالفك راشدا. هكذا رواه الامام احمد مسندا وقد علقه البخاري فى غير موضع من صحيحه بصيغة الجزم عن الليث بن سعد واسنده فى بعضها عن عبدالله بن صالح كاتب الليث عنه والعجب من الحافظ ابى بكر البزار كيف رواه فى مسنده عن الحسن بن مدرك عن يحيى بن حماد عن أبى عوانة عن عمر بن سلمة عن ابيه عن أبى هريرة عن النبى (ص.) بنحوه ثم قال لايروى الا من هذا الوجه بهذا الاسناد

قصة اخرى شبيهة بهذه القصة فى الصدق والأمانة

قال البخارى حدثنا اسحاق بن نصر أخبرنا عبدالرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن ابى هريرة قال قال رسول الله (ص.) اشترى رجل من رجل عقارا له فوجد الرجل الذى اشترى العقار فى عقاره جرة فيها ذهب فقال له الذى اشترى العقار خذ ذهبك منى انما اشتريت منك الارض ولم ابتع منك الذهب وقال الذى له الارض انما بعتك الارض وما فيها فتحاكما الى رجل فقال الذى تحاكما اليه ألكما ولد قال احدهما لى غلام وقال الآخر لى جارية قال انكحوا الغلام الجارية وانفقوا على انفسهما منه وتصدقا هكذا روى البخارى هذا الحديث فى اخبار بنى اسرائيل واخرجه مسلم عن محمد بن رافع عن عبدالرزاق به وقد

روى ان هذه القصة وقعت فى زمن ذى القرنين . وقد كان قبل بنى اسرائيل بدهور متطاولة والله اعلم

قال اسحاق بن بشر فى كتابه المبتدأ عن سعيد بن ابى عروبة عن قتادة عن الحسن ان ذا القرنين كان يتفقد امور ملوكه وعماله بنفسه وكان لايطلع على احد منهم خيانة الا انكر ذلك عليه وكان لايقبل ذلك حتى يطلع هو بنفسه . قال فبينما هو يسير متنكرا فى بعض المدائن فجلس الى قاض من قضاتهم اياما لايختلف اليه احد فى خصومة فلما أن طال ذلك بذى القرنين ولم يطلع على شىء من أمر ذلك القاضى وهم بالانصراف اذا هو برجلين قد اختصما اليه فادعى احدهما فقال أيها القاضى انى اشتريت من هذا داراً عمرتها ووجدت فيها كنزا وانى دعوته الى أخذه فابى على فقال له القاضى ماتقول قال مادفنت وماعلمت به فليس هو لى ولا أقبضه منه قال المدعى أيها القاضى مر من يقبضه فتضمه حيث احببت فقال القاضى تفر من الشر وتدخلنى فيه ما أنصفتنى وماأظن هذا فى قضاء الملك فقال القاضى هل لكما امرا نصف مما دعوتمانى اليه قالا نعم قال للمدعى ألك ابن قال نعم وقال للآخر ألك ابنة قال نعم قال اذهبا فزوج ابنتك من ابن هذا وجهزهما من هذا المال وادفعا فضل ما بقى اليهما يعيشان به فتكونا مليا بخيره وشره فعجب ذو القرنين حين سمع ذلك ثم قال للقاضى ماظننت ان فى الارض احدا يفعل مثل هذا أو قاض يقضى بمثل هذا فقال القاضى وهو لايعرفه وهل احد يفعل غير هذا قال ذو القرنين نعم قال القاضى فهل يمطرون فى بلادهم فعجب ذو القرنين من ذلك وقال بمثل هذا قامت السموات والارض

قصة اخرى

قال البخارى حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن أبى عدى عن شعبة عن قتادة عن ابى الصديق الناجى عن ابى سعيد الخدرى عن النبى (ص.) قال كان فى بنى اسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين انسانا ثم خرج يسأل فاتى راهبا فسأله فقال هل من توبة قال لا فقتله فجعل يسأل فقال له رجل ائت قرية كذا وكذا فادركه الموت فناء بصدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فاوحى الله الى هذه ان تقربى واوحى الى هذه ان تباعدى وقال قيسوا ما بينهما فوجدالى هذه اقرب بشبر فغفر له هكذا رواه ههنا مختصراً وقد رواه مسلم عن بندار به ومن حديث شعبة ومن وجه آخر عن قتادة به مطولا

حديث آخر

قال البخارى حدثنا على بن عبدالله حدثنا سفيان حدثنا ابو الزناد عن الاعرج عن ابى سلمة عن أبى هريرة قال صلى رسول الله (ص.) صلاة الصبح ثم اقبل على الناس فقال بينما رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها فقالت إنا لم نخلق لهذا إنما خلقنا للحرث فقال الناس سبحان الله بقرة تكلم فقال فانى أو من بهذا أنا وأبو بكر وعمر وماهما ثم (قال) وبينما رجل فى غنمه إذ عدا الذئب فذهب منها بشاة فطلب

حتى كأنه استنقذها منه فقال له الذئب[1] هذا استنقذتها منى فمن لها يوم السبع يوم لاراعى لها غيرى فقال الناس سبحان الله ذئب يتكلم قال فانى أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثم (قال) وحدثنا على قال حدثنا سفيان عن مسعر عن سعد بن ابراهيم عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى (ص) بمثله. وقد أسنده البخارى فى المزارعة عن على بن المدينى ومسلم عن محمد بن عباد كلاهما عن سفيان بن عيينة وأخرجاه من طريق شعبة كلاهما عن مسعر به. وقال الترمذى حسن صحيح وأخرج مسلم الطريق الأول من حديث سفيان بن عيينة وسفيان الثورى كلاهما عن أبى الزناد.

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخارى حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا ابراهيم عن سعد عن أبيه عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى (ص) قال (إنه كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون وإنه ان كان فى أمتى هذه منهم فانه عمر بن الخطاب) لم يخرجه مسلم من هذا الوجه وقد روى عن ابراهيم بن سعد عن أبى سلمة عن عائشة رضى الله عنها.

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخارى حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية بن أبى سفيان عام حج على المنبر فتناول قُصة من شعر كانت فى يدى حرسى فقال ياأهل المدينة أين علماؤكم سمعت رسول الله (ص) ينهى عن مثل هذه ويقول إنما هلكت بنو اسرائيل حين اتخذها نساؤهم. وهكذا رواه مسلم وأبو داود من حديث مالك وكذا رواه معمر ويونس وسفيان بن عيينة عن الزهرى بنحوه وقال الترمذى حديث صحيح. وقال البخارى حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا عمرو بن مرة قال سمعت سعيد بن المسيب قال قدم معاوية بن أبى سفيان المدينة آخر قدمة قدمها فخطبنا فأخرج من كمه كبة شعر وقال ماكنت أرى أحداً يفعل هذا غير اليهود ان النبى (ص) سماه الزور يعنى الوصال فى الشعر تابعه غندر عن شعبة والعجب أن مسلما رواه من غير وجه عن غندر عن شعبة ومن حديث قتادة عن سعيد بن المسيب به.

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخارى حدثنا سعيد بن تليد حدثنا ابن وهب قال أخبرنى جرير بن حازم عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص) بينما كلب يطيف بركية كاد يقتله العطش إذ رأته بغى من بغايا بنى اسرائيل فنزعت موقها فسقته فغفر لها به. ورواه مسلم عن أبى الطاهر بن السرح عن ابن وهب به.

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخارى حدثنا عبد الله بن اسماء حدثنا جويرية عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله (ص) قال عذبت امرأة فى هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار فلا هى أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض. وكذا رواه مسلم عن عبد الله بن محمد بن اسماء به.

---

(١) قوله هذا أى ياهذا

﴿حديث آخر﴾ قال الامام أحمد حدثنا عثمان بن عمر حدثنا المستمر بن الريان حدثنا أبو نضرة عن أبي سعيد أن رسول الله (ص) قال كان في بني اسرائيل امرأة قصيرة فصنعت رجلين من خشب فكانت تمشي بين امرأتين قصيرتين واتخذت خاتماً من ذهب وحشت تحت فصه أطيب الطيب والمسك فكانت إذا مرت بالمجلس حركته فنفخ ريحه رواه مسلم من حديث المستمر وخليد بن جعفر كلاهما عن أبي نضرة عن أبي سعيد مرفوعاً قريبا منه وقال الترمذي حديث صحيح .

﴿حديث آخر﴾ قال البخاري حدثنا آدم حدثنا شعبة عن منصور سمعت ربعي بن حراش يحدث عن ابن مسعود قال قال النبي (ص) إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى (إذا لم تستح فاصنع ماشئت) تفرد به البخاري دون مسلم وقد رواه بعضهم عن ربعي بن حراش عن حذيفة مرفوعا وموقوفاً أيضا والله أعلم .

﴿حديث آخر﴾ قال الامام أحمد حدثنا هاشم بن القسم حدثنا عبد الحميد يعني بن بهرام حدثنا شهر بن حوشب قال قال أبو هريرة قال قال رسول الله بينما رجل وامرأة له في السلف الخالي لا يقدران على شيء فجاء الرجل من سفره فدخل على امرأته جائماً قد أصابته سغبة شديدة فقال لامرأته عندك شيء قالت نعم ابشر أتاك رزق الله فاستحثها فقال ويحك ابتغي ان كان عندك شيء قالت نعم هنيئة نرجو رحمة الله حتى إذا طال عليه المطال قال ويحك قومي فابتغي ان كان عندك شيء فأتيني به فاني قد بلغت الجهد وجهدت فقالت نعم الآن ينضج التنور فلا تعجل فلما أن سكت عنها ساعة وتحينت أيضا أن يقول لها قالت من عند نفسها لو قمت فنظرت الى تنوري فقامت فوجدت تنورها ملآن من جنوب الغنم ورحاها تطحن فقامت إلى الرحى فنفضتها واستخرجت مافي تنورها من جنوب الغنم قال أبو هريرة فو الذي نفس أبي القاسم بيده عن قول محمد (ص) لو أخذت مافي رحيها ولم تنفضها لطحنت إلى يوم القيامة .
وقال أحمد حدثنا أبو عامر حدثنا أبو بكر عن هشام عن محمد عن أبي هريرة قال دخل رجل على أهله فلما رأى ملبهم من الحاجة خرج إلى البرية فلما رأت امرأته مالقي قامت الى الرحى فوضعتها والى التنور فسجرته ثم قالت اللهم ارزقنا فنظرت فاذا الجفنة قد امتلأت قال وذهبت الى التنور فوجدته ممتلئاً قال فرجع الزوج قال اصبتم بعد شيئاً قالت امرأته نعم من ربنا فرفعتها إلى الرحى ثم قامت فذكر ذلك للنبي (ص) قال (اما أنه لو لم ترفعها لم تزل تدور إلى يوم القيامة) قال شهدت النبي (ص) وهو يقول (والله لأن يأتي أحدكم بحزمة حطب ثم يحمله فيبيعه فيستعفف منه خير له من أن يأتي رجلا فيسأله .

قصة الملك التائب

قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا المسعودي عن سماك بن حرب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال بينما رجل فيمن كان قبلكم كان في مملكته فتفكر فعلم أن ذلك منقطع عنه

وأن ماهو فيه قد شغله عن عبادة ربه فانساب ذات ليلة من قصره وأصبح فى مملكة غيره وأتى ساحل البحر فكان به يضرب اللبن بالآجر فيأكل ويتصدق بالفضل ولم يزل كذلك حتى رقى أمره إلى ملكهم فأرسل اليه فأبى أن يأتيه فركب اليه الملك فلما رآه ولى هارباً فركض فى أثره فلم يدركه فناداه ياعبد الله انه ليس عليك منى بأس فقام حتى أدركه فقال له من أنت رحمك الله فقال أنا فلان بن فلان صاحب مملكة كذا وكذا ففكرت فى أمرى فعلمت انما أنا فيه منقطع وأنه قد شغلنى عن عبادة ربى عز وجل فتركته وجئت ههنا أعبد ربى فقال له ماأنت بأحوج لماصنعت منى قال فنزل عن دابته فسيبها وتبعه فكانا جميعاً يعبدان الله عز وجل فدعوا الله أن يميتهما جميعاً فماتا . قال عبد الله فلو كنت برملية مصر لأريتكم قبورهما بالنعت الذى نعت لنا رسول الله (ص) .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخارى حدثنا أبو الوليد حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن عقبة بن عبدالغافر عن أبى سعيد عن النبى (ص) إن رجلا كان قبلكم رغسه الله مالا فقال لبنيه لما حضر أى أب كنت لكم قالوا خير أب قال فانى لم أعمل خيراً قط فاذا مت فاحرقونى ثم اسحقونى ثم اذرونى فى يوم عاصف ففعلوا فجمعه الله عز وجل فقال ماحملك فقال مخافتك فتلقاه برحمته ورواه فى مواضع أخر ومسلم من طرق عن قتادة به . ثم رواه البخارى ومسلم من حديث ربعى بن حراش عن حذيفة عن النبى (ص) بنحوه ومن حديث الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن عن أبى هريرة عن النبى (ص) بنحوه .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخارى حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا ابراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبى هريرة عن النبى (ص) قال كان رجل يداين الناس فكان يقول لفتاه إذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله أن يتجاوز عنا قال فلقى الله فتجاوز عنه وقد رواه فى مواضع أخر ومسلم من طريق الزهرى به .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخارى حدثنا عبد العزيز بن عبدالله حدثنى ملك عن محمد بن المنكدر عن أبى النضر مولى عمر بن عبيد الله عن عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه أنه سمعه يسأل أسامة بن زيد ماذا سمعت من رسول الله (ص) فى الطاعون قال أسامة قال رسول الله (ص) الطاعون رجس أرسل على طائفة من بنى اسرائيل وعلى من كان قبلكم فاذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فراراً منه . قال أبو النضر لايخرجكم الا فرارا منه ورواه مسلم من حديث مالك ومن طرق أخر عن عامر بن سعد به حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا داود بن أبى الفرات حدثنا عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر عن عائشة قالت سألت رسول الله (ص) عن الطاعون أخبرنى أنه عذاب يبعثه الله على من يشاء من عباده وأن الله جعله رحمة للمؤمنين ليس من أحد يقع الطاعون فيمكث فى بلده صابرا محتسباً يعلم أنه لن يصيبه إلا ماكتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد تفرد به البخارى عن مسلم من هذا الوجه .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخارى حدثنا قتيبة حدثنا ليث عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن قريشاً أهمهم شأن المخزومية التى سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله (ص) فقالوا و من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله (ص) فكلمه أسامة فقال أتشفع فى حد من حدود الله ثم قام فخطب ثم قال إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها وأخرجه بقية الجماعة من طرق عن الليث بن سعد به .

﴿ حديث آخر ﴾ وقال البخارى حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا عبد الملك بن ميسرة سمعت النزال بن سبرة الهلالى عن ابن مسعود قال سمعت رجلا قرأ وسمعت رسول الله (ص) يقرأ خلافها فجئت به إلى رسول الله (ص) فأخبرته فعرفت فى وجهه الكراهية وقال كلا كما محسن ولا تختلفوا فان من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا . تفرد به البخارى دون مسلم .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخارى حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا ابراهيم عن صالح عن ابن شهاب قال قال أبو سلمة بن عبد الرحمن إن أبا هريرة قال إن رسول الله (ص) قال إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم تفرد به دون مسلم وفى سنن أبى داود صلوا فى نعالكم خالفوا اليهود .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخارى حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن طاووس عن ابن عباس سمعت عمر يقول قاتل الله فلانا ألم يعلم أن رسول (ص) قال لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها . فباعوها رواه مسلم من حديث ابن عيينة . ومن حديث عمرو بن دينار به ثم قال البخارى تابعه جابر وأبو هريرة عن النبى (ص) ولهذا الحديث طرق كثيرة وسيأتى فى باب الحيل من كتاب الأحكام إن شاء الله وبه الثقة .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخارى حدثنا عمران بن ميسرة حدثنا عبد الوارث حدثنا خالد عن أبى قلابة عن أنس بن مالك قال ذكروا النار والناقوس فذكروا اليهود والنصارى فأمر بلال أن يشفع الاذان وأن يوتر الاقامة وأخرجه بقية الجماعة من حديث أبى قلابة عبد الله بن زيد الجرمى به . والمقصود من هذا مخالفة أهل الكتاب فى جميع شعارهم فان رسول الله (ص) لما قدم المدينة كان المسلمون يتحينون وقت الصلواة بغير دعوة اليها . ثم أمر من ينادى فيهم وقت الصلاة (الصلاة جامعة) ثم أرادوا أن يدعوا اليها بشئ يعرفه الناس فقال قائلون نضرب بالناقوس وقال آخر نورى نارا فكرهوا ذلك لمشابهة أهل الكتاب فأرى عبد الله بن زيد بن عبدربه الانصارى فى منامه الاذان فقصها على رسول الله (ص) فأمر بلالا فنادى كما هو مبسوط فى موضعه من باب الاذان فى كتاب الاحكام .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخارى حدثنا بشر بن محمد أنبأنا عبد الله أنبأنا معمر ويونس عن

الزهري أخبرني عبيد الله بن عبد الله أن عائشة وابن عباس قالا لما نُزل برسول الله (ص) طفق يطرح خميصة على وجهه فاذا اغتم كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ماصنعوا وهكذا رواه في غير موضع ومسلم من طرق عن الزهري به .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا أبو غسان قال حدثني زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد أن النبي (ص) قال لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه فقلنا يارسول الله اليهود والنصارى قال النبي (ص) فمن وهكذا رواه مسلم من حديث زيد بن أسلم به .

والمقصود من هذا الاخبار عما يقع من الاقوال والأفعال المنهى عنها شرعاً مما يشابه أهل الكتاب قبلنا أن الله ورسوله ينهيان عن مشابهتهم في أقوالهم وأفعالهم حتى ولو كان قصد المؤمن خيراً لكنه تشبّه ففعله في الظاهر فعلهم وكما نهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها لئلا تشابه المشركين الذين يسجدون للشمس حينئذ وإن كان المؤمن لايخطر بباله شيءٌ من ذلك بالكلية وهكذا قوله تعالى . (ياأيها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم) . فكان الكفار يقولون للنبي (ص) في كلامهم معه راعنا أي انظر الينا ببصرك واسمع كلامنا ويقصدون بقولهم راعنا من الرعونة فنهى المؤمنين أن يقولوا ذلك وان كان لايخطر ببال أحد منهم هذا أبداً . فقد روى الامام أحمد والترمذي من حديث عبد الله بن عمر عن النبي (ص) أنه قال بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لاشريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم فليس للمسلم أن يتشبه بهم لا في أعيادهم ولا مواسمهم ولا في عباداتهم لأن الله تعالى شرف هذه الأمة بخاتم الأنبياء الذي شرع له الدين العظيم القويم الشامل الكامل الذي لو كان موسى بن عمران الذي أنزلت عليه التوراة وعيسى بن مريم الذي أنزل عليه الانجيل حيين لم يكن لهما شرع متبع بل لو كانا موجودين بل وكل الأنبياء لما ساغ لواحد منهم أن يكون على غير هذه الشريعة المطهرة المشرفة المكرمة المعظمة فاذا كان الله تعالى قد منّ علينا بأن جعلنا من أتباع محمد (ص) فكيف يليق بنا أن نتشبه بقوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل قد بدلوا دينهم وحرفوه وأولوه حتى صار كأنه غير ماشرع لهم أولاً . ثم هو بعد ذلك كله منسوخ والتمسك بالمنسوخ حرام لايقبل الله منه قليلا ولا كثيراً ولا فرق بينه وبين الذي لم يشرع بالكلية والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله (ص) قال انما أجلكم في أجل من خلا من قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس

وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال من يعمل لى إلى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود إلى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لى من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين الا فأنتم الذين تعملون من صلاة العصر الى المغرب على قيراطين قيراطين الا لكم الأجر مرتين فغضب اليهود والنصارى فقالوا نحن أكثر عملا وأقل عطاء قال الله تعالى (هل ظلمتكم من حقكم شيئا فقالوا لا قال فانه فضلى أوتيه من أشاء) وهذا الحديث فيه دليل على أن مدة هذه الأمة قصيرة بالنسبة إلى مامضى من مدد الأمم قبلها لقوله إنما أجلكم فى أجل من خلا من الأمم قبلكم كما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس فالماضى لايعلمه إلا الله كما أن الآتى لايعلمه إلا هو ولكنه قصير بالنسبة إلى ماسبق ولا اطلاع لأحد على تحديد مابقى إلا الله عز وجل كما قال الله تعالى (لايجليها لوقتها إلا هو) وقال (يسألونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها الى ربك منتهاها) . وما تذكره بعض الناس من الحديث المشهور عند العامة من أنه عليه السلام لايؤلف تحت الأرض فليس له أصل فى كتب الحديث وورد فيه حديث أن الدنيا جمعة من جمع الآخرة وفى صحته نظر . والمراد من هذا التشبيه بالعمال تفاوت أجورهم وأن ذلك ليس منوطا بكثرة العمل وقلته بل بأمور أخر معتبرة عند الله تعالى وكم من عمل قليل أجدى مالا يجديه العمل الكثير هذه ليلة القدر العمل فيها أفضل من عبادة الف شهر سواها وهؤلاء أصحاب محمد (ص) أنفقوا فى أوقات لو أنفق غيرهم من الذهب مثل أحد مابلغ من أحدهم ولا نصيفه من تمر وهذا رسول الله (ص) بعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره وقبضه وهو ابن ثلاث وستين على المشهور وقد برز فى هذه المدة التى هى ثلاث وعشرون سنة فى العلوم النافعة والاعمال الصالحة على سائر الانبياء قبله حتى على نوح الذى لبث فى قومه الف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى عبادة الله وحده لاشريك له ويعمل بطاعة الله ليلا ونهارا صباحاً ومساء صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الانبياء أجمعين فهذه الامة انما شرفت وتضاعف ثوابها ببركة سيادة نبيها وشرفه وعظمته كما قال الله تعالى (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم * لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون على شئ من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) *

فصل

وأخبار بنى اسرائيل كثيرة جداً فى الكتاب والسنة النبوية ولو ذهبنا نتقصى ذلك لطال الكتاب ولكن ذكرنا ماذكره الامام أبو عبد الله البخارى فى هذا الكتاب ففيه مقنع وكفاية وهو تذكرة وانموذج

هذا الباب والله أعلم * وأما الاخبار الاسرائيلية فيما يذكره كثير من المفسرين والمؤرخين فكثيرة جداً ومنها ماهو صحيح موافق لما وقع وكثير منها بل أكثرها مما يذكره القصاص مكذوب مفترى وضعه زنادقتهم وضلالهم وهى ثلاثة أقسام منها ماهو صحيح لموافقته ماقصه الله فى كتابه أو أخبر به رسول الله (ص.) ومنها ماهو معلوم البطلان لمخالفته كتاب الله وسنة رسوله ومنها مايحتمل الصدق والكذب فهذا الذى أمرنا بالتوقف فيه فلا نصدقه ولا نكذبه كما ثبت فى الصحيح إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وانزل اليكم . وتجوز روايته مع هذا الحديث المتقدم (وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج)

تحريف أهل الكتاب وتبديلهم اديانهم

أما اليهود فقد أنزل الله عليهم التوراة على يدى موسى بن عمران عليه السلام وكانت كما قال الله تعالى (ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذى أحسن وتفصيلا لكل شئ) وقال تعالى (قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً) وقال تعالى (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرى للمتقين) وقال تعالى (وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم) وقال تعالى (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشونى ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلا . ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون) فكانوا يحكمون بها وهم متمسكون بها برهة من الزمان ثم شرعوا فى تحريفها وتبديلها وتغييرها وتأويلها وابداء ماليس منها كما قال الله تعالى (وان منهم لفريقاً يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) فأخبر تعالى أنهم يفسرونها ويتأولونها ويضعونها على غير مواضعها وهذا مالا خلاف فيه بين العلماء وهو انهم يتصرفون فى معانيها ويحملونها على غير المراد كما بدلوا حكم الرجم بالجلد والتحميم مع بقاء لفظ الرجم فيها وكما أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد مع أنهم مأمورون باقامة الحد والقطع على الشريف والوضيع . فأما تبديل الفاظها فقال قائلون بأنها جميعها بدلت وقال آخرون لم تبدل واحتجوا بقوله تعالى (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله) وقوله (الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات الاية) وبقوله (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين) وبقصة الرجم فانهم كما ثبت فى الصحيحين عن ابن عمر وفى صحيح مسلم عن البراء بن عازب وجابر بن عبد الله وفى السنن عن أبى هريرة

وغيره لما تحاكوا إلى رسول الله (ص) فى قصة اليهودى واليهودية الذين زنيا فقال لهم ماتجدون فى التوراة فى شان الرجم فقالوا نفضحهم ويجلدون فأمرهم رسول الله (ص) باحضار التوراة فلما جاؤا بها وجعلوا يقرؤنها ويكتمون آية الرجم التى فيها ووضع عبد الله بن صور يايده على آية الرجم وقرأ ماقبلها وما بعدها فقال له رسول الله (ص) ارفع يدك ياأعور فرفع يده فاذا فيها اية الرجم فأمر رسول الله (ص) برجمها وقال (اللهم إنى أول من أحيا أمرك اذ أماتوه) وعند أبى داود أنهم لما جاؤا بها نزع الوسادة من تحته فوضعها تحتها وقال امنت بك وبمن انزلك وذكر بعضهم انه قام لها ولم اقف على اسناده والله اعلم . وهذا كله يشكل على ما يقوله كثير من المتكلمين وغيرهم ان التوراة انقطع تواترها فى زمن بخت نصر ولم يبق من يحفظها الا العزير ثم العزير ان كان نبياً فهو معصوم والتواتر الى المعصوم يكفى اللهم الا أن يقال انها لم تتواتر اليه لكن بعده زكريا ويحى وعيسى وكلهم كانوا متمسكين بالتواراة فلو لم تكن صحيحة معمولا بها لما اعتمدوا عليها وهم انبياء معصومون . ثم قد قال الله تعالى فيما انزل على رسوله محمد خاتم الانبياء صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع الانبياء منكرا على اليهود فى قصدهم الفاسد اذ عدلوا عما يعتقدون صحته عندهم وانهم مأمورون به حتما الى التحاكم الى رسول الله (ص) وهم يعاندون ما جاء به لكن لما كان فى زعمهم ماقد يوافقهم على ماابتدعوه من الجلد والتحميم المصادم لما امر الله به حتما وقالوا ان حكم لكم بالجلد والتحميم فاقبلوه وتكونون قد اعتذرتم بحكم نبى لكم عند الله يوم القيمة وان لم يحكم لكم بهذا بل بالرجم فاحذروا ان تقبلوا منه فانكر الله تعالى عليهم فى هذا القصد الفاسد الذى انما حملهم عليه الغرض الفاسد وموافقة الهوى لا الدين الحق فقال (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون لذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله الاية) ولهذا حكم بالرجم قال اللهم انى اول من احيا امرك اذ أماتوه وسالهم ماحملهم على هذا ولم تركوا امر الله الذى بايديهم فقالوا ان الزنا قد كثر فى اشرافنا ولم يمكننا ان نقيمه عليهم وكنا نرجم من زنى من ضعفائنا فقلنا تعالوا الى أمر نَصف نفعله مع الشريف والوضيع فاصطلحنا على الجلد والتحميم فهذا من جملة تحريفهم وتبديلهم وتغييرهم وتأويلهم الباطل وهذا انما فعلوه فى المعانى مع بقاء لفظ الرجم فى كتابهم كما دل عليه الحديث المتفق عليه فلهذا قال من قال هذا من الناس انه لم يقع تبديلهم الا فى المعانى وان الالفاظ باقية وهى حجة عليهم اذ لو أقاموا ما فى كتابهم جميعه لقادهم ذلك الى اتباع الحق ومتابعة الرسول محمد (ص) كما قال الله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم الآية) وقال تعالى (ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن

تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة الآية) وقال تعالى (قل ياأهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم الآية) وهذا المذهب وهو القول بأن التبديل إنما وقع فى معانيها لافى الفاظها حكاه البخارى عن ابن عباس فى آخر كتابه الصحيح وقرر عليه ولم يرده وحكاه العلامة فخر الدين الرازى فى تفسيره عن اكثر المتكلمين .

ليس للجنب مس التوراة

وذهب فقهاء الحنفية إلى أنه لايجوز للجنب مس التوراة وهو محدث وحكاه الحناطى فى فتاويه عن بعض أصحاب الشافعى وهو غريب جداً . وذهب آخرون من العلماء إلى التوسط فى هذين القولين منهم شيخنا الامام العلامة أبو العباس بن تيمية رحمه الله فقال أما من ذهب إلى أنها كلها مبدلة من أولها إلى آخرها ولم يبق منها حرف إلا بدلوه فهذا بعيد وكذا من قال لم يبدل شئ منها بالكلية بعيد أيضاً والحق أنه دخلها تبديل وتغيير وتصرفوا فى بعض الفاظها بالزيادة والنقص كما تصرفوا فى معانيها وهذا معلوم عند التأمل ولبسطه موضع آخر والله أعلم كما فى قوله فى قصة الذبيح اذبح ابنك وحيدك وفى نسخة بكرك اسحاق فلفظة اسحاق مقحمة مزيدة بلا مرية لأن الوحيد وهو البكر اسماعيل لأنه ولد قبل اسحاق بأربع عشر سنة فكيف يكون الوحيد البكر اسحاق . وانما حملهم على ذلك حسد العرب أن يكون اسماعيل غير الذبيح فأرادوا أن يذهبوا بهذه الفضيلة لهم فزادوا ذلك فى كتاب الله افتراء على الله وعلى رسوله (ص.) وقد اغتر بهذه الزيادة خلق كثير من السلف والخلف ووافقوهم على أن الذبيح اسحاق والصحيح الذبيح اسماعيل كما قدمنا والله أعلم وهكذا فى توراة السامرة فى العشر الكلمات زيادة الأمر بالتوجه إلى الطور فى الصلاة وليس ذلك فى سائر نسخ اليهود والنصارى .

وهكذا يوجد فى الزبور المأثور عن داود عليه السلام مختلفاً كثيراً وفيه أشياء مزيدة ملحقة فيه وليست منه والله أعلم * قلت وأما مابأيديهم من التوراة المعربة فلا يشك عاقل فى تبديلها وتحريف كثير من الفاظها وتغيير القصص والالفاظ والزيادات والنقص البين الواضح وفيها من الكذب البين والخطأ الفاحش شئ كثير جداً فأما مايتلونه بلسانهم ويكتبونه بأقلامهم فلا اطلاع لنا عليه والمظنون بهم أنهم كذبة خونة يكثرون الفرية على الله ورسله وكتبه .

وأما النصارى فأناجيلهم الأربعة من طريق مرقس ولوقا ومتى ويوحنا أشد اختلافا واكثر زيادة ونقصاً وأفحش تفاوتا من التوراة وقد خالفوا أحكام التوراة والانجيل فى غير ماشئ قد شرعوه لأنفسهم فمن ذلك صلاتهم إلى الشرق وليست منصوصاً عليها ولا مأموراً بها فى شئ من الأناجيل الاربعة وهكذا تصويرهم كنائسهم وتركهم الختان ونقلهم صيامهم إلى زمن الربيع وزيادته الى خمسين يوما وأكلهم

(٥) (٦)

الخنزير ووضعهم الأمانة الكبيرة وإنما هى الخيانة الحقيرة والرهبانية وهى ترك التزويج لمن أراد التعبد وتحريمه عليه وكتبهم القوانين التى وضعتها لهم الاساقفة الثلاثمائة والثمانية عشر فكل هذه الاشياء ابتدعوها ووضعوها فى أيام قسطنطين بن قسطن بانى القسطنطينية وكان زمنه بعد المسيح بثلاثمائة سنة وكان أبوه أحد ملوك الروم وتزوج أمه هيلانة فى بعض أسفاره للصيد من بلاد حران وكانت نصرانية على دين الرهابين المتقدمين فلما ولد لها منه قسطنطين المذكور تعلم الفلسفة وبهر فيها وصار فيه ميل بعض الشيء إلى النصرانية التى أمه عليها فعظم القائمين بها بعض الشيء وهو على اعتقاد الفلاسفة فلما مات أبوه واستقل هو فى المملكة سار فى رعيته سيرة عادلة فأحبه الناس وساد فيهم وغلب على ملك الشام بأسره مع الجزيرة وعظم شأنه وكان أول القياصرة * ثم اتفق اختلاف فى زمانه بين النصارى ومنازعة بين بترك الاسكندرية اكصندروس وبين رجل من علمائهم يقال له عبد الله بن أريوس فذهب اكصندروس إلى أن عيسى بن الله تعالى الله عن قوله وذهب ابن أريوس الى أن عيسى عبدالله ورسوله واتبعه على هذا طائفة من النصارى واتفق الأكثرون الأخسرون على قول بتركهم ومنع ابن أريوس من دخول الكنيسة هو وأصحابه فذهب يستعدى على اكصندروس وأصحابه الى ملك قسطنطين فسأله الملك عن مقالته فعرض عليه عبد الله بن أريوس مايقول فى المسيح من أنه عبد الله ورسوله واحتج على ذلك فمال اليه وجنح إلى قوله فقال له قائلون فينبغى أن تبعث إلى خصمه فتسمع كلامه فأمر الملك باحضاره وطلب من سائر الأقاليم كل أسقف وكل من عنده فى دين النصرانية وجمع البتاركة الاربعة من القدس وانطاكية وورومية والاسكندرية فيقال إنهم اجتمعوا فى مدة سنة وشهرين مايزيد على الفى أسقف فجمعهم فى مجلس واحد وهو المجمع الاول من مجامعهم الثلاثة المشهورة وهم مختلفون اختلافا متبايناً منتشراً جداً. فمنهم الشرذمة على المقالة التى لايوافقهم أحد من الباقين عليها فهؤلاء خمسون على مقالة. وهؤلاء ثمانون على مقالة أخرى. وهؤلاء عشرة على مقالة وأربعون على أخرى ومائة على مقالة ومائتان على مقالة وطائفة على مقالة ابن أريوس وجماعة على مقالة أخرى فلما تفاقم أمرهم وانتشر اختلافهم حار فيهم الملك قسطنطين مع أنه سيء الظن بما عدا دين الصابئين من اسلافه اليونانيين فعمد إلى أكثر جماعة منهم على مقالة من مقالاتهم فوجدهم ثلثمائة وثمانية عشر أسقفاً قد اجتمعوا على مقالة اكصندروس ولم يجد طائفة بلغت عدتهم فقال هؤلاء أولى بنصر قولهم لأنهم اكثر الفرق فاجتمع بهم خصوصاً ووضع سيفه وخاتمه اليهم وقال انى رأيتكم أكثر الفرق قد اجتمعتم على مقالتكم هذه فانا انصرها واذهب اليها فسجدوا له وطلب منهم أن يضعوا له كتابا فى الاحكام وأن تكون الصلاة إلى الشرق لأنها مطلع الكواكب النيرة وأن يصوروا فى كنائسهم صورا لها جثث فصالحوه على أن تكون فى الحيطان فلما توافقوا على ذلك أخذ فى نصرهم واظهار كتبهم واقامة مقالتهم وابعاد من خالفهم وتضعيف رأيه وقوله فظهر أصحابه

بجاهه على مخالفيهم وانتصروا عليهم وأمر ببناء الكنائس على دينهم وهم الملكية نسبة إلى دين الملك فبنى فى أيام قسطنطين بالشام وغيرها فى المدائن والقرى أزيد من اثنى عشر ألف كنيسة واعتنى الملك ببناء بيت لحم يعنى على مكان مولد المسيح وبنت أمه هيلانة قمامة بيت المقدس على مكان المصلوب الذى زعمت اليهود والنصارى بجهلهم وقلة علمهم أنه المسيح عليه الصلاة والسلام ويقال إنه قتل من أعداء أولئك وخدّ لهم الأخاديد فى الارض وأجج فيها النار وأحرقهم بها كما ذكرناه فى سورة البروج وعظم دين النصرانية وظهر أمره جداً بسبب الملك قسطنطين وقد أفسده عليهم فساداً لا اصلاح له ولا نجاح معه ولا فلاح عنده وكثرت أعيادهم بسبب عظمائهم وكثرت كنائسهم على اسماء عبادهم وتفاقم كفرهم وغلظت مصيبتهم وتخلد ضلالهم وعظم وبالهم ولم يهد الله قلوبهم ولا أصلح بالهم بل صرف قلوبهم عن الحق وامال عن الاستقامة ثم اجتمعوا بعد ذلك مجمعين فى قضية النسطورية واليعقوبية وكل فرقة من هؤلاء تكفر الأخرى وتعتقد تخليدهم فى نار جهنم ولا يرى مجامعتهم فى المعابد والكنائس وكلهم يقول بالاقانيم الثلاثة أقنوم الاب وأقنوم الابن وأقنوم الكلمة ولكن بينهم اختلاف فى الحلول والاتحاد فيما بين اللاهوت والناسوت هل تدرعه أو حل فيه أو اتحد به واختلافهم فى ذلك شديد وكفرهم بسببه غليظ وكلهم على الباطل إلا من قال من الاريوسية أصحاب عبد الله بن أريوس إن المسيح عبد الله ورسوله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه كما يقول المسلمون فيه سواء ولكن لما استقر أمر الاريوسية على هذه المقالة تسلط عليهم الفرق الثلاثة بالابعاد والطرد حتى قلوا فلا يعرف اليوم منهم أحد فيما يعلم والله أعلم .

كتاب الجامع لأخبار الانبياء المتقدمين

قال الله تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس الآية) وقال تعالى (إنا أوحينا اليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى ابرهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما . رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً) . وقد روى ابن حبان فى صحيحه وابن مردويه فى تفسيره وغيرهما من طريق ابراهيم بن هشام عن يحيى بن محمد الغسانى الشامى وقد تكلموا فيه حدثنى أبى عن جدى عن أبى ادريس عن أبى ذر قال (قلت يارسول الله كم الأنبياء قال مائة ألف وأربعة وعشرون الفاً قلت يارسول الله كم الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير قلت يارسول الله من كان أولهم قال آدم قلت يارسول الله

نبي مرسل قال نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ثم سواه قبلا ثم قال ياأبا ذر أربعة سريانيون آدم وشيث ونوح وخنوخ وهو ادريس وهو أول من خط بالقلم وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك ياأبا ذر وأول نبي من بني اسرائيل موسى وآخرهم عيسى وأول النبيين آدم وآخرهم نبيك) . وقد أورد هذا الحديث أبو الفرج بن الجوزي في الموضوعات وقد رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر فقال حدثنا محمد بن عوف حدثنا أبو المغيرة حدثنا معان بن رفاعة عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي امامة قال قلت يارسول الله كم الانبياء (قال مائة الف وأربعة وعشرون الفاً الرسل من ذلك ثلثمائة وخمسة عشر جماً غفيراً). وهذا أيضاً من هذا الوجه ضعيف فيه ثلاثة من الضعفاء معان وشيخه وشيخ شيخه وقد قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا أحمد بن اسحاق أبو عبد الله الجوهري البصري حدثنا مكي بن ابراهيم حدثنا موسى بن عبيدة اليزيدي عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص) (بعث الله ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف إلى بني اسرائيل وأربعة آلاف إلى سائر الناس) موسى وشيخه ضعيفان أيضا وقال أبو يعلى أيضا حدثنا أبو الربيع حدثنا محمد بن ثابت العبدي حدثنا معبد بن خالد الانصاري عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص) (كان فيمن خلا من اخواني من الانبياء ثمانية آلاف نبي ثم كان عيسى ثم كنت أنا . يزيد الرقاشي ضعيف . وقد رواه الحافظ أبو بكر الاسماعيلي عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا أحمد بن طارق حدثنا مسلم بن خالد حدثنا زياد بن سعد عن محمد بن المنكدر عن صفوان بن سليم عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص) (بعثت على أثر ثمانية آلاف نبي منهم أربعة آلاف من بني اسرائيل وهذا اسناد لابأس به لكني لاأعرف حال أحمد بن طارق هذا والله أعلم .

﴿ حديث آخر ﴾ قال عبد الله بن الامام أحمد وجدت في كتاب أبي بخطه حدثني عبد المتعالي ابن عبد الوهاب حدثنا يحيى بن سعيد الاموي حدثنا مجالد عن أبي الوداك قال قال أبو سعيد هل تقر الخوارج بالدجال قال قلت لا فقال قال رسول الله (ص) (إني خاتم ألف نبي أو اكثر وما بعث الله نبياً يتبع إلا وحذر أمته منه واني قد بين لي فيه مالم يبين لأحد منهم وأنه أعور وأن ربكم ليس بأعور وعينه اليمنى عوراء جاحظة لاتخفى كأنها نخامة في حائط مجصص وعينه اليسرى كأنها كوكب دري معه من كل لسان ومعه صورة الجنة خضراء يجري فيها الماء وصورة النار سوداء تدخن)وهذا حديث غريب. وقد روى عن جابر بن عبد الله فقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عمرو بن علي حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا مجالد عن الشعبي عن جابر قال قال رسول الله (ص) (إني لخاتم الف نبي أو اكثر وانه ليس منهم نبي إلا وقد أنذر قومه الدجال وانه قد تبين لي فيه مالم يتبين لاحد منهم وانه أعور وان ربكم ليس بأعور . وهذا اسناد حسن وهو محمول على ذكر عدد من أنذر قومه الدجال من الانبياء لكن في الحديث

الآخر مامن نبي إلا وقد أنذر أمته الدجال فالله أعلم .

وقال البخاري حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن فرات قال سمعت أبا حازم قال قاعدت أبا هريرة خمس سنين فسمعته يحدث عن النبي (ص) قال (كانت بنو اسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وانه لا نبي بعدي وسيكون خلفاء فيكثرون قالوا فما تأمرنا يارسول الله قال فوا ببيعة الأول فالأول أعطوهم حقهم فان الله سائلهم عما استرعاهم . وكذا رواه مسلم عن بندار ومن وجه آخر عن فرات به نحوه .

وقال البخاري حدثنا عمرو بن حفص حدثنا أبي حدثني الأعمش حدثني شقيق قال قال عبد الله هو ابن مسعود كأني أنظر إلى رسول الله (ص) يحكي نبياً من الانبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لايعلمون رواه مسلم من حديث الاعمش به نحوه . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن زيد بن أسلم عن رجل عن أبي سعيد الخدري قال وضع رجل يده على النبي (ص) فقال والله ماأطيق أن أضع يدي عليك من شدة حماك فقال النبي (ص) (إنا معشر الانبياء يضاعف لنا البلاء كما يضاعف لنا الاجر ان كان النبي من الانبياء ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان النبي من الانبياء ليبتلى بالفقر حتى يأخذ العباء فيجوبها وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما يفرحون بالرخاء) هكذا رواه الامام أحمد من طريق زيد بن أسلم عن رجل عن أبي سعيد وقد رواه بن ماجه عن دحيم عن ابن أبي فديك عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد فذكره .

وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان بن عاصم بن أبي النجود عن مصعب بن سعد عن أبيه قال قلت يارسول الله أي الناس أشد بلاء قال الانبياء . ثم الصالحون . ثم الأمثل فالامثل من الناس يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلابة زيد في بلائه وان كان في دينه رقة خفف عليه ولا يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث عاصم بن أبي النجود . وقال الترمذي حسن صحيح وتقدم في الحديث (نحن معشر الانبياء أولاد علات ديننا واحد وأمهاتنا شتى) والمعنى أن شرائعهم وان اختلفت في الفروع ونسخ بعضها بعضاً حتى انتهى الجميع إلى ماشرع الله لمحمد (ص) وعليهم أجمعين الا أن كل نبي بعثه الله فانما دينه الاسلام وهو التوحيد أن يعبد الله وحده لاشريك له كما قال الله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا يوحى اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقال تعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة الآية) . فأولاد العلات أن يكون الاب واحداً والامهات متفرقات فالاب بمنزلة الدين وهو التوحيد والامهات بمنزلة الشرائع في اختلاف أحكامها ؛ قال تعالى (لكل

جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) وقال (لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه) وقال (ولكل وجهة هو موليها) على أحد القولين فى تفسيرها .

والمقصود أن الشرائع وان تنوعت فى أوقاتها إلا أن الجميع آمرة بعبادة الله وحده لاشريك له وهو دين الاسلام الذى شرعه الله لجميع الانبياء وهو الدين الذى لا يقبل الله غيره يوم القيامة كما قال تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) وقال تعالى (ومن يرغب عن ملة ابراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين . إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) وقال تعالى (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا الآية) . فدين الاسلام هو عبادة الله وحده لاشريك له وهو الاخلاص له وحده دون ماسواه والاحسان أن يكون على الوجه المشروع فى ذلك الوقت المأمور به ولهذا لا يقبل الله من أحد عملا بعد أن بعث محمداً (ص) على ماشرعه له كما قال تعالى (قل ياأيها الناس إنى رسول الله اليكم جميعاً) وقال تعالى (وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ) وقال تعالى ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده) . وقال رسول الله (ص) (بعثت إلى الأحمر والاسود) . قيل أراد العرب والعجم . وقيل الانس والجن وقال (ص) (والذى نفسى بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتمونى لضللتم) والاحاديث فى هذا كثيرة جداً * والمقصود أن اخوة العلات أن يكونوا من أب واحد وأمهاتهم شتى مأخوذ من شرب العلل بعد النهل * وأما اخوة الاخياف فعكس هذا أن تكون أمهم واحدة من آباء شتى . وأخوة الاعيان فهم الاشقاء من أب واحد وأم واحدة والله سبحانه وتعالى أعلم . وفى الحديث الآخر نحن معاشر الانبياء لانورث ماتركنا فهو صدقة وهذا من خصائص الانبياء انهم لايورثون وما ذاك إلا لان الدنيا أحقر عندهم من أن تكون مخلفة عنهم ولان توكلهم على الله عز وجل فى ذراريهم أعظم وأشد وآكد من أن يحتاجوا معه إلى أن يتركوا لورثتهم من بعدهم مالا يستأثرون به عن الناس بل يكون جميع ماتركوه صدقة لفقراء الناس ومحاويجهم وذو خلتهم . وسنذكر جميع مايختص بالانبياء عليهم السلام مع خصائص نبينا (ص) وعليهم أجمعين فى أول كتاب النكاح من كتاب الاحكام الكبير حيث ذكره الأئمة من المصنفين اقتداء بالامام أبى عبد الله الشافعى رحمة الله عليه وعليهم أجمعين . وقال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن زيد بن وهب عن عبد الرحمن أن عبد رب الكعبة قال انتهيت إلى عبد الله بن عمرو وهو جالس فى ظل الكعبة فسمعته يقول بينا نحن مع رسول الله (ص) فى سفر إذ نزل منزلا فمنا من يضرب خباءه ومنا من هو فى جشره ومنا من ينتضل إذ نادى مناديه الصلاة جامعةً قال فاجتمعنا قال فقام رسول الله (ص) فخطبنا فقال (إنه لم يكن نبى قبلى إلا دل

أمته على خير مايعلمه لهم وحذرهم مايعلمه شراً لهم وان أمتكم هذه جعلت عافيتها فى أولها وان آخرها سيصيبها بلاء شديد وأمور ينكرونها تجئ فتن يربق بعضها بعضا تجئ الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتى . ثم تنكشف . ثم تجئ الفتنة فيقول المؤمن هذه . ثم تنكشف فمن سره منكم أن يزحزح عن النار وأن يدخل الجنة فلتدركه موتته وهو مؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذى يحب أن يؤتى اليه ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه مااستطاع فان جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر . قال فأدخلت رأسى من بين الناس فقلت أنشدك بالله أنت سمعت هذا من رسول الله (ص) قال فأشار بيده إلى أذنيه وقال سمعته أذناى ووعاه قلبى قال فقلت هذا ابن عمك يعنى معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل وأن نقتل أنفسنا وقد قال الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل)قال فجمع يديه فوضعهما على جبهته ثم نكس هنيهة . ثم رفع رأسه فقال أطعه فى طاعة الله واعصه فى معصية الله) ورواه أحمد أيضا عن وكيع عن الأعمش به وقال فيه أيها الناس انه لم يكن نبى قبلى إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على مايعلمه خيراً لهم وينذره مايعلمه شراً لهم وذكر تمامه بنحوه . وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه من طرق عن الاعمش به ورواه مسلم أيضا من حديث الشعبى عن عبدالرحمن بن عبد رب الكعبة عن عبدالله بن عمرعن النبى (ص) بنحوه(١)

آخر الجزء الثامن من خط المصنف رحمه الله تعالى يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أخبار العرب وكان الفراغ من تتمة هذا المجلد فى سابع عشر شوال سنة سهر رمره من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بدمشق المحروسة على يد أفقر عباد الله وأحوجهم إلى رحمته وعفوه وغفرانه ولطفه وكرمه اسماعيل الدرعى الشافعى الانصارى غفر الله تعالى له وختم له بخير ولأحبابه ولاخوانه ولمشايخه ولجميع المسلمين والصلاة والسلام على محمد خير خلقه وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً الى يوم الدين .

---

(١) حاشية هكذا شكل أصل النسخة الحلبية أثبتناه كما هو .

ذكر أخبار العرب

قيل إن جميع العرب ينتسبون الى اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام والتحية والاكرام * والصحيح المشهور أن العرب العاربة قبل اسماعيل وقد قدمنا أن العرب العاربة منهم عاد وثمود وطسم وجديس واميم وجرهم والعماليق وامم آخرون لا يعلمهم الا الله كانوا قبل الخليل عليه الصلاة والسلام وفى زمانه أيضاً . فاما العرب المستعربة وهم عرب الحجاز فمن ذرية اسماعيل بن ابراهيم عيهما السلام . وأما عرب اليمن وهم حمير فالمشهور أنهم من قحطان واسمه مهزم قاله ابن ماكولا وذكروا أنهم كانوا اربعة اخوة قحطان وقاحط ومقحط وفالغ وقحطان بن هود . وقيل هو هود . وقيل هود اخوه وقيل من ذريته وقيل ان قحطان من سلالة اسماعيل حكاه ابن اسحاق وغيره فقال بعضهم هو قحطان بن تيمن بن قيذر بن اسماعيل . وقيل غير ذلك فى نسبه الى اسماعيل والله أعلم

وقد ترجم البخاري فى صحيحه على ذلك فقال (باب نسبة اليمن الى اسماعيل عليه السلام) حدثنا مسدد حدثنا يحى عن يزيد بن ابى عبيد حدثنا سلمة رضى الله عنه قال خرج رسول الله (ص) على قوم من اسلم يتناضلون بالسيوف فقال ارموا بنى اسماعيل وأنا مع بنى فلان لأحد الفريقين فأمسكوا بأيديهم فقال مالكم قالوا وكيف نرمى وأنت مع بنى فلان فقال ارموا وأنا معكم كلكم . إنفرد به البخارى وفى بعض الفاظه ارموا بنى إسماعيل فان أباكم كان رامياً ارموا وأنا مع ابن الأدرع فأمسك القوم فقال ارموا وأنا معكم كلكم * قال البخارى وأسلم بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر من خزاعة يعنى وخزاعة فرقة ممن كان تمزق من قبائل سبأ حين ارسل الله عليهم سيل العرم كما سيأتى بيانه وكانت الأوس والخزرج منهم وقد قال لهم عليه الصلاة والسلام ارموا بنى إسماعيل فدل على أنهم من سلالته وتأوله آخرون على أن المراد بذلك جنس العرب لكنه تأويل بعيد إذ هو خلاف الظاهر بلا دليل لكن الجمهور على أن العرب القحطانية من عرب اليمن وغيرهم ليسوا من سلالة إسماعيل وعندهم أن جميع العرب ينقسمون الى قسمين قحطانية وعدنانية فالقحطانية شعبان سبأ وحضرموت والعدنانية شعبان أيضا ربيعة ومضر ابنا نزار بن معد بن عدنان والشعب الخامس وهم قضاعة مختلف فيهم فقيل إنهم عدنانيون قال ابن عبد البر وعليه الاكثرون ويروى هذا عن ابن عباس وابن عمر وجبير بن مطعم وهو اختيار الزبير بن بكار وعمه مصعب الزبيرى وابن هشام وقد ورد فى حديث قضاعة بن معدر ولكنه لا يصح قاله ابن عبد البر وغيره ويقال إنهم لن يزالوا فى جاهليتهم وصدر من الاسلام ينتسبون إلى عدنان فلما كان فى زمن خالد بن يزيد بن معاوية وكانوا أخواله انتسبوا إلى قحطان فقال فى ذلك أعشى بن ثعلبة فى قصيدة له :

أبلغ قضاعةَ في القِرطاس إنهمُ * لولا خلائفُ آلِ الله ماعُتقوا
قالت قضاعةُ إنا من ذوي يمنٍ * واللهُ يعـلم مابرّوا وما صَدقوا
قـد ادّعوا والداً مانالَ أمّهم * قد يعلمون ولـكنْ ذلكَ الفَرَق

وقد ذكر أبو عمرو السهيلي أيضاً من شعر العرب ما فيه إبداع في تفسير قضاعة في انتسابهم إلى اليمن والله أعلم والقول الثاني أنهم من قحطان وهو قول ابن اسحاق والكلبي وطائفة من أهل النسب. قال ابن اسحاق وهو قضاعة بن مالك بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقد قال بعض شعرائهم وهو عمرو بن مرة صحابي له حديثان :

ياأيها الداعي ادعُنا وأبشرِ * وكنْ قُضاعياً ولا تُنزّرِ
نحنُ بنو الشيخ الهجانِ الأزهرِ * قضاعـةَ بنِ مالكِ بنِ حِمْيَرِ
النسبُ المعروفُ غـيرُ المنكرِ * في الحجَر المنقوشِ تحتَ المِنبرِ

قال بعض أهل النسب هو قضاعة بن مالك بن عمر بن مرة بن زيد بن حمير وقال ابن لهيعة عن معروف بن سويد عن أبي عشابة [1] محمد بن موسى عن عقبة بن عامر قال قلت يارسول الله أما نحن من معد قال لا قلت فمن نحن قال أنتم قضاعة بن مالك بن حمير قال أبو عمر بن عبد البر ولا يختلفون أن جهينة بن زيد بن أسود بن أسلم بن عمران بن إلحاف بن قضاعة قبيلة عقبة بن عامر الجهني فعلى هذا قضاعة في اليمن في حمير بن سبأ وقد جمع بعضهم بين هذين القولين بما ذكره الزبير بن بكار وغيره من أن قضاعة امرأة من جرهم تزوجها مالك بن حمير فولدت له قضاعة ثم خلف عليها معد بن عدنان وابنها صغير وزعم بعضهم أنه كان حملا فنسب إلى زوج أمه كما كانت عادة كثير منهم ينسبون الرجل إلى زوج أمه والله أعلم *

وقال محمد بن سلام البصرى النسابة : العرب ثلاثة جراثيم العدنانية والقحطانية وقضاعة . قيل له فأيهما اكثر العدنانية أو القحطانية فقال ماشاءت قضاعة أن تيامنت فالقحطانية اكثر وان تعددت فالعدنانية أكثر وهـذا يدل على أنهم يتلومون في نسبهم فان صح حديث ابن لهيعة المقدم فهو دليل على أنهم من القحطانية والله أعلم . وقد قال الله تعالى (ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) قال علماء النسب يقال شعوب . ثم قبائل ثم عمائر . ثم بطون . ثم أفخاذ . ثم فصائل . ثم عشائر . والعشيرة أقرب الناس إلى الرجل وليس بعدها شيء . ولنبدأ أولا بذكر

---

(١) قوله أبي عشابة كذا بالأصـل بباء بعد الألف وليس من الرجال من تكنى بهذه الكنية والموجود أبو عشانة بنون بعد الألف المعافرى المصرى واسمه حى بن يومن بن حجيل بن جريج وهو الراوى عن عقبة بن عامر وعمار بن

القحطانية ثم نذكر بعدهم عرب الحجاز وهم العدنانية وما كان من أمر الجاهلية ليكون ذلك متصلا بسيرة رسول الله (ص) إن شاء الله تعالى وبه الثقة *

وقد قال البخارى ﴿باب ذكر قحطان﴾ حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا سليمان بن بلال عن ثور بن زيد عن أبي المغيث عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه وكذا رواه مسلم عن قتيبة عن الدراوردى عن ثور بن زيد به * قال السهيلى وقحطان أول من قيل له أبيت اللعن وأول من قيل له أنعم صباحاً . وقال الامام أحمد حدثنا أبو المغيرة عن جرير حدثنى راشد بن سعد المقراى عن أبي حى عن ذى مخبر أن رسول الله (ص) قال (كان هذا الأمر فى حمير فنزعه الله منهم فجعله فى قريش (و س ى ع ودال ى ه م) قال عبد الله كان هـذا فى كتاب أبي وحيث حدثنا به تكلم به على الاستواء يعنى وسيعود اليهم .

قصة سبأ

قال الله تعالى (لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور . وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى وأياماً آمنين . فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور)

قال علماء النسب منهم محمد بن اسحاق اسم سبأ عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان قالوا وكان أول من سبى من العرب فسمى سبأ لذلك وكان يقال له الرائش لأنه كان يعطى الناس الاموال من متاعه . قال السهيلى ويقال إنه أول من تتوج وذكر بعضهم أنه كان مسلماً وكان له شعر بشر فيه بوجود رسول الله (ص) فمن ذلك قوله

سيملِكُ بعدَنا ملكاً عظيماً	نبيٌّ لا يرخِّص فى الحرام
ويملِك بعده منهم ملوكٌ	يدينون العبادَ بغير ذام
ويملِك بعدَهم منا ملوكٌ	يصير الملكُ فينا باقتسام
ويملك بعدَ قحطانٍ نبيٌّ	تقيٌّ جَبينُه خيرُ الانام
يُسمى أحمداً ياليتَ أني	أعمَّر بعدَ مبعثِه بعام
فأعضُده وأحبُوه بنصري	بكلِّ مدجَّج وبكلِّ رام
متى يظهرْ فكونوا ناصِريه	ومَنْ يلقاهُ يُبلغْه سلامي

حكاه ابن دحية فى كتابه التنوير فى مولد البشير النذير

وقال الامام احمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن دعلة سمعت عبد الله بن العباس يقول إن رجلا سأل النبى (ص.ع) عن سبأ ماهو أرجل أم امرأة أم أرض قال بل هو رجل ولد عشرة فسكن اليمن منهم ستة وبالشام منهم أربعة . فأما اليمانيون فمذحج وكندة والازد والأشعريون وأنمار وحمير . وأما الشامية فلخم وجذام وعاملة وغسان وقد ذكرنا فى التفسير أن فروة بن مسيك الغطيفى هو السائل عن ذلك كما استقصينا طرق هذا الحديث وألفاظه هناك ولله الحمد .

والمقصود أن سبأ يجمع هذه القبائل كلها وقد كان فيهم التبابعة بأرض اليمن واحدهم تبع وكان لملوكهم تيجان يلبسونها وقت الحكم كما كانت الأكاسرة ملوك الفرس يفعلون ذلك وكانت العرب تسمى كل من ملك اليمن مع الشحر وحضرموت تبعاً كما يسمون من ملك الشام مع الجزيرة قيصر ومن ملك الفرس كسرى ومن ملك مصر فرعون ومن ملك الحبشة النجاشى ومن ملك الهند بطليموس وقد كان من جملة ملوك حمير بأرض اليمن بلقيس وقد قدمنا قصتها مع سليمان عليه السلام وقد كانوا فى غبطة عظيمة وأرزاق دارة وثمار وزروع كثيرة وكانوا مع ذلك على الاستقامة والسداد وطريق الرشاد فلما بدلوا نعمة الله كفراً أحلوا قومهم دار البوار .

قال محمد بن اسحاق عن وهب بن منبه أرسل الله اليهم ثلاثة عشر نبياً وزعم السدى أنه أرسل إليهم اثنى عشر ألف نبى فالله أعلم. والمقصود أنهم لما عدلوا عن الهدى إلى الضلال وسجدوا للشمس من دون الله وكان ذلك فى زمان بلقيس وقبلها أيضاً واستمر ذلك فيهم حتى أرسل الله عليهم سيل العرم كما قال تعالى (فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور)

ذكر غير واحد من علماء السلف والخلف من المفسرين وغيرهم أن سد مأرب كان صنعته ان المياه تجرى من بين جبلين فعمدوا فى قديم الزمان فسدوا مابينهما ببناء محكم جداً حتى ارتفع الماء فحكم على اعالى الجبلين وغرسوا فيهما البساتين والأشجار المثمرة الأنيقة وزرعوا الزروع الكثيرة ويقال كان أول من بناه سبأ بن يعرب وسلط اليه سبعين واديا يفد اليه وجعل له ثلاثين فرضة يخرج منها الماء ومات ولم يكمل بناؤه فكملته حمير بعده وكان اتساعه فرسخاً فى فرسخ وكانوا فى غبطة عظيمة وعيش رغيد وأيام طيبة حتى ذكر قتادة وغيره أن المرأة كانت تمر بالمكتل على رأسها فتمتلئ من الثمار مايتساقط فيه من نضجه وكثرته وذكروا أنه لم يكن فى بلادهم شىء من البراغيث ولا الدواب المؤذية لصحة هوائهم وطيب فنائهم كما قال تعالى (لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور) وكما قال تعالى (وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد)

فلما عبدوا غير الله وبطروا نعمته وسألوا بعد تقارب مابين قراهم وطيب مابينها من البساتين وأمن الطرقات سألوا أن يباعد بين أسفارهم وأن يكون سفرهم فى مشاق وتعب وطلبوا أن يبدلوا بالخير شراً كما سأل بنو اسرائيل بدل المن والسلوى البقول والقثاء والفوم والعدس والبصل فسلبوا تلك النعمة العظيمة والحسنة العميمة بتخريب البلاد والشتات على وجوه العباد كما قال تعالى (فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم) قال غير واحد أرسل الله على أصل السد الفار وهو الجرذ ويقال الخلد فلما فطنوا لذلك أرصدوا عندها السنانير فلم تغن شيئاً إذ قد حم القدر ولم ينفع الحذر كلا لاوزر فلما تحكم فى أصله الفساد سقط وانهار فسلك الماء القرار فقطعت تلك الجداول والأنهار وانقطعت تلك الثمار ومادت تلك الزروع والاشجار وتبدلوا بعدها بردىء الاشجار والأثمار كما قال العزيز الجبار (وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد هو الأراك وثمره البرير وأثل وهو الطرفاء . وقيل يشبهه وهو حطب لاثمر له (وشيء من سدر قليل) وذلك لأنه لما كان يثمر النبق كان قليلا مع أنه ذو شوك كثير وثمره بالنسبة اليه كما يقال فى المثل لحم جمل غث على رأس جبل وعر لاسهل فيرتقى ولا سمين فينتقى ولهذا قال تعالى (ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور) أى إنما نعاقب هذه العقوبة الشديدة من كفر بنا وكذب رسلنا وخالف أمرنا وانتهك محارمنا وقال تعالى (فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق) وذلك أنهم لما هلكت أموالهم وخربت بلادهم احتاجوا أن يرتحلوا منها وينتقلوا عنها فتفرقوا فى غور البلاد ونجدها أيدى سبأ شذر مذر فنزلت طوائف منهم الحجاز ومنهم خزاعة نزلوا ظاهر مكة وكان من أمرهم ماسنذكره ومنهم المدينة المنورة اليوم فكانوا أول من سكنها ثم نزلت عندهم ثلاث قبائل من اليهود بنو قينقاع وبنو قريظة وبنو النضير فحالفوا الأوس والخزرج وأقاموا عندهم وكان من أمرهم ماسنذكره ونزلت طائفة أخرى منهم الشام وهم الذين تنصروا فيما بعد وهم غسان وعاملة وبهراء ولخم وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم وسنذكرهم عند ذكر فتوح الشام فى زمن الشيخين رضى الله عنهما .

قال محمد بن اسحاق حدثنى أبو عبيدة قال قال الأعشى بن قيس بن ثعلبة وهو ميمون بن قيس.

وفي ذاكَ للمؤتسي أسوةٌ ومأربُ عفَّى عليها العَرِم
رُخامٌ بَنَتْه لهم حِميَرٌ إذا جاءَ موّارُه لم يرِم
فأروى الزّرعَ وأعنابَها على سعةٍ ماءَهم إذ قُسِم
فصاروا أياديَ لايقدِرو نَ على شُربِ طفلٍ إذا ما فُطِم

وقد ذكر محمد بن اسحاق فى كتاب السيرة أن أول من خرج من اليمن قبل سيل العرم عمرو بن عامر اللخمى ولخم هو ابن عدى بن الحارث بن مرة بن ازد بن زيد بن مهم بن عمرو بن عريب بن يشجب

ابن زيد بن كهلان بن سبأ. ويقال لخم بن عدى بن عمرو بن سبأ قاله ابن هشام . قال ابن اسحاق وكان سبب خروجه من اليمن فيما حدثنى أبو زيد الانصارى أنه رأى جرذا يحفر فى سد مأرب الذى كان يحبس عليهم الماء فيصرفونه حيث شاؤوا من أرضهم فعلم أنه لا بقاء للسد على ذلك فاعتزم على النقلة عن اليمن فكاد قومه فأمر اصغر ولده إذا أغلظ عليه ولطمه أن يقوم إليه فيلطمه ففعل ابنه ما أمره به فقال عمرو لا أقيم ببلد لطم وجهى فيه أصغر ولدى وعرض أمواله فقال أشراف من أشراف اليمن اغتنموا غضبة عمرو فاشتروا منه أمواله وانتقل فى ولده وولد ولده وقالت الأزد لا نتخلف عن عمرو بن عامر فباعوا أموالهم وخرجوا معه فساروا حتى نزلوا بلاد عك مجتازين يرتادون البلدان فحاربتهم عك فكانت حربهم سجالا ففى ذلك قال عباس بن مرداس.

وعكّ بن عدنانَ الّذين تلعّبوا بغسّانَ حتى طُرِدوا كلَّ مَطردِ

قال فارتحلوا عنهم فتفرقوا فى البلاد فنزل آل جفنة بن عمرو بن عامر الشام ونزل الاوس والخزرج يثرب ونزلت خزاعة مراً ونزلت أزد السراة السراة ونزلت أزد عمان عمان ثم أرسل الله تعالى على السد السيل فهدمه وفى ذلك أنزل الله هذه الآيات وقد روى عن السدى قريب من هذا وعن محمد بن اسحاق فى روايته أن عمرو بن عامر كان كاهنا وقال غيره كانت امرأته طريفة بنت الخير الحميرية كاهنة فاخبرت بقرب هلاك بلادهم وكأنهم رأوا شاهد ذلك فى الفأر الذى سلط على سدهم ففعلوا مافعلوا والله أعلم. وقد ذكرت قصته مطولة عن عكرمة فيما رواه ابن أبى حاتم فى التفسير .

فصل

وليس جميع سبأ خرجوا من اليمن لما أصيبوا بسيل العرم بل أقام أكثرهم بها وذهب أهل مأرب الذين كان لهم السد فتفرقوا فى البلاد وهو مقتضى الحديث المتقدم عن ابن عباس أن جميع قبائل سبأ لم يخرجوا من اليمن بل انما تشاءم منهم أربعة وبقى باليمن ستة وهم مذحج وكندة وأنمار والاشعريون وأنمار هو أبو خثعم وبجيلة وحمير فهؤلاء ست قبائل من سبأ أقاموا باليمن واستمر فيهم الملك والتبابعة حتى سلبهم ذلك ملك الحبشة بالجيش الذى بعثه صحبة أميريه أبرهة وارياط نحواً من سبعين سنة ثم استرجعه سيف ابن ذى يزن الحميرى. وكان ذلك قبل مولد رسول الله (ص.) بقليل كما سنذكره مفصلا قريبا ان شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان * ثم أرسل رسول الله (ص.) إلى أهل اليمن عليا وخالد بن الوليد ثم أبا موسى الاشعرى ومعاذ بن جبل وكانوا يدعون الى الله تعالى ويبينون لهم الحجج ثم تغلب على اليمن الاسود العنسى واخرج نواب رسول الله (ص.) منها فلما قتل الاسود استقرت اليد الاسلامية عليها فى أيام أبى بكر الصديق رضى الله عنه كما سنبين ذلك بعد البعثة ان شاء الله تعالى

قصة ربيعة بن نصر بن أبي حارثة بن عمرو بن عامر

المتقدم ذكره اللخمي كذا ذكره ابن اسحاق وقال السهيلي ونساب اليمن تقول نصر بن ربيعة ابن نصر بن الحارث بن نمارة بن لخم وقال الزبير بن بكار ربيعة بن نصر بن مالك بن شعوذ بن ملك بن عجم بن عمرو بن نمارة بن لخم ولخم أخو جذام وسمى لخما لانه لخم اخاه أى لطمه أى لطمه فعضه الآخر فى يده فجذمها فسمى جذاما وكان ربيعة أحد ملوك حمير التبابعة وخبره مع شق وسطيح الكاهنين وإنذارهما بوجود رسول الله (ص) أما سطيح فاسمه ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدى بن مازن غسان وأما شق فهو ابن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرك بن قيس بن عبقر بن أنمار بن نزار ومنهم من يقول أنمار بن أراش بن لحيان بن عمرو بن الغوث بن نابت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ويقال إن سطيحا كان لا أعضاء له وانما كان مثل السطيحة ووجهه فى صدره وكان اذا غضب انتفخ وجلس وكان شق نصف انسان ويقال ان خالد بن عبد الله بن القسرى كان سلالته وذكر السهيلي أنهما ولدا فى يوم واحد وكان ذلك يوم ماتت طريفة بنت الخير الحميرية ويقال انها تفلت فى فم كل منهما فورث الكهانة عنها وهى امرأة عمرو بن عامر المتقدم ذكره والله أعلم *قال محمد بن اسحاق وكان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين اضعاف ملوك التبابعة فرأى رؤيا هائلة هالته وفظع بها فلم يدع كاهناً ولا ساحراً ولا عائفا ولا منجما من أهل مملكته إلا جمعه إليه فقال لهم إنى قد رأيت رؤيا هالتنى وفظعت بها فأخبرونى بها وبتأويلها فقالوا اقصصها علينا نخبرك بتأويلها فقال انى ان أخبرتكم بها لم أطمئن الى خبركم بتأويلها لانه لا يعرف تأويلها الا من عرفها قبل أن أخبره بها فقال له رجل منهم فان كان الملك يريد هذا فليبعث الى شق وسطيح فانه ليس أحد أعلم منهما فهما يخبرانه بما سأل عنه فبعث اليهما فقدم اليه سطيح قبل شق فقال له إنى قد رأيت رؤيا هالتنى وفظعت بها فاخبرنى بها فانك ان أصبتها أصبت تأويلها فقال أفعل. رأيت حممة خرجت من ظلمة. فوقعت بأرض تهمة. فأكلت منها كل ذات جمجمة. فقال له الملك ما اخطأت منها شيئا ياسطيح فما عندك فى تأويلها قال أحلف بما بين الحرتين من حنش لتهبطن أرضكم الحبش. فليملكن ما بين أبين الى جرش فقال له الملك يا سطيح ان هذا لنا لغائظ موجع فمتى هو كائن أفى زمانى أم بعده فقال لا وابيك بل بعده بحين. أكثر من ستين أو سبعين. يمضين من السنين قال أفيدوم ذلك من سلطانهم أم ينقطع قال بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين ثم يقتلون ويخرجون منها هاربين قال ومن يلى ذلك من قتلهم واخراجهم قال يليهم إرم ذى يزن. يخرج عليهم من عدن. فلا يترك منهم احداً باليمن. قال أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع قال بل ينقطع قال ومن يقطعه قال نبى زكى. يأتيه الوحى من قبل العلى قال وممن هذا النبى قال رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر. يكون الملك فى قومه الى آخر الدهر. قال وهل

للدهر من آخر قال نعم يوم يجمع فيه الأولون والآخرون. يسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون . قال أحق ما تخبرني قال نعم . والشفق والغسق والفلق إذا اتسق إن ما أنبأتك به لحق. قال ثم قدم عليه شق فقال له كقوله لسطيح وكتمه ما قال سطيح لينظر أيتفقان أم يختلفان قال نعم رأيت حممة خرجت من ظلمة. فوقعت بين روضة وأكمة. فأكلت منها كل ذات نسمة. فلما قال له ذلك عرف أنهما قد اتفقا وأن قولهما واحد إلا أن سطيحاً قال وقعت بأرض تهمة فأكلت منها كل ذات جمجمة. وقال شق وقعت بين روضة وأكمة فأكلت منها كل ذات نسمة فقال له الملك ما أخطأت ياشق منها شيئا فما عندك في تأويلها فقال أحلف بما بين الحرتين من انسان. لينزلن أرضكم السودان فليغلبن على كل طفلة البنان وليملكن ما بين أبين الى نجران فقال له الملك وأبيك ياشق إن هذا لنا لغائظ موجع فمتى هو كائن أفي زماني أم بعده قال لا بل بعده بزمان. ثم يستنقذكم منهم عظيم ذوشان. ويذيقهم أشد الهوان. قال ومن هذا العظيم الشان قال غلام ليس بدني ولا مدن يخرج عليهم من بيت ذي يزن. قال أفيدوم سلطانه أم ينقطع قال بل ينقطع برسول مرسل يأتي بالحق والعدل من أهل الدين والفضل يكون الملك في قومه الى يوم الفصل قال وما يوم الفصل قال يوم يجزى فيه الولاة يدعى فيه من السماء بدعوات تسمع منها الاحياء والاموات ويجمع الناس فيه للميقات يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات . قال أحق ماتقول قال أي ورب السماء والارض. وما بينهما من رفع وخفض. ان ما أنبأتك به لحق ما فيه أمض . قال ابن اسحق فوقع في نفس ربيعة بن نصر ماقالا فجهز بنيه وأهل بيته الى العراق وكتب لهم الى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرزاذ فأسكنهم الحيرة قال ابن اسحق فمن بقية ولد ربيعة بن نصر النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر يعني الذي كان نائبا على الحيرة لملوك الاكاسرة وكانت العرب تفد اليه وتمتدحه وهذا الذي قاله محمد بن اسحاق من أن النعمان بن المنذر من سلالة ربيعة بن نصر قاله أكثر الناس . وقد روى ابن اسحاق ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لما جيء بسيف النعمان بن المنذر سأل جبير بن مطعم عنه ممن كان فقال من اشلاء قنص بن معد بن عدنان قال ابن اسحاق فالله أعلم أي ذلك كان

قصة تبع أبي كرب مع أهل المدينة

(وكيف أراد غزو البيت الحرام ثم شرفه وعظمه وكساه الحلل فكان أول من كساه)

قال ابن اسحاق فلما هلك ربيعة بن نصر رجع ملك اليمن كله الى حسان بن تبان اسعد أبي كرب وتبان اسعد تبع الآخر ابن كلكيكرب بن زيد وزيد تبع الأول بن عمرو ذي الاذعار بن أبرهة ذي المنار بن الرائش بن عدى بن صيفي بن سبأ الاصغر بن كعب كهف الظلم بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير

ابن أنس بن الهميسع بن العر يحجج والعريحجج هو حمير بن سبأ الاكبر بن يعرب بن يشجب بن قحطان. قال عبد الملك بن هشام سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . قال ابن اسحاق وتبان أسعد أبو كرب هو الذى قدم المدينة وساق الحبرين من اليهود الى اليمن وعمر البيت الحرام وكساه وكان ملكه قبل ملك ربيعة بن نصر وكان قد جعل طريقه حين رجع من غزوة بلاد المشرق على المدينة وكان قد مر بها فى بدأته فلم يهج أهلها وخلف بين أظهرهم ابناً له فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع لاخرابها واستئصال أهلها وقطع نخلها فجمع له هذا الحى من الانصار ورئيسهم عمرو بن طلحة أخو بنى النجار ثم أحد بنى عمرو بن مبذول واسم مبذول عامر بن مالك بن النجار واسم النجار تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة عمرو بن عامر

وقال ابن هشام عمرو بن طلحة هو عمرو بن معاوية بن عمرو بن عامر بن مالك بن النجار وطلة امه وهى بنت عامر بن زريق الخزرجية .

قال ابن اسحاق وقد كان رجل من بنى عدى بن النجار يقال له أحمر عدا على رجل من اصحاب تبع وجده يجد عذقا له فضربه بمنجله فقتله وقال انما التمر لمن أبره فزاد ذلك تبعاً حنقا عليهم فاقتتلوا فتزعم الانصار انهم كانوا يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل فيعجبه ذلك منهم ويقول والله ان قومنا لكرام وحكى ابن اسحاق عن الانصار ان تبعا انما كان حنقه على اليهود انهم منعوهم منه .

قال السهيلى ويقال انه انما جاء لنصرة الانصار أبناء عمه على اليهود الذين نزلوا عندهم فى المدينة على شروط فلم يفوا بها واستطالوا عليهم والله أعلم.

قال ابن اسحاق فبينا تبع على ذلك من قتالهم اذ جاءه حبران من أحبار اليهود من بنى قريظة عالمان راسخان حين سمعا بما يريد من اهلاك المدينة وأهلها فقالوا له أيها الملك لا تفعل فانك إن أبيت إلا ما تريد حيل بينك وبينها ولم نأمن عليك جل العقوبة فقال لهما ولم ذلك قالا هى مهاجر نبى يخرج من هذا الحرم من قريش فى اخر الزمان تكون داره وقراره فتناهى ورأى أن لهما علماً وأعجبه ماسمع منهما فانصرف عن المدينة وأتبعهما على دينهما . قال ابن اسحاق وكان تبع و قومه أصحاب أوثان يعبدونها فتوجه إلى مكة وهى طريقه الى اليمن حتى اذا كان بين عسفان وامج أتاه نفر من هذيل ابن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان فقالوا له أيها الملك ألا ندلك على بيت مال داثر أغفلته الملوك قبلك فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة قال بلى قالوا بيت بمكة يعبده أهله ويصلون عنده وانما أراد الهذليون هلاكه بذلك لما عرفوا من هلاك من أراده من الملوك وبغى عنده فلما أجمع لما قالوا أرسل إلى الحبرين فسألهما عن ذلك فقالا له ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جندك ما نعلم بيتاً لله عز وجل اتخذه فى الارض لنفسه غيره ولئن فعلت ما دعوك اليه لتهلكن وليهلكن من معك جميعا قال

فماذا تأمرانى أن أصنع إذا انا قدمت عليه قالا تصنع عنده مايصنع أهله تطوف به وتعظمه وتكرمه وتحلق رأسك عنده وتذال له حتى تخرج من عنده قال فما يمنعكما أنتما من ذلك قالا أما والله إنه لبيت أبينا ابراهيم عليه السلام وانه لكما اخبرناك ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التى نصبوها حوله وبالدماء التى يهريقون عنده وهم نجس أهل شرك أوكما قالا له فعرف نصحهما وصدق حديثهما وقرب النفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم ثم مضى حتى قدم مكة فطاف بالبيت ونحر عنده وحلق رأسه وأقام بمكة ستة أيام فيما يذكرون ينحر بها للناس ويطعم أهلها ويسقيهم العسل وأرى فى المنام أن يكسوا البيت فكساء الخصف ثم أرى فى المنام ان يكسوه أحسن من ذلك فكساء المعافر ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساء الملاء والوصائل وكان تبع فيما يزعمون أول من كسا البيت وأوصى به ولاته من جرهم وأمرهم بتطهيره وأن لايقربوه دماً ولا ميتة ولا مئلاتا وهى المحايض وجعل له باباً ومفتاحاً ففى ذلك قالت سبيعة بنت الأحب تذكر ابنها خالد به عبد مناف بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب وتنهاه عن البغى بمكة وتذكر له ما كان من أمر تبع فيها .

أبنيّ لا تظلم بمـ ـكّةَ لاالصغيرَ ولاالكبير
واحفظْ محارِمَها بُنـ ـيّ ولا يغرّنْك الغَرور
أبنيّ من يَظلم بمـ ـكةَ يلقَ أطرافَ الشُّرور
أبنيّ يَضرِبْ وجهَه ويلحْ بخدّيه السّعير
أبنيّ قد جرّبتُها فوجدتُ ظالمَها يَبور
اللهُ آمنَها وما بُنيتْ بِعَرْصَتِها قُصور
واللهُ آمنَ طَيرَها والعصمُ تأمَنُ فى ثَبير
ولقدْ غزَاها تُبّعٌ فكَسا بَنيّتَها الحَبير
وأذلّ ربي ملكَه فيها فأوفى بالنّذور
يمشي إليها حافياً بفِنائِها ألفا بعير
ويظلّ يُطعمُ أهلَها لحمَ المهارَى والجزور
يسقيهمُ العسَلَ المصفّى والرحيضَ من الشّعير
والفيلَ أهلكَ جيشَه يُرمون فيها بالصّخور
والملكَ فى أقصَى البلا دِ وفى الأعاجمِ والخُزور
فاسمع إذاحُدّثت وافهم كيفَ عاقبةُ الأمور

قال ابن اسحاق ثم خرج تبع متوجها الى اليمن بمن معه من الجنود وبالحبرين حتى اذا دخل اليمن

دعا قومه الى الدخول فيما دخل فيه فأبوا عليه حتى يحاكموه الى النار التى كانت باليمن قال ابن اسحاق حدثنى أبو مالك بن ثعلبة بن أبى مالك القرظى قال سمعت ابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله يحدث أن تبعاً لما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك وقالوا لا تدخلها علينا وقد فارقت ديننا فدعاهم الى دينه وقال انه خير من دينكم قالوا تحاكمنا الى النار قال نعم قال وكانت باليمن فيما يزعم أهل اليمن نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه تأخذ الظالم ولا تضر المظلوم فخرج قومه بأوثانهم وما يتقربون به فى دينهم وخرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما متقلديها حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذى تخرج منه فخرجت النار اليهم فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها فزجرهم من حضرهم من الناس وأمروهم بالصبر لها فصبروا حتى غشيتهم فأكلت الأوثان وما قربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما تعرق جباههما ولم تضرهما فاصفقت عند ذلك حمير على دينهما فمن هنالك كان أصل اليهودية باليمن .

قال ابن اسحاق وقد حدثنى محدث أن الحبرين ومن خرج من حمير انما اتبعوا النار ليردوها وقالوا من ردها فهو أولى بالحق فدنا منها رجال حمير بأوثانهم ليردوها فدنت منهم لتأكلهم فحادوا عنها ولم يستطيعوا ردها فدنا منها الحبران بعد ذلك وجعلا يتلوان التوراة وهى تنقص عنهما حتى رداها لى مخرجها الذى خرجت منه فأصفقت عند ذلك حمير على دينهما والله أعلم أى ذلك كان . قال ابن اسحاق وكان رئام بيتاً لهم يعظمونه وينحرون عنده ويكلمون فيه اذ كانوا على شركهم فقال الحبران لتبع انما هو شيطان يفتنهم بذلك فخل بيننا وبينه قال فشأنكما به فاستخرجا منه فيما يزعم أهل اليمن كلباً أسود فذبحاه ثم هدما ذلك البيت فبقاياه اليوم كما ذكر لى بها آثار الدماء التى كانت تهراق عليه وقد ذكرنا فى التفسير الحديث الذى ورد عن النبى (ص) (لا تسبوا تبعاً فانه قد كان أسلم) قال السهيلى وروى معمر عن همام بن منبه عن أبى هريرة أن رسول الله (ص) قال (لا تسبوا أسعد الحميرى فانه أول من كسى الكعبة) .

قال السهيلى وقد قال تبع حين اخبره الحبران عن رسول الله (ص) شعراً

شهدتُ على أحمدٍ أنه ... رسولٌ منَ الله باري النسم

فلو مد عمري الى عمره ... لكنتُ وزيراً له وابنَ عم

وجاهدت بالسيف أعداءَه ... وفرّجتُ عن صدرِه كلَّ هم

قال ولم يزل هذا الشعر تتوارثه الانصار ويحفظونه بينهم وكان عند أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه وأرضاه * قال السهيلى وذكر ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور أن قبراً حفر بصنعاء فوجد فيه امرأتان معهما لوح من فضة مكتوب بالذهب وفيه هذا قبر لميس وحبى ابنتى تبع ماتا وهما تشهد ان

ألا آله إلا الله وحده لا شريك له وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما .

ثم صار الملك فيما بعد الى حسان بن تبان أسعد وهو أخو اليمامة الزرقاء التى صلبت على باب مدينة جو فسميت من يومئذ اليمامة . قال ابن اسحاق فلما ملك ابنه حسان بن أبى كرب تبان أسعد سار بأهل اليمن يريد أن يطاء بهم أرض العرب وأرض الاعاجم حتى اذا كانوا ببعض أرض العراق كرهت حمير وقبائل اليمن السير معه وأرادوا الرجعة الى بلادهم وأهليهم فكلموا أخا له يقال له عمرو وكان معه فى جيشه فقالوا له أقتل أخاك حسان ونملكك علينا وترجع بنا الى بلادنا فأجابهم فاجتمعوا على ذلك إلا ذارعين الحميرى فانه نهى عمراً عن ذلك فلم يقبل منه فكتب ذو رعين رقعة فيها هذان البيتان :

أَلا مَن يشتري سَهَراً بنوم ... سعيدٌ مَن يبيتُ قَرِيرَ عَيْن

فأما حِمْيَرٌ غدرتْ وخانتْ ... فمعذرةُ الالٰه لِذي رُعَين

ثم استودعها عمراً . فلما قتل عمرو أخاه حسان ورجع الى اليمن منع منه النوم وسلط عليه السهر فسأل الاطباء والحذاق من الكهان والعرافين عما به فقيل له انه والله ما قتل رجل أخاه قط أو ذا رحم بغياً إلا ذهب نومه وسلط عليه السهر فعند ذلك جعل يقتل كل من أمره بقتل أخيه فلما خاص إلى ذى رعين قال له إن لى عندك براءة قال وما هى قال الكتاب الذى دفعته إليك فأخرجه فاذا فيه البيتان فتركه ورأى أنه قد نصحه وهلك عمرو فمرج أمر حمير عند ذلك وتفرقوا

وثوب لخنيعة(١) ذى شناتر على ملك اليمن

وقد ملكها سبعاً وعشرين سنة . قال ابن اسحق فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت الملك يقال له لخنيعة ينوف ذو شناتر فقتل خيارهم وعبث ببيوت أهل المملكة منهم وكان مع ذلك أمرءا فاسقاً يعمل عمل قوم لوط فكان يرسل الى الغلام من أبناء الملوك فيقع عليه فى مشربة له قد صنعها لذلك لئلا يملك بعد ذلك ثم يطلع من شربته تلك الى حرسه ومن حضر من جنده قد أخذ مسوا كا فجعله فى فيه ليعلمهم أنه قد فرغ منه حتى بعث إلى زرعة ذى نواس بن تبان أسعد أخى حسان وكان صبياً صغيراً حين قتل أخوه حسان ثم شب غلاماً جميلا وسيما ذاهيئة وعقل فلما أتاه رسوله عرف ما يريد منه فأخذ سكينا جديداً لطيفاً فخبأه بين قدميه و نعله ثم أتاه فلما خلا معه وثب اليه فواثبه ذو نواس فوجأه حتى قتله ثم حز رأسه فوضعه فى الكوة التى كان يشرف منها ووضع مسواكه فى فيه ثم خرج على الناس فقالوا له ذا نواس أرطب أم يباس فقال سل نخماس استرطبان ذو نواس استرطبان لا باس (٢) فنظروا الى الكوة

(١) قوله لخنيعة بالنون وهو كذلك فى سيرة ابن هشام

(٢) قال أبو ذر الخشنى قالوا فى تفسير استرطبان ان معناه أخذته النار بالفارسيه اهـ وقال السهيلى وقوله

فاذا رأس لخنيعة مقطوع فخرجوا فى أثر ذى نواس حتى أدركوه فقالوا ما ينبغى أن يملكنا غيرك إذ أرحتنا من هذا الخبيث فملكوه عليهم واجتمعت عليه حمير وقبائل اليمن فكان آخر ملوك حمير وتسمى يوسف فأقام فى ملكه زمانا ، وبنجران بقايا من أهل دين عيسى بن مريم عليه السلام على الانجيل أهل فضل واستقامة من أهل دينهم لهم رأس يقال له عبد الله بن الثامر . ثم ذكر ابن اسحاق سبب دخول أهل نجران فى دين النصارى وان ذلك كان على يدى رجل يقال له فيميون كان من عباد النصارى بأطراف الشام وكان مجاب الدعوة وصحبه رجل يقال له صالح فكان يتعبدان يوم الأحد ويعمل فيميون بقية الجمعة فى البناء وكان يدعوا للمرضى والزمنى وأهل العاهات فيشفون ثم استأسره وصاحبه بعض الاعراب فباعوهما بنجران فكان الذى اشترى فيميون يراه اذا قام فى مصلاه بالبيت الذى هو فيه فى الليل يمتلى عليه البيت نوراً فأعجبه ذلك من أمره وكان أهل نجران يعبدون نخلة طويلة يعلقون عليها حلى نسائهم ويعكفون عندها فقال فيميون لسيده أرأيت ان دعوت الله على هذه الشجرة فهلكت أتعلمون أن الذى أنتم عليه باطل . قال نعم فجمع له أهل نجران وقام فيميون الى مصلاه فدعا الله عليها فأرسل الله عليها قاصفاً فجفها من أصلها ورماها الى الأرض فاتبعه أهل نجران على دين النصرانية وحملهم على شريعة الانجيل حتى حدثت فيهم الاحداث التى دخلت على أهل دينهم بكل أرض فمن هنالك كانت النصرانية بنجران من أرض العرب ثم ذكر ابن اسحاق قصة عبد الله بن الثامر حين تنصر على يدى فيميون وكيف قتله واصحابه ذو نواس وخدهم الاخدود ، وقال ابن هشام وهو الحفر المستطيل فى الارض مثل الخندق وأجج فيه النار وحرقهم بها وقتل آخرين حتى قتل قريباً من عشرين ألفاً كما قدمنا ذلك مبسوطاً فى أخبار بنى إسرائيل وكما هو مستقصى فى تفسير سورة (والسماء ذات البروج) من كتابنا التفسير ولله الحمد .

خروج الملك باليمن من حمير الى الحبشة السودان

كما أخبر بذلك شق وسطيح الكاهنان وذلك انه لم ينج من أهل نجران إلا رجل واحد يقال

استرطبان الى آخر الكلام مشكل يفسره ماذكره ابو الفرج فى الاغانى قال كان الغلام اذا خرج من عند لخنيعة وقد لاط به قطعوا مشافر ناقته وذنبها وصاحوا به ارطب ام يباس فلما خرج ذو نواس من عنده وركب ناقة له يقال لها السراب قالوا . ذا نواس . ارطب أم يباس . فقال . ستعلم الاحراس است ذي نواس . است رطب أم يباس . فهذا اللفظ مفهوم والذى وقع فى الاصل يريد سيرة ابن هشام هذا معناه ولفظه قريب من هذا

له دوس ذو ثعلبان على فرس له، فسلك الرمل فاعجزهم فمضى على وجهه ذلك حتى أتى قيصر ملك الروم فاستنصره على ذى نواس وجنوده واخبره بما بلغ منهم ، وذلك لأنه نصرانى على دينهم .فقال له بعدت بلادك منا ولكن سأ كتب لك الى ملك الحبشة فانه على هذا الدين وهو أقرب الى بلادك .فكتب اليه يأمره بنصره والطلب بثأره . فقدم دوس على النجاشى بكتاب قيصر فبعث معه سبعين ألفا من الحبشة وامر عليهم رجلا منهم يقال له ارياط ومعه فى جنده ابرهة الاشرم فركب ارياط البحر حتى نزل بساحل اليمن ومعه دوس وسار اليه ذو نواس فى حمير ومن اطاعه من قبائل اليمن. فلما التقوا انهزم ذو نواس واصحابه فلما رأى ذو نواس مانزل به وبقومه وجه فرسه فى البحر ثم ضربه فدخل فيه فخاض به ضحضاح البحر حتى افضى به الى غمره فادخله فيها فكان آخر العهد به ودخل ارياط اليمن وملكها

وقد ذكر ابن اسحاق هاهنا اشعاراً للعرب فيما وقع من هذه الكائنة الغريبة وفيها فصاحة وحلاوة وبلاغة وطلاوة ولكن تركنا إيرادها خشية الاطالة وخوف الملالة وبالله المستعان

خروج أبرهة الأشرم على أرياط واختلافهما

قال ابن اسحاق فاقام ارياط بارض اليمن سنين فى سلطانه ذلك ثم نازعه ابرهة حتى تفرقت الحبشة عليهما . فانحاز الى كل منهما طائفة ثم سار أحدهما الى الآخر.فلما تقارب الناس أرسل أبرهة الى ارياط انك لن تصنع بان تلقى الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها شيئا شيئا ، فابرز لى وابرز لك فاينا أصاب صاحبه انصرف إليه جنده، فارسل إليه ارياط انصفت فخرج إليه أبرهة وكان رجلا قصيراً لحيما وكان ذا دين فى النصرانية وخرج إليه أرياط وكان رجلا جميلا عظيما طويلا وفى يده حربة له. وخلف أبرهة غلام يقال له عتودة يمنع ظهره فرفع أرياط الحربة فضرب أبرهه يريد يافوخه. فوقعت الحربة على جبهة أبرهة فشرمت حاجبه وعينه وأنفه وشفته فبذلك سمى أبرهة الأشرم. وحمل عتودة على أرياط من خلف أبرهة فقتله وانصرف جند أرياط إلى أبرهة. فاجتمعت عليه الحبشة باليمن وودى أبرهة أرياط .فلما بلغ ذلك النجاشى ملك الحبشة الذى بعثهم إلى اليمن غضب غضباً شديداً على أبرهة وقال عدا على أميرى فقتله بغير أمرى ثم حلف لايدع أبرهة حتى يطأ بلاده ويجز ناصيته فحلق أبرهة رأسه وملأ جرابا من تراب اليمن ثم بعث به الى النجاشى ثم كتب اليه :أيها الملك إنما كان ارياط عبدك وأناعبدك فاختلفنا فى أمرك وكل طاعته لك إلا أنى كنت أقوى على أمر الحبشة واضبط لها وأسوس منه . وقد حلقت رأسى كله حين بلغنى قسم الملك وبعثت إليه بجراب تراب من أرضى ليضعه تحت قدمه فيبر قسمه فى.فلما انتهى ذلك الى النجاشى رضى عنه وكتب إليه أن أثبت بارض اليمن حتى يأتيك أمرى فاقام أبرهة باليمن

سبب قصد ابرهة بالفيل مكة ليخرب الكعبة

(ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم فى تضليل * وأرسل عليهم طيرا أبابيل * ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول)

قيل أول من ذلل الفيلة إفريدون بن أثفيان الذى قتل الضحاك قاله الطبرى وهو أول من اتخذ للخيل السرج . وأما أول من سخر الخيل وركبها فطهمورث وهو الملك الثالث من ملوك الدنيا ويقال إن أول من ركبها اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ويحتمل أنه أول من ركبها من العرب والله تعالى أعلم

ويقال إن الفيل مع عظمة خلقه يفرق من الهر . وقد احتال بعض أمراء الحروب فى قتال الهنود باحضار سنانير الى حومة الوغى فنفرت الفيلة

قال ابن اسحاق ثم إن أبرهة بنى القليس بصنعاء كنيسة لم ير مثلها فى زمانها بشىء من الارض وكتب الى النجاشى إنى قد بنيت لك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك ولست بمنته حتى أصرف اليها حج العرب

فذكر السهيلى أن أبرهة استذل أهل اليمن فى بناء هذه الكنيسة الخسيسة وسخرهم فيها أنواعا من السخر . وكان من تأخر عن العمل حتى تطلع الشمس يقطع يده لا محالة . وجعل ينقل اليها من قصر بلقيس رخاماً واحجاراً وأمتعة عظيمة وركب فيها صلباناً من ذهب وفضة . وجعل فيها منابر من عاج وابنوس وجعل ارتفاعها عظيما جداً واتساعها باهراً فلما هلك بعد ذلك أبرهة وتفرقت الحبشة كان من يتعرض لاخذ شىء من بنائها وامتعتها اصابته الجن بسوء. وذلك لأنها كانت مبنية على اسم صنمين ـ كعيب وامرأته ـ وكان طول كل منهما ستون ذراعا. فتركها أهل اليمن على حالها . فلم تزل كذلك الى زمن السفاح أول خلفاء بنى العباس فبعث إليها جماعة من أهل العزم والحزم والعلم فنقضوها حجراً حجراً ودرست آثارها إلى يومنا هذا

قال ابن إسحاق فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة الى النجاشى غضب رجل من النسأة من كنانة الذين ينسئون شهر الحرام الى الحل بمكة أيام الموسم كما قررنا ذلك عند قوله (إنما النسىء زيادة فى الكفر الآية) قال ابن إسحاق فخرج الكنانى حتى أتى القليس فقعد فيه أى أحدث حيث لا يراه أحد ثم خرج فلحق بأرضه فأخبر أبرهة بذلك. فقال من صنع هذا . فقيل له صنعه رجل من أهل هذا البيت الذى تحجه العرب بمكة لما سمع بقولك أنك تريد أن تصرف حج العرب إلى بيتك هذا فغضب فجاء فقعد فيها أى أنه ليس لذلك باهل. فغضب أبرهة عند ذلك وحلف ليسيرن الى البيت حتى يهدمه. ثم أمر الحبشة

فتهيأت وتجهزت. ثم سار وخرج معه بالفيل وسمعت بذلك العرب فاعظموه وفظعوا به ورأوا جهاده حقاً عليهم حين سمعوا بانه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام . فخرج إليه رجل كان من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له ذو نفر . فدعا قومه ومن اجابه من سائر العرب الى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام وماريده من هدمه واخرابه .فاجابه من أجابه الى ذلك . ثم عرض له فقاتله .فهزم ذو نفر واصحابه وأخذ له ذو نفر فأتى به أسيراً. فلما أراد قتله قال له ذو نفر ياأيها الملك لا تقتلنى فانه عسى أن يكون بقائى معك خيراً لك من القتل .فتركه من القتل وحبسه عنده فى وثاق و كان أبرهة رجلا حليما ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ماخرج له حتى إذا كان بارض خثعم عرض له نفيل بن حبيب الخثعمى فى قبيلتى خثعم وهما شهران وناهس ومن تبعه من قبائل العرب فقاتله فهزمه أبرهة وأخذ له نفيل أسيراً فأتى به فلما هم بقتله قال له نفيل أيها الملك لاتقتلنى فأنى دليلك بأرض العرب وهاتان يداى لك على قبيلتى خثعم -شهران وناهس -بالسمع والطاعة . فخلى سبيله وخرج به معه يدله. حتى إذا مر بالطائف خرج اليه مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف فى رجال ثقيف فقالوا له أيها الملك إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ليس عندنا لك خلاف.وليس بيتنا هذا البيت الذى تريد - يعنون اللات - إنما تريد البيت الذى بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه فتجاوز عنهم

قال ابن اسحاق واللات بيت لهم بالطائف كانوا يعظمونه نحو تعظيم الكعبة .قال فبعثوا معه أبارغال يدله على الطريق الى مكة. فخرج أبرهة ومعه ابورغال حتى أنزله بالمغمس . فلما أنزله به مات أبورغال هنالك فرجمت قبره العرب فهو القبر الذى يرجم الناس بالمغمس وقد تقدم فى قصة ثمود أن أبارغال كان رجلا منهم وكان يمتنع بالحرم فلما خرج منه أصابه حجر فقتله وان رسول الله ص. قال لاصحابه « وآية ذلك أنه دفن معه غصنان من ذهب » فحفروا فوجدوهما قال وهو أبو ثقيف

قلت والجمع بين هذا وبين ماذكر ابن اسحاق أن أبارغال هذا المتأخر وافق اسمه اسم جده الأعلى ورجمه الناس كما رجموا قبر الأول أيضا والله أعلم . وقد قال جرير:

إذا ماتَ الفَرَزْدَقَ فارجُموه كرجمكُم لقبر أبي رُغَالِ

الظاهر أنه الثانى

قال ابن اسحاق فلما نزل أبرهة بالمغمس بعث رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مفصود على خيل له حتى انتهى الى مكة. فساق اليه أموال تهامة من قريش وغيرهم. واصاب فيها مائتى بعير لعبد المطلب ابن هاشم -وهو يومئذ كبير قريش وسيدها- فهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله. ثم عرفوا أنه لاطاقة لهم به فتركوا ذلك. وبعث أبرهة حناطة الحميرى الى مكة وقال له سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفهم ،ثم قل له ان الملك يقول إنى لم آت لحربكم إنما جئت لهدم هذا البيت فان لم تمرضوا

لنا دونه بحرب فلا حاجة لى بدمائكم، فان هو لم يرد حربى فائتنى به فلمادخل حناطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها فقيل له عبدالمطلب بن هاشم .فجاءه فقال لهماأمره به أبرهة. فقال له عبد المطلب والله مانريد حربه ومالنا بذلك من طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم عليه السلام -أوكما قال- فان يمنعه منه فهو حرمه وبيته وان يخل بينه وبينه فوالله ماعندنا دفع عنه. فقال له حناطة فانطلق معى اليه فانه قد أمرنى أن آتيه بك . فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى أتى العسكر فسأل عن ذى نفر وكان له صديقاً - حتى دخل عليه وهو فى محبسه فقال له ياذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا؟ فقال له ذو نفروما غناء رجل أسير بيدى ملك ينتظر أن يقتله غدواً أوعشيا؟ ماعندى غناء فى شىء مما نزل بك إلا أن أنيساً سائس الفيل صديق لى . فسأرسل اليه وأوصيه بك وأعظم عليه حقك واسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلمه بما بدا لك ويشفع لك عنده بخير ان قدر على ذلك . فقال حسبى. فبعث ذو نفر الى أنيس فقال له ان عبد المطلب سيد قريش وصاحب عين مكة يطعم الناس بالسهل والوحوش فى رؤوس الجبال وقد أصاب له الملك مائتى بعير فاستأذن له عليه وانفعه عنده بما استطعت. قال افعل . فكلم أنيس أبرهة فقال له أيها الملك هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك وهو صاحب عين مكة وهو الذى يطعم الناس بالسهل والوحوش فى رؤوس الجبال فائذن له عليك فليكلمك فى حاجته فاذن له أبرهة قال وكان عبدالمطلب أوسم الناس وأعظمهم وأجلهم فلما رآه أبرهة أجله وأكرمه عن أن يجلسه تحته وكره أن تراه الحبشة يجلسه معه على سرير ملكه . فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جانبه ثم قال لترجمانه قل له حاجتك ؟ فقال له ذلك الترجمان فقال حاجتى أن يرد على الملك مائتى بعير أصابها لى فلما قال له ذلك قال أبرهة لترجمانه قل له لقد كنت أعجبتنى حين رأيتك ثم قد زهدت فيك حين كلمتنى . أتكلمنى فى مائتى بعير أصبتها لك وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لأهدمه لاتكلمنى فيه ؟ فقال له عبدالمطلب إنى أنا رب الابل وإن للبيت ربا سيمنعه. فقال ما كان ليمتنع منى. قال أنت وذاك . فرد على عبدالمطلب إبله

قال ابن اسحاق ويقال إنه كان قد دخل مع عبدالمطلب على أبرهة يعمر بن نفاثة بن عدى بن الديل ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة سيد بنى بكر وخويلد بن واثلة سيد هذيل فعرضوا على ابرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت فأبى عليهم ذلك فالله أعلم أكان ذلك أم لا

فلما انصرفوا عنه انصرف عبدالمطلب الى قريش فاخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز فى رؤس الجبال . ثم قام عبد المطلب فاخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده . وقال عبدالمطلب - وهو آخذ بحلقة باب الكعبة -:

لاهُمَّ إنَّ العبدَ يـ ـمنع رَحْلَه فامنَعْ رِحَالَك

لا يَغلبنّ صَليبُهم ومحالُهم غدْواً مِحالَكْ
ان كنتَ تاركَهم وقبـ لتَنا فأمرٌ مابدالَكْ

قال ابن هشام هـذا ماصح له منها . وقال ابن اسحاق ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الـكعبة وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعف الجبال يتحرزون فيها ينتظرون ماأبرهة فاعل. فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة وهيأ فيله وعبى جيشه ،وكان اسم الفيل محموداً . فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نفيل ابن حبيب حتى قام الى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه فقال أبرك محمود وارجع راشداً من حيث أتيت .فانك فى بلد الله الحرام وارسل اذنه. فبرك الفيل

قال السهيلى أى سقط الى الأرض وليس من شأن الفيلة أن تبرك وقد قيل إن منها مايبرك كالبعير فالله أعلم

وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى أصعد فى الجبل . وضربوا الفيل ليقوم فابى فضربو رأسه بالطبرزين ليقوم فابى فادخلوا محاجن لهم فى مراقه فبزغوه بها ليقوم فابى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول . ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك . ووجهوه إلى مكة فبرك . وارسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان[1] مع كل طائر منها ثلاثة احجار يحملها حجر فى منقاره وحجران فى رجليه أمثال الحمص والعدس لاتصيب منهم أحداً إلا هلك وليس كلهم اصابت وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق التى منها جاءوا. ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن فقال نفيل فى ذلك:

ألا حيِّيتِ عنّا يارُدَينا نَعِمناكُم مَعَ الإصباحِ عَينا
ردينةُ لو رأيتِ فلا تَريه لدى جنبِ المحصَّبِ مارأينا
إذاً لعذرتِني وحمِدتِ أمري ولم تأسي على مافاتَ بينا
حَمِدتُ اللهَ إذْ أبصرتُ طيراً وخِفتُ حجارةً تُلقَى علَينا
وكلُّ القومِ يسألُ عن نفيل كأنَّ عليَّ للحُبْشَانِ دَينا

قال ابن إسحاق فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون بكل مهلك على كل منهل. وأصيب أبرهة فى جسده وخرجوا به معهم يسقط انملة انملة كلما سقطت انملة اتبعتها منه مدة تمت قيحا ودما حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر. فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون

قال ابن اسحاق حدثنى يعقوب بن عتبة أنه حدث أن أول مارؤيت الحصبة والجدرى بأرض العرب. ذلك العام ، وأنه أول مارؤى بها مرائر الشجر الحرمل والحنظل والعشر ذلك العام

قال ابن إسحاق فلما بعث الله محمداً (ص) كان مما يعدد الله على قريش من نعمته عليهم وفضله

---

(١) كذا فى الأصل ولعله مصحف عن البلشون فانه يشبه الخطاطيف

مارد عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم فقال تعالى (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل . ألم يجعل كيدهم فى تضليل . وأرسل عليهم طيراً أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل. فجعلهم كعصف مأكول)

ثم شرع ابن إسحاق وابن هشام يتكلمان على تفسير هذه السورة والتى بعدها وقد بسطنا القول فى ذلك فى كتابنا التفسير بما فيه كفاية إن شاء الله تعالى وله الحمد والمنة

قال ابن هشام الأبابيل الجماعات ولم تتكلم لها العرب بواحد علمناه .قال وأما السجيل فاخبرنى يونس النحوى وأبو عبيدة انه عند العرب الشديد الصلب .قال وزعم بعض المفسرين انهما كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة وانها سنج وجل [1] فالسنج الحجر والجل الطين .يقول الحجارة من هذين الجنسين الحجر والطين .قال والعصف ورق الزرع الذى لم يقصب .وقال الكسائى سمعت بعض النحويين يقول واحد الابابيل ابيل وقال كثيرون من السلف الابابيل الفرق من الطير التى يتبع بعضها بعضا من ههنا وههنا. وعن ابن عباس كان لها خراطيم كخراطيم الطير واكف كاكف الكلاب وعن عكرمة كانت رؤوسها كرؤوس السباع خرجت عليهم من البحر وكانت خضراً .وقال عبيد بن عمير كانت سوداً بحرية فى مناقيرها واكفها الحجارة. وعن ابن عباس كانت أشكالها كعنقاء مغرب وعن ابن عباس كان أصغر حجر منها كرأس الانسان ومنها ماهو كالابل. وهكذا ذكره يونس بن بكير عن ابن إسحاق .وقيل كانت صغاراً والله أعلم

وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا محمد بن عبد الله بن أبى شيبة حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبى سفيان عن عبيد بن عمير قال لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل بعث عليهم طيراً أنشئت من البحر أمثال الخطاطيف كل طير منها يحمل ثلاثة أحجار حجرين فى رجليه وحجراً فى منقاره قال فجاءت حتى صفت على رؤوسهم . ثم صاحت وألقت ما فى رجليها ومناقيرها . فما يقع حجر على رأس رجل الاخرج من دبره . ولا يقع على شئ من جسده الا خرج من الجانب الآخر. وبعث الله ريحاً شديدة فضربت الحجارة فزادتها شدة فأهلكوا جميعاً

وقد تقدم أن ابن اسحاق قال وليس كلهم اصابته الحجارة يعنى بل رجع منهم راجعون إلى اليمن حتى أخبروا أهلهم بما حل بقومهم من النكال وذكروا أن ابرهة رجع وهو يتساقط أنملة أنملة فلما وصل إلى اليمن انصدع صدره فمات لعنه الله . وروى ابن اسحاق قال حدثنى عبدالله بن أبى بكر عن عمرة عن عائشة قالت لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة اعميين مقعدين يستطعمان . وتقدم أن سائس الفيل كان اسمه أنيسا فاما قائده فلم يسم والله أعلم .

وذكر النقاش فى تفسيره أن السيل احتمل جثثهم فألقاها فى البحر . قال السهيلى وكانت قصة الفيل

---

(١) أصله (سنك وكل) ولما لم تتلفظ العرب بالكاف بدلوها بالجيم فقالوا سنج وجل وركبوها كلمة واحدة فهى مستعربة اهـ

أول المحرم من سنة ست وثمانين وثمانمائة (١) من تاريخ ذى القرنين .

قلت وفى عامها ولد رسول الله (ص) على المشهور . وقيل كان قبل مولده بسنين كما سنذكر إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

ثم ذكر ابن اسحاق ما قالته العرب من الأشعار فى هذه الكائنة العظيمة التى نصر الله فيها بيته الحرام الذى يريد أن يشرفه ويعظمه ويطهره ويوقره ببعثة محمد (ص) ومايشرع له من الدين القويم الذى أحد أركانه الصلاة بل عماد دينه وسيجعل قبلته إلى هذه الكعبة المطهرة ولم يكن ما فعله بأصحاب الفيل نصرة لقريش إذ ذاك على النصارى الذين هم الحبشة : فان الحبشة إذ ذاك كانوا أقرب لها من مشركى قريش وإنما كان النصر للبيت الحرام وارهاصا وتوطئة لبعثة محمد (ص) فمن ذلك ما قاله عبد الله بن الزبعرى السهمى

تنكّلوا (٢) عن بطنِ مكّةَ إنها ... كانت قديماً لا يُرام حَريمها
لم تُخلق الشّعرى ليالي حُرّمت ... إذْ لا عزيزَ من الأنام يرومها
سائلْ أميرَ الحُبْشِ عنها مارأى ... فلسوفَ يُنبي الجاهلينَ عليمُها
ستّون ألفاً لم يَؤبوا أرضَهم ... بلْ لم يعشْ بعدَ الاياب سَقيمُها
كانتْ بها عادٌ وجُرهمُ قبلَهم ... واللهُ من فوقِ العبادِ يُقيمها

ومن ذلك قول أبى قيس بن الاسلت الانصاري المدني :

ومنْ صُنعه يومَ فيلِ الحبُو ... شِ إذْ كلّما بعثُوه رَزَم
محاجنُهم تحتَ أقرابه ... وقدْ شرّموا أنفَه فانخرَم
وقد جعلوا سوْطَه مِغْولاً ... إذا يمّموه قفاهُ كلَم
فولّى وأدبرَ أدراجَه ... وقدْ باءَ بالظلم من كان ثَم
فأرسل من فوقهم حاصباً ... فلفّهمُ مثلَ لفّ القزَم
تحضّ على الصّبر أحبارُهم ... وقد ثأجوا كثُؤاجِ الغنَم

ومن ذلك قول أبى الصلت ربيعة بن أبى ربيعة وهب بن علاج الثقفى قال ابن هشام ويروى لامية ابن أبى الصلت :

إن آياتِ ربّنا ثاقباتٌ ... ما يُماري فيهنّ الا الكفُور
خلَق الليلَ والنهارَ فكلٌّ ... مستبينٌ حسابُهُ مقدور

---

(١) كذا بالاصل والذى فى السهيلى سنة اثنتين وثمانين الخ اه .

(٢) قوله تنكلوا كذا بالأصل وفى سيرة ابن هشام المطبوعة باللام . لكن فى تفسير غريبها للخشنى تنكبوا بالباء . قال أى ارجعوا خوفا منها . تقول نكبت فلانا عن الشئ إذا صرفته عنه صرف هيبة وخوف

ثم يجلو النهارَ رب رحيم — بمهاةٍ شعاعها منشور
حبسَ الفيلَ بالمغمس حتى — صارَ يحبو كأنه معقور
لازماً حلقة الجرانِ كما قـ — ـد من صخرٍ كبكبٍ محدور
حوله من ملوك كندة أبطا — ل ملاويث فى الحروب صقور
خلفوه ثم ابذعروا جميعاً — كلهم عظم ساقهِ مكسور
كل دينٍ يومَ القيامة عند اللـــه إلا دينَ الحنيفةِ بور

ومن ذلك قول أبى قيس بن الاسلت أيضاً :

فقوموا فَصلّوا ربكم وتمسحوا — باركان هذا البيت بين الاخاشب
فعندكمُ منه بلاء مصدق — غداة أبى يكسوم هادى الكتائب
كتيبته بالسهلِ تمشى ورَجله — على القاذفاتِ فى رؤس المناقب
فلما أتاكم نصرُ ذى العرش ردهم — جنود المليكِ بين ساف و حاصب
فولوا سِراعاً هاربين ولم يؤب — إلى أهله ملحبش غير عصائب

ومن ذلك قول عبيد الله بن قيس الرقيات فى عظمة البيت وحمايته بهلاك من أراده بسوء :

كاده الأشرم الذى جاء بالفيـ — ـلِ فولى وجيشه مهزوم
واستهلت عليهم الطير بالجنـ — ـدَل حتى كأنه مرجوم
ذاك من يغزه من الناس يرْ — جع وهو فل من الجيوشِ ذميم

قال ابن اسحاق وغيره فلما هلك ابرهة ملك الحبشة بعده ابنه يكسوم . ثم من بعده أخوه مسروق ابن ابرهة وهو آخر ملوكهم . وهو الذى انتزع سيف بن ذى يزن الحميرى الملك من يده بالجيش الذين قدم بهم من عند كسرى أنو شروان كما سيأتى بيانه

وكانت قصة الفيل فى المحرم سنة ست وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذى القرنين وهو الثانى اسكندر ابن فلبس المقدونى الذى يؤرخ له الروم ولما هلك ابرهة وابناه وزال ملك الحبشة عن اليمن هجر القليس الذى كان بناه ابرهة وأراد صرف حج العرب اليه لجهله وقلة عقله . وأصبح يباباً لا أنيس به . وكان قد بناه على صنمين وهما كعيب وامرأته وكانا من خشب طول كل منهما ستون ذراعا فى السماء وكانا مصحوبين من الجان ولهذا كان لا يتعرض أحد إلى أخذ شئ من بناء القليس وأمتعته الا أصابوه بسوء . فلم يزل كذلك الى أيام السفاح أول خلفاء بنى العباس فذكر له أمره وما فيه من الامتعة والرخام الذى كان ابرهة نقله اليه من صرح بلقيس الذى كان باليمن فبعث اليه من خربه حجراً حجراً وأخذ جميع ما فيه من الامتعة والحواصل هكذا ذكره السهيلى والله أعلم .

خروج الملك عن الحبشة ورجوعه الى سيف بن ذي يزن

قال محمد بن اسحاق رحمه الله : فلما هلك ابرهة ملك الحبشة يكسوم بن ابرهة وبه كان يكنى فلما هلك يكسوم ملك اليمن من الحبشة أخوه مسروق بن أبرهة . قال : فلما طال البلاء على أهل اليمن خرج سيف بن ذى يزن الحميرى وهو سيف بن ذى يزن بن ذى أصبح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو ابن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن ابن الهميسع بن العرنجج ، وهو حمير بن سبأ - وكان سيف يكنى أبا مرة - حتى قدم على قيصر ملك الروم فشكى اليه ما هو فيه وسأله أن يخرجهم عنه ويليهم هو ويخرج اليهم من شاء من الروم فيكون له ملك اليمن فلم يشكه . فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر وهو عامل كسرى على الحيرة وما يليها من أرض العراق ، فشكا اليه أمر الحبشة فقال له النعمان إن لى على كسرى وفادة فى كل عام فاقم عندى حتى يكون ذلك ففعل ثم خرج معه فأدخله على كسرى وكان كسرى يجلس فى ايوان مجلسه الذى فيه تاجه وكان تاجه مثل القنقل [1] العظيم فيما يزعمون يضرب فيه الياقوت والزبرجد واللؤلؤ بالذهب والفضة معلقا بسلسلة من ذهب فى رأس طاقة فى مجلسه ذلك ، وكانت عنقه لا تحمل تاجه إنما يستر عليه بالثياب حتى يجلس فى مجلسه ذلك ثم يدخل رأسه فى تاجه فاذا استوى فى مجلسه كشف عنه الثياب فلا يراه أحد لم يره قبل ذلك الابرك هيبة له . فلما دخل عليه طأطأ رأسه فقال الملك : إن هذا الأحمق يدخل علىّ من هذا الباب الطويل ثم يطأطئ رأسه . فقيل ذلك لسيف فقال إنما فعلت هذا لهمى لأنه يضيق عنه كل شئ . ثم قال : أيها الملك غلبتنا على بلادنا الا غربة . قال كسرى أى الاغربة الحبشة أم السند قال بل الحبشة فجئتك لتنصرنى ويكون ملك بلادى لك فقال له كسرى بعدت بلادك مع قلة خيرها فلم أ كن لأورط جيشا من فارس بارض العرب لا حاجة لى بذلك ، ثم أجازه بعشرة آلاف درهم واف وكساه كسوة حسنة فلما قبض ذلك منه سيف خرج فجعل ينثر تلك الورق للناس ، فبلغ ذلك الملك فقال إن لهذا لشأنا ثم بعث اليه فقال عمدت إلى حباء الملك تنثره للناس قال وما أصنع بحباك ما جبال أرضى التى جئت منها الا ذهب وفضة يرغبه فيها ، فجمع كسرى مرازبته فقال لهم ما ترون فى أمر هذا الرجل وما جاء له . فقال قائل : أيها الملك إن فى سجونك رجالا قد حبستهم للقتل فلو أنك بعثتهم معه فان يهلكوا كان ذلك الذى أردت بهم وإن ظفروا كان ملكا أزدته ، فبعث معه كسرى من كان فى

---

(١) القنقل : هو مكيال يسع ثلاثة وثلاثين منا .

سجونه وكانوا ثمانمائة رجـل واستعمل عليهم وهرز وكان ذا سن فيهم وأفضلهم حسباً وبيتاً فخرجوا فى ثمان سفائن فغرقت سفينتان ووصل إلى ساحل عدن ست سفائن فجمع سيف إلى وهرز من استطاع من قومه وقال له رجلى ورجالك حتى نموت جميعاً أو نظفر جميعاً فقال له وهرز أنصفت وخرج اليه مسروق ابن أبرهة ملك اليمن وجمع اليه جنده فأرسل اليهم وهرز ابنا له ليقاتلهم فيختبر قتالهم ، فقتل ابن وهرز فزاده ذلك حنقا عليهم فلما تواقف الناس على مصافهم . قال : وهرز أرونى ملكهم فقالوا له أترى رجلا على الفيل عاقداً تاجه على رأسه بين عينيه ياقوتة حمراء . قال : نعم . قالوا ذلك ملكهم فقال اتركوه قال فوقفوا طويلا ثم قال علام هو؟ قالوا قد تحول على الفرس . قال اتركوه فتركوه طويلا ثم قال علام هو ؟ قالوا على البغلة قال وهرز : بنت الحمار ذل وذل ملكه ، إنى سأرميه فان رأيتم أصحابه لم يتحركوا فأثبتوا حتى أوذنكم فانى قد أخطأت الرجل وإن رأيتم القوم قد استداروا به ولاثوا فقد أصبت الرجل فاحملوا عليهم . ثم وتر قوسه وكانت فيما يزعمون لا يوترها غيره من شدتها وأمر بحاجبيه فعصبا له ثم رماه فصك الياقوتة التى بين عينيه وتغلغلت النشابة فى رأسه حتى خرجت من قفاه ، ونكس عن دابته واستدارت الحبشة ولاثت به ، وحملت عليهم الفرس فانهزموا فقتلوا وهربوا فى كل وجـه ، وأقبل وهرز ليدخل صنعاء حتى إذا أتى بابها قال لا تدخل رايتى منكسة أبداً اهدموا هذا الباب فهدم ، ثم دخلها ناصباً رايته فقال سيف بن ذى يزن الحميرى :

يظن الناسُ بالملكيـ ... ـن أنهما قد التأما
ومن يسمعْ بلأْمِهما ... فان الخطب قـد فقما
قتلنا القَيْلَ مسروقا ... وروينا الكثيبَ دما
وإن القيلَ قيلَ النا ... سِ وهرز مقسم قَسَما
يذوق مشعشَعاً حتى ... نفيءَ السبيَ والنَعما

ووفدت العرب من الحجاز وغـيرها على سيف يهنئونه بعود الملك اليه وامتدحوه . فـكان من جملة من وفد قريش وفيهم عبد المطلب بن هاشم ، فبشره سيف برسول الله (ص) وأخبره بما يعلم من أمره وسيأتى ذلك مفصلا فى باب البشارات به عليه الصلاة والسلام .

قال ابن اسحاق: وقال أبو الصلت بن أبى ربيعة الثقفى قال ابن هشام ويروى لامية بن أبى الصلت :

لِيطلبِ الوِترَ أمثالُ ابن ذي يَزَنٍ ... ريّم فى البحرِ للأعـداءِ أحوالا
يممَ قيصراً لمـا حانَ رحلته ... فلم يجد عنـدَه بعضَ الذي سالا
ثم انثنى نحو كسرى بعدَ عاشرةٍ ... من السنين يهين النفسَ والمـالا
حتى أتى ببني الأحرارِ يحملهم ... إنك عَمري لقد أسرعتَ قَلقالا

لله درّهمَ من عصبةٍ خرجوا ما إن أرى لهمُ في الناسِ أمثالا
غُلباً مرازبةٌ بيضاً أساورةً أُسْداً تُرَبِّبُ في الغَيْضات أشبالا
يرمُون عن سُدُفٍ كأنها غبطٌ بِزَمْخَرٍ يُعجِل المرميَّ إعجالا
أرسلتَ أُسداً على سود الكلابِ فقد أضحى شريدُهم في الارضِ فُلَّالا
فاشربْ هنيئاً عليكَ التاجُ مرتفقا في رأس غمدان دارا منك محلالا
واشربْ هنيئاً فقد شالتْ نعامتُهم وأسبلِ اليومَ في بُرديْك إسبالا
تلكَ المكارمُ لاقعبانِ من لبنٍ شِيبا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالا

يقال - إن غمدان - قصر باليمن بناه يعرب بن قحطان وملكه بعده واحتله واثلة بن حمير بن سبأ ويقال كان ارتفاعه عشرين طبقة فالله أعلم .

قال ابن اسحاق : وقال عدى بن زيد الحميرى وكان أحد بنى تميم :

ما بعدَ صنعاءَ كان يعمُرها ولاةُ ملكٍ جزْل مَواهِبُها
رفعها من بني لذي قزع الـ مزْنِ وتندى مسكاً محاربُها
محفوفةً بالجبالِ دون عرى الـ كائدِ ما يُرتقَى غواربُها
يأنَس فيها صوتُ النهامِ إذا جاوبَها بالعشيِّ قاصبُها
ساقتْ إليها الأسبابُ جندَ بني الـ أحرارِ فرسانُها مواكبُها
وفوّزتْ بالبغال توسَقُ بالحـ تفِ وتَسعى بها توالبُها
حتى يراها الاقوالُ من طرفِ المـ نقل مخضرّةً كتائبُها
يومَ ينادون آل بربَرَ واليكـ سومَ لا يفلحن هاربها
فكان يوماً باقي الحديثِ وزا لتْ أُمة ثابتٌ مراتبها
وبُدِّل الفيجُ بالزرافة والا يام خُونٌ جَمٌّ عجائبُها
بعدَ بني تُبَّعٍ نخاورة قد اطمأنّتْ بها مَرازبُها

قال ابن هشام : وهذا الذى عنى سطيح بقوله يليه ارم ذى يزن يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك منهم أحداً باليمن . والذى عنى شق بقوله: غلام ليس بدنى ولا مدن يخرج من بيت ذى يزن .

قال ابن اسحاق : وأقام وهرز والفرس باليمن فمن بقية ذلك الجيش من الفرس الأبناء الذين باليمن اليوم. وكان ملك الحبشة باليمن فيما بين أن دخلها ارياط إلى أن قتلت الفرس مسروق بن أبرهة وأخرجت الحبشة اثنتين وسبعين سنة توارث ذلك منهم أربعة : إرياط ثم أبرهة ثم يكسوم بن أبرهة ثم مسروق ابن أبرهة .

مآل اليه أمر الفرس باليمن

قال ابن هشام : ثم مات وهرز فامر كسرى ابنه المرزبان بن وهرز على اليمن ثم مات المرزبان فامر كسرى ابنــه التينجان ثم مات فامر ابن التينجان ، ثم عزله عن اليمن وامر عليها باذان وفى زمنه بعث رسول الله (ص.) . قال ابن هشام فبلغنى عن الزهرى انه قال كتب كسرى الى باذان إنه بلغنى أن رجلا من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبى فسر اليه فاستتبه فان تاب والافابعث إلى برأسه ، فبعث باذان بكتاب كسرى إلى رسول الله ص.) فـكتب اليه رسول الله (ص.) ان الله قد وعدنى أن يقتل كسرى فى يوم كذا وكذا من شهر كذا ، فلما أتى باذان الـكتاب وقف لينتظر وقال ان كان نبياً فسيكون ما قال فقتل الله كسرى فى اليوم الذى قال رسول الله (ص.) . قال ابن هشام : على يدى ابنه شيرويه . قلت : وقال بفضهم بنوه تمالئوا على قتله ، وكسرى هـذا هو ابرويز بن هرمز بن أنو شروان بن قباز ، وهو الذى غلب الروم فى قوله تعالى : (الم غلبت الروم فى أدنى الأرض) كما سـيأتى بيانه . قال : السهيلى وكان قتله ليلة الثلاثاء لعشر خلون من جمادى الأولى سنة تسع من الهجرة . وكان والله أعلم لما كتب إليه رسول الله (ص.) يدعوه إلى الاسـلام فغضب ومزق كتابه ، كتب الى نائبه باليمن يقول له ما قال . وفى بعض الروايات أن رسول الله (ص.) قال لرسول باذان إن ربى قـد قتل الليلة ربك فـكان كما قال رسول الله (ص.) قتل تلك الليلة بعينها، قتله بنوه لظلمه بعد عدله بعد ما خلعوه وولوا ابنه شيرويه فلم يعش بعد قتله أباه الاستة أشهر أو دونها . وفى هذا يقول خالد بن حق الشيبانى :

وكسرى إذ تقسّمه بنوه   بأسـياف كما اقتسم اللحام

تمخضت المنون له بيوم   ألا ولـكلّ حاملةٍ تمام

قال الزهرى : فلما بلغ ذلك باذان بعث باسلامه واسلام من معـه من الفرس الى رسول الله (ص.) فقالت الرسل : الى من نحن يارسول الله . قال أنتم منا وإلينا أهل البيت . قال : الزهرى ومن ثم قال رسول الله (ص.) سلمان منا أهل البيت . قلت والظاهر أن هذا كان بعد ماهاجر رسول الله (ص.) إلى المدينة ولهذا بعث الامراء الى اليمن لتعليم الناس الخير ودعوتهم الى الله عز وجل ، فبعث أولا خالد بن الوليد وعلى بن أبى طالب ، ثم ابعهما أبا موسى الاشعرى ومعاذ بن جبل . ودانت اليمن واهلها للاسلام ومات باذان فقام بعده ولده شهر بن باذان ، وهو الذى قتله الاسود العنسى حين تنبأ وأخـذ زوجته كما سيأتى بيانه واجلى عن اليمن نواب رسول الله (ص.) فلما قتل الاسود عادت اليد الاسلامية عليها . وقال ابن هشام : وهـذا هو الذى عنى به سطيح بقوله . نبى زكى يأتيه الوحى من قبـل العلى . والذى عنى شق بقوله بل ينقطع برسول مرسل، يأتى بالحق والعدل ، بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك فى قومه

الى يوم الفصل .

قال ابن إسحاق : وكان فى حجر باليمن فيما يزعمون كتاب بالزبور كتب بالزمان الاول :لمن ملك ذمار الحمير الاخيار ،لمن ملك ذمار للحبشة الاشرار . لمن ملك ذمار لفارس الاحرار ، لمن ملك ذمار لقريش التجار . وقد نظم بعض الشعراء هذا المعنى فيما ذكره المسعودى :

حين شُدّت ذِمارُ قِيلَ لمنْ أ: ـتِ فقالت لِحِمْيَرِ الأخيار

ثم سِيلتْ من بعدِ ذاك فقالـ ـتْ أنا للحُبْش أخبثِ الأشرار

ثم قالوا من بعد ذاك لمن أ: ـتِ فقالت لفارسِ الأحرار

ثم قالوا من بعد ذاك لمن أ: ـت فقالت إلى قريش التُّجار

ويقال إن هذا الكلام الذى ذكره محمد بن إسحاق ، وجد مكتوبا عند قبر هود عليه السلام حين كشفت الريح عن قبره بأرض اليمن وذلك قبل زمن بلقيس بيسير فى أيام مالك بن ذى المنار أخى عمرو ذى الاذعار بن ذى المنار ويقال كان مكتوبا على قبر هود أيضاً وهو من كلامه عليه السلام حكاه السهيلى والله أعلم .

قصة الساطرون صاحب الحضر

وقد ذكر قصته هاهنا عبد الملك بن هشام لاجل ماقاله بعض علماء النسب :أن النعمان بن المنذر الذى تقدم ذكره فى ورود سيف بن ذى يزن عليه وسؤاله فى مساعدته فى رد ملك اليمن اليه إنه من سلالة الساطرون صاحب الحضر وقد قدمنا عن ابن إسحاق ان النعمان بن المنذر من ذرية ربيعة بن نصر وانه روى عن جبير بن مطعم انه من أشلاء قيصر بن معد بن عدنان فهذه ثلاثة أقوال فى نسبه فاستطرد ابن هشام فى ذكر صاحب الحضر . والحضر حصن عظيم بناه هذا الملك وهو الساطرون على حافة الفرات وهو منيف مرتفع البناء ، واسع الرحبة والفناء ، دوره بقدر مدينة عظيمة وهو فى غاية الاحكام والبهاء والحسن والسناء ، واليه يجبى ماحوله من الاقطار والارجاء . واسم الساطرون الضيزن ابن معاوية بن عبيد بن أجرم من بنى سليح بن حلوان بن الحاف بن قضاعة كذا نسبه ابن الكلبى . وقال غيره كان من الجرامقة وكان أحد ملوك الطوائف وكان يقدمهم إذا اجتمعوا لحرب عدو من غيرهم وكان حصنه بين دجلة والفرات .

قال ابن هشام : وكان كسرى سابور ذو الأكتاف غزا الساطرون ملك الحضر وقال غير ابن هشام :انما الذى غزا صاحب الحضر سابور بن أردشير بن بابك أول ملوك بنى ساسان اذل ملوك الطوائف ورد الملك الى الأكاسرة . واما سابور ذو الأكتاف بن هرمز فبعد ذلك بدهر طويل والله

أعلم ذكره السهيلى .

قال ابن هشام : فحصره سنتين وقال غيره أربع سنين ، وذلك لأنه كان أغار على بلاد سابور فى غيبته بارض العراق فاشرفت بنت الساطرون وكان اسمها النضيرة فنظرت الى سابور وعليه ثياب ديباج وعلى رأسه تاج من ذهب مكالل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ وكان جميلا ، فدست اليه أتتزوجنى ان فتحت لك باب الحضر . فقال : نعم ! فلما أمسى ساطرون شرب حتى سكر وكان لا يبيت الا سكران فاخذت مفاتيح باب الحضر من تحت رأسه وبعثت بها مع مولى لها ففتح الباب ويقال بل دلتهم على نهر يدخل منه الماء متسع فولجوا منه الى الحضر ، ويقال بل دلتهم على طلسم كان فى الحضر وكان فى علمهم أنه لا يفتح حتى تؤخذ حمامة ورقاء وتخضب رجلاها بحيض جارية بكر زرقاء ثم ترسل فاذا وقعت على سور الحضر سقط ذلك الطلسم فيفتح الباب ففعل ذلك فانفتح الباب ، فدخل سابور فقتل ساطرون واستباح الحضر وخربه وسار بها معه فتزوجها فبينا هى نائمة على فراشها ليلا إذ جعلت تململ لا تنام فدعا لها بالشمع ففتش فراشها فوجد عليه ورقة آس . فقال لها سابور أهذا الذى اسهرك ! قالت نعم ؟ قال فما كان أبوك يصنع بك قالت : كان يفرش لى الديباج ويلبسنى الحرير ويطعمنى المخ ويسقينى الخمر . قال : أفكان جزاءا بيك ما صنعت به . أنت الى بذلك اسرع ، فربطت قرون رأسها بذنب فرس ثم ركض الفرس حتى قتلها ففيه يقول أعشى بن قيس بن ثعلبة :

أَلم تَرَ للحضْرِ إذْ أهلُهُ ... بنعمى وهلْ خالِدٌ مَن نَعِم[1]

أَقامَ به شاهبورُ الجنو ... دَحوْلَيْن تضربُ فيه القَدم

فلمّا دعا ربَّه دعوةً ... أنابَ اليه فلم ينتقم

فهل زادَه ربه قوّةً ... ومثْل مجاورِه لم يقم

وكانَ دعا قومَه دعوةً ... هلموا إلى أمرِكم قد صُرِم

فموتوا كِراماً بأسيافكم ... أرى الموتَ يجشِمه من جشم

وقال عدي بن زيد فى ذلك :

والحضرُ صابتْ عليه داهيةٌ ... مِن فوقِه أيدٌ مناكبها

ربِّيةٌ لم توقَّ والدَها ... لحينها إذ أضاعَ راقبها

اذ غبقته صهباء صافية ... والخمر وهل يَهيم شاربُها

فأسلمتْ أهلَها بليلتها ... تظنّ أن الرئيسَ خاطبُها

---

(١) كذا فى سيرة ابن هشام والذى فى معجم البلدان وهل خالد من سلم اه

فكانَ حظَّ العروسِ اذجشّرالـ صبح دماً آء تجرى سبائبها
وخرّبَ الحضر واستبيح وقد أُحرقَ في خدرِها مشاجبُها

وقال عديّ بن زيد أيضا :

أيها الشامت المعيّر بالدهـ ـر أأنت المبرّأ الموفور
أم لديك العهد الوثيق من الأ يام بل أنت جاهلٌ مغرور
من رأيت المنون خلدن أم من ذا عليه من أن يضام خفير
اين كسرى كسرى الملوك أنو شروانَ أم أين قبـله سابور
وبنو الاصفر الـكرامُ ملوك الـ روم لم يبقَ منهم مـذكور
واخو الحضر اذبناه واذ دجلة تجبى اليـه والخابور
شاده مرمراً وجلله كلـ سا فللطـير فى ذراه وكور
لم يهبه ريبُ المنون فبا نَ الملك عنـه فبابه مهجور
وتذكر ربَّ الخورنق إذ أشرف يوما وللهدى تفكير
سره ماله وكثرة ما يمـ لك والبحر معرضا والسدير
فارعوى قلبـه وقال وما غبـ طة حي الى المماتِ يصـير
ثم اضحَوا كأنهم ورق جـ ف فألوتْ به الصَبا والدَبور

قلت : وزب الخورنق الذى ذكره فى شعره رجل من الملوك المتقدمين وعظه بعض علماء زمانه فى أمره الذى كان قد أسرف فيه وعتا وتمرد فيـه واتبع نفسه هواها ولم يراقب فيها مولاها فوعظه بمن سلف قبله من الملوك والدول وكيف بادوا ولم يبق منهم أحد وأنه ما صار اليه عن غيره الا وهو منتقل عنه إلى من بعده ، فأخذته موعظته وبلغت منه كل مبلغ فارعوى لنفسه ، وفكر فى يومه وأمسه ، وخاف من ضيق رمسه . فتاب وأناب ونزع عما كان فيه وترك الملك ولبس ذى الفقراء وساح فى الفلوات وحظى بالخلوات وخرج عما كان الناس فيه من اتباع الشهوات وعصيان رب السموات وقد ذكر قصته مبسوطة الشيخ الامام موفق بن قدامة المقدسى رحمه الله فى كتاب التوابين وكذلك أوردها باسناد متين الحافظ أبو القاسم السهيلى فى كتاب الروض الأنف المرتب أحسن ترتيب وأوضح تبيين .

خبر ملوك الطوائف

وأما صاحب الحضر وهو ساطرون فقـد تقدم أنه كان مقدما على سائر ملوك الطوائف وكان من زمن اسكندر بن فلبيس المقدونى اليونانى وذلك لانه لما غلب على ملك الفرس دارا بن دارا وأذل

مملكته وخرب بلاده واستباح بيضة قومه ونهب حواصله ومزق شمل الفرس شذر مذر عزم أن لا يجتمع لهم بعد ذلك شمل ولا يلتئم لهم أمر فجعل يقر كل ملك على طائفة من الناس فى أقاليم من أقاليم الارض ما بين عربها وأعاجمها فاستمر كل ملك منهم يحمى حوزته ويحفظ حصته ويستغل محلته فاذا هلك قام ولده من بعده أو أحد قومه فاستمر الأمر كذلك قريبا من خمسمائة سنة حتى كان ازدشير بن بابك من بنى ساسان بن بهمن بن أسفنديار بن يشتاسب بن لهراسب فأعاد ملكهم إلى ما كان عليه ورجعت الممالك برمتها اليه وأزال ممالك ملوك الطوائف ولم يبق منهم تالد ولا طارف وكان تأخر عليه حصار صاحب الحضر الذى كان أكبرهم وأشدهم وأعظمهم إذ كان رئيسهم ومقدمهم فلما مات أزدشير تصدى له ولده سابور لمحاصره حتى أخذه كما تقدم والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذكر بنى اسماعيل وما كان من أمور الجاهلية الى زمان البعثة

تقدم ذكر اسماعيل نفسه عليه السلام مع ذكر الأنبياء وكيف كان من أمره حين احتمله أبوه إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام مع أمه هاجر فاسكنها بوادى مكة بين جبال فاران حيث لا أنيس به ولا حسيس وكان اسماعيل رضيعا ثم ذهب وتركهما هنالك عن أمر الله له بذلك ليس عند أمه سوى جراب فيه تمر وكاء فيه ماء فلما نفد ذلك أنبع الله لهاجر زمزم التى هى طعام طعم وشفاء سقم كما تقدم بيانه فى حديث ابن عباس الطويل الذى رواه البخارى رحمه الله . ثم نزلت جرهم وهم طائفة من العرب العاربة من أمم العرب الأقدمين عند هاجر بمكة على أن ليس لهم فى الماء شئ إلا ما يشربون منه وينتفعون به فاستأنست هاجر بهم وجعل الخليل عليه السلام يطالع أمرهم فى كل حين يقال انه كان يركب البراق من بلاد بيت المقدس فى ذهابه وإيابه ثم لما ترعرع الغلام وشب وبلغ مع أبيه السعى كانت قصة الذبح كما تقدم بيان أن الذبيح هو اسماعيل على الصحيح ثم لما كبر تزوج من جرهم امرأة ثم فارقها وتزوج غيرها وتزوج بالسيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمى وجاءته بالبنين الاثنى عشر كما تقدم ذكرهم وهم : نابت وقيذر . ومنشا . ومسمع . وماشى . ودما . وأذر . ويطور . ونبشى . وطما . وقيذما [1] هكذا ذكره محمد

---

(١) كذا فى الاصل احدى عشر . قال ابن جرير الطبرى : وقد ينطق بأسماء أولاد اسماعيل بغير الالفاظ التى ذكرت عن ابن اسحاق وقد ضبطهم زميلنا الفاضل محب الدين افندى الخطيب فى كتابه اتجاه الموجات البشرية فى جزيرة العرب بعد بحثه عن ذلك فى مختلف المصادر هكذا .
نابِت ، قَيْدَار ، يَطُور ، تيْما ، دُومة ، مِيسْمَع ، قِدْمة ، ادَبِ أيل ، نَفِيس ، مِبْسام ، الهميسع ، حداد .

ابن اسحاق وغيره عن كتب أهل الكتاب وله ابنة واحدة اسمها نسمة وهى التى زوجها من ابن أخيه العيصو بن اسحاق بن ابراهيم فولدله منها الروم وفارس والاشبان أيضا فى أحد القولين .

ثم جميع عرب الحجاز على اختلاف قبائلهم يرجعون فى أنسابهم الى ولديه نابت وقيذر ، وكان الرئيس بعده والقائم بالامور الحاكم فى مكة والناظر فى أمر البيت وزمزم نابت بن اسماعيل وهو ابن أخت الجرهميين ، ثم تغلبت جرهم على البيت طمعا فى بنى أختهم فحكموا بمكة وما والاها عوضا عن بنى اسماعيل مدة طويلة فكان أول من صار اليه أمر البيت بعد نابت مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب ابن عيبر[1] بن نبت بن جرهم ، وجرهم بن قحطان ويقال جرهم بن يقطن بن عيبر بن شالخ بن ارفخشد ابن سام بن نوح الجرهمى . وكان نازلا باعلى مكة بقعيقعان وكان السميدع سيد قطوراء نازلا بقومه فى أسفل مكة وكل منهما يعشر من مر به مجتازاً الى مكة . ثم وقع بين جرهم وقطوراء فاقتتلوا فقتل السميدع واستوثق الأمر لمضاض وهو الحاكم بمكة والبيت لا ينازعه فى ذلك ولد اسماعيل مع كثرتهم وشرفهم وانتشارهم بمكة وبغيرها وذلك لخؤلتهم له ولعظمة البيت الحرام . ثم صار الملك بعده الى ابنه الحارث ثم الى عمرو بن الحارث ثم بغت جرهم بمكة واكثرت فيها الفساد وألحدوا بالمسجد الحرام حتى ذكر أن رجلا منهم يقال له اساف بن بغى وامرأة يقال لها نائلة بنت وائل اجتمعا فى الكعبة فكان منه اليها الفاحشة فمسخهما الله حجرين فنصبهما الناس قريباً من البيت ليعتبروا بهما فلما طال المطال بعد ذلك بمدد عبدا من دون الله فى زمن خزاعة كما سيأتى بيانه فى موضعه. فكانا صنمين منصوبين يقال لهما إساف ونائلة . فلما اكثرت جرهم البغى بالبلد الحرام تمالأت عليهم خزاعة الذين كانوا نزلوا حول الحرم وكانوا من ذرية عمرو بن عامر الذى خرج من اليمن لاجل ما توقع من سيل العرم كما تقدم . وقيل ان خزاعة من بنى اسماعيل فالله أعلم .

والمقصود أنهم اجتمعوا لحربهم وآذنوهم بالحرب واقتتلوا واعتزل بنو اسماعيل كلا الفريقين فغلبت خزاعة وهم بنو بكر بن عبد مناة وغبشان واجلوهم عن البيت فعمد عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمى وهو سيدهم الى غزالى الكعبة وهما من ذهب وحجر الركن وهو الحجر الأسود والى سيوف محلاة واشياء اخر فدفنها فى زمزم وعلم زمزم وارتحل بقومه فرجعوا الى اليمن . وفى ذلك يقول عمرو بن الحارث ابن مضاض :

وقائلةٍ والدمعُ سكبٌ مبادر ... وقد شرقتْ بالدمع منها المحاجر

كأنْ لم يكن بين الحجون الى الصَّفا ... أنيسٌ ولم يسمُر بمكَّة سامر

فقلتُ لها والقلبُ منى كأنما ... يُلجلجُه بين الجناحَين طائر

(١) وفى السهيلى : ابن حىّ فى المكانين .

بلى نحنُ كنّا أهلَهـا فأزالنـا — صروفُ الليالي والجدودُ العواثر
وكنا ولاةَ البيت من بعد نابتٍ — نطوّف بذاك البيت والخيرُ ظاهر
ونحن وَلينا البيتَ من بعد نابتٍ — بعزّ فما يحظى لدينا المكاثر
ملَكنا فعززنا فأعظمْ بملكنا — فليس لحيّ غيرنا ثَم فاخر
ألم تنكحوا من خيرِ شخصٍ علمتُه — فابناؤه منا ونحنُ الأصاهر
فإن تنثني الدنيـا علينا بحالها — فانّ لهـا حالاً وفيها التشاجر
فأخرجَنا منهـا المليكُ بقـدرةٍ — كذلك ياللناس تجرى المقادر
أقولُ إذا نام الخليّ ولم أنم — أذا العرشُ لا يبعدسهيلٌ وعامر
وبدّلتُ منها أو جُهـاً لا أحبها — قبـائل منها حمير ويحابر
وصرْنا أحاديثاً وكُنا بغبطـةٍ — بذلك عضّتنا السنونُ الغوابر
فسحّتْ دموعُ العين تبكي لبلدةٍ — بها حَرَم أمْنٌ وفيها المشاعر
وتبكي لبيتٍ ليس يؤذَى حَمامه — يظـلّ به أمناً وفيـه العصافر
وفيه وحوشٌ لا تُرام أنيسةٌ — اذا خرجت منه فليست تغادر

قال ابنُ اسحاق: وقال عمرو بن الحارث بن مضاض أيضا يذكر بنى بكر وغبشان الذين خلفوا بعدهم بمكة :

يا أيها الناسُ سِيروا إن قُصارَكم — أن تصبحوا ذاتَ يومٍ لا تسيرونا
حُثوا المطيَّ وأرخوا من أزِمّتها — قبلَ المماتِ وقضّوا ما تقضونا
كنا أناساً كما كنتم فغيّرنا — دهر فأنتم كما صرنا تصيرونا

قال ابن هشام: هـذا ما صح له منها وحدثني بعض أهل العلم بالشعر أن هـذه الأبيات أول شعر قيل فى العرب وأنها وجـدت مكتوبة فى حجر باليمن ولم يسم قائلها وذكر السهيلى لهذه الابيات أخوة وحكى عندها حكاية معجبة وانشادات معربة . قال : وزاد أبو الوليـد الأزرق فى كتابه فضائل مكة على هذه الابيات المذكورة المنسوبة الى عمرو بن الحارث بن مضاض :

قد مالَ دهرٌ علينا ثم أهلكَنا — بالبغي فينا وبزّ الناسَ ناسونا
واستخبِروا فى صنيع الناس قبلكم — كما استبانَ طريقٌ عنـده الهونا
كنا زماناً ملوكَ الناس قبلَكم — بمسكنٍ فى حَرامِ الله مسكونا

قصة خزاعة وعمرو بن لحي وعبادة العرب للأصنام

قال ابن اسحاق : ثم أن غبشان من خزاعة وليت البيت دون بنى بكر بن عبد مناة ، وكان الذى يليه منهم عمرو بن الحارث الغبشانى وقريش إذ ذاك حلول وصرم وبيوتات متفرقون فى قومهم من بنى كنانة . قالوا : وإنما سميت خزاعة خزاعة لأنهم تخزعوا من ولد عمرو بن عامر حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام فنزلوا بمر الظهران فأقاموا به . قال عون بن أيوب الانصارى ثم الخزرجى فى ذلك :

فلما هبطنا بطنَ مرّ تخزّعت … خُزاعةُ منا فى حلولٍ كراكر

حمتْ كل وادٍ من تِهامةَ واحتمت … بصُمّ القَنا والمرهَفاتِ البواتر

وقال أبو المطهر اسماعيل بن رافع الأنصارى الاوسى :

فلما هبطنا بطن مكة أحمدت … خزاعةُ دارَ الآكل المتحامل

فحلت أكاريسا وشتّت قنابلاً … على كل حيٍّ بينَ نجد وساحل

نفَوا جرهماً عن بطن مكّة واحتبَوا … بعزٍّ خزاعى شديدِ الكواهل

فوليت خزاعة البيت يتوارثون ذلك كابراً عن كابر حتى كان آخرهم حليل بن حبشية بن سلول ابن كعب بن عمرو بن ربيعة الخزاعى الذى تزوج قصى بن كلاب ابنته حبى فولدت له بنيه الأربعة عبد الدار وعبد مناف وعبد العزى وعبدا ، ثم صار أمر البيت اليه كما سيأتى بيانه وتفصيله فى موضعه إن شاء الله تعالى وبه الثقة . واستمرت خزاعة على ولاية البيت نحواً من ثلاثمائة سنة وقيل خمسمائة سنة والله أعلم . وكانوا سوس [1] فى ولايتهم وذلك لأن فى زمانهم كان أول عبادة الأوثان بالحجاز وذلك بسبب رئيسهم عمرو بن لحى لعنه الله فانه أول من دعاهم إلى ذلك وكان ذا مال جزيل جداً . يقال : أنه فقأ أعين عشرين بعيراً وذلك عبارة عن أنه ملك عشرين ألف بعير وكان من عادة العرب أن من ملك ألف بعير فقأ عين واحد منها لانه يدفع بذلك العين عنها . وممن ذكر ذلك الأزرقى وذكر السهيلى : أنه ربما ذبح أيام الحجيج عشرة آلاف بدنة وكسى عشرة آلاف حلة فى كل سنة يطعم العرب ويحيس لهم الحيس بالسمن والعسل ويلت لهم السويق . قالوا : وكان قوله وفعله فيهم كالشرع المتبع لشرفه فيهم ومحلته عندهم وكرمه عليهم .

قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم أن عمرو بن لحى خرج من مكة إلى الشام فى بعض أموره

---

(١) كذا بالاصل ولعلها : وكانوا قوم سوء فى ولايتهم .

فلما قدم مآب من أرض البلقاء وبها يومئذ العماليق وهم ولد عملاق ويقال ولد عمليق بن لاوذ بن سام ابن نوح رآهم يعبدون الأصنام فقال لهم ما هذه الأصنام التى أراكم تعبدون ؟ قالوا له : هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا . فقال : لهم ألا تعطونى منها صنما فاسير به الى أرض العرب فيعبدونه . فأعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه

قال ابن اسحاق : ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة فى بنى اسماعيل عليه السلام أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم حين ضاقت عليهم والتمسوا الفسح فى البلاد الا حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيما للحرم ، فحيث ما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم حتى خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه .

وفى الصحيح عن أبى رجاء العطاردى . قال : كنا فى الجاهلية إذا لم نجد حجراً جمعنا حثية من التراب وجئنا بالشاة فحلبناها عليه ثم طفنا بها .

قال ابن اسحاق : واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام غيره فعبدوا الأوثان وصارو إلى ما كانت عليه الامم قبلهم من الضلالات وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم عليه السلام يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف على عرفات والمزدلفة وهدى البدن والاهلال بالحج والعمرة مع ادخالهم فيه ما ليس منه . فكانت كنانة وقريش إذا هلوا قالوا : لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك ، الا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك . فيوحدونه بالتلبية ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده . يقول الله تعالى لمحمد (ص) : (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) أى ما يوحدوننى لمعرفة حقى الا جعلوا معى شريكا من خلقى .

وقد ذكر السهيلى وغيره : أن أول من لبى هذه التلبية عمرو بن لحى وأن ابليس تبدى له فى صورة شيخ فجعل يلقنه ذلك فيسمع منه ويقول كما يقول واتبعه العرب فى ذلك .

وثبت فى الصحيح أن رسول الله (ص) كان إذا سمعهم يقولون لبيك لا شريك لك يقول: قد قد أى حسب حسب . وقد قال البخارى ثنا اسحاق بن ابراهيم حدثنا يحيى بن آدم نا اسرائيل عن أبى حفص عن أبى هريرة عن النبى (ص) . قال : إن أول من سيب السوائب وعبد الاصنام ، أبو خزاعة عمرو ابن عامر وإنى رأيته يجر امعاءه فى النار . تفرد به احمد من هذا الوجه . وهذا يقتضى أن عمرو بن لحى هو أبوخزاعة الذى تنسب اليه القبيلة بكمالها كما زعمه بعضهم من أهل النسب فيما حكاه ابن اسحاق وغيره ولو تركنا بمجرد هذا لكان ظاهراً فى ذلك بل كالنص ولكن قد جاء ما يخالفه من بعض الوجوه فقال البخارى وقال أبواليمان : أخبرنا شعيب عن الزهرى . قال سمعت سعيد بن المسيب قال : البحيرة التى يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس ـ والسائبة ـ التى كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها

شىء . قال وقال أبو هريرة . قال النبى (ص.): رأيت عمرو بن عامر الخزاعى يجر قصبه فى النار . كان أول من سيب السوائب . وهكذا رواه البخارى أيضاً ومسلم من حديث صالح بن كيسان عن الزهرى عن سعيد عن أبى هريرة به . ثم قال البخارى ورواه ابن الهاد عن الزهرى قال الحاكم أراد البخارى رواه ابن الهاد عن عبد الوهاب بن بخت عن الزهرى كذا قال .

وقد رواه احمد عن عمرو بن سلمة الخزاعى عن الليث بن سعد عن يزيد بن الهاد عن الزهرى عن سعيد عن أبى هريرة سمعت رسول الله (ص.) يقول : رأيت عمرو بن عامر يجر قصبه فى النار ، وكان أول من سيب السوائب وبحر البحيرة . ولم يذكر بينهما عبد الوهاب بن بخت كما قال الحاكم فالله أعلم .

وقال أحمد أيضا حدثنا عبد الرازق حدثنا معمر عن الزهرى عن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص.) رأيت عمرو بن عامر الخزاعى يجر قصبه فى النار ، وهو أول من سيب السوائب . وهذا منقطع من هذا الوجه . والصحيح الزهرى عن سعيد عنه كما تقدم وقوله فى هذا الحديث والذى قبله الخزاعى يدل على أنه ليس والد القبيلة بل منتسب اليها مع ما وقع فى الرواية من قوله أبو خزاعة تصحيف من الراوى من أخو خزاعة أو أنه كان يكنى بابى خزاعة ولا يكون ذلك من باب الاخبار بأنه أبو خزاعة كلهم والله أعلم

وقال محمد بن اسحاق : حدثنى محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمى أن أبا صالح السمان حدثه انه سمع أبا هريرة يقول سمعت رسول الله (ص.) يقول : لأكثم بن الجون الخزاعى يا أكثم رأيت عمرو بن لحى ابن قمة بن خندف يجر قصبة فى النار فما رأيت رجلا أشبه برجل منك به ولا بك منه . فقال أكثم : عسى أن يضرنى شبهه يارسول الله قال : لا انك مؤمن وهو كافر ، انه كان أول من غير دين اسماعيل فنصب الأوثان وبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامى . ليس فى الكتب من هذا الوجه وقد رواه ابن جرير عن هناد بن عبدة عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى (ص.) بنحوه أو مثله وليس فى الكتب أيضاً . وقال البخارى حدثنى محمد بن أبى يعقوب أبو عبدالله الكرمانى حدثنا حسان بن ابراهيم حدثنا يونس عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله (ص.) رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا ورأيت عمراً يجر قصبه وهو أول من سيب السوائب . تفرد به البخارى . وروى الطبرانى من طريق صالح عن ابن عباس مرفوعا فى ذلك . والمقصود أن عمرو بن لحى لعنه الله كان قد ابتدع لهم أشياء فى الدين غير بها دين الخليل فاتبعه العرب فى ذلك فضلوا بذلك ضلالا بعيدا بيناً فظيعاً شنيعاً وقد انكر الله تعالى عليهم فى كتابه العزيز فى غير ما آية منه فقال تعالى : (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب) الآية . وقال تعالى: (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون) وقد تكلمنا على هذا كله مبسوطاً وبينا اختلاف السلف فى تفسير ذلك فمن أراده فليأخذه

من ثم ولله الحمد والمنة . وقال تعالى : (ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم تالله لتسئلن عما كنتم تفترون) . وقال تعالى : (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون) (وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون) . (وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم . قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم وحرموا مارزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) .

وقال البخارى فى صحيحه .

باب جهل العرب

حدثنا أبو النعمان حدثنا أبو عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة فى سورة الأنعام (قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا مارزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) وقد ذكرنا تفسير هذه الآية وما كانوا ابتدعوه من الشرائع الباطلة الفاسدة التى ظنها كبيرهم عمرو بن لحى قبحه الله مصلحة ورحمة بالدواب والبهائم وهو كاذب مفتر فى ذلك ومع هذا الجهل والضلال اتبعه هؤلاء الجهلة الطغام فيه بل قد تابعوه فيما هو اطم من ذلك واعظم بكثير وهوعبادة الاوثان مع الله عز وجل وبدلوا ما كان الله بعث به ابراهيم خليله من الدين القويم والصراط المستقيم من توحيد عبادة الله وحده لاشريك له وتحريم الشرك وغيروا شعائر الحج ومعالم الدين بغير علم ولا برهان ولا دليل صحيح ولا ضعيف واتبعوا فى ذلك من كان قبلهم من الأمم المشركين وشابهوا قوم نوح وكانوا أول من أشرك بالله وعبد الأصنام ولهذا بعث الله اليهم نوحا وكان أول رسول بعث ينهى عن عبادة الأصنام كما تقدم بيانه فى قصة نوح (وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً وقد أضلوا كثيراً) الآية قال ابن عباس كان هؤلاء قوما صالحين فى قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم فلما طال عليهم الأمد عبدوهم وقد بينا كيفية ما كان من أمرهم فى عبادتهم بما أغنى عن اعادته ههنا .

قال ابن اسحاق وغيره : ثم صارت هذه الأصنام فى العرب بعد تبديلهم دين اسماعيل فكان ود لبنى كلب بن مرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة . وكان منصوباً بدومة الجندل

وكان سواع لبنى هذيل بن الياس بن مدركة بن مضر . وكان منصوبا بمكان يقال له رهاط . وكان يغوث لبنى أنعم من طئ ولأهل جرش من مذحج وكان منصوباً بجرش . وكان يعوق منصوباً بارض همدان من اليمن لبنى خيوان بطن من همدان . وكان نسر منصوباً بارض حمير لقبيلة يقال لهم ذو الكلاع .

قال ابن اسحاق : وكان لخولان بارضهم صنم يقال له عم أنس يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسما بينه وبين الله فيما يزعمون فادخل فى حق عم أنس من حق الله الذى قسموه له تركوه له ومادخل فى حق الله من حق عم أنس ردوه عليه وفيهم أنزل الله (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيباً)

قال : وكان لبنى ملكان بن كنانة بن خزيمة بن مدركة صنم يقال له سعد صخرة بفلاة من أرضهم طويلة فاقبل رجل منهم بابل له مؤبلة ليقفها عليه التماس بركته فيما يزعم فلما رأته الابل وكانت مرعية لا تركب وكان الصنم يهراق عليه الدماء نفرت منه فذهبت فى كل وجه وغضب ربها واخذ حجراً فرماه به ثم قال لا بارك الله فيك نفرت على ابلى ثم خرج فى طلبها فلما اجتمعت له قال :

أتينا الى سعدٍ ليجمعَ شملنا فشتّتنا سعدٌ فلا نحنُ من سعد
وهل سعدُ الا صخرةٌ بتنوفةٍ من الأرض لا يدعو لغيٍّ ولا رُشْد

قال ابن اسحاق : وكان فى دوس صنم لعمرو بن حممة الدوسى . قال وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر فى جوف الكعبة يقال له هبل وقد تقدم فيما ذكره ابن هشام انه أول صنم نصبه عمرو بن لحى لعنه الله .

قال ابن اسحاق : واتخذوا إسافا ونائلة على موضع زمزم ينحرون عندهما ثم ذكر أنهما كانا رجلا وامرأة فوقع عليها فى الكعبة فمسخهما الله حجرين . ثم قال : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عمرة أنها قالت سمعت عائشة تقول : ما زلنا نسمع أن اسافاً ونائلة كانا رجلا وامرأة من جرهم أحدثا فى الكعبة فمسخهما الله عز وجل حجرين والله أعلم . وقد قيل إن الله لم يمهلهما حتى فجرا فيها بل مسخهما قبل ذلك فعند ذلك نصبا عند الصفا والمروة فلما كان عمرو بن لحى نقلهما فوضعهما على زمزم وطاف الناس بهما وفى ذلك يقول أبو طالب :

وحيث يُنيخُ الأشعرونَ ركابَهم بمفضي السيولِ من أسافٍ ونائل

وقد ذكر الواقدى : أن رسول الله (ص) لما أمر بكسر نائلة يوم الفتح خرجت منها سوداء شمطاء تخمش وجهها وتدعو بالويل والثبور . وقد ذكر السهيلى : أن أجا وسلمى وهما جبلان بارض الحجاز انما سميا باسم رجل اسمه أجا ابن عبد الحى فجر بسلمى بنت حام فصلبا فى هذين الجبلين فعرفا بهما قال : وكان بين أجا وسلمى صنم لطى يقال له قلس .

قال ابن اسحاق : واتخذ أهل كل دار فى دارهم صنما يعبدونه فاذا أراد الرجل منهم سفراً تمسح به

حين يركب فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه الى سفره . واذا قدم من سفره تمسح به فكان ذلك أول ما يبدأ به قبل ان يدخل على أهله . قال فلما بعث الله محمداً (ص) بالتوحيد قالت قريش (أَجَعَلَ الآلهة إلها واحداً ان هذا لشئ عجاب) .

قال ابن اسحاق : وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة لها سدنة وحجاب ، وتهدى لها كما تهدى للكعبة وتطوف بها كطوافها بها وتنحر عندها . وهي مع ذلك تعرف فضل الكعبة عليها لأنها بناء ابراهيم الخليل عليه السلام ومسجده . وكانت لقريش وبنى كنانة العزى بنخلة وكانت سدنتها وحجابها بنو شيبان من سليم حلفاء بنى هاشم وقد خربها خالد بن الوليد زمن الفتح كما سيأتى . قال : وكانت اللات لثقيف بالطائف وكانت سدنتها وحجابها بنى معتب من ثقيف وخربها أبو سفيان والمغيرة بن شعبة بعد مجئ أهل الطائف كما سيأتى . قال : وكانت مناة للاوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل المدينة على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد وقد خربها أبو سفيان أيضا وقيل على بن أبى طالب كما سيأتى . قال : وكان ذو الخلصة لدوس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة وكان يقال له الكعبة اليمانية ، ولبيت مكة الكعبة الشامية وقد خربه جرير بن عبد الله البجلى كما سيأتى قال . وكان قلس لطى ومن يليها بجبلى طى بين اجا وسلمى ، وهما جبلان مشهوران كما تقدم . قال : وكان رآم بيتا لحمير وأهل اليمن كما تقدم ذكره فى قصة تبع أحد ملوك حمير وقصة الحبرين حين خرباه وقتلا منه كلباً أسود . قال : وكانت رضاء بيتاً لبنى ربيعة بن كعب بن سعد ابن زيد مناة بن تميم ولها يقول المستوغر واسمه كعب بن ربيعة بن كعب :

ولقد شددت على رضاءٍ شَدةً ... فتركتُها قفراً بقاعٍ اسحما

واعان عبد الله فى مكروهها ... وبمثلِ عبد الله أغشى المحرما

ويقال إن المستوغر هذا عاش ثلاثمائة سنة وثلاثين سنة وكان أطول مضر كلها عمراً وهو الذى يقول:

ولقد سئمت من الحياة وطولها ... وعمرتُ من عدد السنين مئينا

مائة حدتْها بعدها مائتان لي ... وازددتُ من عدد الشهور سنينا

هل ما بقي الا كما قد فاتنا ... يومٌ يمرّ وليلة تحدونا

قال ابن هشام : ويروى هذه الأبيات لزهير بن جناب بن هبل . قال السهيلى : ومن المعمرين الذين جازوا المائتين والثلاثمائة زهير هذا وعبيد بن شرية ودغفل بن حنظلة النسابة والربيع بن ضبع الفزارى وذو الأصبع العدوانى ونصر بن دهمان بن أشجع بن ريث بن غطفان ، وكان قد اسود شعره بعد ابيضاضه وتقوم ظهره بعد اعوجاجه . قال : وكان ذ الكعبات لبكر وتغلب بن وائل وأياد بسنداد وله يقول أعشى بن قيس بن ثعلبة :

بينَ الخورنقِ والسديرِ وبارقٍ ... والبيتِ ذي الشرُفاتِ من سنداد

وأول هذه القصيدة :

ولقد علمتُ وأنّ تطاولَ بي المدى ... أنّ السبيلَ سبيلُ ذي الأعوادِ
ماذا أؤمّل بعد آل محرّق ... تركوا منازلهم وبعد إياد
نزلوا بأنقرةٍ يسيل عليهمُ ... ماءُ الفرات يجيء من أطواد
أرض الخورنقِ والسديرِ وبارق ... والبيتِ ذي الكعبات من سنداد
جرَت الرياحُ على محلّ ديارهم ... فكأنّما كانوا على ميعاد
وأرى النعيمَ وكلما يُلهى به ... يوماً يصيرُ الى بِلى ونَفاد

قال السهيلي : الخورنق قصر بناه النعمان الاكبر لسابور ليكون ولده فيه عنده ، وبناه رجل يقال له سنمار فى عشرين سنة ولم يُر بناء أعجب منه فخشى النعمان أن يبنى لغيره مثله فألقاه من أعلاه فقتله ففى ذلك يقول الشاعر :

جزاني جزاه الله شرَّ جزائه ... جزاءَ سِنمّارٍ وما كانَ ذا ذنْب
سوى رصّفهِ البنيانَ عشرين حجّةً ... يعدّ عليه بالقرامِيد والسكب
فلما انتهى البنيانُ يوماً تمامه ... وآضَ كمِثل الطود والباذخ الصعْب
رمى بسنّارٍ على حُقّ رأسه ... وذاك لعمرُ الله مِن أقبح الخطب

قال السهيلي : أنشده الجاحظ فى كتاب الحيوان والسنمار من أسماء القمر والمقصود أن هذه البيوت كلها هدمت . لما جاء الاسلام جهز رسول الله (ص) إلى كل بيت من هذه سرايا تخربه وإلى تلك الأصنام من كسرها حتى لم يبق للكعبة ما يضاهيها وعبد الله وحده لا شريك له كما سيأتى بيانه وتفصيله فى مواضعه إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

خبر عدنان جد عرب الحجاز

لا خلاف أن عدنان من سلالة اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام واختلفوا فى عدة الآباء بينه وبين اسماعيل على أقوال كثيرة فاكثر ما قيل أربعون أبا وهو الموجود عند أهل الكتاب أخذوه من كتاب رخيا كاتب أرميا بن حلقيا على ما سنذكره وقيل بينهما ثلاثون وقيل عشرون وقيل خمسة عشر وقيل عشرة وقيل تسعة وقيل سبعة وقيل إن أقل ما قيل فى ذلك أربعة لما رواه موسى بن يعقوب عن عبد الله بن وهب بن زمعة الزمعى عن عمته عن أم سلمة عن النبى (ص) أنه قال معد بن عدنان

ابن أدد بن زند بن اليرى بن اعراق الثرى. قالت: أم سلمة فزند هو الهميسع واليرى هو نابت واعراق الثرى هو اسماعيل لأنه ابن ابراهيم وابراهيم لم تأكله النار كما أن النار لا تأكل الثرى قال الدارقطنى لا نعرف زنداً الا فى هذا الحديث وزند بن الجون وهو أبو دلامة الشاعر

قال الحافظ أبو القاسم السهيلى وغيره من الأئمة : مدة ما بين عدنان إلى زمن اسماعيل أكثر من أن يكون بينهما أربعة أباء أو عشرة أو عشرون وذلك أن معد بن عدنان كان عمره زمن بخت نصر ثنتى عشرة سنة . وقد ذكر أبو جعفر الطبرى وغيره أن الله تعالى أوحى فى ذلك الزمان إلى أرمياء بن حلقيا أن اذهب إلى بخت نصر فأعلمه أنى قد سلطته على العرب وأمر الله أرميا أن يحمل معه معد بن عدنان على البراق كى لا تصيبه النقمة فيهم فانى مستخرج من صلبه نبياً كريماً أختم به الرسل ففعل أرميا ذلك واحتمل معدا على البراق إلى أرض الشام فنشأ مع بنى اسرائيل ممن بقى منهم بعد خراب بيت المقدس وتزوج هناك امرأة اسمها معانة بنت جوشن من بنى دب بن جرهم قبل أن يرجع إلى بلاده ثم عاد بعد أن هدأت الفتن وتمحضت جزيرة العرب وكان رخيا كاتب أرمياء قد كتب نسبه فى كتاب عنده ليكون فى خزانة أرمياء فيحفظ نسب معد كذلك والله أعلم . ولهذا كره مالك رحمه الله رفع النسب إلى ما بعد عدنان .

قال السهيلى : وإنما تكلمنا فى رفع هذه الانساب على مذهب من يرى ذلك ولم يكرهه كابن اسحاق والبخارى والزبير بن بكار والطبرى وغيرهم من العلماء ، وأما مالك رحمه الله فقد سئل عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم فكره ذلك ، وقال له من أين له علم ذلك فقيل له فلى اسماعيل فانكر ذلك أيضاً وقال ومن يخبره به وكره أيضا أن يرفع فى نسب الأنبياء مثل أن يقال ابراهيم بن فلان بن فلان هكذا ذكره المعيطى فى كتابه .

قال :وقول مالك هذا نحو مما روى عن عروة بن الزبير أنه قال ما وجدنا أحداً يعرف ما بين عدنان واسماعيل ، وعن ابن عباس أنه قال بين عدنان واسماعيل ثلاثون أبا لا يعرفون وروى عن ابن عباس أيضا أنه كان إذا بلغ عدنان يقول كذب النسابون مرتين أو ثلاثا والأصح عن ابن مسعود مثله . وقال عمر بن الخطاب انما ننتسب الى عدنان ، وقال أبو عمر بن عبد البر فى كتابه الانباه فى معرفة قبائل الرواه روى ابن لهيعة عن أبى الأسود أنه سمع عروة بن الزبير يقول ما وجدنا أحداً يعرف ما وراء عدنان ولا ما وراء قحطان الا تخرصا، وقال أبو لاسود: سمعت أبا بكر بن سليمان بن أبى خيثمة وكان من أعلم قريش بأشعارهم وانسابهم يقول ما وجدنا أحداً يعرف ما وراء معد بن عدنان فى شعر شاعر ولا علم عالم

قال أبو عمر: وكان قوم من السلف منهم عبد الله بن مسعود وعمرو بن ميمون الأزدى ومحمد بن كعب القرظى إذا تلوا (والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله) قالوا كذب النسابون .

قال أبو عمر رحمه الله : والمعنى عندنا فى هـذا غير ما ذهبوا والمراد أن من ادعى احصاء بنى آدم فانهم لا يعلمهم الا الله الذى خلقهم وأما انساب العرب فان أهل العلم بأيامها وانسابها قد وعوا وحفظوا جماهيرها وأمهات قبائلها واختلفوا فى بعض فروع ذلك .

قال أبو عمر : والذى عليه أئمة هـذا الشأن فى نسب عدنان قالوا عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور ابن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيـل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام وهكذا ذكره محمد بن اسحاق بن يسار فى السيرة .

قال ابن هشام : ويقال عـدنان بن أدبنى عدنان بن أد بن أدد ثم ساق أبو عمر بقية النسب إلى آدم كما قدمناه فى قصة الخليل عليه السلام . وأما الانساب إلى عـدنان من سائر قبائل العرب فمحفوظة شهيرة جداً لا يمارى فيها اثنان والنسب النبوى اليه أظهر وأوضح من فلق الصبح وقـد ورد حديث مرفوع بالنص عليه كما سنورده فى موضعه بعـد الكلام على قبائل العرب وذكر انسابها وانتظامها فى سلك النسب الشريف والأصـل المنيف إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله العزيز الحكيم. وماأحسن مانظم النسب النبوى الامام أبو العباس عبدالله بن محمد الناشئ فى قصيدته المشهورة المنسوبة اليه وهى قوله:

مدحتُ رسـولَ الله أبغي بمدحه	وُفورَ حظوظى من كريمِ المآربِ
مدحتُ امرءاً فاقَ(١) المديحَ موحّداً	بأوصافه عن مُبعِدٍ ومقاربِ
نبيّاً تسامى فى المشارقِ نورُه	فلاحتْ هواديه لأهل المغاربِ
أتتنا به الأنباءُ قبلَ مجيئه	وشاعتْ به الأخبارُ فى كلّ جانبِ
وأصبحتِ الكهّانُ تهتفُ باسمه	وتنفي به رجمَ الظنونِ الكواذبِ
وأُنطِقت الأصنامُ نطقاً تبرّأت	الى الله فيه من مقالِ الأكاذبِ
وقالت لأهـل الكفر قولاً مبيّناً	أتاكم نبيٌّ من لؤيّ بن غالبِ
ورامَ استراقَ السمع جنٌّ فزيّلتْ	مقاعدَهم منها رجومُ الـكواكبِ
هدانا الى مالم نكنْ نهتدي له	لطولِ العمى من واضحاتِ المذاهبِ
وجاء بآياتٍ تبيّن أنها	دلائلُ جبّارٍ مثيبٍ معاقبِ
فمنها انشقاقُ البدرِ حين تعمّمت	شعوبُ الضيامنه رؤسَ الاخاشبِ
ومنها نبوع الماءِ بينَ بَنانه	وقد عدِمَ الورّادُ قربَ المشاربِ
فروى به جمّاً غفيراً وأسهلت	باعناقهِ طوعاً أكفُّ المذانبِ

(١) فى نسخة الانباه المطبوعة : فات

وبئرٍ طفتْ بالماء من مسّ سهمه ... ومن قبلُ لم تسمح بمذقة شارب
وضرعٍ مراهُ فاستدرّ ولم يكنْ ... به دِرّة تُصغي الى كفّ حالب
ونُطقٍ فصيحٍ من ذِراع مبينةٍ ... لكيدِ عدوٍّ للعداوة ناصب
وإخبارِه بالأمر من قبلِ كونه ... وعندَ بواديه بما في العواقب
ومن تلكم الآياتِ وَحيٌ أتى به ... قريب المآتي مستجمّ العجائب
تقاصرتِ الافكارُ عنه فلم يطعْ ... بليغاً ولم يخطر على قلب خاطب
حوى كلّ علمٍ واحتوى كلّ حكمةٍ ... وفاتَ مرامَ المستمرّ الموارب
أتانا به لا عن رويّة مرتئٍ ... ولا صُحُف مُستمْلٍ ولا وصفِ كاتب
يواتيه طوراً في إجابة سائلٍ ... وافتاءِ مستفْتٍ ووعظ مخاطب
واتيان برهانٍ وفرضِ شرائعٍ ... وقصّ أحاديثٍ ونصّ مآرب
وتصريفِ أمثالٍ وتثبيتِ حجّة ... وتعريفِ ذي جَحدٍ وتوقيف كاذب
وفي مَجمع النادي وفي حومةِ الوغى ... وعندَ حدوثِ المعضلات الغرائب
فيأتي على ماشئتَ من طُرقاته ... قويمَ المعاني مستدرَّ الضرائب
يصدّق منه البعضُ بعضاً كأنما ... يلاحَظ معناه بعين المراقب
وعجْزُ الورى عن ان يجيئوا بمثلِ ما ... وصفناهُ معلومٌ بطول التجارب
تأتّى بعبدِ الله أكرم والدٍ ... تبلّجَ منْه عن كريمِ المناسب
وشيبةَ ذي الحمدِ الذي فخرتْ به ... قريشُ على أهلِ العلى والمناصب
ومن كان يُستسقى الغمامُ بوجهه ... ويُصدَرُ عن آرائه في النوائب
وهاشمٍ الباني مُشيْد افتخارِه ... بغرّ المساعي وامتنانِ المواهب
وعبدِ مناف وهو علّم قومَه اشـ ... ـتطاط الأماني واحتكامَ الرغائب
وإنّ قصياً من كريمِ غرابسه ... لفي منهلٍ لم يَدنُ من كف قاضب
به جَمع الله القبائلَ بعدما ... تقسّمها نهبُ الاكفّ السوالب
وحلّ كلابٌ من ذرى المجدِ معقلاً ... تقاصَرَ عنه كل دانٍ وغائب
ومرة لم يحلل مريرةَ عزمه ... سِفاهُ سفيهٍ أو مَحُوبةُ حائب
وكعب علا عن طالبِ المجدِ كعبُه ... فنال بأدنى السعي أعلا المراتب
وألوى لؤيٌّ بالعُداة فطُوّعت ... له هممُ الشمّ الانوفِ الأغالب
وفي غالبٍ بأسٌ أبَى البأس دونهم ... يدافع عنهم كلّ قرنٍ مغالب

وكانت لفهرٍ فى قريشَ خَطابة ... يعوذُ بها عندَ اشتجارِ المُخاطب
ومازالَ منهم مالكٌ خيرَ مالكٍ ... وأكرمَ مصحوبٍ وأكرمَ صاحب
وللنضر طولٌ يقصُرُ الطَّرفُ دونَه ... بحيثُ التقى ضوءُ النجومِ الثواقب
لعمري لقد أبدى كنانةُ قبله ... محاسنَ تأبى إن تَطوعَ لغالب
ومن قبله أبقى خُزَيمَةُ حَمْدَه ... تليدَ تُراثٍ عن حَميدِ الأقارب
ومدركةٌ لم يدركِ الناسُ مثلَه ... أعفَّ وأعلى عن دنيِّ المكاسب
وإلياسُ كان اليأس منه مُقارِناً ... لأعدائه قبل اعتدادِ الكتائب
وفى مُضَرٍ يُستجمع الفخرُ كله ... إذا اعتركت يوماً زحوفُ المقانب
وحلَّ نزارٌ من رياسة أهله ... محلاً تسامى عن عيونِ الرواقب
وكان معدٌّ عدةً لوليّه ... إذا خافَ من كيدِ العدوِّ المحارب
ومازال عدنان إذا عُدَّ فضلُه ... توحّد فيه عن قرينٍ وصاحب
وأدٌّ تأدّى الفضلُ منه بغايةٍ ... وأرثٍ حواهُ عن قُروم اشايب
وفى أُدَدٍ حلمٌ تزيّنَ بالحِجا ... اذا الحلمُ أزهاهُ قطوبُ الحواجب
ومازال يَستعلي هميسعُ بالعلى ... ويتبع آمالَ البعيدِ المراغب
ونبتٍ بنتْهُ دوحةُ العزّ وابتنى ... معاقلَه فى مشمخرِّ الأهاضب
وحيزتْ لقيذارٍ سماحةُ حاتم ... وحكمةُ لقمانٍ وهمّةُ حاجب
همُوا نسلُ اسماعيل صادقِ وعدِه ... فما بعده فى الفخر مسعىً لذاهب
وكان خليلُ الله أكرمَ من عَنَت ... له الارضُ من ماشٍ عليها وراكب
وتارحُ مازالتْ له أريحيّة ... تَبيّنُ منه عن حميد المضارب
وناحورُ نحّار العِدى حُفظت له ... مآثر لمّا يُحصِها عدُّ حاسب
وأشرعُ فى الهيجاء ضَيغمُ غابةٍ ... يقدُّ الطلى بالمرهَفات القواضب
وأرغو نابٌ فى الحروب محكَّمٌ ... ضنينٌ على نفس المشحّ المغالب
وما فالغٌ فى فضله تلو قومه ... ولا عابرٌ من دونهم فى المراتب
وشالخ وارفخشذ وسام سمتْ بهم ... سجايا حمتْهم كلَّ زارٍ وعائب
ومازال نوحٌ عند ذي العرش فاضلاً ... يعدّده فى المصطفَين الاطايب
ولمكٌ أبوهُ كان فى الروع رائعاً ... جريئاً على نفس الكميّ المضارب
ومن قبل لمكٍ لم يزل متوشلخ ... يذود العدى بالذائدات الشوازب

وكانت لادريسَ النبيّ منازلٌ من الله لم تُقرن بهمة راغب
ويارِدُ بحرٌ عند آلِ سراته أبَى الخزايا مستدقّ المآرب
وكانت لمهلاييل فهمٌ فضائلٌ مهذبةٍ من فاحشات المثالب
وقينان من قبلُ اقتنى مجدَ قومه وفادَ بشأوِ الفضل وخدَ الركائب
وكان أنوش ناشَ للمجد نفسَه ونزّهها عن مُرديات المطالب
ومازال شيثٌ بالفضائل فاضلاً شريفاً بريئاً من ذميم المعائب
وكلّهم من نورِ آدم أقبسوا وعن عودِه أجنوا ثمار المناقب
وكان رسول الله أكرمَ منجَبٍ جرى فى ظهور الطيّبين المناجب
مقابلةً آباؤه أمهاتِه مُبرّأة من فاضحات المثالب
عليه سلامُ الله فى كل شارقٍ ألاحَ لنا ضوءاً وفى كلّ غارب

هكذا أورد القصيدة الشيخ أبو عمر بن عبد البر وشيخنا الحافظ أبو الحجاج المزى فى تهذيبه من شعر الاستاذ أبى العباس عبد الله بن محمد الناشى المعروف بابن شرشير أصله من الانبار ورد بغداد ثم ارتحل الى مصر فأقام بها حتى مات سنة ثلاث وتسعين ومائتين وكان متكلما معتزلياً يحكى عنه الشيخ أبو الحسن الأشعرى فى كتابه المقالات فيما يحكى عن المعتزلة وكان شاعراً مطبقاً حتى أن من جملة اقتداره على الشعر كان يعاكس الشعراء فى المعانى فينظم فى مخالفتهم ويبتكر مالا يطيقونه من المعانى البديعة والالفاظ البليغة حتى نسبه بعضهم إلى التهوس والاختلاط وذكر الخطيب البغدادى أن له قصيدة على قافية واحدة قريباً من أربعة آلاف بيت ذكرها الناجم وأرخ وفاته كما ذكرنا

قلت : وهذه القصيدة تدل على فضيلته وبراعته وفصاحته وبلاغته وعلمه وفهمه وحفظه وحسن لفظه واطلاعه واضطلاعه واقتداره على نظم هذا النسب الشريف فى سلك شعره وغوصه على هذه المعانى التى هى جواهر نفيسة من قاموس بحره فرحمه الله وأثابه وأحسن مصيره وإيابه .

أصول أنساب عرب الحجاز إلى عدنان

وذلك لأن عدنان ولد له ولدان معد وعك . قال السهيلى : ولعدنان أيضاً ابن اسمه الحارث وآخر يقال له المذهب . قال وقد ذكر أيضا فى بنيه الضحاك . وقيل إن الضحاك ابن لمعد لا ابن عدنان . قال وقيل إن عدن الذى تعرف به مدينة عدن وكذلك أبين كانا ابنين لعدنان حكاه الطبرى فتزوج عك فى الأشعريين وسكن فى بلادهم من اليمن فصارت لغتهم واحدة فزعم بعض أهل اليمن أنهم منهم فيقولون عك بن عدنان بن عبد الله بن الأزد بن يغوث ويقال عك بن عدنان بن الذيب بن عبد الله

ابن الاسد ويقال الريث بدل الذيب والصحيح ما ذكرنا من أنهم من عدنان . قال عباس بن مرداس

وعكّ بن عدنانَ الذين تلعّبوا　　بغسّانَ حتى طُرِّدوا كلَّ مُطرد

وأما معد فولد له أربعة نزار وقضاعة وقنص وإياد وكان قضاعة بكره وبه كان يكنى وقد قدمنا الخلاف فى قضاعة ولكن هذا هو الصحيح عند ابن اسحاق وغيره والله أعلم .

وأما قنص فيقال انهم هلكوا ولم يبق لهم بقية إلا أن النعمان بن المنذر الذى كان نائبا لكسرى على الحيرة كان من سلالته على قول طائفة من السلف وقيل بل كان من حمير كما تقدم والله أعلم .

وأما نزار فولد له ربيعة ومضر وانمار قال ابن هشام واياد بن نزار كما قال الشاعر :

وفُتوٍ حُسنٌ أوجههم　　من إياد بن نزار بن معدّ

قال واياد ومضر شقيقان أمهما سودة بنت عك بن عدنان وأم ربيعة وانمار شقيقة بنت عك بن عدنان . ويقال جمعة بنت عك بن عدنان : قال ابن اسحاق فاما انمار فهو والد خثعم وبجيلة قبيلة جرير ابن عبدالله البجلى قال وقد تيامنت فلحقت باليمن . قال ابن هشام : وأهل اليمن يقولون انمار بن أراش ابن لحيان بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ قلت والحديث المتقدم فى ذكر سبأ يدل على هذا والله أعلم .

قالوا: وكان مضر أول من حدا وذلك لأنه كان حسن الصوت فسقط يوما عن بعيره فوثبت يده فجعل يقول وايدياه وايدياه فاعنقت الابل لذلك . قال ابن اسحاق : فولد مضر بن نزار رجلين الياس وعيلان وولد لالياس مدركة وطابخة وقمعة وأمهم خندف بنت عمران بن الحاف بن قضاعة قال ابن اسحاق وكان اسم مدركة عامراً واسم طابخة عمراً ولكن اصطاد صيداً فبيناهما يطبخانه إذ نفرت الابل فذهب عامر فى طلبها حتى أدركها وجلس الآخر يطبخ فلما راحا على أبيهما ذكرا له ذلك فقال لعامر أنت مدركة وقال لعمرو أنت طابخة قال وأما قمعة فيزعم نساب مضر ان خزاعة من ولد عمرو ابن لحى بن قمعة بن الياس قلت والاظهر أنه منهم لا والدهم وأنهم من حمير كما تقدم والله أعلم .

قال ابن اسحاق : فولد مدركة خزيمة وهذيل وأمهما امرأة من قضاعة وولد خزيمة كنانة وأسدا وأسدة والهون وزاد أبو جعفر الطبرى [1] فى أبناء كنانة على هؤلاء الأربعة عامراً والحارث والنضير

---

(١) قوله وزاد أبو جعفر الطبرى الخ كذا بالأصول وهى عبارة مختلة لأن التعبير بزاد يقتضى أن هذا المزيد ولد لمدركة وهو يناقض قوله فى أبناء كنانة واليك عبارة أبى جعفر الطبرى اسم نضر قيس وأمه برّة بنت مرّ بن أدّ بن طابخة واخوته لأبيه وأمه نضير ومالك وملكان وعامر والحارث وعمرو وسعد وعوف وغنم ومخرمة وجرول وغزوان وحدال وأخوهم من أبيهم عبد مناة وأمه فكيهة وقيل فكهة وهى الزفراء بنت هنىّ بن بلىّ بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ولعله سقط من الناسخ

وغنما وسعداً وعوفا وجرولا والحدال وغزوان . قال وولد كنانة النضر وملكا وعبد مناة وملكان

قريش نسباً واشتقاقاً وفضلاً وهم بنو النضر بن كنانة

قال ابن اسحاق : وأم النضر برة بنت مر بن أد بن طابخة وسائر بنيه لامرأة أخرى وخالفه ابن هشام فجعل برة بنت مر أم النضر ومالك وملكان . وأم عبد مناة هالة بنت سويد بن الغطريف من من أزد شنوءة . قال ابن هشام : النضر هو قريش فمن كان من ولده فهو قرشي ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي . وقال ويقال فهر بن مالك هو قريش فمن كان من ولده فهو قرشي ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي . وهذان القولان قد حكاهما غير واحد من أئمة النسب كالشيخ أبي عمر بن عبدالبر والزبير بن بكار ومصعب وغير واحد . قال أبو عبيد وابن عبد البر : والذي عليه الأكثرون أنه النضر بن كنانة لحديث الأشعث بن قيس قلت وهو الذي نص عليه هشام بن محمد بن السائب الكلبي وأبو عبيدة معمر بن المثنى وهو جادة مذهب الشافعي رضي الله عنه . ثم اختار أبو عمر أنه فهر بن مالك واحتج بانه ليس أحد اليوم ممن ينتسب إلى قريش إلا وهو يرجع في نسبه إلى فهر بن مالك ثم حكى اختيار هذا القول عن الزبير بن بكار ومصعب الزبيري وعلى بن كيسان قال واليهم المرجع في هذا الشان وقد قال الزبير بن بكار وقد أجمع نساب قريش وغيرهم أن قريشاً إنما تفرقت من فهر بن مالك والذي عليه من أدركت من نساب قريش أن ولد فهر بن مالك قرشي وان من جاوز فهر بن مالك بنسبه فليس من قريش ثم نصر هذا القول نصراً عزيزاً وتحامى له بأنه ونحوه أعلم بانساب قومهم وأحفظ لمآثرهم وقد روى البخاري من حديث كليب بن وائل قال قلت لربيبة النبي (ص) يعني زينب في حديث ذكره أخبريني عن النبي (ص) أكان من مضر قالت فممن كان إلا من مضر من بني النضر بن كنانة .وقال الطبراني ثنا ابراهيم بن نائلة الاصبهاني حدثنا اسماعيل بن عمرو البجلي ثنا الحسن بن صالح عن أبيه عن الجشيش[1] الكندي قال جاء قوم من كندة إلى رسول الله (ص) فقالوا أنت منا وادعوه فقال لا ، نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو أمنا ولا ننتفي من ابينا .

وقال الامام أبو عثمان سعيد بن يحيى بن سعيد ثنا أبي ثنا الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس

ما حكاه ابن هشام في سيرته ونصه قال ابن اسحاق فولد كنانة بن خزيمة أربعة نفر النضر بن كنانة ومالك بن كنانة وعبد مناة بن كنانة وملكان بن كنانة اهـ وبه يظهر قوله وزاد أبو جعفر الخ ولعل قوله فيما بعد وولد كنانة الخ مؤخر من تقديم من الناسخ عن محمود الامام .

(١) كذا أورده هنا وفي أسد الغابة : ان ذلك غلط وإنما هو جفشيش

قال جاء رجل من كندة يقال له الجشيش الى النبي (ص.) فقال يا رسول الله إنا نزعم ان عبد مناف منا فاعرض عنه ثم عاد فقال مثل ذلك ثم أعرض عنه ثم عاد فقال مثل ذلك فقال النبي (ص.) نحن بنو النضر بن كنانة لا نقف أمنا ولا ننتفى من أبينا فقال الاشعث ألا كنت سكت من المرة الاولى فابطل ذلك قولهم على لسان نبيه (ص.) وهذا غريب أيضا من هذا الوجه والكلبي ضعيف والله أعلم .

وقد قال الامام احمد حدثنا بهز وعفان قالا ثنا حماد بن سلمة . قال ثنى عقيل بن أبي طلحة وقال عفان عقيل بن طلحة السلمي عن مسلم بن الهيصم عن الاشعث بن قيس أنه قال أتيت رسول الله (ص.) فى وفد كندة . قال عفان لا يرونى أفضلهم قال فقلت يارسول الله إنا نزعم أنكم منا قال فقال رسول الله (ص.) نحن بنو النضر بن كنانة لا نقف أمنا ولا ننتفى من أبينا . قال فقال الاشعث بن قيس فوالله لا أسمع أحداً نفى قريشاً من النضر بن كنانة إلا جلدته الحد . وهكذا رواه ابن ماجه من طرق عن حماد ابن سلمة به وهذا إسناد جيد قوى وهو فيصل فى هذه المسألة فلا التفات الى قول من خالفه والله أعلم ولله الحمد والمنة . وقد قال جرير بن عطية التميمى يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان :

فما الأمّ التي وَلَدت قريشاً بمُقْرِفَة النّجارِ ولا عقيم
وما قِرْمٌ بأنجبَ من أبيكم ولا خالٌ بأكرمَ من تميم

قال ابن هشام : يعنى أم النضر بن كنانة وهى برة بنت مر أخت تميم بن مر .

وأما اشتقاق قريش فقيل من التقرش وهو التجمع بعد التفرق وذلك فى زمن قصى بن كلاب فانهم كانوا متفرقين فجمعهم بالحرم كما سيأتى بيانه وقد قال حذافة بن غانم العدوى :

أبوكم قُصَيٌّ كان يُدعى مُجمِّعا به جمَعَ اللهُ القبائلَ من فِهْر

وقال بعضهم : كان قصى يقال له قريش قيل من التجمع والتقرش التجمع كما قال أبو خلدة اليشكرى :

اخوةٌ قرّشوا الذنوبَ علينا فى حديثٍ من دهرِنا وقديم

وقيل سميت قريش من التقرش وهو التكسب والتجارة حكاه ابن هشام رحمه الله . وقال الجوهرى القرش الكسب والجمع وقد قرش يقرش قال الفراء وبه سميت قريش وهى قبيلة وأبوهم النضر بن كنانة فكل من كان من ولده فهو قرشى دون ولد كنانة فما فوقه . وقيل من التفتيش قال هشام بن الكلبى كان النضر بن كنانة تسمى قريشاً لأنه كان يقرش عن خلة الناس وحاجتهم فيسدها بماله والتقريش هو التفتيش وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن الحاجة فيرفدونهم بما يبلغهم بلادهم فسموا بذلك من فعلهم وقرشهم قريشاً وقد قال الحارث بن حلزة فى بيان أن التقرش التفتيش :

أيُّها الناطقُ المُقرّش عنّا عندَ عمروٍ فهلْ له إبقاء

حكى ذلك الزبير بن بكار وقيل قريش تصغير قرش وهو دابة فى البحر قال بعض الشعراء :

وقريشٌ هي التي تسكن البحـ ـرَ بها سُمّيت قريشٌ قريشا

قال البيهقي : أخبرنا أبو نصر بن قتادة أنا أبو الحسن على بن عيسى المالينى حدثنا محمد بن الحسن بن الخليل النسوى أن أبا كريب حدثهم حدثنا وكيع بن الجراح عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبى ركانة العامرى أن معاوية قال لابن عباس فلم سميت قريش قريشاً ؟ فقال لدابة تكون فى البحر تكون أعظم دوابه فيقال لها القرش لا تمر بشئ من الغث والسمين إلا أكلته . قال فأنشدنى فى ذلك شيئا فأنشده شعر الجمحى إذ يقول :

وقريشٌ هي التى تسكن البحـ ـر بها سميت قريش قريشا
تأكلُ الغثَّ والسمينَ ولا تتركنَّ لذي الجناحين ريشا
هكذا فى البلادِ حىَّ قريش يأكلون البلادَ أكلا كميشا
ولهم آخرَ الزمانِ نبيٌّ يُكثرُ القتلَ فيهمُ والخموشا

وقيل سموا بقريش بن الحارث بن يخلد بن النضر بن كنانة وكان دليل بنى النضر وصاحب ميرتهم فكانت العرب تقول قد جاءت عير قريش قالوا وابن بدر بن قريش هو الذى حفر البئر المنسوبة اليه التى كانت عندها الوقعة العظمى يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله أعلم .

ويقال فى النسبة إلى قريش قرشى وقريشى قال الجوهرى وهو القياس . قال الشاعر :

لكل قريشيٍّ عليهِ مهابةٌ سريعٌ إلى داعي النَّدا والتكرم

قال فاذا أردت بقريش الحى صرفته وإن أردت القبيلة منعته قال الشاعر فى ترك الصرف :

* وكفى قريشَ المعضلاتِ وسادَها [(١)] *

وقد روى مسلم فى صحيحه من حديث أبى عمر والاوزاعى قال حدثنى شداد أبو عمار حدثنى واثلة ابن الاسقع قال قال رسول الله (ص) : « إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى هاشما من قريش واصطفانى من بنى هاشم » . قال أبو عمر بن عبد البر يقال بنو عبد المطلب فصيلة رسول الله (ص) وبنو هاشم فخذه وبنو عبد مناف بطنه وقريش عمارته وبنو كنانة قبيلته ومضر شعبه صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين .

ثم قال ابن اسحاق : فولد النضر بن كنانة مالكا ومخلداً قال ابن هشام والصلت وأمهم جميعا بنت سعد بن الظرب العدوانى . قال كثير بن عبد الرحمن وهو كُثير عزّة أحد بنى مُلَيح بن عمرو من خزاعة :

---

(١) البيت لعدىّ بن الرقاع يمدح الوليد بن عبد الملك على ما فى اللسان وأوله : غلب المساميح الوليد سماحة عن محمود الامام .

أليس أبي بالصلتِ أم ليس إخوتي ... لكلّ هجانٍ من بني النضر أزهرا
رأيت ثيابَ العصب مختلطَ السَّدى ... بنا وبهمْ والحضرميّ المخصَّرا
فان لم تكونوا من بني النضر فاتركوا ... أراكاً بأذنابِ الفوائجِ أخضرا

قال ابن هشام : وبنو مليح بن عمرو يعزون إلى الصلت بن النضر .

قال ابن اسحاق : فولد مالك بن النضر فهر بن مالك وأمه جندلة بنت الحارث بن مضاض الاصغر وولد فهر غالبا ومحاربا والحارث وأسداً وأمهم ليلى بنت سعد بن هذيل بن مدركة .

قال ابن هشام : وأختهم لأبيهم جندلة بنت فهر . قال ابن اسحاق : فولد غالب بن فهر لؤى بن غالب وتيم بن غالب وهم الذين يقال لهم بنو الأدرم وأمهما سلمى بنت عمرو الخزاعى . قال ابن هشام وقيس بن غالب وأمه سلمى بنت كعب بن عمرو الخزاعى وهى أم لؤى قال ابن اسحاق فولد لؤى بن غالب أربعة نفر كعبا وعامراً وسامة وعوفا . قال ابن هشام ويقال والحارث وهم جشم بن الحارث فى هزان من ربيعة وسعد بن لؤى وهما بنانة فى شيبان بن ثعلبة وبنانة حاضنة لهم وخزيمة بن لؤى وهم عايذة فى شيبان بن ثعلبة .

ثم ذكر ابن اسحاق خبر سامة بن لؤى وأنه خرج الى عمان فكان بها وذلك لشنآن كان بينه وبين أخيه عامر فأخافه عامر فخرج عنه هاربا الى عمان وأنه مات بها غريبا وذلك أنه كان يرعى [(١)] ناقته فعلقت حية بمشفرها فوقعت لشقها ثم نهشت الحية سامةَ حتى قتلته فيقال إنه كتب بأصبعه على الارض :

عينُ فابكي لسامةَ بنِ لؤيّ ... عُلِقَتْ ما بسامة العلّاقه
لا أرى مثلَ سامةَ بن لؤي ... يومَ حلّوا به قتيلاً لناقه
بلّغا عامراً وكعبا رسولاً ... أن نفسي اليهما مشتاقه
إن تكن فى عُمانَ داري فاني ... غالبيٌّ خَرجتُ من غير فاقه
رُبَّ كأسٍ هرقتَ يا ابن لؤي ... حَذَر الموتِ لم تكن مهراقه
رُمتَ دفعَ الحتوف يابن لؤي ... مالمن رامَ ذاك بالحتف طاقه
وخروس السرى تركت رذيّاً ... بعد جِدّ وجِدّةٍ ورشاقه

قال ابن هشام : وبلغني أن بعض ولده أتى رسول الله (ص.) فانتسب الى سامة بن لؤى فقال له رسول الله (ص.) : « آلشاعر فقال له بعض أصحابه كأنك يا رسول الله أردت قوله » ؟

ربَّ كأسٍ هرقتَ يابن لؤي ... حذَرَ الموتِ لم تكنْ مهراقه

---

(١) كذا بالاصول والذى فى ابن اسحاق بينا هو يسير على ناقته إذ وضعت رأسها ترتع فاخذت حية بمشفرها فهصرتها حتى وقعت الناقة

فقال أجل : وذكر السهيلى عن بعضهم أنه لم يعقب . وقال الزبير ولد أسامة بن لؤى غالبا والنبيت والحارث قالوا وكانت له ذرية بالعراق يبغضون عليا ومنهم على بن الجعد كان يشتم أباه لكونه سماه عليا ومن بنى سامة بن لؤى محمد بن عرعرة بن اليزيد شيخ البخارى .

وقال ابن اسحاق : وأما عوف بن لؤى فانه خرج فيما يزعمون فى ركب من قريش حتى اذا كان بارض غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان أبطئ به فانطلق من كان معه من قومه فأتاه ثعلبة بن سعد وهو أخوه فى نسب بنى ذبيان فحبسه وزوجه والتاطه وآخاه فشاع نسبه فى ذبيان وثعلبة فيما يزعمون .

قال ابن اسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير أو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين أن عمر بن الخطاب قال لو كنت مدعيا حيا من العرب أو ملحقهم بنا لادعيت بنى مرة بن عوف إنا لنعرف منهم الأشباه مع ما نعرف من موقع ذلك الرجل حيث وقع يعنى عوف بن لؤى .

قال ابن اسحاق : وحدثنى من لا أتهم أن عمر بن الخطاب قال لرجال منهم من بنى مرة إن شئتم أن ترجعوا الى نسبكم فارجعوا اليه . قال ابن اسحاق : وكان القوم أشرافا فى غطفان هم سادتهم وقادتهم قوم لهم صيت فى غطفان وقيس كلها فاقاموا على نسبهم قالوا وكانوا يقولون اذا ذكر لهم نسبهم ما ننكره وما نجحده وإنه لأحب النسب الينا ثم ذكر أشعارهم فى انتمائهم الى لؤى قال ابن اسحاق : وفيهم كان البسل وهو تحريم ثمانية أشهر لهم من كل سنة من بين العرب وكانت العرب تعرف لهم ذلك ويأمنونهم فيها ويؤمنونهم أيضا قلت : وكانت ربيعة ومضر إنما يحرمون أربعة أشهر من السنة وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم واختلفت ربيعة ومضر فى الرابع وهو رجب فقالت : مضر هو الذى بين جمادى وشعبان وقالت ربيعة هو الذى بين شعبان وشوال وقد ثبت فى الصحيحين عن أبى بكرة أن رسول الله (ص) قال فى خطبة حجة الوداع : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان » فنص على ترجيح قول مضر لا ربيعة وقد قال الله عز وجل « إن عدة الشهور عند الله اثنى عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم » فهذا رد على بنى عوف بن لؤى فى جعلهم الأشهر الحرم ثمانية فزادوا على حكم الله وأدخلوا فيه ما ليس منه وقوله فى الحديث ثلاث متواليات رد على أهل النسيء الذين كانوا يؤخرون تحريم المحرم الى صفر . وقوله فيه ورجب مضر رد على ربيعة . قال ابن اسحاق : فولد كعب بن لؤى ثلاثة ، مرة ، وعديا ، وهصيصا وولد مرة ، ثلاثة أيضا كلاب بن مرة ، وتيم بن مرة ، ويقظة بن مرة من أمهات ثلاث . قال وولد كلاب رجلين قصى بن كلاب وزهرة بن كلاب وأمهما فاطمة بنت سعد بن سيل أحد الجدرة من جعثمة الأسد من اليمن حلفاء بنى الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وفى أبيها يقول الشاعر :

ما نرى في الناس شخصاً واحداً ... مَن علمناه كسعد بن سيل

فارساً أضبطَ فيه عسرة ... وإذا ما واقف القِرنَ نزل

فارساً يستدرج الخيلَ كما اسـ ... ـتدرجَ الحر القطاميُّ الحجل

قال السهيلي : سيل اسمه خير بن جمالة وهو أول من طليت (١) له السيوف بالذهب والفضة .

قال ابن اسحاق : وانما سمو الجدرة لأن عامر بن عمرو بن خزيمة بن جشمة تزوج بنت الحارث بن مضاض الجرهمي وكانت جرهم إذ ذاك ولاة البيت فبنى للكعبة جداراً فسمى عامر بذلك الجادر فقيل لولده الجدرة لذلك .

خبر قصيّ بن كلاب وارتجاعه ولاية البيت الى قريش وانتزاعه ذلك من خزاعة

وذلك أنه لما مات أبوه كلاب تزوج أمه ربيعة بن حرام من عذرة وخرج بها وبه الى بلاده ثم قدم قصي مكة وهو شاب فتزوج حبي ابنة رئيس خزاعة حليل بن حبشية (٢) . فاما خزاعة فزعم أن حليلا أوصى الى قصي بولاية البيت لما رأى من كثرة نسله من ابنته وقال أنت أحق بذلك مني . قال

(١) عبارة السهيلي وهو أول من حلى السيوف الخ :

(٢) عبارة ابن اسحاق هكذا : فولدت له عبدالدار وعبد مناف وعبد العزى وعبدا فلما انتشر ولد قصي وكثر ماله وعظم شرفه هلك حليل فرأى قصي أنه أولى بالكعبة وبأمر مكة من خزاعة وبني بكر وان قريشا قرعة اسماعيل بن ابراهيم وصريح ولده فكلم رجالا من قريش وبني كنانة ودعاهم الى اخراج خزاعة وبني بكر من مكة فأجابوه فلما أجابه قومه الى ما دعاهم اليه كتب الى أخيه من أمه رزاح ابن ربيعة يدعوه الى نصرته والقيام معه فخرج رزاح بن ربيعة ومعه أخوته حن بن ربيعة ومحمود بن ربيعة وجلهمة بن ربيعة وهم لغير أمه فاطمة فيمن تبعهم من قضاعة في حاج العرب وهم مجمعون لنصرة قصي وخزاعة تزعم أن حليل بن حبشية أوصى بذلك قصيا وأمره به حين انتشر له من ابنته من الولد ما انتشر وقال أنت أولى بالكعبة وبالقيام عليها وبأمر مكة من خزاعة فعند ذلك طلب قصي ما طلب ولم نسمع ذلك من غيره فالله أعلم أي ذلك كان اه عبارة بن اسحاق وبها يتبين لك ما في عبارة ابن كثير من الخطأ

ابن اسحاق : ولم نسمع ذلك إلا منهم وأما غيرهم فانهم يزعمون أنه استغاث باخوته من أمه وكان رئيسهم رزاح بن ربيعة وأخوته وبنى كنانة وقضاعة ومن حول مكة من قريش وغيرهم فاجلاهم عن البيت واستقل هو بولاية البيت لأن اجازة الحجيج كانت الى صوفة وهم بنو الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر فكان الناس لا يرمون الجمار حتى يرموا ولا ينفرون من منى حتى ينفروا فلم يزل كذلك فيهم حتى إنقرضوا فورثهم ذلك بالقعدد بنو سعد بن زيدمناة بن تميم فكان أولهم صفوان بن الحارث ابن شجنة بن عطارد بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم وكان ذلك فى بيته حتى قام على آخرهم الاسلام وهو كرب بن صفوان . وكانت الاجازة من المزدلفة فى عدوان حتى قام الاسلام على آخرهم وهو أبو سيارة عميلة بن الأعزل وقيل أسمه العاص واسم الأعزل خالد وكان يجيز بالناس على أتان له عوراء مكث يدفع عليها فى الموقف أربعين سنة وهو أول من جعل الدية مائة وأول من كان يقول أشرق ثبير كيما نغير حكاه السهيلى .

وكان عامر بن الظرب العدوانى لا يكون بين العرب نائرة الا تحاكموا اليه فيرضون بما يقضى به فتحاكموا اليه مرة فى ميراث خنثى فبات ليلته ساهرا يتروى ماذا يحكم به فرأته جارية له كانت ترعى عليه غنمه اسمها سخيلة فقالت له مالك لا ابالك الليلة ساهراً ؟ فذكر لها ما هو مفكر فيه وقال لعلها يكون عندها فى ذلك شئ فقالت اتبع القضاء المبال فقال فرجتها والله ياسخيلة وحكم بذلك .

قال السهيلى : وهذا الحكم من باب الاستدلال بالامارات والعلامات وله أصل فى الشرع قال الله تعالى (وجاءوا على قميصه بدم كذب) حيث لا أثر لانياب الذئب فيه وقال تعالى (إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) . وفى الحديث أنظروها فان جاءت به أورق جعدا جماليا فهو للذى رميت به . قال ابن اسحاق : وكان النسئ فى بنى فقيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر . قال ابن اسحاق : وكان أول من نسأ الشهور على العرب القلمس وهو حذيفة بن عبد بن فقيم ابن عدى ثم قام بعده ابنه عباد ثم قلع بن عباد ثم أمية بن قلع ثم عوف بن أمية ثم كان آخرهم أبو ثمامة جنادة بن عوف بن قلع بن عباد بن حذيفة وهو القلمس فعلى أبى ثمامة قام الاسلام وكانت العرب اذا فرغت من حجها اجتمعت اليه فخطبهم فحرم الاشهر الحرم فاذا أراد أن يحل منها شيئا أحل المحرم وجعل مكانه صفرا ليواطئوا عدة ما حرم الله فيقول : (اللهم إنى أحللت أحد الصفرين الصفر الأول وانسأت الآخر للعام المقبل) فتتبعه العرب فى ذلك ففى ذلك يقول عمير بن قيس أحد بنى فراس بن غنم ابن مالك بن كنانة ويعرف عمير بن قيس هذا بجذل الطعان :

لقد علمت معد أن قومى ... كرام الناس أن لهم كراما

فأي الناس فاتونا بوترٍ　　وأي الناس لم نعلك لجاما
ألسنا الناسئينَ على معدّ　　شهورَ الحِلّ نجعلها حراما

وكان قصى فى قومه سيدا رئيسا مطاعا معظما والمقصود أنه جمع قريشا من متفرقات مواضعهم من جزيرة العرب واستعان بمن اطاعه من أحياء العرب على حرب خزاعة واجلائهم عن البيت وتسليمه الى قصى فكان بينهم قتال كثيرة ودماء غزيرة ثم تداعوا الى التحكيم فتحاكموا الى يعمر بن عوف بن كعب ابن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة فحكم بان قصيا أولى بالبيت من خزاعة وان كل دم أصابه قصى من خزاعة وبنى بكر موضوع يشدخه تحت قدميه وأن ما أصابته خزاعة وبنو بكر من قريش وكنانة وقضاعة ففيه الدية مؤداة وأن يخلى بين قصى وبين مكة والكعبة فسمى يعمر يومئذ الشداخ .

قال ابن اسحاق : فولى قصى البيت وأمر مكة وجمع قومه من منازلهم الى مكة وتملك على قومه وأهل مكة فملكوه الا أنه أقر العرب على ما كانوا عليه لانه يرى ذلك دينا فى نفسه لا ينبغى تغييره فأقر آل صفوان وعدوان والنسأة ومرة بن عوف على ما كانوا عليه حتى جاء الاسلام فهدم الله به ذلك كله قال فكان قصى أول بنى كعب أصاب ملكا أطاع له به قومه وكانت اليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء فحاز شرف مكة كله وقطع مكة رباعا بين قومه فانزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة .

قلت : فرجع الحق الى نصابه ، ورد شارد العدل بعد إيابه ، واستقرت بقريش الدار ، وقضت من خزاعة المراد والاوطار ، وتسلمت بيتهم العتيق القديم لكن بما أحدثت خزاعة من عبادة الاوثان ونصبها إياها حول الكعبة ونحرهم لها وتضرعهم عندها واستنصارهم بها وطلبهم الرزق منها وأنزل قصى قبائل قريش أباطح مكة وأنزل طائفة منهم ظواهرها فكان يقال قريش البطاح وقريش الظواهر فكانت لقصى بن كلاب جميع الرئاسة من حجابة البيت وسدانته واللواء وبنى داراً لازاحة الظلمات وفصل الخصومات سماها دار الندوة اذا أعضلت قضية اجتمع الرؤساء من كل قبيلة فاشتوروا فيها وفصلوها ولا يعقد عقد لواء ولا عقد نكاح الا بها ولا تبلغ جارية أن تدرع فتدرع الا بها وكان باب هذه الدار الى المسجد الحرام ثم صارت هذه الدار فيما بعد الى حكيم بن حزام بعد بنى عبد الدار فباعها فى زمن معاويه بمائة ألف درهم فلامه على بيعها معاوية ، وقال بعت شرف قومك بمائة ألف ؟ فقال انما الشرف اليوم بالتقوى والله لقد ابتعتها فى الجاهلية بزق خمر وها أنا قد بعتها بمائة ألف وأشهدكم أن ثمنها صدقة فى سبيل الله فأينا المغبون ذكره الدارقطنى فى أسماء رجال الموطأ وكانت اليه سقاية الحجيج فلا يشربون الا من ماء حياضه وكانت زمزم إذ ذاك مطموسة من زمن جرهم قد تناسوا أمرها من تقادم عهدها ولا يهتدون الى موضعها قال الواقدى : وكان قصى أول من أحدث وقيد النار بالمزدلفة ليهتدى اليها من يأتى من عرفات. والرفادة وهى إطعام الحجيج أيام الموسم الى أن يخرجوا راجعين الى بلادهم .

قال ابن اسحاق : وذلك أن قصيا فرضه عليهم فقال لهم يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل مكة وأهل الحرم وأن الحجاج ضيف الله وزوار بيته وهم أحق بالضيافة فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج حتى يصدروا عنكم ففعلوا فكانوا يخرجون لذلك فى كل عام من أموالهم خرجا فيدفعونه اليه فيصنعه طعاما للناس أيام منى فجرى ذلك من أمره فى الجاهلية حتى قام الاسلام ثم جرى فى الاسلام الى يومك هذا فهو الطعام الذى يصنعه السلطان كل عام بمنى للناس حتى ينقضى الحج .

قلت : ثم انقطع هذا بعد ابن اسحاق ثم أمر باخراج طائفة من بيت المال فيصرف فى حمل زاد وماء لأبناء السبيل القاصدين الى الحج وهذا صنيع حسن من وجوه يطول ذكرها ولكن الواجب أن يكون ذلك من خالص بيت المال من أحل ما فيه والاولى أن يكون من جوالى الذمة لانهم لا يحجون البيت العتيق وقد جاء فى الحديث * من استطاع الحج فلم يحج فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانيا .

وقال قائلهم فى مدح قصى وشرفه فى قومه :

قصيٌّ لعمري كان يدعى مجمّعاً ... به جمع الله القبائلَ من فهر
هموا ملؤا البطحاءَ مجداً وسؤدَداً ... وهم طردوا عنا غُواة بني بكر

قال ابن اسحاق : ولما فرغ قصى من حربه انصرف أخوه رزاح بن ربيعة الى بلاده بمن معه واخوته من أبيه الثلاثة وهم حن ومحمود وجلهمة . قال رزاح فى اجابته قصيا :

ولما أتى من قصيٍّ رسولٌ ... فقال الرسول أجيبوا الخليلا
نهضْنا اليه نقودُ الجيا ... دَ ونطرح عنّا الملولَ الثقيلا
نسير بها الليلَ حتى الصبا ... ح ونكمي النهارَ لئلا نزولا
فهنّ سراعٌ كوِردِ القطا ... يُجبْنَ بنا من قصيٍّ رسولا
جمعنا من السر من أشمذين[1] ... ومن كل حيٍّ جمعنا قبيلا
فيالك حلبة ما ليلة ... تزيد على الالف سيبا رسيلا
فلما مررْنَ على عسجر ... وأسهلنَ من مستناخ سبيلا
وجاوزنَ بالرُّكن من ورقا ... نَ وجاوزن بالعرج حيا حلولا
مررن على الحلي ما ذُقنه ... وعالجنَ من مرّ ليلا طويلا
نُدني من العوذِ أفلاءها ... ارادةَ أن يسترقن الصهيلا
فلما انتهينا الى مكة ... أبحنا الرجالَ قبيلا قبيلا
نعاورهم ثَمَّ حدَّ السيو ... ف وفي كل أوْبٍ خلسنا العقولا

(١) فى السهيلى : الاشمذان جبلان . ويقال اسم قبيلتين .

نخبِّزهم (١) بصِلابِ النسو رخبز القويِّ العزيزِ الذليلا
قتلنا خزاعةَ فى دارها وبكراً قتلنا وجيلاً فجيلا
نفيناهمُ من بلاد المليـ ـكِ كما لايحلّون أرضاً سهولا
فاصبح سبْيُهمُ فى الحديـ ـدِ ومن كل حيٍّ شفَيْنا الغليلا

قال ابن إسحاق : فلما رجع رزاح الى بلاده نشره الله ونشر حنا ، فهما قبيلا عذرة الى اليوم .

قال ابن اسحاق : وقال قصى بن كلاب فى ذلك :

أنا ابن العاصمينَ بنى لؤي بمكة منزلي وبها ربيت
الى البطحاءِ قدْ علمتْ معدّ ومروتُها رضيتُ بها رضيت
فلست لغالبٍ أنْ لم تأثّل بها أولادُ قيذرَ والنبيت
رزاحَ ناصِري وبه أُسامي فلستُ أخافُ ضيماً ماحييت

وقد ذكر الأموى عن الاشرم عن أبى عبيدة عن محمدبن حفص:أن رزاحا انما قدم بعدما نفى قصى خزاعة والله أعلم.

فصل

ثم لما كبر قصى فوض أمر هذه الوظائف التى كانت اليه من رئاسات قريش وشرفها من الرفادة والسقاية والحجابة واللواء والندوة الى ابنه عبد الدار وكان أكبر ولده . وانما خصصه بها كلها لأن بقية أخوته عبد مناف وعبدالشمس وعبدا كانوا قد شرفوا فى زمن أبيهم وبلغوا فى قومهم شرفاً كبيراً فأحب قصى أن يلحق بهم عبدالدار فى السؤدد فخصصه بذلك فكان أخوته لا ينازعونه فى ذلك فلما انقرضوا تشاجر أبناؤهم فى ذلك وقالوا انما خصص قصى عبد الدار بذلك ليلحقه باخوته فنحن نستحق ما كان آباؤنا يستحقونه وقال بنو عبد الدار هذا أمر جعله لنا قصى فنحن أحق به واختلفوا اختلافا كثيراً وانقسمت بطون قريش فرقتين ففرقة بايعت عبدالدار وحالفتهم وفرقة بايعت بنى عبد مناف وحالفوهم على ذلك ووضعوا أيديهم عند الحلف فى جفنة فيها طيب ثم لما قاموا مسحوا أيديهم باركان الكعبة فسموا حلف المطيبين.وكان منهم من قبائل قريش بنو أسد بن عبدالعزى بن قصى وبنو زهرة وبنو تيم وبنو الحارث بن فهر وكان مع بنى عبد الدار بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدى واعتزلت بنو عامر ابن لؤى ومحارب بن فهر الجميع فلم يكونوا مع واحد منهما ثم اصطلحوا واتفقوا على أن تكون الرفادة والسقاية لبنى عبد مناف وان تستقر الحجابة واللواء والندوة فى بنى عبد الدار فانبرم الأمر على ذلك واستمر .

---

(١) قوله نخبزهم . قال السهيلي : أى نسوقهم سوقا شديدا.

وحكى الاموى عن الاشرم عن أبى عبيدة قال :وزعم قوم من خزاعة أن قصيا لما تزوج حبى بنت حليل وثقل حليل عن ولاية البيت جعلها الى ابنته حبى واستناب عنها أبا غبشان سليم بن عمرو بن لؤى ابن ملكان بن قصى بن حارثة بن عمرو بن عامر فاشترى قصى ولاية البيت منه بزق خمر وقعود فكان يقال (أخسر من صفقة أبى غبشان) ولما رأت خزاعة ذلك اشتدوا على قصى فاستنصر أخاه فقدم بمن معه وكان ما كان ثم فوض قصى هذه الجهات التى كانت اليه من السدانة والحجابة واللواء والندوة والرفادة والسقاية الى ابنه عبد الدار كما سيأتى تفصيله وايضاحه واقر الاجازة من مزدلفة فى بنى عدوان واقر النسىء فى فقيم واقر الاجازة وهو النفر فى صوفة كما تقدم بيان ذلك كله مما كان بايديهم قبل ذلك .

قال ابن إسحاق: فولد قصى أربعة نفر وامرأتين عبد مناف وعبدالدار وعبد العزى وعبدا وتخمر وبرة، وأمهم كلهم حبى بنت حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعى وهو آخر من ولى البيت من خزاعة ومن يده أخذ البيت قصى بن كلاب. قال ابن هشام: فولد عبد مناف بن قصى أربعة نفر هاشماً وعبد شمس والمطلب وأمهم عاتكة بنت مرة بن هلال ونوفل بن عبدمناف وأمه واقدة بنت عمرو المازنية. قال ابن هشام :وولد لعبد مناف أيضا أبو عمرو وتماضر وقلابة وحية وريطة وأم الاخثم وأم سفيان.
قال ابن هشام : وولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر وخمس نسوة عبد المطلب واسداً وأبا صيفى ونضلة والشفا وخالدة وضعيفة ورقية وحية فأم عبدالمطلب ورقية سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش ابن عامر بن غنم بن عدى بن النجار من المدينة وذكر أمهات الباقين قال وولد عبد المطلب عشرة نفر وست نسوة وهم العباس وحمزة وعبد الله وأبو طالب واسمه عبدمناف لاعمران والزبير والحارث وكان بكر أبيه وبه كان يكنى وجحل ومنهم من يقول حجل وكان يلقب بالغيداق لكثرة خيره والمقوم وضرار وأبو لهب واسمه عبد العزى وصفية وأم حكيم البيضاء وعاتكة وأميمة وأروى وبرة وذكر أمهاتهم الى أن قال وأم عبدالله وأبى طالب والزبير وجميع النساء الاصفية فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران ابن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان قال فولد عبدالله محمداً رسول الله (ص) سيد ولد آدم وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ثم ذكر أمهاتها فاغرق الى أن قال فهو أشرف ولد آدم حسباً وافضلهم نسباً من قبل أبيه وأمه صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين. وقد تقدم حديث الاوزاعى عن شداد أبى عمار عن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله (ص) إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى هاشماً من قريش واصطفانى من بنى هاشم رواه مسلم وسيأتى بيان مولده الكريم وما ورد فيه من الاخبار والآثار وسنورد عند

سرد النسب الشريف فوائد اخر ليست هاهنا ان شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان .

ذكر جمل من الأحداث في الجاهلية

قد تقدم ماكان من أخذ جرهم ولاية البيت من بنى اسماعيل طمعوا فيهم لأنهم أبناء بناتهم وما كان من توثب خزاعة على جرهم وانتزاعهم ولاية البيت منهم ثم ماكان من رجوع ذلك الى قصى وبنيه واستمرار ذلك فى أيديهم إلى أن بعث الله رسوله (ص) فاقر تلك الوظائف على ماكانت عليه.

ذكر جماعة مشهورين في الجاهلية

خبر خالد بن سنان العبسى الذى كان فى زمن الفترة وقد زعم بعضهم أنه كان نبياً والله أعلم

قال الحافظ أبو القاسم الطبرانى : حدثنا أحمد بن زهير التسترى حدثنا يحيى بن المعلى بن منصور الرازى حدثنا محمد بن الصلت حدثنا قيس بن الربيع عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: قال:جاءت بنت خالد بن سنان إلى النبى (ص) فبسط لها ثوبه وقال بنت نبى ضيعه قومه . وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار عن يحيى بن المعلى بن منصور عن محمد بن الصلت عن قيس عن سالم عن سعيد عن ابن عباس.قال ذكر خالد بن سنان عند رسول الله (ص) فقال ذاك نبى ضيعه قومه . ثم قال ولا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه وكان قيس بن الربيع ثقة فى نفسه إلا أنه كان ردىء الحفظ وكان له ابن يدخل فى أحاديثه ماليس منها والله أعلم .

قال البزار : وقد رواه الثورى عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير مرسلا وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى: حدثنا المعلى بن مهدى الموصلى قال حدثنا أبو عوانة عن أبى يونس عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلا من عبس يقال له خالد بن سنان قال لقومه : إنى أطفئ عنكم نار الحرتين فقال له رجل من قومه [1] والله يا خالد ماقلت لنا قط الاحقا فما شأنك وشأن نار الحرتين تزعم أنك تطفئها فخرج خالد ومعه أناس من [2] قومه فيهم عمارة بن زياد فأتوها فاذا هى تخرج من شق جبل فخط لهم خالد خطة فأجلسهم فيها فقال إن أبطأت عليكم فلا تدعونى باسمى فخرجت كأنها خيل شقر يتبع بعضها بعضا فاستقبلها خالد فجعل يضربها بعصاه وهو يقول: بدا بدا بدا كل هدى زعم ابن راعية المعزى أنى لا أخرج منها وثيابى بيدى حتى دخل معها الشق فأبطأ عليهم فقال لهم عمارة بن زياد والله إن صاحبكم لو كان حياً لقد خرج اليكم بعد قالوا فادعوه باسمه . قال فقالوا إنه قد نهانا أن ندعوه باسمه فدعوه باسمه فخرج وهو آخذ برأسه فقال ألم أنهكم أن تدعونى باسمى فقد و الله قتلتمونى فادفنونى فاذا مرت بكم الحمر فيها حمار أبتر فأنبشونى فانكم تجدونى حياً فدفنوه فمرت بهم الحمر فيها حمار أبتر فقلنا أنبشوه فانه أمرنا

(١) هو عمارة بن زياد كما صرح به الحاكم فى المستدرك اهـ.(٢) عدتهم ثلاثون .

أن ننبشه فقال لهم عمارة لا تنبشوه لا والله لا تحدث مضر أنا نبش موتانا وقد كان قال لهم خالد إن فى عكن امرأته لوحين فان أشكل عليكم أمر فانظروا فيهما فانكم ستجدون ما تسألون عنه قال ولا يمسهما حائض فلما رجعوا إلى امرأته سألوها عنهما فاخرجتهما اليهم وهى حائض فذهب ما كان فيهما من علم .

قال أبو يونس: قال سماك بن حرب سئل عنه النبى (ص.) فقال :ذاك نبى اضاعه قومه قال : أبو يونس : قال سماك بن حرب إن ابن خالد بن سنان أتى النبى (ص.) فقال : مرحباً بابن أخى فهذا السياق موقوف على ابن عباس وليس فيه أنه كان نبيا والمرسلات التى فيها أنه نبى لا يحتج بها هاهنا والأشبه أنه كان رجلا صالحا له أحوال وكرامات فانه إن كان فى زمن الفترة فقد ثبت فى صحيح البخارى عن رسول الله (ص.) أنه قال : إن أولى الناس بعيسى بن مريم أنا لأنه ليس بينى وبينه نبى . وان كان قبلها فلا يمكن أن يكون نبياً لأن الله تعالى قال (لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك) وقد قال غير واحد من العلماء إن الله تعالى لم يبعث بعد اسماعيل نبياً فى العرب إلا محمداً (ص.) خاتم الأنبياء الذى دعا به إبراهيم الخليل بانى الكعبة المكرمة التى جعلها الله قبلة لاهل الارض شرعا وبشرت به الانبياء لقومهم حتى كان آخر من بشر به عيسى بن مريم عليه السلام وبهذا المسلك بعينه يرد ما ذكره السهيلى وغيره من إرسال نبى من العرب يقال له شعيب بن ذى مهذم بن شعيب بن صفوان صاحب مدين وبعث الى العرب أيضا حنظلة بن صفوان فكذبوهما فسلط الله على العرب بخت نصر فنال منهم من القتل والسبى نحو ما نال من بنى إسرائيل وذلك فى زمن معد بن عدنان والظاهر أن هؤلاء كانوا قوما صالحين يدعون إلى الخير والله أعلم . وقد تقدم ذكر عمرو بن لحى بن قمعة بن خندف فى أخبار خزاعة بعد جرهم .

حاتم الطائى أحد أجواد الجاهلية

وهو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرىء القيس بن عدى بن أحزم بن أبى أحزم[1] واسمه هرومة بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طىء أبو سفانة الطائى والدعدى بن حاتم الصحابى كان جواداً ممدحاً فى الجاهلية وكذلك كان ابنه فى الاسلام وكانت لحاتم مآثر وأمور عجيبة واخبار مستغربة فى كرمه يطول ذكرها ولكن لم يكن يقصد بها وجه الله والدار الآخرة وانما كان قصده السمعة والذكر قال الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده حدثنا محمد بن معمر حدثنا عبيد بن واقد القيسى حدثنا أبو نصر هو الناجى عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر قال ذكر حاتم عند النبى (ص.) فقال ذاك أراد أمراً فأدركه (حديث غريب) قال الدارقطنى تفرد به عبيد بن واقد عن أبى نصر الناجى ويقال إن اسمه حماد

قال ابن عساكر :وقد فرق أبو أحمد الحاكم بين أبى نصر الناجى وبين أبى نصر حماد ولم يسم الناجى

(١) كذا بالاصول وبلوغ الارب للآلوسي.

ووقع فى بعض روايات الحافظ ابن عساكر عن أبى نصر شيبة الناجى والله أعلم

وقال الامام أحمد حدثنا يزيد بن اسماعيل حدثنا سفيان عن سماك بن حرب عن مرى بن قطرى عن عدى بن حاتم قال قلت لرسول الله (ص.) : ان أبى كان يصل الرحم ويفعل ويفعل فهل له فى ذلك يعنى من أجر قال ان أباك طلب شيئا فاصابه . وهكذا رواه أبو يعلى عن القواريرى عن غندر عن شعبة عن سماك به. وقال : ان أباك أراد أمراً فادركه يعنى الذكر وهكذا رواه أبو القاسم البغوى عن على بن الجعد عن شعبة به سواء وقد ثبت فى الصحيح فى الثلاثة الذين تسعر بهم جهنم منهم الرجل الذى ينفق ليقال إنه كريم فيكون جزاؤه أن يقال ذلك فى الدنيا وكذا فى العالم والمجاهد وفى الحديث الآخر فى الصحيح أنهم سألوا رسول الله (ص.) عن عبدالله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة فقالوا له كان يقرى الضيف ويعتق ويتصدق فهل ينفعه ذلك فقال انه لم يقل يوماً من الدهر رب اغفرلى خطيئتى يوم الدين هذا وقد كان من الاجواد المشهورين ايضاً المطعمين فى السنين الممحلة والاوقات المرملة. وقال الحافظ أبو بكر البيهقى أنبأنا أبو عبدالله الحافظ حدثنى أبو بكر محمد بن عبدالله بن يوسف العمانى حدثنا أبو سعيد عبيد بن كثير بن عبدالواحد الكوفى حدثنا ضرار بن صرد حدثنا عاصم بن حميد عن أبى حمزة الثمالى عن عبدالرحمن بن جندب عن كميل بن زياد النخعى قال قال على بن أبى طالب: يا سبحان الله ما أزهد كثيراً من الناس فى خير عجباً لرجل يجيئه أخوه المسلم فى حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا فلو كان لايرجو ثوابا ولا يخشى عقابا لكان ينبغى له أن يسارع فى مكارم الاخلاق فانها تدل على سبيل النجاح .فقام اليه رجل وقال: فداك أبى وأمى يا أمير المؤمنين أسمعته من رسول الله (ص.). قال نعم! وماهو خير منه لما أتى بسبايا طىء وقعت جارية حمراء لعساء زلفاء عيطاء شماء الأنف معتدلة القامة والهامة درماء الكعبين خدلجة الساقين لفاء الفخذين خميصة الخصرين ضامرة الكشحين مصقولة المتنين . قال فلما رأيتها أعجبت بها وقلت لأطلبن الى رسول الله (ص.) فيجعلها فى فيئى فلما تكلمت أنسيت جمالها لما رأيت من فصاحتها فقالت يا محمد ان رأيت أن تخلى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب فانى ابنة سيد قومى وان أبى كان يحمى الذمار ويفك العانى ويشبع الجائع ويكسو العارى ويقرى الضيف ويطعم الطعام ويفشى السلام ولم يرد طالب حاجة قط وأنا ابنة حاتم طيىء. فقال النبى (ص.): ياجارية هذه صفة المؤمنين حقاً لوكان أبوك مؤمنا لترحمنا عليه خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق والله تعالى يحب مكارم الاخلاق .فقام أبو بردة بن ينار فقال يارسول الله ، والله يحب مكارم الاخلاق؟ فقال رسول الله (ص.) والذى نفسى بيده لايدخل الجنة أحد إلا بحسن الخلق.

وقال أبو بكر بن أبى الدنيا :حدثنى عمر بن بكر عن أبى عبد الرحمن الطائى ـ هو القاسم بن عدى ـ بن عثمان عن عركى بن حليس الطائى عن أبيه عن جده وكان أخا عدى بن حاتم لامه قال قيل لنوار امرأة

حاتم حدثينا عن حاتم قالت كل أمره كان عجباً اصابتنا سنة حصت كل شيء فاقشعرت لها الارض واغبرت لها السماء وضنت المراضع على أولادها وراحت الابل حدبا حدابير ماتبض بقطرة وحلقت المال وانا لفي ليلة صنّبر بعيدة مابين الطرفين إذ تضاغى الأصبية من الجوع عبدالله وعدى وسفانة فوالله إن وجدنا شيئاً نعللهم به فقام الى أحد الصبيان فحمله وقمت الى الصبية فعللتها فوالله إن سكتا الا بعد هدأة من الليل ثم عدنا الى الصبي الآخر فعللناه حتى سكت وما كاد ثم افترشنا قطيفة لنا شامية ذات خمل فاضجعنا الصبيان عليها ونمت أنا وهو في حجرة والصبيانَ بيننا ثم اقبل عليَّ يعللني لأنام وعرفت مايريد فتناومت فقال مالك أنمت فسكت فقال ماأراها إلا قد نامت ومابي نوم فلما أدلهم الليل وتهورت النجوم وهدأت الأصوات وسكنت الرجل إذ جانب البيت قد رفع فقال من هذا ؟ فولى حتى قلت اذاً قد اسحرنا أو كدنا عاد فقال من هذا ؟ قالت جارتك فلانة يا أبا عدى ماوجدت على أحد معولا غيرك أتيتك من عند اصبية يتعاوون عواء الذئاب من الجوع قال أعجليهم على قالت النوار فوثبت فقلت ماذا صنعت أضطجع والله لقد تضاغى اصيبتك فماوجدت ماتعللهم فكيف بهذه وبولدها فقال أسكتي فوالله لأشبعنك ان شاء الله قالت فاقبلت تحمل اثنين وتمشي جنبتيها أربعة كأنها نعامة حولها رئالها فقام الى فرسه فوجأ بحربته في لبته ثم قدح زنده وأورى ناره ثم جاء بمدية فكشط عن جلده ثم دفع المدية الى المرأة ثم قال دونك ثم قال ابعثي صبيانك فبعثتهم ثم قال سوءة أتأكلون شيئا دون أهل الصرم فجعل يطوف فيهم حتى هبوا واقبلوا عليه والتفع في ثوبه ثم اضطجع ناحية ينظر الينا والله ماذاق مزعة وانه لاحوجهم اليه فاصبحنا وما على الارض منه الا اعظم وحافر .

وقال الدار قطني : حدثني القاضي أبو عبد الله المحاملي حدثنا عبدالله بن أبي سعد وحدثنا عثيم بن ثوابة بن حاتم الطائي عن أبيه عن جده قال قالت امرأة حاتم لحاتم يا أبا سفانة اشتهي ان آكل أنا وانت طعاما وحدنا ليس عليه أحد فامرها فحولت خيمتها من الجماعة على فرسخ وأمر بالطعام فهيىء وهي مرخاة ستورها عليه وعليها فلما قارب نضج الطعام كشف عن رأسه ثم قال :

فلاتطبخي قِدري وسترك دونها ... عليَّ اذنْ ما تطبخين حَرام

ولكنْ بهذاكَ اليفاعِ فأوقدي ... بجزلٍ إذا أوقدتْ لابضرام

قال ثم كشف الستور وقدم الطعام ودعى الناس فاكلوا واكلوا فقالت ما اتممت لي ماقلت فاجابها فاني لاتطاوعني نفسي ونفسي أكرم علي من أن يثنى على هذا وقد سبق لي السخاء ثم أنشأ يقول :

أمارسُ نفسي البخلَ حتى أعزّها ... واتركُ نفسَ الجود ما أستثيرها

ولا تشتكيني جارتي غيرُ أنها ... إذا غاب عنها بعلُها لا أزورها

سيبلغُها خَيري ويرجع بعلُها ... إليها ولم تقصر عليها ستورها

ومن شعر حاتم :

إذا ما بتّ اشربُ فوق ريّ … لسكرٍ فى الشراب فلا رويت

إذا ما بت أختِلُ عرسَ جاري … ليخفينى الظلامُ فلا خفيت

أأفضح جارتي وأخونُ جارى … فلا والله أفعلُ ما حييت

ومن شعره أيضاً:

ماضرّ جاراً لي أجاوره … أن لا يكونَ لبابِهِ سِتر

أُغضي إذا ما جارتى بَرَزَت … حتى يواريَ جارتي الخِدْر

ومن شعر حاتم أيضاً:

وما من شيمتى شتمُ ابن عمي … وما أنا مُخْلِفٌ مَن يرتجينى

وكلمة حاسدٍ من غير جرم … سمعتُ وقلتُ مرّي فانفذينى

وعابوها عليّ فلم تَعِبْنِي … ولم يعرقْ لها يوما جبينى

وذي وجهين يلقاني طليقاً … وليس إذا تغيَّب يأتسينى

ظفرتُ بعيبه فكففْتُ عنه … محافظةً على حَسَبي وديني

ومن شعره :

سلي البائسَ المقرورَ يا أمّ مالكٍ … إذا ما أتاني بين ناري ومجزري

أأبسط وجهي إنه أولُ القِرى … وأبذلُ معروفي له دون مُنْكَرى

وقال أيضاً :

وانك ان أعطيتَ بطنك سُؤلَه … وفرجَك نالا منتهَى الذمّ أجمعا

وقال القاضى أبو الفرج المعافى بن زكرياء الجريرى حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبى حدثنا أبو العباس المبرد أخبرنى الثورى عن أبى عبيدة . قال لما بلغ حاتم طئ قول المتلمس:

قليلُ المالِ تُصلحُه فيبقى … ولا يبقى الكثيرُ على الفَساد

وحِفظُ المال خيرٌ من فَناه … وعسفٍ فى البلادِ بغير زاد

قال ماله قطع الله لسانه حمل الناس على البخل فهلا قال :

فلا الجودُ يُفني المال قبلَ فنائه … ولا البخلُ فى مال الشحيح يزيد

فلا تلتمسْ مالاً بعيش مقتّرٍ … لكلّ غدٍ رزقٌ يعود جديد

ألم ترَ أنّ المالَ غادٍ ورائح … وانّ الذي يُعطيك غيرُ بعيد

قال القاضى أبو الفرج ولقد أحسن فى قوله : وان الذى يعطيك غير بعيد . ولو كان مسلما لرجى

له الخير فى معاده وقد قال الله فى كتابه: (واسألوا الله من فضله). وقال تعالى: (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعانى). وعن الوضاح بن معبد الطائى قال: وفد حاتم الطائى على النعمان ابن المنذر فاكرمه وادناه ثم زوده عند انصرافه جملين ذهبا وورقا غير ماأعطاه من طرائف بلده فرحل، فلما أشرف على أهله تلقته أعاريب طئ. فقالت: ياحاتم أتيت من عند الملك واتينا من عند أهالينا بالفقر فقال: حاتم هلم فخذوا مابين يدى فتوزعوه فوثبوا الى مابين يديه من حباء النعمان فاقتسموه. فخرجت الى حاتم طريفة جاريته فقالت له اتق الله وأبق على نفسك، فمايدع هو لا دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيراً. فانشأ يقول:

قالت طريفةُ ماتَبقى دراهِمُنا ... ومابنا سَرَفٌ فيها ولا خَرَق

إن يفنَ ماعندنا فالله يرزقنا ... ممن سوانا ولسنا نحنُ نرتزق

مايألف الدرهمُ الكاري خِرقَتُنا ... الا يمرّ عليها ثم ينطلق

إنا إذا اجتمعت يوماً دراهمُنا ... ظلّت الى سُبُلِ المعروفِ تستبق

وقال أبو بكر بن عياش: قيل لحاتم هل فى العرب أجود منك. فقال: كل العرب أجود منى ثم انشأ يحدث. قال: نزلت على غلام من العرب يتيم ذات ليلة وكانت له مائة من الغنم فذبح لى شاة منها واتانى بها فلما قرب الى دماغها قلت: ما أطيب هذا الدماغ قال فذهب فلم يزل يأتينى منه حتى قلت قد اكتفيت، فلما أصبحت إذا هو قد ذبح المائة شاة وبقى لاشيء له؟ فقيل فما صنعت به فقال: ومتى أبلغ شكره ولو صنعت به كل شيء. قال: على كل حال فقال أعطيته مائة ناقة من خيار ابلى. وقال محمد بن جعفر الخرائطى فى كتاب مكارم الاخلاق حدثنا العباس بن الفضل الربعى حدثنا إسحاق بن ابراهيم حدثنى حماد الراوية ومشيخة من مشيخة طيء. قالوا: كانت عنترة[1] بنت عفيف بن عمرو بن امرىء القيس أم حاتم طيء لا تمسك شيئا سخاء وجوداً، وكان اخوتها يمنعونها فتأبى وكانت امرأة موسرة فحبسوها فى بيت سنة يطعمونها قوتها لعلها تكف عما تصنع. ثم اخرجوها بعد سنة وقد ظنوا أنها قد تركت ذلك الخلق فدفعوا اليها صرمة من مالها وقالوا استمتعى بها، فأتتها امرأة من هوازن وكانت تغشاها فسألتها فقالت: دونك هذه الصرمة فقد والله مسنى من الجوع ما آليت ان لا أمنع سائلا ثم أنشأت تقول:

لَعَمري لقِدماً عضّني الجوعُ عضة ... فآليتُ ان لا أمنعَ الدهرَ جائعا

فقولا لهذا اللائمي اليومَ أعفِني ... وان أنتَ لم تفعل فعضّ الأصابعا

فماذا عسا كم ان تقولوا الأختكم ... سوى عذلكم أوعذل من كان مانعا

وماذا ترَون اليومَ إلا طبيعةً ... فكيف بتركي ياابنَ امي الطبائعا

(١) كذا فى الاصل. وفى مكارم الاخلاق للخرائطى: غنية بنت عفيف.

وقال الهيثم بن عدى عن ملحان بن عركى بن عدى بن حاتم عن أبيه عن جده . قال : شهدت حاتما يكيد بنفسه فقال لى أى بنى إنى أعهد من نفسى ثلاث خصال والله ماخاتلت جارة لريبة قط ،ولا أوتمنت على أمانة إلا أديتها ، ولا أوتي أحد من قبلى بسوء . وقال أبوبكر الخرائطى : حدثنا على بن حرب حدثنا عبد الرحمن بن يحيى العدوى حدثنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبي مسكين ـ يعنى جعفر بن المحرر بن الوليد ـ عن المحرر مولى أبي هريرة قال : مر نفر من عبد القيس بقبر حاتم طيء فنزلوا قريبا منه فقام اليه بعضهم يقال له أبو الخيبرى فجعل يركض قبره برجله . ويقول : ياأبا جعد أقرنا فقال له بعض أصحابه : ما تخاطب من رمة وقد بليت واجنهم الليل فناموا فقام صاحب القول فزعاً يقول ياقوم عليكم بمطيكم فان حاتما أتانى فى النوم وانشدنى شعراً وقد حفظته يقول :

أبا الخيبريّ وانتَ امرؤ ظلومُ العشيرة شتّامُها
أتيتَ بصحبكَ تبغي القِرى لدى حفرةٍ قد صَدَت هَامُها
أتبغي لي الذنبَ عندَ المبيـ ـتِ وحولَك طيٌّ وانعامها
وإنا لنُشْبِعُ أضيافَنا وتأتي المطيّ فنعتامُها

قال وإذا ناقة صاحب القول تكوس عقيراً فنحروها وقاموا يشتوون ويأكلون. وقالوا والله لقد أضافنا حاتم حيا وميتا . قال : واصبح القوم واردفوا صاحبهم وساروا فاذا رجل ينوه بهم راكبا جملا ويقود آخر . فقال : ايكم أبو الخيبرى قال أنا قال إن حاتما أتانى فى النوم فاخبرنى أنه قرى أصحابك ناقتك وامرنى أن أحملك وهذا بعير فخذه ودفعه اليه .

شيء من أخبار عبد الله بن جدعان

هو عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة سيد بنى تيم وهو ابن عم والد أبى بكر الصديق رضى الله عنه . وكان من الكرماء الاجواد فى الجاهلية المطعمين للمسنتين وكان فى بدء امره فقيراً مملقاً وكان شريرا يكثر من الجنايات حتى أبغضه قومه وعشيرته وأهله وقبيلته وأبغضوه حتى أبوه فخرج ذات يوم فى شعاب مكة حائرا بائرا فرأى شقا فى جبل فظن أن يكون به شيئا يؤذى فقصده لعله يموت فيستريح مما هو فيه فلما اقترب منه اذا ثعبان يخرج اليه ويثب عليه فجعل يحيد عنه ويثب فلا يغنى شيئا فلما دنا منه إذا هو من ذهب وله عينان هما ياقوتتان فكسره وأخذه ودخل الغار فاذا فيه قبور لرجال من ملوك جرهم ومنهم الحارث بن مضاض الذى طالت غيبته فلا يدرى أين ذهب ووجد عند رؤسهم لوحاً من ذهب فيه تاريخ وفاتهم ومدد ولايتهم وإذا عندهم من الجواهر واللآلىء والذهب والفضة شيء كثير فاخذ منه حاجته ثم خرج وعلم باب الغار ثم انصرف الى قومه فاعطاهم حتى أحبوه وسادهم وجعل يطعم الناس وكلما قل مافى يده ذهب الى ذلك الغار فاخذ حاجته ثم رجع فممن ذكر هذا

عبد الملك بن هشام فى كتاب التيجان وذكره أحمد بن عمار فى كتاب رى العاطش وانس الواحش وكانت له جفنة يأكل منها الراكب على بعيره ووقع فيها صغير فغرق وذكر ابن قتيبة وغيره أن رسول الله (ص.) قال لقد كنت استظل بظل جفنة عبدالله بن جدعان صكة عُمَىٍّ أى وقت الظهيرة . وفى حديث مقتل أبى جهل أن رسول الله (ص.) قال لاصحابه تطلبوه بين القتلى وتعرفوه بشجة فى ركبته فانى تزاحمت أنا وهو على مأدبة لابن جدعان فدفعته فسقط على ركبته فانهشمت فأثرها باق فى ركبته فوجدوه كذلك . وذكروا أنه كان يطعم التمر والسويق ويسقى اللبن حتى سمع قول أمية بن أبى الصلت :

ولقد رأيتُ الفاعلين وفعلَهم   فرأيتُ أكرمَهم بني الديّان
البرَّ يلبكُ بالشهادِ طعامهم   لا ما يعللنا بنو جدعان

فارسل ابن جدعان الى الشام الفى بعير تحمل البر والشهد والسمن وجعل مناديا ينادى كل ليلة على ظهر الكعبة أن هلموا الى جفنة ابن جدعان . فقال امية فى ذلك :

له داعٍ بمكةَ مشمعلٌ   وآخرُ فوق كعبتها ينادي
الى ردحٍ من الشيزى مِلاءٍ   لباب البر يلبك بالشهاد

ومع هذا كله فقد ثبت فى الصحيح لمسلم أن عائشة قالت: يارسول الله ان ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقرى الضيف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة .فقال: لا إنه لم يقل يوما رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين .

امرؤ القيس بن حجر الكندي صاحب احدى المعلّقات

وهى أفخرهن واشهرهن التى أولها :

* قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزل *

قال الامام أحمد: حدثنا هشام حدثنا أبو الجهم عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص.) : أمرؤ القيس صاحب لواء الشعراء الى النار وقد روى هذا الحديث عن هشام جماعة كثيرون منهم بشر بن الحكم ، والحسن بن عرفة، وعبدالله بن هارون أمير المؤمنين المأمون أخو الامين ويحيى بن معين، واخرجه ابن عدى من طريق عبدالرزاق عن الزهرى به وهذا منقطع وردىء من وجه آخر عن أبى هريرة ولا يصح من غير هذا الوجه

وقال الحافظ ابن عساكر : هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن يعرب بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة . أبو يزيد ويقال أبو وهب

ويقال أبو الحارث الكندى . كان باعمال دمشق وقد ذكر مواضع منها فى شعره فمن ذلك قوله :

قِفَانبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ بسِقْطِ اللِّوى بينَ الدَّخول فحَوْمَلِ

فتوضحَ فالمقراةَ لم يعفُ رسمُـها لمانسجَتْها من جَنوبٍ وشَمْـأل

قال وهذه مواضع معروفة بحوران .ثم روى من طريق هشام بن محمد بن السائب الكلبى حدثنى فروة بن سعيد بن عفيف بن معدى كرب عن أبيه عن جده. قال: بينا نحن عند رسول الله (ص.) إذ أقبل وفد من اليمن فقالوا يارسول الله لقد أحيانا الله ببيتين من شعر امرىء القيس .قال : وكيف ذاك؟ قالوا أقبلنا نريدك حتى إذا كنا ببعض الطريق اخطأنا الطريق فمكثنا ثلاثا لا نقدر على الماء فتفرقنا الى أصول طلح وسمر ليموت كل رجل منا فى ظل شجرة فبينا نحن بآخر رمق إذا راكب يوضع على بعير فلما رآه بعضنا قال والراكب يسمع :

ولما رأتْ أنَّ الشريعـةَ همَّها وان البياضَ منْ فرائصِها دامي

تيَمَّمَتِ العينَ التي عنـد ضارجٍ يفيءُ عليها الظلُّ عرْمَضُها طامي

فقال الراكب: ومن يقول هذا الشعر وقد رأى مابنا من الجهد؟ قال قلنا امرؤ القيس بن حجر قال والله ما كذب هذا ضارج عندكم فنظرنا فاذا بيننا وبين الماء نحو من خمسين ذراعا فحبونا اليه على الركب فاذا هو كما قال امرؤ القيس عليه العرمض يفىء عليه الظل فقال رسول الله (ص.) : «ذاك رجل مذكور فى الدنيا منسى فى الآخرة ، شريف فى الدنيا خامل فى الآخرة ، بيده لواء الشعراء يقودهم الى النار».

وذكر الكلبى: أن امرأ القيس أقبل براياته يريد قتال بنى أسد حين قتلوا أباه فمر بتبالة وبها ذو الخلصة وهو صنم وكانت العرب تستقسم عنده فاستقسم فخرج القدح الناهى ثم الثانية ثم الثالثة كذلك فكسر القداح وضرب بها وجه ذى الخلصة وقال عضضت بابر ابيك لو كان ابوك المقتول لما عوقتنى . ثم اغار على بنى أسد فقتلهم قتلا ذريعا قال ابن الكلبى :فلم يستقسم عند ذى الخلصة حتى جاء الاسلام وذكر بعضهم أنه امتدح قيصر ملك الروم يستنجده فى بعض الحروب ويسترفده فلم يجد مايؤمله عنده فهجاه بعد ذلك فيقال إنه سقاه سما فقتله فالجأه الموت الى جنب قبر امرأة عند جبل يقال له عسيب فكتب هنالك :

أجارتَنا إن المزارَ قريبُ وإنى مقيمٌ ما اقامَ عسيبُ

أجارتَنا إنا غريبان ههنا وكلٌّ غريبٍ للغريب نسيبُ

وذكروا أن المعلقات السبع كانت معلقة بالكعبة ،وذلك أن العرب كانوا اذا عمل أحدهم قصيدة عرضها على قريش فان أجازوها علقوها على الكعبة تعظيما لشأنها فاجتمع من ذلك هـذه المعلقات السبع فالأولى لامرىء القيس بن حجر الكندى كما تقدم واولها:

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

والثانية للنابغة الذبياني : واسمه زياد بن معاوية ويقال زياد بن عمرو بن معاوية بن ضباب بن جابر ابن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض وأولها :

يا دارَ ميّةَ بالعلياءِ فالسّنَدِ أقوتْ وطالَ عليها سالفُ الأبد

والثالثة لزهير بن أبى سُلمى ربيعة بن رياح المزنى وأولها:

أمن أمّ أوفى دمنةٌ لم تَكلّمِ بحَوْمانةِ الدّراج فالمُتَثَلّمِ

والرابعة لطَرَفَةَ بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضُبَيعة بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل وأولها :

لخولةَ أطلالٌ ببُرقةِ ثَهْمدِ تلوحُ كباقي الوشْمِ فى ظاهر اليد

والخامسة لعنترة بن شداد بن معاوية بن قُراد بن مخزوم بن ربيعة بن مالك بن غالب بن قُطَيعةَ ابن عبس العبسى وأولها:

هل غادرَ الشعراءُ من مُتردّمِ أم هل عَرَفتَ الدار بعد توهم

والسادسة لعلقمة بن عبدة بن النعمان بن قيس أحد بنى تميم وأولها:

طحا بكَ قلبٌ فى الحسان طروبُ بُعَيد الشباب عصرَ حانَ مشيب

والسابعة ـ ومنهم من لا يثبتها فى المعلقات وهو قول الاصمعى وغيره ـ وهى للبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر واولها:

عفتِ الديارُ محلُّها فمُقامُها بمنىً تأبد غَوْلُها فرِجامُها

فاما القصيدة التى لا يعرف قائلها فيما ذكره أبو عبيدة والاصمعى والمبرد وغيرهم فهى قوله:

هل بالطلولِ لسائلٍ ردّ أم هل لها بتكلّمٍ عهدُ

وهى مطولة وفيها معانى حسنة كثيرة .

أخبار أُميّة بن أبي الصّلت الثقفي

قال الحافظ ابن عساكر: هو أمية بن أبى الصلت عبدالله بن أبى ربيعة بن عوف بن عقدة بن عزة ابن عوف بن ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن أبو عثمان ويقال أبو الحكم الثقفى شاعر جاهلى قدم

دمشق قبل الاسلام وقيل انه كان مستقيما [1] وانه كان فى أول أمره على الايمان ثم زاغ عنه وانه هو الذى أراده الله تعالى بقوله (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين).

قال الزبير بن بكار: فولدت رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف أمية الشاعر ابن أبى الصلت واسم أبى الصلت ربيعة بن وهب بن علاج بن أبى سلمة بن ثقيف وقال غيره كان أبوه من الشعراء المشهورين بالطائف وكان أمية أشعرهم.

وقال عبد الرزاق قال الثورى: أخبرنى حبيب بن أبى ثابت أن عبد الله بن عمرو قال فى قوله تعالى (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين) هو أمية بن أبى الصلت وكذا رواه أبو بكر بن مردويه عن أبى بكر الشافعى عن معاذ بن المثنى عن مسدد عن أبى عوانة عن عبد الملك بن عمير عن نافع بن عاصم بن مسعود. قال: انى لفى حلقة فيها عبد الله بن عمرو فقرأ رجل من القوم الآية التى فى الاعراف (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها) فقال هل تدرون من هو؟ فقال بعضهم: هو صيفى بن الراهب. وقال آخر: بل هو بلعم رجل من بنى اسرائيل فقال لا! قال فمن؟ قال هو أمية بن أبى الصلت وهكذا قال أبو صالح والكلبى وحكاه قتادة عن بعضهم. وقال الطبرانى: حدثنا على بن عبد العزيز حدثنا عبد الله بن شبيب الربعى حدثنا محمد بن مسلمة بن هشام المخزومى حدثنا اسماعيل ابن الطريح بن اسماعيل الثقفى حدثنى أبى عن أبيه عن مروان بن الحكم عن معاوية بن أبى سفيان عن أبيه. قال: خرجت أنا وأمية بن أبى الصلت الثقفى تجاراً الى الشام فكلما نزلنا منزلا أخذ أمية سفراً له يقرؤه علينا فكنا كذلك حتى نزلنا قرية من قرى النصارى فجاؤه وأكرموه واهدوا له وذهب معهم الى بيوتهم ثم رجع فى وسط النهار فطرح ثوبيه واخذ ثوبين له أسودين فلبسهما وقال لى هل لك يا أبا سفيان فى عالم من علماء النصارى اليه يتناهى علم الكتاب تسأله. قلت: لا إرب لى فيه والله لئن حدثنى بما أحب لا أثق به ولئن حدثنى بما أكره لاجدن منه. قال فذهب وخالفه شيخ من النصارى فدخل على فقال ما يمنعك أن تذهب الى هذا الشيخ قلت لست على دينه قال وإن فانك تسمع منه عجباً وتراه. ثم قال لى أثقفى أنت قلت لا ولكن قرشى؟ قال فما يمنعك من الشيخ فوالله انه ليحبكم ويوصى بكم. قال فخرج من عندنا ومكث أمية عندهم حتى جاءنا بعد هدأة من الليل فطرح ثوبيه ثم انجدل على فراشه فوالله مانام ولاقام حتى أصبح كئيباً حزينا ساقطا غبوقه على صبوحه ما يكلمنا ولا نكلمه. ثم قال: ألا ترحلُ. قلت وهل بك من رحيل؟ قال نعم! فرحلنا فسرنا بذلك ليلتين ثم قال فى الليلة الثالثة الا تحدث يا أبا سفيان قلت وهل بك من حديث والله ما رأيت [2] مثل الذى رجعت به من عند صاحبك قال أما ان ذلك لشئ لست فيه انما ذلك لشئ

---

(١) الذى فى ابن عساكر وقيل انه كان نبيا.

(٢) (لفظ ما رأيت) ليست موجودة فى تاريخ ابن عساكر.

وجلت منه من منقلبي قلت وهل لك من منقلب . قال : أي والله لاموتن ثم لأحيين قال قلت هل أنت قابل أمانتي قال على ماذا قلت على أنك لاتبعث ولا تحاسب قال فضحك ثم قال : بلى ! والله ياأباسفيان لنبعثن ثم لنحاسبن وليدخلن فريق الجنة وفريق النار . قلت: ففي أيهما أنت أخبرك صاحبك قال لا علم لصاحبي بذلك لافيّ ولا في نفسه قال فكنا في ذلك ليلتين يعجب مني وأضحك منه حتى قدمنا غوطة دمشق فبعنا متاعنا واقمنا بها شهرين فارتحلنا حتى نزلنا قرية من قرى النصارى فلما رأوه جاؤه واهدوا له وذهب معهم الى بيعتهم [1] فما جاء الا بعد منتصف النهار فلبس ثوبيه وذهب اليهم حتى جاء بعد هدأة من الليل فطرح ثوبيه ورمى بنفسه على فراشه فوالله ما نام ولاقام واصبح حزينا كئيبا لا يكلمنا ولا نكلمه . ثم قال: الا ترحل قلت بلى ان شئت فرحلنا كذلك من بثه وحزنه ليالي [2] . ثم قال لي : يا أباسفيان هل لك في المسير لنتقدم اصحابنا قلت هل لك فيه قال نعم ! فسرنا حتى برزنا من أصحابنا ساعة ثم قال: هيا صخر . فقلت : ماتشاء ؟ قال حدثني عن عتبة بن ربيعة ايجتنب المظالم والمحارم قلت : إي والله قال : ويصل الرحم ويأمر بصلتها . قلت إي والله ! قال وكريم الطرفين وسط في العشيرة قلت نعم! قال فهل تعلم قرشياً اشرف منه ؟ قلت لا والله لا أعلم قال امحوج هو قلت لا بل هو ذو مال كثير قال وكم أتى عليه من السن فقلت قد زاد على المائة قال فالشرف والسن والمال أزرين به قلت ولم ذاك يزري به لا والله بل يزيده خيراً قال هو ذاك . هل لك في المبيت قلت لي فيه قال فاضطجعنا حتى مر الثقل قال فسرنا حتى نزلنا في المنزل وبتنا به ثم ارتحلنا منه فلما كان الليل قال لي ياأبا سفيان قلت ماتشاء قال هل لك في مثل البارحة قلت هل لك فيه قال : نعم فسرنا على ناقتين بختيتين حتى إذا برزنا قال: هيا صخر، هيه عن عتبة بن ربيعة قال قلت هيها فيه قال ايجتنب المحارم والمظالم ويصل الرحم ويأمر بصلتها قلت إي والله انه ليفعل قال وذو مال قلت وذو مال قال أتعلم قرشياً أسود منه قلت :لا والله ما أعلم قال كم أتى له من السن قلت قد زاد على المائة قال فان السن والشرف والمال أزرين به قلت كلا والله ماازرى به ذلك وانت قائل شيئا فقله . قال لا تذكر حديثي يأتي منه ما هو آت ثم قال فان الذي رأيت أصابني أني جئت هذا العالم فسألته عن أشياء ثم قلت أخبرني عن هذا النبي الذي ينتظر قال هو رجل من العرب قلت قد علمت أنه من العرب فمن أي العرب هو قال من أهل بيت تحجه العرب قلت وفينا بيت تحجه العرب قال هو من اخوانكم من قريش فاصابني والله شيء ماأصابني مثله قط وخرج من يدي فوز الدنيا والآخرة وكنت أرجو ان أكون إياه قلت فاذا كان ما كان فصفه لي قال رجل شاب حين دخل في الكهولة . بدوّ أمره يجتنب المظالم والمحارم ويصل الرحم ويأمر بصلتها وهو محوج كريم الطرفين متوسط في العشيرة أكثر جنده من الملائكة قلت وما آية ذلك قال قد رجفت الشام منذ هلك عيسى بن مريم عليه السلام ثمانين رجفة كلها

---

(١) في ابن عساكر الى بيوتهم (٢) كذا في الاصل : ولعلها : فرحلنا كذلك وهو في بثه الخ .

فيها مصيبة وبقيت رجفة عامة فيها مصائب . قال أبو سفيان :فقلت هذا والله الباطل لئن بعث الله رسولا لا يأخذه إلا مسنا شريفا . قال أمية: والذى حلفت به ان هذا لهكذا يا أبا سفيان تقول إن قول النصرانى حق . هل لك فى المبيت ؟ قلت نعم لى فيه قال فبتنا حتى جاءنا الثقل ثم خرجنا حتى اذا كان بيننا وبين مكة مرحلتان ليلتان [1] أدركنا راكب من خلفنا فسألناه فاذا هو يقول أصابت أهل الشام بعدكم رجفة دمرت أهلها واصابتهم فيها مصائب عظيمة. قال أبو سفيان فاقبل على أمية فقال كيف ترى قول النصرانى يا أباسفيان قلت أرى وأظن والله ان ما حدثك به صاحبك حق قال أبو سفيان فقدمنا مكة فقضيت ماكان معى ثم انطلقت حتى جئت اليمن تاجراً فكنت بها خمسة أشهر ثم قدمت مكة فبينا انا فى منزلى جاءنى الناس يسلمون علىّ ويسألون عن بضائعهم حتى جاءنى محمد بن عبد الله وهند عندى تلاعب صبيانها فسلم علىّ ورحب بى وسألنى عن سفرى ومقامى ولم يسألنى عن بضاعته ثم قام. فقلت: لهند والله ان هذا ليعجبنى ما من احد من قريش له معى بضاعة الا وقد سألنى عنها وماسألنى هذا عن بضاعته .فقالت لى هند : أو ما علمت شأنه فقلت وأنا فزع ما شأنه قالت يزعم أنه رسول الله فوقذتنى وتذكرت قول النصرانى فرجفت حتى قالت لى هند مالك؟ فانتبهت فقلت إن هذا لهو الباطل لهو أعقل من أن يقول هذا قالت بلى والله انه ليقولن ذلك ويدعو اليه وان له لصحابة على دينه قلت هذا هو الباطل قال وخرجت فبينا انا أطوف بالبيت إذ بى قد لقيته فقلت له ان بضاعتك قد بلغت كذا وكذا وكان فيها خير فارسل من يأخذها ولست آخذ منك فيها ما آخذ من قومى فابى على. وقال اذن لا آخذها قلت فارسل فخذها وانا آخذ منك مثل ما آخذ من قومى فارسل الى بضاعته فاخذها واخذت منه ما كنت آخذ من غيره .

قال أبو سفيان :فلم أنشب أن خرجت الى اليمن ثم قدمت الطائف فنزلت على أمية بن أبى الصلت فقال لى يا أباسفيان ماتشاء هل تذكر قول النصرانى فقلت أذكره وقد كان فقال: ومن؟ قلت محمد بن عبد الله قال ابن عبد المطلب قلت ابن عبد المطلب ثم قصصت عليه خبر هند قال فالله يعلم ؟ واخذ يتصبب عرقا . ثم قال : والله يا أبا سفيان لعله . إن صفته لهى ولئن ظهر وأنا حى لاطلبن من الله عز وجل فى نصره عذرا قال: ومضيت الى اليمن فلم أنشب ان جاءنى هنالك استهلاله وأقبلت حتى نزلت على أمية ابن أبى الصلت بالطائف فقلت يا أبا عثمان قد كان من أمر الرجل ماقدبلغك وسمعته فقال قد كان لعمرى قلت فأين أنت منه يا أبا عثمان فقال والله ما كنت لأومن برسول من غير ثقيف ابدا قال أبو سفيان واقبلت الى مكة فوالله ما انا ببعيد حتى جئت مكة فوجدت أصحابه يضربون ويحقرون قال أبو سفيان فجعلت أقول فأين جنده من الملائكة قال فدخلنى مايدخل الناس من النفاسة وقد رواه الحافظ البيهقى فى كتاب الدلائل من حديث اسماعيل بن طريح به ولكن سياق الطبرانى الذى أوردناه اتم واطول والله أعلم .

---

[1] عبارة ابن عساكر وبين المدينة اهـ .

وقال الطبراني: حدثنا بكر بن احمد بن نفيل حدثنا عبدالله بن شبيب حدثنا يعقوب بن محمد الزهري حدثنا مجاشع بن عمرو الاسدي حدثنا ليث بن سعد عن أبي الاسود محمد بن عبد الرحمن عن عروة بن الزبير عن معاوية بن أبي سفيان عن ابي سفيان بن حرب أن أمية بن أبي الصلت كان بغزة أو بايلياء فلما قفلنا قال لي أمية ياأبا سفيان هل لك ان تتقدم على الرفقة فنتحدث قلت نعم اقال ففعلنا فقال لي ياأبا سفيان إيه عن عتبة بن ربيعة قلت: كريم الطرفين ويجتنب المحارم والمظالم قلت نعم قال وشريف مسن قلت وشريف مسن قال السن والشرف ازرياه فقلت له كذبت ما ازداد سنا الا ازداد شرفا قال يا أبا سفيان انها كلمة ما سمعت احداً يقولها لي منذ تبصرت فلا تعجل عليَّ حتى أخبرك قال قلت هات قال اني كنت اجد في كتبي نبيا يبعث من حرتنا هذه فكنت أظن بل كنت لا اشك اني أنا هو فلما دارست اهل العلم اذا هو من بني عبد مناف فنظرت في بني عبد مناف فلم أجد أحدا يصلح لهذا الامر غير عتبة بن ربيعة فلما أخبرتني بسنه عرفت انه ليس به حين جاوز الاربعين ولم يوح اليه قال ابو سفيان فضرب الدهر ضربه فاوحى الى رسول الله (ص) وخرجت في ركب من قريش اريد اليمن في تجارة فمررت بامية فقلت له كالمستهزىء به يا امية قد خرج النبي الذي كنت تنعته قال أما انه حق فاتبعه قلت ما يمنعك من اتباعه قال ما يمنعني إلا الاستحياء من نساء ثقيف إني كنت احدثهن أني هو ثم يرينني تابعا لغلام من بني عبد مناف ثم قال امية كأني بك يا اباسفيان قد خالفته ثم قد ربطت كما يربط الجدي حتى يؤتى بك اليه فيحكم فيك بما يريد.

وقال عبد الرازق: اخبرنا معمر عن الكلبي قال بينا أمية راقد ومعه ابنتان له اذ فزعت احداهما فصاحت عليه فقال لها ما شأنك قالت رأيت نسرين كشطا سقف البيت فنزل احدهما اليك فشق بطنك والآخر واقف على ظهر البيت فناداه فقال أوعى قال نعم قال ازكى قال لا فقال ذاك خير اريد بأبيكما فلم يفعله وقد روى من وجه آخر بسياق آخر فقال اسحاق بن بشر عن محمد بن اسحاق عن الزهري عن سعيد بن المسيب وعثمان بن عبد الرحمن عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال قدمت الفارعة أخت أمية بن أبي الصلت على رسول الله (ص) بعد فتح مكة[1] وكانت ذات لب وعقل وجمال وكان رسول الله (ص) بها معجباً فقال لها ذات يوم يا فارعة هل تحفظين من شعر أخيك شيئا فقالت نعم واعجب من ذلك ماقد رأيت قالت كان أخي في سفر فلما انصرف بدأني فدخل علي فرقد على سريري وأنا أحلق اديما في يدي إذ أقبل طائران أبيضان أو كالطيرين أبيضين فوقع على الكوة احدهما ودخل الآخر فوقع عليه فشق الواقع عليه مابين قصه الى عانته ثم ادخل يده في جوفه فاخرج قلبه فوضعه في كفه ثم شمه فقال له الطائر الآخر أوعى قال وعى قال ازكى قال أبي ثم رد القلب الى مكانه فالتأم الجرح اسرع من طرفة عين ثم ذهبا فلما رأيت ذلك

---

(١) الذي في اسد الغابة والاصابة والاستيعاب بعد فتح الطائف.

دنوت منه فحركته فقلت هل تجد شيئا. قال : لا إلا توهينا فى جسدى ـ وقد كنت ارتعبت مما رأيت ـ فقال مالى أراك مرتاعة . قالت فاخبرته الخبر فقال خير أريد بى ثم صرف عنى ثم انشأ يقول:

باتت همومي تسري طوارقُها ... أكفُّ عيني والدمعُ سابقُها

مما أتاني من اليقين ولم ... أوتَ براةً يقص ناطقها[(1)]

أم مَن تلظّى عليه واقدةُ النـ ... ـار محيطٌ بهم سرادقها

أم أسكن الجنة التي وعد الـ ... أبرار مصفوفة نمارقها

لا يستوي المنزلان ثم ولا الـ ... أعمالُ لا تستوي طرائقُها

هما فريقان فرقةٌ تدخلُ الجـ ... ـنةَ حفّتْ بهم حدائقها

وفرقةٌ منهم قد أدخلت النـ ... ـارَ فساءتهمُ مرافقها

تعاهدتْ هذه القلوبُ اذا ... همت بخيرٍ عاقتْ عوائقُها

وصدّها للشقاءِ عن طلبِ الـ ... ـجنة دنيا أللهُ ماحقُها

عبدٌ دعا نفسَه فعاتبَها ... يعلم أنّ البصير رامقُها

مارغّب النفس فى الحياة وان ... تحيى قليلاً فالموتُ لاحقها

يوشِك من فرّ من منيّته ... يوماً على غرّةٍ يوافقها

ان لم تمتْ غبطةً تمتْ هرماً ... للموتِ كأسٌ والمرء ذائقها

قال ثم انصرف الى رحله فلم يلبث الايسيراً حتى طعن فى حيارته[(1)] فاتانى الخبر فانصرفت اليه فوجدته منعوشا قد سجى عليه فدنوت منه فشهق شهقة وشق بصره ونظر نحو السقف ورفع صوته .وقال :لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما ، لا ذو مال فيفديني ولا ذو أهل فتحميني. ثم اغمى عليه اذ شهق شهقة فقلت قد هلك الرجل . فشق بصره نحو السقف فرفع صوته . فقال : لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما ، لا ذو براءة فاعتذر ، ولا ذو عشيرة فانتصر . ثم أغمى عليه إذ شهق شهقة وشق بصره ونظر نحو السقف . فقال: لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما ، بالنعم محفود وبالذنب محصود ، ثم أغمى عليه اذ شهق شهقة . فقال : لبيكما لبيكما ها أناذا لديكما

إنْ تغفرِ اللهمَّ تغفر جمّا ... وأي عبدٍ لكَ لا ألمّا

ثم أغمى عليه إذ شهق شهقة فقال:

كل عيشٍ وان تطاولَ دهراً ... صائرٌ مرّة[(2)] الى أن يزولا

ليتني كنتُ قبلَ ماقد بدالي ... فى قلالِ الجبالِ أرعى الوعولا

(١ـ١) كذا فى النسختين ولم يظهر لنا المعنى . (٢) فى شعراء النصرانية : منتهى امره الى ان يزولا

قالت :ثم مات. فقال رسول الله (ص): يا فارعة إن مثل أخيك كمثل الذى آتاه الله آياته فانسلخ منها. الآية وقد تكلم الخطابى على غريب هذا الحديث. وروى الحافظ ابن عساكر عن الزهرى انه قال قال أمية ابن أبى الصلت:

أَلا رسولٌ لنا منّا يخبّرنا ... مابعدَ غايتِنا منْ رأسِ مجرانا (١)

قال ثم خرج أمية بن أبى الصلت الى البحرين وتنبأ رسول الله (ص) واقام أمية بالبحرين ثمانى سنين ثم قدم الطائف فقال لهم : ما يقول محمد بن عبد الله قالوا يزعم أنه نبى هو الذى كنت تتمنى . قال : فخرج حتى قدم عليه مكة فلقيه . فقال : يا ابن عبد المطلب ما هذا الذى تقول قال أقول : إنى رسول الله وان لا إله إلا هو . قال : انى أريد أن أكلمك فعدنى غداً قال فموعدك غدا قال فتحب ان آتيك وحدى أو فى جماعة من أصحابى وتأتينى وحدك أو فى جماعة من أصحابك فقال رسول الله (ص) أى ذلك شئت قال فانى آتيك فى جماعة فأت فى جماعة قال فلما كان الغد غدا أمية فى جماعة من قريش قال وغدا رسول الله (ص) معه نفر من أصحابه حتى جلسوا فى ظل الكعبة . قال : فبدأ أمية فخطب ثم سجع ثم أنشد الشعر حتى اذا فرغ الشعر قال أجبنى يا ابن عبد المطلب. فقال رسول الله (ص) : (بسم الله الرحمن الرحيم . يس والقرآن الحكيم) حتى اذا فرغ منها وثب أمية يجر رجليه قال فتبعته قريش يقولون ما تقول يا امية قال اشهد انه على الحق .فقالوا: هل تتبعه قال حتى أنظر فى أمره قال ثم خرج أمية الى الشام وقدم رسول الله (ص) المدينة فلما قتل أهل بدر قدم أمية من الشام حتى نزل بدراً ثم ترحل يريد رسول الله (ص) فقال قائل : يا أبا الصلت ما تريد ؟ قال أريد محمدا قال وما تصنع؟ قال أومن به والقى اليه مقاليد هذا الأمر قال :أتدرى من فى القليب ؟ قال لا قال:فيه عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة، وهما ابنا خالك ـ وأمه ربيعة بنت عبد شمس ـ قال فجدع أذنى ناقته وقطع ذنبها ثم وقف على القليب يقول :

ما ذا ببدرٍ فالعقنـ ... قلِ من مرازبةٍ جَحاجح

القصيدة إلى آخرها كما سيأتى ذكرها بتمامها فى قصة بدر ان شاء الله . ثم رجع الى مكة والطائف وترك الاسلام .ثم ذكر قصة الطيرين وقصة وفاته كما تقدم وانشد شعره عند الوفاة :

كل عيشٍ وان تطاول دهرا ... صائرٌ مرةً الى أن يزولا
ليتني كنتُ قبلَ ماقد بدا لي ... فى قِلالِ الجبالِ أرعى الوعولا
فاجعلِ الموتَ نصْبَ عينيكَ واحذر ... غَوْلةَ الدهرِ انّ للدهرِ غولا
نائلاً ظفرُها القساورَ والصد ... عان والطفلَ فى المنارِ الشكيلا
وبغاثَ النيافِ واليعفرَ النا ... فرَ والعوهجَ البرامَ الضئيلا

---

(١) فى شعراء النصرانية : ألا نبى لنا منا فيخبرنا ... مابعد غايتنا من رأس محيانا

فقوله: القساور جمع قسورة وهو الأسد. والصدعان ثيران الوحش واحدها صدع .والطفل الشكل من حمرة العين ، والبغاث الرخم ، والنياف الجبال ، واليعفر الظبى ، والموهج ولد النعامة . يعنى أن الموت لا ينجو منه الوحوش فى البرارى ولا الرخم الساكنة فى رؤس الجبال ولا يترك صغيرا لصغره ولا كبيرا لكبيره .وقد تكلم الخطابى وغيره على غريب هذه الأحاديث . وقد ذكر السهيلى فى كتابه التعريف والاعلام : أن امية بن أبى الصلت أول من قال باسمك اللهم ،وذكر عند ذلك قصة غريبة وهو أنهم خرجوا فى جماعة من قريش فى سفر فيهم حرب بن أمية والد أبى صفيان قال فمروا فى مسيرهم بحية فقتلوها فلما امسوا جاءتهم امرأة من الجان فعاتبتهم فى قتل تلك الحية ومعها قضيب فضربت به الأرض ضربة نفرت الابل عن آخرها فذهبت وشردت كل مذهب وقاموا فلم يزالوا فى طلبها حتى ردوها فلما اجتمعوا جاءتهم أيضا فضربت الارض بقضيبها فنفرت الابل فذهبوا فى طلبها فلما أعياهم ذلك قالوا والله هل عندك لما نحن فيه من مخرج فقال لا والله ولكن سأنظر فى ذلك قال فساروا فى تلك المحلة لعلهم يجدون احدا يسألونه عما قد حل بهم من العناء اذا نار تلوح على بعد فجاؤها فاذا شيخ على باب خيمة يوقد نارا واذا هو من الجان فى غاية الضآلة والدمامة فسلموا عليه فسألهم عما هم فيه فقال اذا جاءتكم فقل بسمك اللهم فانها تهرب فلما اجتمعوا وجاءتهم الثالثة او الرابعة قال فى وجهها أمية بسمك اللهم فشردت ولم يقر لها قرار لكن عدت الجن على حرب بن أمية فقتلوه بتلك الحية فقبره اصحابه هنالك حيث لاجار ولادار ففى ذلك يقول الجان:

وقبرُ حربٍ بمكانٍ قفرٌ ... وليس قُربَ قبرِ حربٍ قبرُ

وذكر بعضهم: انه كان يتفرس فى بعض الاحيان فى لغات الحيوانات فكان يمر فى السفر على الطير فيقول لاصحابه : إن هذا يقول كذا وكذا فيقولون لا نعلم صدق ما يقول حتى مروا على قطيع غنم قد انقطعت منه شاة ومعها ولدها فالتفتت اليه فثغت كأنها تستحثه . فقال : اتدرون ما تقول له قالوا لا قال انها تقول أسرع بنا لا يجئ الذئب فيأكلك كما أكل الذئب أخاك عام أول فاسرعوا حتى سألوا الراعى هل أكل له الذئب عام أول حملا بتلك البقعة فقال نعم . قال : ومر يوما على بعير عليه امرأة راكبة وهو يرفع رأسه اليها ويرغو . فقال :انه يقول لها انك رحلتينى وفى الحداجة مخيط فانزلوا تلك المرأة وحلوا ذلك الرحل فاذا فيه مخيط كما قال

وذكر ابن السكيت : ان أمية بن أبى الصلت بينما هو يشرب يوما إذ نعب غراب .فقال : له بفيك التراب مرتين. فقيل له مايقول؟ فقال: انه يقول إنك تشرب هذا الكأس الذى فى يدك ثم تموت .ثم نعب الغراب فقال انه يقول وآية ذلك أنى أنزل على هذه المزبلة فآكل منها فيعلق عظم فى حلقى فأموت. ثم نزل الغراب على تلك المزبلة فأكل شيئاً فعلق فى حلقه عظم فمات . فقال : أمية أما هذا فقد صدق فى

نفسه ولكن سأنظر هل صدق فى أم لا ثم شرب ذلك الكأس الذى فى يده ثم اتكأ فمات . وقد ثبت فى الصحيح من حديث ابن مهدى عن الثورى عن عبد الملك بن عمير عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص) : إن أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد * ألا كل شىء ما خلا الله باطل * وكاد أمية بن أبى الصلت أن يسلم

فقال الامام أحمد : حدثنا روح حدثنا زكرياء بن إسحاق حدثنا إبراهيم بن ميسرة انه سمع عمرو بن الشريد يقول قال الشريد كنت ردفا لرسول الله (ص) فقال لى : أمعك من شعر أمية بن أبى الصلت شىء ؟ قلت نعم ! قال فانشدنى فانشدته بيتاً فلم يزل يقول لى كلما أنشدته بيتاً ايه حتى أنشدته مائة بيت قال ثم سكت النبى (ص) وسكت وهكذا رواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة عن أبى تميم بن ميسرة به . ومن غير وجه عن عمرو بن الشريد عن أبيه الشريد بن سويد الثقفى عن النبى (ص) . وفى بعض الروايات فقال رسول الله ان كاد يسلم . وقال يحيى بن محمد بن صاعد حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهرى حدثنا أبو أسامة حدثنا حاتم بن أبى صفرة عن سماك بن حرب عن عمرو بن نافع عن الشريد الهمدانى واخواله ثقيف قال خرجنا مع رسول الله (ص) فى حجة الوداع فبينما أنا أمشى ذات يوم اذا وقع ناقة خلفى فاذا رسول الله (ص) فقال الشريد فقلت نعم : قال الا أحملك قلت بلى وما من إعياء ولكنى اردت البركة فى ركوبى مع رسول الله (ص) فاناخ فحملنى فقال : أمعك من شعر أمية بن أبى الصلت ؟ قلت نعم ! قال هات فانشدته قال أظنه قال مائة بيت فقال عند الله علم أمية بن أبى الصلت ثم قال ابن صاعد هذا حديث غريب فأما الذى يروى أن رسول الله (ص) قال فى أمية آمن شعره وكفر قلبه فلا أعرفه والله أعلم

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الله بن محمد - هو أبو بكر بن أبى شيبة - حدثنا عبدة بن سليمان عن محمد بن اسحاق عن يعقوب بن عتبة عن عكرمة عن ابن عباس : أن رسول الله (ص) صدق أمية فى شىء من شعره قال :

زحلٌ وثورٌ تحتَ رِجل يمينه ... والنَّسر للأخرى وليثٌ مُرصد
والشمس تبدو كلَّ آخرِ ليلةٍ ... حمراءَ يُصبح لونها يتورّد
تأبى فما تَطلُعُ لنا فى رِسلها ... إلا معذَّبة وإلا تجلد

فقال رسول الله (ص) صدق . وفى رواية أبى بكر الهذلى عن عكرمة عن ابن عباس انه قال : إن الشمس لا تطلع حتى ينخسها سبعون ألف ملك يقول لها اطلعى اطلعى فتقول لا أطلع على قوم يعبدونى من دون الله فاذا همت بالطلوع أتاها شيطان يريد أن يثبطها فتطلع بين قرنيه وتحرقه فاذا تضيفت للغروب عزمت لله عز وجل فيأتيها شيطان يريد أن يثبطها عن السجود فتغرب من قرنيه وتحرقه . أورده ابن عساكر مطولا . ومن شعره فى حملة العرش :

فمن حاملٍ احدى قوائم عرشِه ولولا إلهُ الخلقِ كلّوا وأبلدوا
قيامٌ على الأقدامِ عانونَ تحتَه فرائصُهم من شدّة الخوف ترعد

رواه ابن عساكر وروى عن الاصمعى انه كان ينشد من شعر أمية :

مجّدوا الله فهو للمجدِ أهل ربنا فى السماء أمسى كبيرا
بالبناء الأعلى الذي سَبَق النـ ـاسَ وسوّى فوقَ السماء سريرا
شرجعا[1] يناله بصرُ العيـ ـن ترى دونه الملائكَ صورا

ثم يقول الاصمعى: الملائك جمع ملك والصور جمع أصور وهو المائل العنق وهؤلاء حملة العرش.

ومن شعر أمية بن أبى الصلت يمدح عبد الله بن جدعان التيمى

أأذكر حاجتي أم قد كفانى حياؤكَ إن شيمتك الحياءُ
وعلمُك بالحقوق وانتَ فرعٌ لك الحسَبُ المهذّبُ والسناء
كريمٌ لا يغيّره صباح عن الخُلُق الجميل ولا مساء
يبارى الريحَ مكرمةً وجودا إذا ما الكلبُ أحجره الشتاء
وارضُك ارضُ مَكرمةٍ بنتها بنوتيمٍ وانتَ لها سماء
إذا أثنى عليك المرءُ يوما كفاه من تعرّضه الثناء

وله فيه مدائح أخر .وقد كان عبدالله بن جدعان هذا من الكرماء الاجواد الممدحين المشهورين وكان له جفنة يأكل الراكب منها وهو على بعيره من عرض حافتها وكثرة طعامها ، وكان يملأها لباب البر يلبك بالشهد والسمن ، وكان يعتق الرقاب ويعين على النوائب وقد سألت عائشة النبى (ص) اينفعه ذلك ؟ فقال انه لم يقل يوما من الدهر (رب اغفرلى خطيئتى يوم الدين) ومن شعر أمية البديع :

لا ينكِتون الارض عند سؤالهم كتطلّب العلاّت بالعيدان
بل يُسفِرون وجوهَهم فترى لها عند السؤال كأحسن الألوان
واذا المقلّ أقام وسْط رحالهم ردّوه ربَّ صواهلٍ وقيان
واذا دعوتَهمُ لكلّ مُلمّةٍ سدّوا شعاعَ الشمسِ بالفرسان

آخر ترجمة أمية بن أبى الصلت .

بحيرا الراهب

الذى توسم فى رسول الله (ص) النبوة وهو مع عمه أبى طالب حين قدم الشام فى تجار من أهل مكة وعمره إذ ذاك اثنى عشرة سنة فرأى الغمامة تظله من بينهم .فصنع لهم طعاما ضيافة واستدعاهم كما

(١) الشرجع : الطويل.

سيأتي بيان ذلك في السيرة وقد روى الترمذي في ذلك حديثاً بسطنا الكلام عليه هنالك وقد أورد له الحافظ ابن عساكر شواهد وسائقات في ترجمة بحيرا ولم يورد مارواه الترمذي وهذا عجب وذكر ابن عساكر ان بحيرا كان يسكن قرية يقال لها الكفر[١] بينها وبين بصرى ستة أميال وهي التي يقال لها (دير بحيرا) قال ويقال: انه كان يسكن قرية يقال لها منفعة بالبلقاء وراء زيرا والله أعلم.

ذكر قسّ بن ساعدة الإيادي

قال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في كتاب هواتف الجان: حدثنا داود القنطري حدثنا عبد الله بن صالح حدثني أبو عبد الله المشرقي عن أبي الحارث الوراق عن ثور بن يزيد عن مورق العجلي عن عبادة بن الصامت. قال: لما قدم وفد اياد على النبي (ص) قال: يامعشر وفد اياد مافعل قس بن ساعدة الايادي. قالوا: هلك يارسول الله. قال: لقد شهدته يوماً بسوق عكاظ على جمل أحمر يتكلم بكلام معجب مونق لا أجدني أحفظه. فقام اليه اعرابي من أقاصي القوم فقال: أنا أحفظه يارسول الله. قل: فسر النبي (ص) بذلك قال: فكان بسوق عكاظ على جمل أحمر وهو يقول: يا معشر الناس اجتمعوا فكل من فات فات، وكل شيء آت آت، ليل داج، وسماء ذات أبراج، وبحر عجاج، نجوم تزهر، وجبال مرسية، وأنهار مجرية، ان في السماء لخبرا، وان في الارض لعبرا، مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون، أرضوا بالاقامة فأقاموا، أم تركوا فناموا. أقسم قس بالله قسما لا ريب فيه. ان لله ديناً هو أرضى من دينكم هذا ثم أنشأ يقول:

في الذاهبين الأولين ... من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارداً ... للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها ... يمضي الاصاغر والأكابر
لا من مضى يأتي اليك ... ولا من الباقين غابر
أيقنت أني لا محالة ... حيث صار القوم صائر

وهذا اسناد غريب من هذا الوجه وقد رواه الطبراني من وجه آخر فقال في كتابه المعجم الكبير: حدثنا محمد بن السري بن مهران بن الناقد البغدادي حدثنا محمد بن حسان السهمي حدثنا محمد بن الحجاج عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس. قال: قدم وفد عبد القيس على النبي (ص) فقال: أيكم

---

(١) كذا في الأصلين. وفي معجم البلدان: كفرية من قرى الشام. ولم نعثر على (المنفعة، وزيرا) في معاجم الأمكنة.

يعرف القس بن ساعدة الايادى. قلوا : كلنا يعرفه يارسول الله. قال: فما فعل؟ قالوا هلك قال فما أنساه بعكاظ فى الشهر الحرام وهو على جمل أحمر وهو يخطب الناس وهو يقول : يا أيها الناس اجتمعوا واستمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت . إن فى السماء لخبراً ، وإن فى الأرض لعبراً ، مهاد موضوع، وسقف مرفوع ، ونجوم تمور ، وبحار لا تغور . وأقسم قس قسما حقاً لئن كان فى الأمر رضى ليكون بعده سخط . ان لله لديناً هو أحب اليه من دينكم الذى أنتم عليه . مالى أرى الناس يذهبون ولا يرجعون . أرضوا بالمقام فأقاموا . أم تركوا فناموا . ثم قال رسول الله (ص.) أفيكم من يروى شعره؟ فأنشده بعضهم :

فى الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارداً للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحوها يسعى الأصاغر والأكابر
لا يرجع الماضى إلى ولا من الباقين غابر
أيقنت أنى لا محا لة حيث صار القوم صائر

وهكذ اورده الحافظ البيهقى فى كتابه دلائل النبوة من طريق محمد بن حسان السلمى به .وهكذا رويناه فى الجزء الذى جمعه الاستاذ أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه فى أخبار قس قال حدثنا عبد الكريم بن الهيثم الديرعا قولى عن سعيد بن شبيب عن محمد بن الحجاج عن ابراهيم الواسطى نزيل بغداد ويعرف بصاحب الفريسة .وقد كذبه يحيى بن معين وأبوحاتم الرازى والدارقطنى واتهمه غير واحد منهم ابن عدى بوضع الحديث وقد رواه البزار وأبو نعيم من حديث محمد بن الحجاج هذاورواه ابن درستويه وأبو نعيم من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس وهذه الطريق أمثل من التى قبلها وفيه إن أبا بكر هو الذى أورد القصة بكمالها نظمها ونثرها بين يدى رسول الله (ص.) : ورواه الحافظ أبو نعيم من حديث احمد بن موسى بن اسحاق الحطمى. حدثنا على بن الحسين بن محمد المخزومى حدثنا أبوحاتم السجستانى حدثنا وهب بن جرير عن محمد بن اسحاق عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس. قال قدم وفد بكر بن وائل على رسول الله (ص.) فقال لهم: ما فعل حليف لكم يقال له قس بن ساعدة الايادى وذكر القصة مطولة . وأخبرنا الشيخ المسند الرحلة احمد بن أبى طالب الحجار إجازة ان لم يكن سماعا قال أجاز لنا جعفر بن على الهمدانى قال أخبرنا الحافظ أبوطاهر احمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم السلفى سماعا وقرأت على شيخنا الحافظ أبى عبد الله الذهبى أخبرنا أبو على الحسن بن على بن أبى بكر الخلال سماعا قال أنا جعفر بن على سماعا قال أنا السلفى سماعا أنا أبو عبد الله محمد بن احمد بن ابراهيم الرازى أنا أبو الفضل محمد بن احمد بن عيسى السعدى أنا أبو القاسم عبيد الله

ابن احمد بن علي المقرئ، حدثنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوى قال حدثنا اسماعيل بن ابراهيم بن احمد السعدى ـ قاضي فارس ـ حدثنا أبو داود سليمان بن سيف بن يحيى بن درهم الطائى من أهل حران حدثنا أبو عمرو سعيد بن يربع عن محمد بن اسحاق حدثني بعض أصحابنا من أهل العلم عن الحسن بن أبي الحسن البصرى أنه قال : كان الجارود بن المعلى بن حنش بن معلى العبدى نصرانياً حسن المعرفة بتفسير الكتب وتأويلها عالماً بسير الفرس وأقاويلها بصيراً بالفلسفة والطب ظاهر الدهاء والأدب كامل الجمال ذا ثروة ومال وانه قدم على النبي (ص.) وافداً في رجال من عبدالقيس ذوى اراء واسنان وفصاحة وبيان وحجج وبرهان فلما قدم على النبي (ص.) وقف بين يديه وأشار اليه وأنشأ يقول :

يا نبيّ الهُدى أتتك رجالٌ ... قطعت فدفداً وآلا فآلا
وطوتْ نحوك الصحاصحَ تهوى ... لا تعدّ الكلالَ فيك كلالا
كل بهماء قصّر الطرفُ عنها ... أرقلتها قِلاصُنا ارقالا
وطوتها العتاقُ يجمح فيها ... بكماةٍ كأنجمٍ تتلالا
تبتغي دفْعَ بأسِ يومٍ عظيم ... هائل أوجعَ القلوبَ وهالا
ومزادا لمحشر الخلْق طراً ... وفراقاً لمن تمادى ضلالا
نحو نورٍ من الاله وبرها ... نٍ وبرٍّ ونعمةٍ أن تنالا
خصّكَ الله يا ابن آمنةَ الخـ ... ـير بها اذ أتتْ سجالا سجالا
فاجعلِ الحظ منكَ ياحجة الـ ... ـله جزيلاً لاحظّ خُلفٍ أحالا

قال فادناه النبي (ص.) وقرب مجلسه وقال له . ياجارود لقد تأخر الموعود بك وبقومك . فقال الجارود : فداك أبي وأمي أما من تأخر عنك فقد فاته حظه وتلك أعظم حوبة واغلظ عقوبة وما كنت فيمن رآك أو سمع بك فعداك واتبع سواك واني الآن على دين قد علمت به قد جئتك وها أنا تاركه لدينك أفذلك مما يمحص الذنوب والمآثم والحوب؟ ويرضى الرب عن المربوب فقال له رسول الله (ص.): أنا ضامن لك ذلك واخلص الآن لله بالواحدنية ودع عنك دين النصرانية . فقال الجارود : فداك أبي وأمي مد يدك فانا اشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له واشهد انك محمد عبده ورسوله. قال: فاسلم واسلم معه اناس من قومه فسر النبي (ص.) باسلامهم ،واظهر من اكرامهم ماسروا به وابتهجوا به. ثم اقبل عليهم رسول الله (ص.) فقال: أفيكم من يعرف قس بن ساعدة الايادى فقال الجارود فداك أبي وأمي كلنا نعرفه واني من بينهم لعالم بخبره واقف على أمره كان قس يارسول الله سبطا من أسباط العرب عمر ستمائة سنة تقفر منها خمسة أعمار في البرارى والقفار يضج بالتسبيح على مثال المسيح لا يقره قرار ولا تكنه دار ولا يستمتع به جار . كان يلبس الامساح ويفوق السياح ، ولا يفتر من رهبانيته يتحسى في سياحته بيض النعام

ويأنس بالهوام ، ويستمتع بالظلام ، يبصر فيعتبر ، ويفكر فيختبر ، فصار لذلك واحداً تضرب بحكمته الامثال ، وتكشف به الاهوال. أدرك رأس الحواريين سمعان ، وهو أول رجل تأله من العرب ووحّد، وأقر وتعبد، وأيقن بالبعث والحساب ، وحذر سوء المآب ، وأمر بالعمل قبل الفوت، ووعظ بالموت وسلم بالقضا ، على السخط والرضا ، وزار القبور ، وذكر النشور ، وندب بالاشعار ، وفكر فى الاقدار ، وأنبأ عن السماء والنماء ، وذكر النجوم وكشف الماء ، ووصف البحار ، وعرف الآثار ، وخطب راكباً ، ووعظ دائبا ، وحذر من الكرب ، ومن شدة الغضب، ورسَّل الرسائل ، وذكر كل هائل ، وأرغم فى خطبه ، وبين فى كتبه، وخوف الدهر ، وحذر الأزر ، وعظم الأمر ، وجنب الكفر ، وشوق الى الحنيفية ، ودعا الى اللاهوتية. وهو القائل فى يوم عكاظ : شرق وغرب ، ويتم وحزب ، وسلم وحرب ، ويابس ورطب ، واجاج وعذب ، وشموس واقمار ، ورياح وأمطار ، وليل ونهار ، وأناث وذكور ، وبرار وبحور ، وحب ونبات ، وآباء وأمهات ، وجمع واشتات ، وآيات فى إثرها آيات ، ونور وظلام ، ويسر واعدام ، ورب واصنام ، لقد ضل الانام ، نشوّ مولود ، ووأد مفقود ، وتربية محصود ، وفقير وغنى ، ومحسن ومسىء ، تباً لأرباب الغفلة ، ليصلحن العامل عمله ، وليفقدن الآمل امله ، كلا بل هو إله واحد ، ليس بمولود ولا والد ، أعاد وابدى ، وأمات وأحيا ، وخلق الذكر والأنثى ، رب الآخرة والاولى . أما بعد: فيامعشر إياد ، أين ثمود وعاد ؟ وأين الآباء والأجداد ؟ وأين العليل والعواد ؟ كل له معاد يقسم قس برب العباد ، وساطح المهاد ، لتحشرن على الانفراد ، فى يوم التناد ، إذا نفخ فى الصور ، ونقر فى الناقور ، واشرقت الأرض ، ووعظ الواعظ ، فانتبذ القانط وابصر اللاحظ ، فويل لمن صدف عن الحق الاشهر ، والنور الازهر ، والعرض الاكبر ، فى يوم الفصل ، وميزان العدل ، إذا حكم القدير ، وشهد النذير ، وبعد النصير ، وظهر التقصير ، ففريق فى الجنة وفريق فى السعير . وهو القائل :

ذكر القلبُ من جواه ادّكارُ ... وليالٍ خلالهنّ نهار
وسجال هواطل من غمام ... ثرن ماء وفى جواهنّ نار
ضوءها يطمس العيون وأرعا ... د شداد فى الخافقين تطار
وقصور مشيدة حوت الخـ ... ـير واخرى خلت بهن قفار
وجبال شوامخ راسيات ... وبحار مياههن غزار
ونجوم تلوح فى ظلم الليـ ... ـل نراها فى كل يوم تدار
ثم شمس يحثها قمر اللـ ... ـيل وكل متابع موّار
وصغير وأشمط وكبير ... كلهم فى الصعيد يوما مزار
وكبير مما يقصر عنه ... حدسه الخاطر الذى لا يحار

فالذى قد ذكرت دل على الا ه نفوساً لها هدى واعتبار

قال فقال رسول الله (ص): مهما نسيت فلست انساه بسوق عكاظ ، واقفاً على جمل احمر يخطب الناس : اجتمعوا فاسمعوا ، وإذا سمعتم فعوا ، وإذا وعيتم فانتفعوا ، وقولوا وإذا قلتم فاصدقوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، مطر ونبات ، واحياء وأموات ، ليل داج ، وسماء ذات أبراج ، ونجوم تزهر ، وبحار تزخر ، وضوء وظلام ، وليل وأيام ، وبر وآثام ، إن فى السماء خبرا ، وان فى الارض عبرا ، يحار فيهن البصرا ، مهاد موضوع ، وسقف مرفوع ، ونجوم تغور ، وبحار لا تفور ، ومنايا دوان ، ودهر خوان ، كحد النسطاس ، ووزن القسطاس . اقسم قس قسما ، لا كاذبا فيه ولا آثما ، لئن كان فى هذا الأمر رضى ، ليكونن سخط . ثم قال : أيها الناس ان لله دينا هو أحب اليه من دينكم هذا الذى أنتم عليه وهذا زمانه واوانه . ثم قال مالى أرى الناس يذهبون فلا يرجعون ، ارضوا بالمقام فاقاموا؟ أم تركوا فناموا . والتفت رسول الله (ص): الى بعض أصحابه فقال : أيكم يروى شعره لنا؟ فقال أبو بكر الصديق : فداك أبى وأمى أنا شاهد له فى ذلك اليوم حيث يقول :

فى الذاهبين الأولـيـ ـن من القرون لنا بصائر

لما رأيت موارداً للموت ليس لها مصادر

ورأيت قومى نحوها يمضى الأصاغر والاكابر

لا يرجع الماضى الـــى ولا من الباقين غابر

أيقنت أنى لا محا لة حيث صار القوم صائر

قال: فقام الى رسول الله (ص) شيخ من عبد القيس عظيم الهامة، طويل القامة ، بعيد ما بين المنكبين فقال: فداك أبى وأمى وأنا رأيت من قس عجبا. فقال له رسول الله (ص): ما الذى رأيت يا أخا بنى عبد القيس؟ فقال: خرجت فى شبيبتى أربع بعيراً لى ندعنى أقفو أثره فى تنائف قفاف ذات ضغابيس وعرصات جثجاث بين صدور جذعان ، وغمير حوذان ، ومهمه ظلمان ، ورصيع ليهقان ، فبينا أنا فى تلك الفلوات أجول بسبسها وارنق فدفدها إذا أنا بهضبة فى نشزاتها أراك كباث مخضوضلة واغصانها متهدلة كأن بريرها حب الفلفل وبواسق اقحوان، وإذا بعين خرارة وروضة مدهامة ، وشجرة عارمة، وإذا أنا بقس بن ساعدة فى أصل تلك الشجرة وبيده قضيب . فدنوت منه وقلت له: أنعم صباحا فقال: وانت فنعم صباحك! وقد وردت العين سباع كثيرة فكان كلما ذهب سبع منها يشرب من العين قبل صاحبه ضربه قس بالقضيب الذى بيده . وقال: اصبر حتى يشرب الذى قبلك فذعرت من ذلك ذعراً شديداً، ونظر الى فقال لا تخف . واذا بقبرين بينهما مسجد فقلت ما هذان ؟ القبران ؟ قال قبرا أخوين كانا يعبدان الله عز وجل بهذا الموضع فانا مقيم بين قبريهما اعبد الله حتى الحق بهما . فقلت له: أفلا تلحق بقومك فتكون معهم فى خيرهم وتباينهم على

شرهم؟ فقال لى: ثكلتك أمك أو ماعلمت أن ولد اسماعيل تركوا دين أبيهم واتبعوا الأضداد وعظموا الانداد ثم أقبل على القبرين وانشأ يقول:

خليليَّ هُبَّا طالما قد رقدتُما ... أجدَّكما لا تقضيان كَرا كُما

أرى النومَ بين الجلد والعَظم منكما ... كأنّ الذي يسقي العقارَ سقا كما

أمِن طول نوم لا تُجيبان داعياً ... كأنّ الذي يسقي العقارَ سقاكما

ألم تعلما أني بنجرانَ مفرَداً ... ومالِيَ فيه من حبيبٍ سوا كما

مقيمٌ على قبريكما لستُ بارحاً ... إيابَ الليالي أو يجيبَ صَدا كما

أأبكيكما طولَ الحياة وما الذي ... يردّ على ذي لوعةٍ أن بكا كما

فلو جُعلتْ نفسٌ لنفس أمرىء فدىً ... لجدتُ بنفسي أن تكونَ فِدا كما

كأنكما والموتَ أقربُ غاية ... بروحيَ في قبريكما قدْ أتا كما

قال فقال رسول الله (ص): رحم الله قساً أما إنه سيبعث يوم القيامة امة واحدة . وهذا الحديث غريب جداً من هذا الوجه وهو مرسل الا ان يكون الحسن سمعه من الجارود والله أعلم .

وقد رواه البيهقي: والحافظ أبو القاسم ابن عساكر من وجه آخر من حديث محمد بن عيسى بن محمد ابن سعيد القرشي الاخبارى ثنا أبى ثنا على بن سليمان بن على عن على بن عبد الله عن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما . قال : قدم الجارود بن عبد الله [1] فذكر مثله أو نحوه مطولا بزيادات كثيرة فى نظمه ونثره ، وفيه ماذكره عن الذى ضل بعيره فذهب فى طلبه قال فبت فى واد لا آمن فيه حتفى ولا أركن إلى غير سيفى ، أرقب الكوكب ، وأرمق الغيهب ، حتى إذا الليل عسعس، وكاد الصبح أن يتنفس ، هتف بى هاتف يقول :

ياأيها الراقدُ فى الليلِ الأجمّ ... قد بعثَ الله نبياً فى الحَرَم

من هاشمٍ أهلِ الوفاءِ والكرمْ ... يجلو دجنّاتِ الدياجي والبهم

قال فادرت طرفي فما رأيت له شخصاً ولا سمعت له فحصاً ،قال فانشأت أقول :

ياأيها الهاتفُ فى داجي الظُّلَمْ ... أهلاً وسهلاً بك من طيفٍ ألم

بيّن هَداك اللهُ في لحن الكلِم ... ماذا الذي تدعو إليه يُغتنم

قال فاذا أنا بنحنحة وقائلا يقول: ظهر النور، وبطل الزور ،وبعث الله محمداً بالحبور ،صاحب النجيب الاحمر ، والتاج والمغفر ، والوجه الازهر ، والحاجب الاقمر ، والطرف الاحور ، صاحب قول شهادة أن لا اله الا الله وذلك محمد المبعوث إلى الاسود والابيض أهل المدر والوبر ثم أنشأ يقول :

---

(١) تقدم : انه الجارود بن المعلى واختلف فى اسم أبيه كما فى أسد الغابة وليس فى آبائه عبدالله فلينظر

الحمدُ للهِ الّذي لم يخلقِ الخلقَ عبثْ
لم يُخلنا يوماً سُدى من بعدِ عيسى واكترث
أرسلَ فينا أحمداً خيرَ نبيٍّ قد بُعث
صلى عليه الله ما حجّ له ركبٌ وحثّ

وفيه من إنشاء قس بن ساعدة :

يا ناعيَ الموتِ والملحودِ فى جدثٍ عليهمُ من بقايا قولهمْ خِرَق
دعهم فإنّ لهم يوماً يصاح بهم فهم اذا انتبهوا من نومهم أرقوا
حتى يعودوا بحالٍ غيرِ حالهمُ خَلقاً جديداً كما من قبله خُلقوا
منهم عُراة ومنهم فى ثيابهمُ منها الجديدُ ومنها المنهجُ الخَلِق

ثم رواه البيهقى عن محمد بن عبد الله بن يوسف بن احمد الاصبهانى حدثنا أبو بكر احمد بن سعيد ابن فرضخ الاخميمى بمكة ثنا القاسم بن عبد الله بن مهدى ثنا أبو عبيد الله سعيد بن عبد الرحمن المخزومى ثنا سفيان بن عيينة عن أبى حمزة الثمالى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . فذكر القصة وذكر الانشاد قال فوجد واعند رأسه صحيفة فيها :

يا ناعيَ الموتِ والامواتُ فى جَدثٍ عليهم من بقايا نومهم خرق
دعهم فان لهم يوماً يُصاح بهم كما تَنبهُ من نوماته الصعق
منهم عراةٌ وموتى فى ثيابهمُ منها الجديدُ ومنها الازرَق الْخَلِق

فقال رسول الله (ص) : والذى بعثنى بالحق لقد آمن قس بالبعث . واصله مشهور وهذه الطرق على ضعفها كالمتعاضدة على اثبات أصل القصة وقد تكلم أبو محمد بن درستوية على غريب ما وقع فى هذا الحديث وأكثره ظاهر إن شاء الله تعالى وما كان فيه غرابة شديدة نبهنا عليه فى الحواشى[١]

وقال البيهقى : أنا أبو سعيد بن محمد بن احمد الشعيثى ثنا أبو عمرو بن أبى طاهر المحمد آباذى لفظاً ثنا أبو لبابة محمد بن المهدى الاموردى[٢] ثنا أبى ثنا سعيد بن هبيرة ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن انس ابن مالك قال قدم وفد اياد على النبى (ص) فقال : مافعل قس بن ساعدة ؟ قالوا هلك . قال أما إنى سمعت منه كلاماً أرى انى احفظه فقال بعض القوم نحن نحفظه يارسول الله . قال هاتوا : فقال قائلهم انى واقف بسوق عكاظ فقال : يا أيها الناس استمعوا واسمعوا وعوا ، كل من عاش مات ، وكل من مات فات ، وكل ماهو آت آت ، ليل داج ، وسماء ذات ابراج ، ونجوم تزهر ، وبحار تزخر ، وجبال مرسية وانهار مجرية إن فى السماء لخبرا ، وإن فى الارض لعبرا ، أرى الناس يموتون ولا يرجعون ارضوا بالاقامة فاقاموا ، أم تركوا فناموا ، أقسم

---

(١) لم تصل الينا هذه الحواشى التى نبه عليها المصنف فى النسخ التى بأيدينا . (٢) كذا فى الاصلين

قس قسما بالله لا آثم فيه ، إن لله ديناً هو أرضى مما انتم عليه ثم أنشأ يقول :

في الذاهبين الاولـ ين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مصارعاً للقوم ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها يمضي الاكابر والاصاغر
أيقنت اني لا محا لة حيث صار القوم صائر

ثم ساقه البيهقي من طرق أخر قد نبهنا عليها فيما تقدم ثم قال بعد ذلك كله وقد روى هذا الحديث عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس بزيادة و نقصان .و روى من وجه آخر عن الحسن البصري منقطعاً وروى مختصراً من حديث سعد بن أبي وقاص وأبي هريرة .قلت: وعبادة بن الصامت كما تقدم وعبد الله بن مسعود كما رواه ابو نعيم في كتاب الدلائل عن عبد الله بن محمد بن عثمان الواسطي عن أبي الوليد طريف بن عبيدالله مولى علي بن أبي طالب بالموصل عن يحيى بن عبد الحميد الحماني عن أبي معاوية عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود فذكره .وروى أبو نعيم أيضاً حديث عبادة المتقدم وسعد بن أبي وقاص. ثم قال البيهقي واذا روى الحديث من أوجه أخر وان كان بعضها ضعيفاً دل على أن للحديث أصلا والله أعلم

زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه

هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى القرشي العدوى. وكان الخطاب والد عمر بن الخطاب عمه وأخاه لأمه. وذلك لأن عمرو ابن نفيل كان قد خلف على امرأة ابيه بعد ابيه وكان لها من نفيل أخوه الخطاب قاله الزبير بن بكار ومحمد ابن اسحاق .وكان زيد بن عمرو قد ترك عبادة الاوثان وفارق دينهم وكان لا يأكل الاماذبح على اسم الله وحده قال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني هشام بن عروة عن ابيه عن اسماء بنت ابي بكر قالت : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسنداً ظهره الى الكعبة يقول يامعشر قريش والذى نفس زيد بيده ما اصبح احد منكم على دين ابراهيم غيري. ثم يقول :اللهم اني لو أعلم أحب الوجوه اليك عبدتك به ولكني لا أعلم ثم يسجد على راحلته وكذا رواه أبو اسامة عن هشام به وزاد وكان يصلي الى الكعبة ويقول إلهي إله ابراهيم، وديني دين ابراهيم. وكان يحيي الموؤدة ويقول للرجل اذا اراد ان يقتل ابنته لا تقتلها ادفعها الى اكفلها فاذا ترعرعت فان شئت فخذها وان شئت فادفعها . أخرجه النسائي من طريق أبي أسامة وعلقه البخاري فقال : وقال الليث كتب الى هشام بن عروة عن أبيه به وقال يونس ابن بكير عن محمد بن اسحاق: وقد كان نفر من قريش زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل بن أسد بن

عبدالعزى وعثمان بن الحويرث بن أسد بن عبدالعزى وعبدالله بن جحش بن رياب بن يعمر بن صبرة بن برة بن كبير بن غنم بن دودان بن اسعد بن اسد بن خزيمة . وأمه أميمة بنت عبدالمطلب . واخته زينب بنت جحش التى تزوجها رسول الله (ص.) بعد مولاه زيد بن حارثة كما سيأتى بيانه. حضروا قريشاً عند وثن لهم كانوا يذبحون عنده لعيد من أعيادهم، فلما اجتمعوا خلا بعض أولئك النفر الى بعض وقالوا تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض . فقال قائلهم تعلمن والله ماقومكم على شىء لقد أخطؤا دين ابراهيم وخالفوه ماوثن يعبد ؟ لا يضر ولا ينفع فابتغوا لانفسكم فخرجوا يطلبون ويسيرون فى الارض يلتمسون أهل كتاب من اليهود والنصارى والملل كلها. الحنيفية دين ابراهيم، فاما ورقة بن نوفل فتنصر واستحكم فى النصرانية وابتغى الكتب من أهلها حتى علم علما كثيراً من أهل الكتاب ولم يكن فيهم أعدل امراً واعدل ثباتاً من زيد بن عمرو بن نفيل اعتزل الأوثان وفارق الأديان من اليهود والنصارى والملل كلها إلا دين الحنيفية دين ابراهيم يوحد الله ويخلع من دونه ولا يأكل ذبائح قومه فاذاهم بالفراق لما هم فيه. قال : وكان الخطاب قد آذاه أذى كثيراً حتى خرج منه إلى أعلى مكة ووكل به الخطاب شباباً من قريش وسفهاء من سفهائهم فقال لا تتركوه يدخل فكان لايدخلها إلا سراً منهم فاذا علموا به اخرجوه وآذوه كراهية أن يفسد عليهم دينهم أو يتابعه أحد إلى ماهو عليه . وقال موسى بن عقبة سمعت من أرضى يحدث عن زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء ماء وأنبت لها من الأرض لم تذبحوها على غير اسم الله. انكاراً لذلك واعظاما له ؟ وقال يونس عن ابن اسحاق وقد كان زيد بن عمرو بن نفيل قد عزم على الخروج من مكة فضرب فى الأرض يطلب الحنيفية دين ابراهيم وكانت امرأته صفية بنت الحضرمى كلما أبصرته قد نهض للخروج وأراده آذنت الخطاب بن نفيل فخرج زيد إلى الشام يلتمس و طلب فى أهل الكتاب الأول دين ابراهيم ويسأل عنه ولم يزل فى ذلك فيما يزعمون حتى أتى الموصل والجزيرة كلها ثم أقبل حتى أتى الشام فجال فيها حتى أتى راهباً ببيعة من أرض البلقاء كان ينتهى اليه علم النصرانية فيما يزعمون فسأله عن الحنيفية دين ابراهيم فقال له الراهب إنك لتسأل عن دين ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم، لقد درس من علمه وذهب من كان يعرفه، ولكنه قد أظل خروج نبى وهذا زمانه . وقد كان شام اليهودية والنصرانية فلم يرض شيئاً منها فخرج سريعاً حين قال له الراهب ماقال يريد مكة حتى إذا كان بارض لخم عدوا عليه فقتلوه فقال ورقة يرثيه :

رشدتَ وأنعمتَ ابنَ عمرو وإنما ... تجنبتَ تنوّراً من النارِ حاميا

بدينكَ ربّاً ليسَ ربٌّ كمثلهِ ... وتركِكَ أوثانَ الطواغي كماهيا

وقد تُدركُ الانسانَ رحمةُ ربه ... ولو كانَ تحتَ الأرضِ ستينا واديا[1]

---

(١) كذا فى الحلبية، وفى الازهرية (سبعين)

وقال محمد بن عثمان بن أبي شيبة : حدثنا احمد بن طارق الوابشى ثنا عمرو بن عطية عن أبيه عن ابن عمر عن زيد بن عمرو بن نفيل أنه كان يتأله فى الجاهلية فانطلق حتى أتى رجلا من اليهود فقال له أحب أن تدخلنى معك فى دينك .فقال له اليهودى لاأدخلك فى دينى حتى تبوء بنصيبك من غضب الله. فقال من غضب الله أفر .فانطلق حتى أتى نصرانياً فقال له أحب أن تدخلنى معك فى دينك، فقال لست أدخلك فى دينى حتى تبوء بنصيبك من الضلالة. فقال من الضلالة أفر. قال له النصرانى فانى أدلك على دين ان تبعته اهتديت. قال أى دين ؟ قال دين ابراهيم قال فقال اللهم إنى أشهدك أنى على دين ابراهيم عليه أحيى وعليه أموت. قال فذكر شأنه للنبى (ص.) فقال : هو أمة وحده يوم القيامة. وقد روى موسى بن عقبة عن سالم عن ابن عمر نحو هذا وقال محمد بن سعد حدثنا على بن محمد بن عبدالله بن سيف القرشى عن اسماعيل عن مجالد عن الشعبى عن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب قال قال زيد بن عمرو بن نفيل: شاممت اليهودية والنصرانية فكرهتها فكنت بالشام وما والاها حتى أتيت راهبا فى صومعة فذكرت له اغترابى عن قومى وكراهتى عبادة الأوثان واليهودية والنصرانية . فقال له: أراك تريد دين ابراهيم يا أخا أهل مكة انك لتطلب دينا ما يوجد اليوم (احد يدين) به وهو دين أبيك ابراهيم كان حنيفا لم يكن يهوديا ولا نصرانيا كان يصلى ويسجد إلى هذا البيت الذى ببلادك فالحق ببلدك فان الله يبعث من قومك فى بلدك من يأتى بدين ابراهيم الحنيفية وهو أكرم الخلق على الله . وقال يونس عن ابن اسحاق حدثنى بعض آل زيد بن عمرو بن نفيل :إن زيداً كان إذا دخل الكعبة قال لبيك حقا حقا ،تعبداً ورقا ،عذت بما عاذ به ابراهيم وهو قائم ، إذ قال الهى انفى لك عان راغم ، مهما تجشمنى فانى جاشم ، البر أبغى لا الخال ، ليس مهجر كمن قال . وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا المسعودى عن نفيل بن هشام بن سعيد بن زيد بن عمر و ابن نفيل العدوى عن أبيه عن جده أن زيد بن عمرو وورقة بن نوفل خرجا يلتمسان الدين حتى انتهيا إلى راهب بالموصل ، فقال لزيد بن عمرو من أين أقبلت ياصاحب البعير ؟ فقال من بنية ابراهيم ، فقال وما تلتمس قال ألتمس الدين قال ارجع فانه يوشك أن يظهر فى أرضك . قال

فأما ورقة فتنصر وأما أنا فعزمت على النصرانية فلم يوافقنى فرجع وهو يقول :

لبيكَ حقّاً حقا تعبُّداً ورِقّا البر أبغي لا الخالْ فهل مهجِّرٌ كمَن قال[1]

آمنت بما آمن به ابراهيم وهو يقول : انفى لك عان راغم، مهما تجشمنى فانى جاشم،ثم يخر فيسجد قال وجاء ابنه يعنى سعيد بن زيد أحد العشرة رضى الله عنه فقال : يارسول الله إن أبى كما رأيت وكما بلغك فاستغفر له ، قال نعم فانه يبعث يوم القيامة أمة واحدة .قال وأتى زيد بن عمرو بن زيد على رسول الله (ص.) ومعه زيد بن حارثة وهما يأكلان من سفرة لهما، فدعواه لطعامهما فقال زيد بن عمرو :يا ابن

---

(١) فى هامش الحلبية : المهجر من الهجر وهى شدة الحر . وقال: من القيلولة.

أخى أنا لا آكل مما ذبح على النصب. وقال محمد بن سعد حدثنا محمد بن عمرو حدثنى أبو بكر بن أبى سبرة عن موسى بن ميسرة عن ابن أبى مليكة عن حجر بن أبى أهاب. قال: رأيت زيد بن عمرو وأنا عند صنم بوانة بعد مارجع من الشام وهو يراقب الشمس فاذا زالت استقبل الكعبة فصلى ركعة سجدتين ثم يقول هذه قبلة ابراهيم واسماعيل لا أعبد حجراً ولا أصلى له ولا آكل ماذبح له ولا استقسم الأزلام وانما أصلى لهذا البيت حتى أموت. وكان يحج فيقف بعرفة، وكان يلبى فيقول: لبيك لا شريك لك ولا ند لك ثم يدفع من عرفة ماشيا وهو يقول لبيك متعبداً مرقوقا.

وقال الواقدى: حدثنى على بن عيسى الحكمى عن أبيه عن عامر بن ربيعة قال سمعت زيد بن عمرو ابن نفيل يقول: أنا انتظر نبياً من ولد اسماعيل ثم من بنى عبد المطلب ولا أرانى أدركه وانا أومن به واصدقه واشهد انه نبى فان طالت بك مدة فرأيته فاقرئه منى السلام وسأخبرك مانعته حتى لا يخفى عليك قلت: هلم! قال: هو رجل ليس بالطويل ولا بالقصير ولا بكثير الشعر ولا بقليله وليست تفارق عينه حمرة وخاتم النبوة بين كتفيه واسمه أحمد وهذا البلد مولده ومبعثه ثم يخرجه قومه منها ويكرهون ماجاء به حتى يهاجر الى يثرب فيظهر أمره، فاياك أن تخدع عنه فانى طفت البلاد كلها أطلب دين ابراهيم فكان من اسأل من اليهود والنصارى والمجوس يقولون هذا الدين وراءك وينعتونه مثل مانعته لك ويقولون لم يبق نبى غيره. قال عامر بن ربيعة: فلما اسلمت أخبرت رسول الله (ص) قول زيد بن عمرو واقرائه منه السلام فرد عليه السلام وترحم عليه وقال قد رأيته فى الجنة يسحب ذيولا

وقال البخارى فى صحيحه: ذكر زيد بن عمرو بن نفيل. حدثنا محمد بن أبى بكر حدثنا فضيل بن سليمان حدثنا موسى بن عقبة حدثنى سالم عن عبد الله بن عمر ان النبى (ص) لقى زيد بن عمرو بن نفيل باسفل بلدح قبل أن ينزل على النبى (ص) الوحى فقدمت الى النبى (ص) سفرة فابى أن ياكل منها. ثم قال زيد إنى لست آكل مما تذبحون على أنصابكم ولا آكل الا ماذكر اسم الله عليه وان زيد بن عمرو يعيب على قريش ذبائحهم ويقول الشاة خلقها الله وانزل لها من السماء ماء وانبت لها من الأرض ثم يذبحونها على غير اسم الله انكاراً لذلك واعظاما له.

قال موسى بن عقبة: وحدثنى سالم بن عبد الله ولا أعلمه الا يحدث به عن ابن عمر أن زيد بن عمرو ابن نفيل خرج الى الشام يسأل عن الدين ويتبعه فلقى عالما من اليهود فسأله عن دينهم فقال انى لعلى أن أدين دينكم فاخبرنى، فقال انك لا تكون على ديننا حتى تأخذ نصيبك من غضب الله قال زيد وما أفر الا من غضب الله تعالى ولا احمل من غضب الله شيئا ولا استطيعه فهل تدلنى على غيره؟ قال ما اعلمه الا أن تكون حنيفا قال زيد وما الحنيف؟ قال دين ابراهيم عليه السلام لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولا يعبد إلا الله فخرج زيد فلقى عالما من النصارى فذكر مثله فقال لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من

على غيره قال ما أعلمه الا أن تكون حنيفا قال وما الحنيف ؟ قال دين ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولا يعبد إلا الله فلما رأى زيد قولهم فى ابراهيم خرج فلما برز رفع يديه فقال اللهم إنى أشهدك انى على دين ابراهيم . قال وقال الليث : كتب الى هشام بن عروة عن أبيه عن اسماء بنت أبى بكر قالت رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائما مسندا ظهره الى الكعبة يقول يامعشر قريش والله ما منكم على دين ابراهيم غيرى وكان يحيى الموؤدة يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته لا تقتلها أنا أكفيك مؤنتها فيأخذها فاذا ترعرعت قال لأبيها إن شئت دفعتها اليك وان شئت كفيتك مؤنتها انتهى ماذكره البخارى

وهذا الحديث الاخير قد أسنده الحافظ ابن عساكر من طريق أبى بكر بن أبى داود عن عيسى ابن حماد عن الليث عن هشام عن أبيه عن اسماء فذكر نحوه . وقال عبد الرحمن بن أبى الزناد عن هشام ابن عروة عن أبيه عن اسماء قالت سمعت زيد بن عمرو بن نفيل وهو مسند ظهره الى الكعبة يقول : يامعشر قريش إياكم والزنا فانه يورث الفقر . وقد ساق ابن عساكر هاهنا أحاديث غريبة جدا وفى بعضها نكارة شديدة . ثم أورد من طرق متعددة عن رسول الله (ص) انه قال: يبعث يوم القيامة أمة واحدة . فمن ذلك مارواه محمد بن عثمان بن أبى شيبة حدثنا يوسف بن يعقوب الصفار حدثنا يحيى بن سعيد الأموى عن مجالد عن الشعبى عن جابر قال سئل رسول الله (ص) عن زيد بن عمرو بن نفيل انه كان يستقبل القبلة فى الجاهلية ويقول الهى اله ابراهيم ودينى دين ابراهيم ويسجد . فقال رسول الله (ص) يحشر ذاك أمة وحده بينى وبين عيسى بن مريم. اسناده جيد حسن . وقال الوقدى: حدثنى موسى بن شيبة عن خارجة ابن عبد الله بن كعب بن مالك قال سمعت سعيد بن المسيب يذكر زيد بن عمرو بن نفيل فقال توفى وقريش تبنى الكعبة قبل أن ينزل الوحى على رسول الله (ص) بخمس سنين، ولقد نزل به وانه ليقول انا على دين ابراهيم فاسلم ابنه سعيد بن زيد واتبع رسول الله (ص) وأتى عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد رسول الله (ص) فسألاه عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال: غفر الله له ورحمه فانه مات على دين ابراهيم قال فكان المسلمون بعد ذلك اليوم لايذكره ذاكرمنهم الا ترحم عليه واستغفر له، ثم يقول سعيد بن المسيب رحمه الله وغفر له . وقال محمد بن سعد عن الواقدى حدثنى زكريا بن يحيى السعدى عن أبيه قال مات زيد بن عمرو بن نفيل بمكة ودفن باصل حراء، وقد تقدم انه مات بارض البلقاء من الشام لما عدا عليه قوم من بنى لخم فقتلوه بمكان يقال له ميفعة والله أعلم .

وقال الباغندى عن أبى سعيد الأشج عن أبى معاوية عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت قال رسول الله (ص) : دخلت الجنة فرأيت لزيد بن عمرو بن نفيل دوحتين . وهذا اسناد جيد وليس هو فى شيء من الكتب. ومن شعر زيد بن عمرو بن نفيل رحمه الله ماقدمناه فى بدء الخلق من تلك القصيدة

الى الله أُهدي مِدْحتي وثنائيا وقولاً رضياً لايني الدهرَ باقيا

الى الملكِ الأعلى الذي ليس فوقَه ... إلَهٌ ولا ربٌّ يكونُ مدانيا

وقد قيل إنها لامية بن أبى الصلت والله أعلم . ومن شعره فى التوحيد ماحكاه محمد بن اسحاق والزبير بن بكار وغيرهما :

وأسلمتُ وجهي لمن أسلمتْ ... له الارضُ تحملُ صخراً ثِقالا
دَحاها فلمّا استوتْ شَدّها ... سواءً وأرسى عليها الجبالا
وأسلمتُ وجهي لمن أسلمتْ ... له المُزْنُ تحملُ عَذْباً زلالا (١)
إذا هيَ سِيقت الى بلدةٍ ... أطاعتْ فصبّت عليها سِجالا
وأسلمتُ وجهي لمن أسلمتْ ... له الريحُ تُصرَّف حالاً فحالا

وقال محمد بن اسحاق حدثنى هشام بن عروة قال روى أبى أن زيد بن عمرو قال :

أربٌّ واحدٌ أم ألفُ ربٍّ ... أدينُ إذا تقسّمتِ الامور
عزلْت اللاتَ والعزّى جميعاً ... كذلك يفعلُ الجَلْدُ الصبور
فلا العزّى أدينُ ولا ابنتيها ... ولا صنميْ بني عمروٍ أزور
ولا غُنْماً أدين وكان ربّاً ... لنا فى الدهرِ اذْ حِلمي يسير
عجبتُ وفي الليالي مُعجِباتٌ ... وفي الأيامِ يعرفُها البصير
بأنّ اللهَ قد أفنى رجالا ... كثيراً كان شأنهمُ الفُجور
وابقَى آخرينَ ببِرِّ قوم ... فَيَربلُ(٢) منهمُ الطفلُ الصغير
وبينا المرءُ يعثرُ ثابَ يوماً ... كما يتروّح الغُصن النضير
ولكنْ أعبدُ الرحمنَ ربي ... ليغفرَ ذنبيَ الربُّ الغفور
فتقوى اللهِ ربكمُ احفظوها ... متى ما تحفظوها لا تبوروا
ترى الأبرارَ دارُهم جِنانٌ ... وللكفّارِ حاميةٌ سعير
وخزيٌ فى الحياةِ وإن يموتوا ... يُلاقوا ماتضيقُ به الصدور

هذا تمام ماذكره محمد بن اسحاق من هذه القصيدة. وقد رواه أبو القاسم البغوى عن مصعب بن عبدالله عن الضحاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبى الزناد قال قال هشام بن عروة عن أبيه عن اسماء بنت أبى بكر قالت قال زيد بن عمرو بن نفيل :

عزلتُ الجنَّ والجنّانَ عني ... كذلك يفعلُ الجَلْدُ الصبور
فلا العزّى أدينُ ولا ابنتيها ... ولا صنمي بني طَسْمٍ أدير

---

(١) هذا البيت عن المصرية (٢) كذا فيربل بمعنى ينمو . وهى رواية ابن هشام .

ولا غنما أدينُ وكان ربّاً ... لنا فى الدهر إذ حلمي صغير
أرباً واحداً أم ألف رب ... أدين إذا تقسمت الأمور
ألم تعلم بأن الله أفنى ... رجالا كان شأنهم الفجور
وابقى آخرين ببر قوم ... فيربو منهم الطفل الصغير
وبينا المرء يعثر ثاب يوما ... كما يتروح الغصن النضير

قالت فقال ورقة بن نوفل :

رشدتَ وأنعمتَ ابنَ عمرو وانما ... تجنبتَ تنوراً من النار حاميا
لدينك رباً ليس ربا كمثله ... وتركك جنان الجبال كما هيا
أقولُ اذا أهبطتُ أرضاً مخوفةً ... حنانيكَ لا تُظهر عليّ الأعاديا
حنانيكَ ان الجن كانت رجاءهم ... وانتَ إلهي ربّنا ورجائيا
لتدركنَّ المرءَ رحمةُ ربه ... وان كان تحتَ الأرض سبعين واديا
أدين لربٍ يستجيبُ ولا أرى ... أدينُ لمن لا يسمع الدهر واعيا
أقول إذا صليتُ فى كل بِيعةٍ ... تباركتَ قد اكثرتُ باسمك داعيا

تقدم أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام هو وورقة بن نوفل وعثمان بن الحويرث وعبيدالله ابن جحش فتنصروا إلا زيداً فانه لم يدخل فى شئ من الأديان بل بقى على فطرته من عبادة الله وحده لا شريك له متبعاً ما أمكنه من دين ابراهيم على ما ذكرناه . وأما ورقة بن نوفل فسيأتي خبره فى أول المبعث. وأما عثمان بن الحويرث فأقام بالشام حتى مات فيها عند قيصر. وله خبر عجيب ذكره الأموى ومختصره أنه لما قدم على قيصر فشكى اليه ما لقى من قومه كتب له إلى ابن جفنة ملك عرب الشام ليجهز معه جيشاً لحرب قريش فعزم على ذلك فكتبت اليه الاعراب تنهاه عن ذلك لما رأوا من عظمة مكة وكيف فعل الله بأصحاب الفيل، فكساه ابن جفنة قيصاً مصبوغا مسموما فمات من سمه فرثاه زيد بن عمرو بن نفيل بشعر ذكره الأموى تركناه اختصاراً وكانت وفاته قبل المبعث بثلاث سنين أو نحوها والله سبحانه وتعالى أعلم.

شئ من الحوادث فى زمن الفترة

فمن ذلك بنيان الكعبة

وقد قيل : إن أول من بناه آدم وجاء فى ذلك حديث مرفوع عن عبدالله ابن عمرو وفى سنده ابن لهيعة وهو ضعيف ، وأقوى الأقوال أن أول من بناه الخليل عليه السلام. كما تقدم وكذلك رواه

سماك بن حزب عن خالد بن عرعرة عن على بن أبي طالب قال : ثم تهدم فبنته العمالقة ثم تهدم فبنته جرهم ثم تهدم فبنته قريش . قلت : سيأتى بناء قريش له وذلك قبل المبعث بخمس سنين وقبل بخمس عشرة سنة وقال الزهرى كان رسول الله (ص) قد بلغ الحلم . وسيأتى ذلك كله فى موضعه إن شاء الله وبه الثقة

كعب بن لؤى

روى أبو نعيم من طريق محمد بن الحسن بن زبالة عن محمد بن طلحة التيمى عن محمد بن ابراهيم بن الحارث عن أبي سلمة. قال: كان كعب بن لؤى يجمع قومه يوم الجمعة وكانت قريش تسميه العروبة فيخطبهم فيقول : أما بعد فاسمعوا وتعلموا، وافهموا واعلموا ، ليل ساج ، ونهار ضاح ، والأرض مهاد ، والسماء بناء ، والجبال أوتاد ، والنجوم اعلام ، والأولون كالآخرين ، والأنثى والذكر [والروح وما يهيج الى بلى] فصلوا أرحامكم ، واحفظوا أصهاركم ، وثمروا أموالكم . فهل رأيتم من هالك رجع ؟ أو ميت نشر ؟ الدار أمامكم ، والظن غير ما تقولون ، حرمكم زينوه وعظموه ، وتمسكوا به فسيأتى له نبأ عظيم ، وسيخرج منه نبى كريم ، ثم يقول :

نهارٌ وليلٌ كلّ يوم بحادثٍ　　سواءٌ علينا ليلُها ونهارها

يؤوبان بالأحداث حتى تأوّبا　　وبالنعَم الضافي علينا ستورها

على غفلةٍ يأتي النبيُّ محمد　　فيخبر أخباراً صدوقٌ خبيرها

ثم يقول : والله لو كنت فيها ذا سمع وبصر، ويد ورجل، لتنصبت فيها تنصب الجمل، ولأرقلت بها إرقال العجل .ثم يقول :

ياليتَني شاهداً نجواءَ دعوته　　حينَ العشيرةُ تبغي الحقَّ خِذلانا

قال وكان بين موت كعب بن لؤى ومبعث رسول الله (ص) خمسمائة عام وستون سنة .

تجديد حفر زمزم

على يدى عبد المطلب بن هاشم التى كان قد درس رسمها بعد طم جرهم لها الى زمانه

قال محمد بن اسحاق : ثم إن عبد المطلب بينما هو نائم فى الحجر وكان أول ما ابتدىء به عبد المطلب من حفرها كما حدثنى يزيد بن أبى حبيب المصرى عن مرثد بن عبد الله المزنى عن عبد الله بن رزين الغافقى أنه سمع على بن أبي طالب يحدث حديث زمزم حين أمر عبد المطلب بحفرها . قال قال عبد المطلب إنى لنائم فى الحجر إذ أتانى آت فقال لى احفر طيبة. قل قلت وما طيبة ؟ قال ثم ذهب عنى قال فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى فنمت فجاءنى فقال احفر برة. قال قلت وما برة؟ قال ثم ذهب عنى فلما كان الغد

رجعت إلى مضجعي فنمت فجاءني فقال احفر المضنونة قال قلت وما المضنونة ؟ قال ثم ذهب عنى فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني قال احفر زمزم . قال قلت وما زمزم ؟ قال : لا تنزف أبداً ولا تزم ، تسقى الحجيج الأعظم ، وهي بين الفرث والدم ، عند نقرة الغراب الأعصم ، عند قرية النمل . قال : فلما بين لى شأنها ودل على موضعها وعرف أنه قد صدق غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث بن عبدالمطلب وليس له يومئذ ولد غيره فحفر فلما بدا لعبد المطلب الطمى كبر فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته . فقاموا اليه فقالوا : ياعبد المطلب انها بئر ابينا اسماعيل وإن لنا فيها حقاً فأشركنا معك فيها . قال : ما أنا بفاعل إن هـذا الأمر قد خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم قالوا له فانصفنا فانا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها .قال : فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم اليه قالوا كاهنة بني سعد بن هذيم قال : نعم وكانت باشراف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني أمية وركب من كل قبيلة من قريش نفر فخرجوا والأرض إذ ذاك مفاوز حتى إذا كانوا ببعضها نفد ماء عبد المطلب وأصحابه فظمئوا حتى استيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم فأبوا عليهم وقالوا إنا بمفازة وإنا نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم فقال عبدالمطلب إني أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرته لنفسه بما لكم الآن من القوة فكلما مات رجل دفعه أصحابه فى حفرته ثم واروه حتى يكون آخرهم رجلا واحداً فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعه .فقالوا: نعما أمرت به فحفر كل رجل لنفسه حفرة ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشى ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه ألقينا بأيدينا هكذا للموت لا نضرب فى الأرض لا نبتغى لأنفسنا لعجز فعسى أن يرزقنا ماء ببعض البلاد فارتحلوا حتى إذا بعث عبد المطلب راحلته انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب فكبر عبدالمطلب وكبر أصحابه ثم نزل فشرب وشرب أصحابه واستسقوا حتى ملؤا أسقيتهم ثم دعا قبائل قريش وهم ينظرون اليهم فى جميع هذه الأحوال فقال هلموا إلى الماء فقد سقانا الله فجاؤا فشربوا واستقوا كلهم ثم قالوا قد والله قضى لك علينا والله ما نخاصمك فى زمزم أبداً إن الذى سقاك هذا الماء بهذه الفلاة هو الذى سقاك زمزم فارجع إلى سقايتك راشداً فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا إلى الكاهنة وخلوا بينه وبين زمزم

قال ابن اسحاق فهذا ما بلغنى عن على بن أبى طالب فى زمزم قال ابن اسحاق وقد سمعت من يحدث عن عبد المطلب أنه قيل له حين أمر بحفر زمزم :

ثم ادع بالماءِ الروَى غيرِ الكدِرِ   يسقي حجيجَ الله فى كل مبر
ليسَ يخافُ منه شيءٌ ما عمر

قال فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك إلى قريش فقال تعلموا أنى قدأمرت أن أحفر زمزم قالوا فهل بُيّنَ لك أين هى؟ قال : لا ! قالوا فارجع إلى مضجعك الذى رأيت فيه مارأيت فان يك حقا من الله

يبين لك وإن يك من الشيطان فلن يعود اليك فرجع ونام فأتى فقيل له :

احفر زمزم . إنك إن حفرتها لن تندم . وهى تراث من أبيك الأعظم . لاتنزف أبداً ولا تزم . تسقى الحجيج الأعظم . مثل نعام جافل لم يقسم . ينذر فيها ناذر بمنعم . تكون ميراثا وعقداً محكم . ليست لبعض ما قد تعلم . وهى بين الفرث والدم .

قال ابن اسحاق : فزعموا أن عبد المطلب حين قيل له ذلك قال وأين هى ؟ قيل له عند قرية النمل حيث ينقر الغراب غداً . فالله أعلم أى ذلك كان . قال فغدا عبد لمطلب ومعه ابنه الحارث وليس له يومئذ ولد غيره . زاد الاموى ومولاه أصرم فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقرعندها بين الوثنين أساف ونائلة اللذين كانت قريش تنحر عندهما فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أمر فقامت اليه قريش وقالت والله لا نتركنك تحفر بين وثنينا اللذين ننحر عندهما فقال عبد المطلب لابنه الحارث: ذُدْ عني حتى احفر فوالله لأمضين لما أمرت به فلما عرفوا أنه غير نازع خلوا بينه وبين الحفر وكفوا عنه فلم يحفر إلا يسيراً حتى بدا له الطوى فكبر وعرف أنه قد صدق فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزالتين من ذهب اللتين كانت جرهم قد دفنتهم ووجد فيها أسيافا قلعية وأدرعا . فقالت له قريش: ياعبد المطلب لنا معك فى هذا شرك وحق قال لا ولكن هلم إلى أمر نصف بينى وبينكم نضرب عليها بالقداح قالوا وكيف نصنع قال اجعل للكعبة قدحين ولى قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شئ كان له ومن تخلف قدحاه فلا شئ له . قالوا: أنصفت فجعل للكعبة قدحين أصفرين وله اسودين ولهم أبيضين ثم أعطوا القداح للذى يضرب عند هبل وهبل أكبر أصنامهم ولهذا قال أبو سفيان يوم أحد : أعل هبل . يعنى هذا الصنم . وقام عبد المطلب يدعو الله . وذكر يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق أن عبد المطلب جعل يقول :

اللهم أنتَ الملِكُ المحمودْ   ربِّيَ أنتَ المبدئُ المعيد
وممسكُ الراسيةِ الجلمودِ   من عندك الطارفُ والتليد
إن شئتَ ألهمتَ كما تريد   لموضعِ الحليةِ والحديدِ
فبيّن اليوم لما تريد   إني نذرتُ العاهدَ المعهودا
أجعله ربِّ لى فلا أعودُ

قال وضرب صاحب القداح فخرج الاصفران على الغزالين للكعبة ، وخرج الاسودان على الاسياف والادراع لعبد المطلب ، وتخلف قدحا قريش . فضرب عبد المطلب الاسياف بابا للكعبة ، وضرب فى الباب الغزالين من ذهب فكان أول ذهب حلية للكعبة فيما يزعمون. ثم ان عبد المطلب أقام سقاية زمزم للحاج وذكر ابن اسحاق وغيره أن مكة كان فيها أبيار كثيرة قبل ظهور زمزم فى زمن عبد المطلب ثم عددها ابن اسحاق وسماها وذكر أماكنها من مكة وحافريها الى أن قال فعفت زمزم على البئار كانها

وانصرف الناس كلهم اليها لمكانها من المسجد الحرام ولفضلها على ماسواها من المياه ولانها بئر اسماعيل ابن ابراهيم وافتخرت بها بنو عبدمناف على قريش كلها وعلى سائر العرب. وقد ثبت فى صحيح مسلم فى حديث اسلام أبى ذران رسول الله (ص) قال فى زمزم: انها لطعام طعم. وشفاء سقم. وقال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن الوليد عن عبد الله بن المؤمل عن أبى الزبير عن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله (ص): ماء زمزم لما شرب منه. وقد رواه ابن ماجة من حديث عبد الله بن المؤمل وقد تكلموا فيه ولفظه ماء زمزم لما شرب له. ورواه سويد بن سعيد عن عبدالله بن المبارك عن عبدالرحمن بن أبى الموالى عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبى (ص) قال: ماء زمزم لما شرب له. ولكن سويد بن سعيد ضعيف والمحفوظ عن ابن المبارك عن عبد الله بن المؤمل كما تقدم وقد رواه الحاكم عن ابن عباس مرفوعا ماء زمزم لما شرب له وفيه نظر والله أعلم. وهكذا روى ابن ماجه أيضا والحاكم عن ابن عباس انه قال لرجل اذا شربت من زمزم فاستقبل الكعبة واذكر اسم الله وتنفس ثلاثا وتضلع منها فاذا فرغت فاحمد الله فان رسول الله (ص) قال: إن آية ماييننا وبين المنافقين لايتضلعون من ماء زمزم. وقد ذكر عن عبد المطلب انه قال: اللهم انى لا احلها لمغتسل وهى لشارب حل وبل. وقد ذكره بعض الفقهاء عن العباس بن عبد المطلب، والصحيح انه عن عبدالمطلب نفسه فانه هو الذى جدد حفر زمزم كما قدمنا والله أعلم. وقد قال الاموى فى مغازيه: حدثنا أبو عبيد أخبرنى يحيى بن سعيد عن عبد الرحمن بن حرملة سمعت سعيد بن المسيب يحدث أن عبدالمطلب بن هاشم حين احتفر زمزم. قال: لا احلها لمغتسل وهى لشارب حل وبل. وذلك انه جعل لها حوضين حوضاً للشرب، وحوضاً للوضوء. فعندذلك قال: لا أحلها لمغتسل لينزه المسجد عن ان يغتسل فيه. قال أبو عبيد قال الاصمعى: قوله وبل اتباع قال أبو عبيد والاتباع لا يكون بواو العطف وانما هو كما قال معتمر بن سليمان ان بل بلغة حمير مباح ثم قال أبوعبيد حدثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبى النجود انه سمع زراً انه سمع العباس يقول: لاأحلها لمغتسل وهى لشارب حل وبل. وحدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا سفيان عن عبد الرحمن بن علقمة انه سمع ابن عباس يقول ذلك وهذا صحيح اليهما، وكأنهما يقولان ذلك فى أيامهما على سبيل التبليغ والاعلام بما اشترطه عبد المطلب عند حفره لها فلا ينافى ما تقدم والله أعلم. وقدكانت السقاية الى عبد المطلب أيام حياته ثم صارت الى ابنه أبى طالب مدة ثم اتفق انه املق فى بعض السنين فاستدان من أخيه العباس عشرة آلاف الى الموسم الآخر وصرفها أبو طالب فى الحجيج فى عامه فيما يتعلق بالسقاية فلما كان العام المقبل لم يكن مع أبى طالب شىء فقال لاخيه العباس اسلفنى أربعة عشر الفا ايضا الى العام المقبل أعطيك جميع مالك فقال له العباس: بشرط ان لم تعطنى تترك السقاية لى اكفكها فقال: نعم فلما جاء العام الآخر لم يكن مع أبى طالب مايعطى العباس فترك له السقاية فصارت اليه ثم من بعده صارت الى عبد الله ولده

ثم الى على بن عبد الله بن عباس ثم الى داود بن على ثم الى سليمان بن على ثم الى عيسى بن على ثم أخذها المنصور واستناب عليها مولاه أبا رزين ذكره الاموى .

نذر عبد المطلب ذبح ولده

قال ابن اسحاق : وكان عبد المطلب فيما يزعمون نذر حين لقى من قريش ما لقى عند حفر زمزم لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعوه ليذبحن أحدهم لله عند الكعبة . فلما تكامل بنوه عشرة وعرف انهم سيمنعونه وهم . الحارث . والزبير . وحجل . وضرار . والمقوم . وأبو لهب . والعباس . وحمزة . وأبو طالب . وعبد الله . جمعهم ثم أخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء لله عز وجل بذلك فاطاعوه وقالوا كيف نصنع ؟ قال ليأخذ كل رجل منكم قدحا ثم يكتب فيه اسمه ثم ائتونى ففعلوا ثم أتوه ، فدخل بهم على هبل فى جوف الكعبة وكانت تلك البئر هى التى يجمع فيها مايهدى للكعبة .وكان عند هبل قداح سبعة وهى الازلام التى يتحاكمون اليها إذا أعضل عليهم أمر من عقل أو نسب أو امر من الأمور جاؤه فاستقسموا بها فما أمرتهم به أو نهتهم عنه امتثلوه .والمقصود ان عبد المطلب لما جاء يستقسم بالقداح عند هبل خرج القدح على ابنه عبد الله وكان اصغر ولده واحبهم اليه، فاخذ عبد المطلب بيد ابنه عبد الله واخذ الشفرة ثم اقبل به الى اساف ونائلة ليذبحه فقامت اليه قريش من انديتها فقالوا: ماتريد ياعبد المطلب؟ قال اذبحه فقالت له قريش وبنوه أخوة عبد الله والله لاتذبحه أبدا حتى تعذر فيه لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يجيء بابنه حتى يذبحه فما بقاء الناس على هذا .وذكر يونس بن بكير عن ابن اسحاق ان العباس هو الذى اجتذب عبد الله من تحت رجل ابيه حين وضعها عليه ليذبحه فيقال انه شج وجهه شجا لم يزل فى وجهه الى أن مات ثم اشارت قريش على عبد المطلب أن يذهب الى الحجاز فان بها عرافة لها تابع فيسألها عن ذلك ثم أنت على رأس امرك ان امرتك بذبحه فاذبحه وان امرتك بأمر لك وله فيه مخرج قبلته فانطلقوا حتى أتوا المدينة فوجدوا العرافة وهى سجاح فيما ذكره يونس بن بكير عن ابن اسحاق بخيبر فركبوا حتى جاؤها فسألوها وقص عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه فقالت لهم ارجعوا عنى اليوم حتى يأتينى تابعى فأسأله فرجعوا من عندها فلما خرجوا قام عبد المطلب يدعو الله ثم غدوا عليها فقالت لهم قد جاءنى الخبر ، كم الدية فيكم ؟ قالوا عشر من الابل وكانت كذلك قالت فارجعوا الى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشرا من الابل ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح فان خرجت على صاحبكم فزيدوا من الابل حتى يرضى ربكم وان خرجت على الابل فانحروها عنه فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم فخرجوا حتى قدموا مكة فلما اجمعوا على ذلك الامر قام عبد المطلب يدعو الله ثم قربوا عبد الله وعشراً من الابل ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشراً ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشراً فلم

يزالوا يزيدون عشراً عشراً ويخرج القدح على عبد الله حتى بلغت الابل مائة . ثم ضربوا فخرج القدح على الابل فقالت عند ذلك قريش لعبد المطلب وهو قائم عند هبل يدعو الله قد انتهى رضى ربك يا عبد المطلب . فعندها زعموا انه قال لا حتى اضرب عليها بالقداح ثلاث مرات فضربوا ثلاثا ويقع القدح فيها على الابل فنحرت ثم تركت لا يصد عنها انسان ولا يمنع . قال ابن هشام ويقال ولا سبع وقد روى انه لما بلغت الابل مائة خرج على عبد الله أيضا فزادوا مائة أخرى حتى بلغت مائتين فخرج القدح على عبد الله فزادوا مائة أخرى فصارت الابل ثلاثمائة .ثم ضربوا فخرج القدح على الابل فنحرها عند ذلك عبد المطلب والصحيح الاول والله أعلم . وقد روى ابن جرير عن يونس بن عبد الاعلى عن ابن وهب عن يونس بن يزيد عن الزهرى عن قبيصة بن ذؤيب أن ابن عباس سألته امرأة أنها نذرت ذبح ولدها عند الكعبة فامرها بذبح مائة من الابل وذكر لها هذه القصة عن عبد المطلب . وسألت عبد الله بن عمر فلم يفتها بشئ بل توقف . فبلغ ذلك مروان بن الحكم وهو أمير على المدينة فقال انهما لم يصيبا الفتيا ثم امر المرأة أن تعمل ما استطاعت من خير ونهاها عن ذبح ولدها ولم يأمرها بذبح الابل ، واخذ الناس بقول مروان بذلك والله أعلم .

تزويج عبد المطلب ابنه عبد الله من آمنة بنت وهب الزهرية

قال ابن اسحاق : ثم انصرف عبد المطلب آخذاً بيد ابنه عبدالله فمر به ـ فيما يزعمون ـ على امرأة من بنى أسد بن عبد العزى بن قصى وهى أم قتال أخت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى وهى عند الكعبة فنظرت إلى وجهه فقالت أين تذهب يا عبد الله ؟ قال مع أبى قالت لك مثل الأبل التى نحرت عنك وقع على الآن . قال أنا مع أبى ولا أستطيع خلافه ولا فراقه فخرج به عبد المطلب حتى أتى وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر وهو يومئذ سيد بنى زهرة سنا وشرفاً فزوجه ابنته آمنة بنت وهب وهى يومئذ سيدة نساء قومها فزعموا أنه دخل عليها حين أملكها مكانه فوقع عليها فحملت منه برسول الله (ص) ثم خرج من عندها فأتى المرأة التى عرضت عليه ما عرضت فقال لها مالك لا تعرضين على اليوم ما كنت عرضت بالأمس؟ قالت له فارقك النور الذى كان معك بالأمس فليس لى بك حاجة . وكانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل ـ وكان قد تنصر واتبع الكتب ـ أنه كائن فى هذه الأمة نبى فطمعت أن يكون منها فجعله الله تعالى فى أشرف عنصر وأكرم محتد وأطيب أصل كما قال تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالاته) وسنذكر المولد مفصلا ومما قالت أم قتال بنت نوفل من الشعر تتأسف على ما فاتها من الأمر الذى رامته وذلك فيما رواه

البيهقي من طريق يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق رحمه الله :

عليكَ بآلِ زهرةَ حيثُ كانوا ... وآمنةَ التي حَمَلت غلاما

ترى المهديَّ حينَ نزا عليها ... ونوراً قد تَقَدَّمه أماما

[إلى أن قالت] :

فكلُّ الخلْق يرجوهُ جميعاً ... يسودُ النـاسَ مهتدياً إماما

براه اللهُ من نورٍ صَفَاه ... فأذهبَ نورُه عنا الظلاما

وذلكَ صُنْعُ ربكَ إذ حَباهُ ... إذا ماسارَ يوماً أو أقاما

فيهدي أهلَ مكةَ بعدَ كفرٍ ... ويفرضُ بعدَ ذلكمُ الصياما

وقال أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي : حدثنا علي بن حرب حدثنا محمد بن عمارة القرشي حدثنا مسلم بن خالد الزنجي حدثنا ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال : لما انطلق عبد المطلب بابنه عبد الله ليزوجه مر به على كاهنة من أهل تبالة متهودة قد قرأت الكتب ، يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت يا فتى هل لك أن تقع علي الآن وأعطيك مائة من الابل ؟ فقال عبد الله :

أما الحرامُ فالمماتُ دونَهُ ... والحل لا حِل فأستبينه

فكيفَ بالأمرِ الذي تبغينَه ... يحمي الكريمُ عِرضَه ودينه (١)

ثم مضى مع أبيه فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة فأقام عندها ثلاثاً . ثم إن نفسه دعته إلى ما دعته اليه الكاهنة فأتاها فقالت : ماصنعت بعدي ؟ فأخبرها . فقالت والله ما أنا بصاحبة ريبة ولكني رأيت في وجهك نوراً فأردت أن يكون في . وأبى الله إلا أن يجعله حيث أراد . ثم أنشأت فاطمة تقول :

إني رأيتُ مخيلةً لمعت ... فتلألأت بحناتم (٢) القَطْرِ

فلمأتُها نوراً يضيء له ... ما حولَه كإضاءةِ البَدرِ

ورجوتُها فخراً أبوءُ به ... ما كل قادحِ زندِهِ يُوري

لله ما زُهريةٌ سلبت ... ثوبيكَ ما استَلبتْ وما تدري

وقالت فاطمة أيضاً :

بني هاشمٍ قد غادرتْ من أخيكمُ ... أمينةُ إذ للباهِ يعتركانِ

---

(١) زدنا هذه الشطرة من الروض الانف للسهيلي. وليس في المصرية جميع البيت . ولا ما بعده إلى قوله : زهرة . (٢) في الاصل بخيائم . وصححناه من السهيلي والحناتم السحائب السود كما في القاموس .

كما غادرَ المصباحُ بَعد خُموده   فتائلَ قد مِيثَت له بدِهان
وما كل ما يحوي الفتى من تِلادِهِ   بحزمٍ ولا ما فاتَه لِتَواني
فأَجمِلْ إذا طالبتَ أمراً فانه   سيكفيكَه جَدّانِ يعتلجان
سيكفيكه إما يد مُقفلّةَ   وإما يدٌ مبسوطةٌ ببنان (١)
ولما حوت منه أمينة ما حوت   حوت منه فخراً ما لذلك ثان

و روى الامام أبو نعيم الحافظ فى كتاب دلائل النبوة من طريق يعقوب بن محمد الزهرى عن عبد العزيز بن عمران عن عبد الله بن جعفر عن ابن عون عن المسور بن مخرمة عن ابن عباس قال إن عبد المطلب قدم اليمن فى رحلة الشتاء فنزل على حبر من اليهود قال فقال لى رجل من أهل الديور - يعنى أهل الكتاب ياعبد المطلب أتأذن لى أن انظر إلى بعضك ؟ قال نعم إذا لم يكن عورة . قال ففتح إحدى منخرى فنظر فيه ثم نظر فى الآخر فقال أشهد أن فى إحدى يديك ملكاً وفى الأخرى نبوة وإنا نجد ذلك فى بنى زهرة فكيف ذلك ؟ قلت لا أدرى قال هل لك من شاغة ؟ قلت وما الشاغة ؟ قال زوجة . قلت أما اليوم فلا قال فاذا رجعت فتزوج فيهم . فرجع عبد المطلب فتزوج هالة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة فولدت حمزة وصفية ثم تزوج عبد الله بن عبد المطلب آمنة بنت وهب فولدت رسول الله (ص) فقالت قريش حين تزوج عبد الله بآمنة فلج أى فاز وغلب عبد الله على أبيه عبد المطلب .



---

(١) كذا فى الحلبية . وفى المصرية منفطلة والاقتعال التنحية والاستنفاض كما فى القاموس .



بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى : (الله أعلم حيث يجعل رسالاته) ولما سأل هرقل ملك الروم لابى سفيان تلك الاسئلة عن صفاته عليه الصلاة والسلام قال كيف نسبه فيكم ؟ قال هو فينا ذو نسب قال كذلك الرسل تبعث فى انساب قومها يعنى فى اكرمها احسابا واكثرها قبيلة صلوات الله عليهم أجمعين .

فهو سيد ولد آدم وفخرهم فى الدنيا والآخرة . أبو القاسم . وأبو ابراهيم . محمد . واحمد . والماحى الذى يمحى به الكفر . والعاقب الذى ما بعده نبى . والحاشر الذى يحشر الناس على قدميه . والمقفى . ونبى الرحمة . ونبى التوبة . ونبى الملحمة . وخاتم النبيين . والفاتح . وطه . ويس . وعبد الله .

قال البيهقى : وزاد بعض العلماء فقال سماه الله فى القرآن رسولا . نبيا . أمينا . شاهداً . مبشراً . نذيراً ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيراً . ورؤفاً رحيماً . ومذكراً . وجعله رحمة ونعمة وهاديا .

وسنورد الاحاديث المروية فى اسمائه عليه الصلاة والسلام فى باب نعقده بعد فراغ السيرة . فانه قد وردت أحاديث كثيرة فى ذلك اعتنى بجمعها الحافظان الكبيران أبو بكر البيهقى وأبو القاسم بن عساكر وافرد الناس فى ذلك مؤلفات حتى رام بعضهم أن يجمع له عليه الصلاة والسلام ألف اسم . واما الفقيه الكبير أبو بكر بن العربى المالكى شارح الترمذى بكتابه الذى سماه الاحوذى فانه ذكر من ذلك أربعة وستين اسما والله أعلم.

وهو ابن عبد الله وكان اصغر ولد أبيه عبد المطلب وهو الذبيح الثانى المفدى بمائة من الابل كما تقدم قال الزهرى : وكان اجمل رجال قريش وهو أخو الحارث والزبير وحمزة وضرار وأبى طالب ـ واسمه عبد مناف ـ وأبى لهب ـ واسمه عبدالعزى ـ والمقوم ـ واسمه عبدالكعبة ـ وقيل هما اثنان وحجل واسمه المغيرة والغيداق وهو كبير الجود ـ واسمه نوفل ـ ويقال انه حجل .فهؤلاء اعمامه عليه الصلاة

والسلام . وعماته ست وهن أروى . وبرة . وأميمة . وصفية . وعاتكة . وام حكيم ـ وهى البيضاء ـ وسنتكلم على كل منهم فيما بعد ان شاء الله تعالى . كلهم أولاد عبد المطلب ـ واسمه شيبة ـ يقال لشيبة كانت فى رأسه ويقال له شيبة الحمد لجوده . وانما قيل له عبد المطلب لان أباه هاشما لما مر بالمدينة فى تجارته الى الشام نزل على عمرو بن زيد بن لبيد بن حرام بن خداش بن خندف بن عدى بن النجار الخزرجى النجارى وكان سيد قومه فاعجبته ابنته سلمى فخطبها الى أبيها فزوجها منه واشترط عليه مقامها عنده وقيل بل اشترط عليه أنَ لا تلد إلا عنده بالمدينة فلما رجع من الشام بنى بها واخذها معه الى مكة فلما خرج فى تجارة أخذها معه وهى حبلى فتركها بالمدينة ودخل الشام فمات بغزة ووضعت سلمى ولدها فسمته شيبة فاقام عند اخواله بنى عدى بن النجار سبع سنين ثم جاء عمه المطلب بن عبد مناف فاخذه خفية من أمه فذهب به الى مكة . فلما رآه الناس ورأوه على الراحلة قالوا من هذا معك ؟ فقال عبدى ثم جاؤا فهنؤه به وجعلوا يقولون له عبد المطلب لذلك فغلب عليه وساد فى قريش سيادة عظيمة وذهب بشرفهم ورآستهم . فكان جماع أمرهم عليه وكانت اليه السقاية والرفادة بعد المطلب وهو الذى جدد حفر زمزم بعد ما كانت مطمومة من عهد جرهم وهو أول من طلى الكعبة بذهب فى أبوابها من تينك الغزالتين اللتين من ذهب وجدهما فى زمزم مع تلك الاسياف القلعية قال ابن هشام : وعبد المطلب أخو أسد وفضلة وأبى صيفى وحية وخالدة ورقية والشفاء وضعيفة . كلهم أولاد هاشم واسمه عمرو وانما سمى هاشما لهشمه الثريد مع اللحم لقومه فى سنى المحل كما قال مطرود بن كعب الخزاعى فى قصيدته وقيل للزبعرى والد عبد الله :

عمرو الذي هَشَم الثريدَ لقومه ورجالُ مكةَ مُسْنِتون عِجافُ
سُنَّتْ اليه الرحلتان كلاهما سَفَرُ الشتاءِ ورِحلةُ الأصياف

وذلك لانه أول من سن رحلتى الشتاء والصيف وكان أكبر ولد أبيه. وحكى ابن جرير انه كان تؤام أخيه عبد شمس وان هاشما خرج ورجله ملتصقة برأس عبد شمس فما تخلصت حتى سال بينهما دم فقال الناس بذلك يكون بين أولادهما حروب فكانت وقعة بنى العباس مع بنى أمية بن عبد شمس سنة ثلاث وثلاثين ومائة من الهجرة. وشقيقهم الثالث المطلب وكان المطلب أصغر ولد أبيه وأمهم عاتكة بنت مرة ابن هلال . ورابعهم نوفل من أم أخرى وهى واقدة بنت عمرو المازنية وكانوا قد سادوا قومهم بعد أبيهم وصارت اليهم الرياسة وكان يقال لهم المجيرون وذلك لانهم أخذوا لقومهم قريش الأمان من ملوك الأقاليم ليدخلوا فى التجارات الى بلادهم فكان هاشم قد أخذ امانا من ملوك الشام والروم وغسان واخذ لهم عبد شمس من النجاشى الأكبر ملك الحبشة ، واخذ لهم نوفل من الاكاسرة ، واخذ لهم المطلب أمانا من ملوك حمير . ولهم يقول الشاعر :

يا أيها الرجلُ المحوِّلُ رحلَه   إلاّ نزلتَ بآلِ عبدِ مناف

وكان الى هاشم السقاية والرفادة بعد أبيه ، واليه والى أخيه المطلب نسب ذوى القربى ، وقد كانوا شيئاً واحداً فى حالتى الجاهلية والاسلام لم يفترقوا ، ودخلوا معهم فى الشعب ، وانخذل عنهم بنو عبد شمس ونوفل . ولهذا يقول أبو طالب فى قصيدته :

جزى الله عنا عبدَ شمسٍ ونوفلاً   عُقوبةَ شرٍّ عاجلاً غير آجل

ولا يعرف بنو أب تباينوا فى الوفاة مثلهم ، فان هاشما مات بغزة من أرض الشام ، وعبد شمس مات بمكة ، ونوفل مات بسلامان من أرض العراق ، ومات المطلب ـ وكان يقال له القمر لحسنه ـ بريمان من طريق اليمن . فهؤلاء الاخوة الأربعة المشاهير وهم هاشم ، وعبد شمس ، ونوفل ، والمطلب . ولهم أخ خامس ليس بمشهور وهو أبو عمرو واسمه عبد ، وأصل اسمه عبد قصى . فقال الناس عبد بن قصى درج ولا عقب له . قاله الزبير بن بكار وغيره . واخوات ست وهن ، تماضر ، وحية ، وريطة ، وقلابة ، وام الاخثم ، وام سفيان . كل هؤلاء أولاد عبد مناف ومناف اسم صنم واصل اسم عبد مناف المغيرة . وكان قد رأس فى زمن والده ، وذهب به الشرف كل مذهب . وهو أخو عبد الدار الذى كان أكبر ولد ابيه واليه أوصى بالمناصب كما تقدم . وعبد العزى وعبد وبرة وتخمر وامهم كلهم حبى بنت حليل بن حبشى بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعى وأبوها آخر ملوك خزاعة وولاة البيت منهم ، وكلهم أولاد قصى واسمه زيد . وانما سمى بذلك لأن أمه تزوجت بعد أبيه بربيعة بن حزام بن عذرة فسافر بها الى بلاده وابنها صغير فسمى قصيا لذلك . ثم عاد الى مكة وهو كبير ولم شعث قريش وجمعها من متفرقات البلاد ، وازاح يد خزاعة عن البيت ، واجلاهم عن مكة ورجع الحق إلى نصابه وصار رئيس قريش على الاطلاق وكانت اليه الوفادة والسقاية ـ وهو سنها ـ والسدانة والحجابة واللواء وداره دار الندوة كما تقدم بسط ذلك كله ـ ولهذا قال الشاعر :

قُصَيٌّ ، لعَمري كان يُدعى مُجمِّعاً   به جمعَ اللهُ القبائلَ من فِهْرِ

وهو أخو زهرة كلاهما ابنا كلاب أخى تيم ويقظة أبى مخزوم ثلاثتهم ابناء مرة أخى عدى وهصيص وهم أبناء كعب وهو الذى كان يخطب قومه كل جمعة ويبشرهم بمبعث رسول الله (ص) وينشد فى ذلك اشعاراً كما قدمنا ، وهو أخو عامر وسامة وخزيمة وسعد والحارث وعوف سبعتهم أبناء لؤى أخى تيم الأدرم وهما ابناء غالب أخى الحارث ومحارب ثلاثتهم ابناء فهر ، وهو أخو الحارث وكلاهما ابن مالك . وهو أخو الصلت ويخلد ، وهم بنو النضر الذى اليه جماع قريش على الصحيح كما قدمنا الدليل عليه ، وهو أخو مالك وملكان وعبد مناة وغيرهم كلهم أولاد كنانة أخى أسد واسدة والهون أولاد خزيمة ، وهو أخو هذيل وهما ابنا مدركة ـ واسمه عمرو أخو طابخة واسمه عامر وقمعة ثلاثتهم أبناء الياس

.وأخى الياس هو غيلان والد قيس كلها وهما ولدا مضر أخى ربيعة . ويقال لهما الصريحان من ولد اسماعيل واخواهما أنمار واياد تيامنا، اربعتهم ابناء نزار أخى قضاعة ـ فى قول طائفة ممن ذهب الى أن قضاعة حجازية عدنانية ـ وقد تقدم بيانه كلاهما ابناء معد بن عدنان .

وهذا النسب بهذه الصفة لا خلاف فيه بين العلماء فجميع قبائل عرب الحجاز ينتهون الى هذا النسب ولهذا قال ابن عباس وغيره فى قوله تعالى . (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى) لم يكن بطن من بطون قريش الا ولرسول الله (ص) نسب يتصل بهم . وصدق ابن عباس رضى الله عنه فيما قال وازيد مما قال ، وذلك أن جميع قبائل العرب العدنانية تنتهى اليه بالآباء وكثير منهم بالامهات أيضاً كما ذكره محمد بن اسحاق وغيره فى أمهاته وأمهات آبائه وأمهاتهم ما يطول ذكره . وقد حرره ابن اسحاق رحمه الله والحافظ ابن عساكر وقد ذكرنا فى ترجمة عدنان نسبه وما قيل فيه وانه من ولد اسماعيل لا محالة وان اختلف فى كم بينهما أبا؟ على أقوال قد بسطناها فيما تقدم والله أعلم .

وقد ذكرنا بقية النسب من عدنان الى آدم وأوردنا قصيدة أبى العباس الناشىء المتضمنة ذلك ، كل ذلك فى أخبار عرب الحجاز ولله الحمد .

وقد تكلم الامام أبو جعفر بن جرير رحمه الله فى أول تاريخه على ذلك كلاما مبسوطا جيدا محرراً نافعاً . وقد ورد حديث فى انتسابه عليه السلام الى عدنان وهو على المنبر ولكن الله أعلم بصحته كما قال الحافظ أبو بكر البيهقى أنبأنا أبو الحسن على بن أحمد بن عمر بن حفص المقرئ ـ ببغداد ـ حدثنا أبو عيسى بكار بن احمد بن بكار حدثنا أبو جعفر احمد بن موسى بن سعد ـ املاء سنة ست وتسعين ومائتين ـ حدثنا أبو جعفر محمد بن ابان القلانسى حدثنا أبو محمد عبدالله بن محمد بن ربيعة القدامى حدثنا مالك بن أنس عن الزهرى عن أنس وعن أبى بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام . قال : بلغ النبى (ص) أن رجالا من كندة يزعمون أنهم منه وانه منهم فقال « انما كان يقول ذلك العباس وأبو سفيان بن حرب فيأمنا بذلك . وإنا لن ننتفى من آبائنا ، نحن بنو النضر بن كنانة : قال وخطب النبى (ص) فقال « أنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نذار وما افترق الناس فرقتين إلا جعلنى الله فى خيرها فاخرجت من بين أبوى فلم يصبنى شىء من عهر الجاهلية . وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت الى أبى وأمى ، فانا خيركم نفسا ، وخيركم أبا» وهذا حديث غريب جدا من حديث مالك . تفرد به القدامى وهو ضعيف . ولكن سنذكر له شواهد من وجوه أخر . فمن ذلك قوله «خرجت من نكاح لا من سفاح » قال عبد الرزاق أخبرنا ابن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه أبى جعفر الباقر فى قوله تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) قال لم يصبه شئ

من ولادة الجاهلية قال وقال رسول الله (ص) « إنى خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح » وهذا مرسل جيد . وهكذا رواه البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن محمد بن اسحاق الصنعانى عن يحيى بن أبى بكير عن عبد الغفار بن القاسم عن جعفر بن محمد عن أبيه . قال قال رسول الله (ص): « ان الله أخرجنى من النكاح ولم يخرجنى من السفاح » وقد رواه ابن عدى موصولا فقال حدثنا أحمد بن حفص حدثنا محمد بن أبى عمرو العدنى المكى حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين قال اشهد على أبى حدثنى عن أبيه عن جده عن على بن أبى طالب أن النبى (ص) قال : « خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم الى أن ولدنى أبى وأمى ولم يصبنى من سفاح الجاهلية شىء » هذا غريب من هذا الوجه ولا يكاد يصح . وقال هشيم حدثنا المدينى عن أبى الحويرث عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص): « ماولدنى من نكاح أهل الجاهلية شىء ماولدنى إلا نكاح كنكاح الاسلام» وهذا أيضاً غريب أورده الحافظ ابن عساكر ثم اسنده من حديث أبى هريرة وفى اسناده ضعف والله أعلم .وقال محمد بن سعد أخبرنا محمد بن عمر حدثنى محمد بن عبد الله بن مسلم عن عمه الزهرى عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله (ص) : « ولدت من نكاح غير سفاح » ثم أورد ابن عساكر من حديث أبى عاصم عن شبيب عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله تعالى (وتقلبك فى الساجدين) قال من نبى الى نبى حتى اخرجت نبياً. ورواه عن عطاء . وقال محمد بن سعد أخبرنا هشام بن محمد الكلبى عن أبيه قال كتبت للنبى (ص) خمسمائة أم فما وجدت فيهن سفاحاً ولا شيئا مما كان من أمر الجاهلية . وثبت فى صحيح البخارى من حديث عمرو بن أبى عمرو عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص): «بعثت من خير قرون بنى آدم قرناً فقرناً حتى بعثت من القرن الذى كنت فيه » وفى صحيح مسلم من حديث الاوزاعى عن شداد أبى عمار عن واثلة بن الاسقع ان رسول الله (ص) قال : « أن الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من بنى اسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم » وقال الامام احمد حدثنا أبو نعيم عن سفيان عن يزيد بن أبى زياد عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن المطلب بن أبى وداعة قال قال العباس بلغه (ص) بعض ما يقول الناس « فصعد المنبر فقال : من أنا ؟ » قالوا أنت رسول الله قال « أنا محمد بن عبدالله بن عبد المطلب ، إن الله خلق الخلق فجعلنى فى خير خلقه وجعلهم فرقتين فجعلنى فى خير فرقة ، وخلق القبائل فجعلنى فى خير قبيلة ، وجعلهم بيوتاً فجعلنى فى خيرهم بيتاً. فانا خيركم بيتاً وخيركم نفسا » صلوات الله وسلامه عليه دائما أبداً الى يوم الدين .وقال يعقوب بن سفيان حدثنا عبيدالله بن موسى عن اسماعيل بن أبى خالد عن يزيد بن أبى زياد عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن العباس بن عبد المطلب قال قلت يارسول الله ان قريشا اذا التقوا لقى بعضهم بعضا بالبشاشة ، وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها . . فغضب

رسول الله (ص) عند ذلك غضبا شديدا ثم قال: «والذى نفس محمد بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله» فقلت يا رسول الله إن قريشاً جلسوا فتذا كروا أحسابهم فجعلوا مثلك كمثل نخلة فى كبوة من الارض. فقال رسول الله (ص): «إن الله يوم خلق الخلق جعلنى فى خيرهم، ثم لما فرقهم [قبائل] جعلنى فى خيرهم قبيلة. ثم حين جعل البيوت جعلنى فى خير بيوتهم فانا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً». ورواه أبو بكر بن أبى شيبة عن ابن فضيل عن يزيد بن أبى زياد عن عبد الله بن الحارث عن ربيعة ابن الحارث قال بلغ النبى (ص) فذكره بنحو ما تقدم ولم يذكر العباس. وقال يعقوب بن سفيان حدثنى يحيى بن عبد الحميد حدثنى قيس بن عبد الله عن الاعمش عن عليلة بن ربعى عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص): «إن الله قسم الخلق قسمين فجعلنى فى خيرهما قسماً، فذلك قوله وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال، فانا من أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب اليمين، ثم جعل القسمين أثلاثاً فجعلنى فى خيرها ثلثاً، فذلك قوله وأصحاب الميمنة والسابقون السابقون فانا من السابقين، وأنا خير السابقين، ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلنى فى خيرها قبيلة فذلك قوله وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير وأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر، ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلنى فى خيرها بيتاً وذلك قوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً، فانا وأهل بيتى مطهرون من الذنوب». وهذا الحديث فيه غرابة ونكارة. وروى الحاكم والبيهقى من حديث محمد بن ذكوان خال ولد حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن ابن عمر قال: إنا لقعود بفناء النبى (ص) إذ مرت به امرأة، فقال بعض القوم هذه ابنة رسول الله (ص) قال أبو سفيان: مثل محمد فى بنى هاشم مثل الريحانة فى وسط النتن. فانطلقت المرأة فاخبرت النبى (ص) فجاء رسول الله (ص): يعرف فى وجهه الغضب. فقال: «ما بال أقوال تبلغنى عن أقوام إن الله خلق السماوات سبعاً فاختار العلياء منها فأسكنها من شاء من خلقه، ثم خلق الخلق فاختار من الخلق بنى آدم، واختار من بنى آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قريشاً، واختار من قريش بنى هاشم، واختارنى من بنى هاشم فانا خيار من خيار، فمن أحب العرب فبحبى أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضى أبغضهم» هذا أيضاً حديث غريب. وثبت فى الصحيح أن رسول الله (ص) قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر» وروى الحاكم والبيهقى أيضاً من حديث موسى بن عبيدة حدثنا عمرو بن عبد الله بن نوفل عن الزهرى عن أبى أسامة أو أبى سلمة عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله (ص): «قال لى جبريل قلبت الارض من مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلا أفضل من محمد، وقلبت الارض مشارقها ومغاربها فلم أجد بنى أب أفضل من بنى هاشم» قال الحافظ البيهقى وهذه الاحاديث وإن كان فى رواتها من لا يحتج به فبعضها يؤكد بعضاً ومعنى جميعها يرجع الى حديث واثلة بن الاسقع والله أعلم

قلت وفى هذا المعنى يقول أبو طالب يمتدح النبى (ص) :

إذا اجتمعتْ يوماً قريشٌ لمفخرٍ فعبدُ منافٍ سِرُّها وصميمُها
فان حَصلتْ أشرافُ عبدِ منافِها ففي هاشمٍ أشرافُها وقديمها
وإن فَخرتْ يوماً فإنّ محمداً هو المصطفى من سرِّها وكريمها
تداعتْ قريشٌ غثُّها وسمينُها علينا فلم تظفر وطاشتْ حُلومها
وكنّا قديماً لا نقرّ ظلامةً إذا ما ثنوا صُعْرَ الخدود نقيمها
ونحمى حِماها كل يوم كريهةٍ ونضربُ عن أحجارها مَن يرومها
بنا انتعشَ العودُ الذواء وإنما بأكنافنا تَندى وتنمى أرومُها

وقال أبو السكن زكريا بن يحيى الطائى فى الجزء المنسوب اليه المشهور: حدثنى عمر بن أبى زحر بن حصين عن جده، حميد بن منهب قال قال جدى خريم بن أوس هاجرت إلى رسول الله (ص) فقدمت عليه منصرفه من تبوك ، فاسلمت فسمعت العباس بن عبد المطلب يقول يا رسول الله إنى أريد أن أمتدحك ، فقال رسول الله (ص) قل لا يفضض الله فاك فانشأ يقول:

من قبلها طِبتَ فى الظلال وفى مستودعٍ حيثُ يُخصَف الورق
ثم هبطتَ البلادَ لا بشرٌ أنـ ـت ولاً مُضغةٌ ولا علَق
بل نطفةٌ تركب السفينَ وقد ألجمَ نَسراً وأهلَه الغرَق
تنقل من صلبٍ إلى رحم إذا مضى عالَم بدا طبق
حتى احتوى بيتُك المهيمن من خُندفٍ علياءَ تحتها النطق
وأنتَ لما وُلدتَ أشرقتِ الا رضُ وضاءت بنورك الأفق
فنحن فى ذلك الضياءِ وفى الـ ـنورِ وسُبْلِ الرشادِ نخترق

وقد روى هذا الشعر لحسان بن ثابت فروى الحافظ أبو القاسم بن عساكر من طريق أبى الحسن ابن أبى الحديد أخبرنا محمد بن أبى نصر أنا عبد السلام بن محمد بن احمد القرشى حدثنا أبو حصين محمد ابن اسماعيل بن محمد التميمى حدثنا محمد بن عبدالله الزاهد الخراسانى حدثنى اسحاق بن ابراهيم بن سنان حدثنا سلام بن سليمان أبو العباس المكفوف المدائنى حدثنا ورقاء بن عمر عن ابن أبى نجيح عن عطاء ومجاهد عن ابن عباس قال سألت رسول الله (ص) فقلت فداك أبى وأمى أين كنت وآدم فى الجنة ؟ قال فتبسم حتى بدت نواجذه ثم قال : «كنت فى صلبه وركب بى السفينة فى صلب أبى نوح وقذف بى فى صلب ابى ابراهيم لم يلتق أبواى على سفاح قط لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الحسيبة إلى الأرحام الطاهرة صفتى مهدى لا ينشعب شعبتان إلا كنت فى خيرهما وقد أخذ الله بالنبوة ميثاقى وبالاسلام عهدى

ونشر فى التوراة والأنجيل ذكرى وبين كل نبى صفتى تشرق الارض بنورى والغمام بوجهى وعلمنى كتابه وزادنى [شرفا] فى سمائه وشق لى اسماً من أسمائه فذو العرش محمود وأنا محمد واحمد ووعدنى أن يحبونى بالحوض والكوثر وأن يجعلنى أول شافع وأول مشفع ثم أخرجنى من خير قرن لامتى ، وهم الحمادون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » قال ابن عباس فقال حسان بن ثابت فى النبى (ص) :

قبلها طبت فى الظلال وفى   مستودع يوم يخصف الورق

ثم سكنت البلاد لا بشر انـ   ـت ولا نطفة ولا علق

مطهر تركب السفين وقد   ألجم نسراً وأهله الغرق

تنقل من صلب إلى رحم   إذا مضى طبق بدا طبق

فقال النبى (ص) : « يرحم الله حسانا » فقال على بن أبى طالب وجبت الجنة لحسان ورب الكعبة ثم قال الحافظ ابن عساكر هذا حديث غريب جداً

قلت : بل منكر جداً والمحفوظ أن هذه الأبيات للعباس رضى الله عنه ثم أوردها من حديث أبى السكن زكريا بن يحيى الطائى كما تقدم

قلت : ومن الناس من يزعم أنها للعباس بن مرداس السلمى فالله أعلم .

تنبيه . قال القاضى عياض ـ فى كتابه الشفاء ـ وأما احمد الذى أتى فى الكتب وبشرت به الانبياء فمنع الله بحكمته أن يسمى به أحد غيره ولا يدعى به مدعو قبله ، حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب أوشك . وكذلك محمد لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبل وجوده وميلاده أن نبياً يبعث اسمه محمد . فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو (والله أعلم حيث يجعل رسالاته) وهم : محمد بن احيحة بن الجلاح الأوسى . ومحمد بن سلمة الأنصارى . ومحمد بن البراء الكندى . ومحمد بن سفيان بن مجاشع . ومحمد بن حمران الجعفى . ومحمد بن خزاعى السلمى لا سابع لهم . ويقال إن أول من سمى محمداً محمد بن سفيان بن مجاشع . واليمن تقول بل محمد بن ليحمد من الازد . ثم إن الله حمى كل من تسمى به أن يدعى النبوة أو يدعيها له أحد ، أو يظهر عليه سبب يشكل أحدا فى أمره حتى تحققت الشيمتان له (ص) لم ينازع فيهما . هذا لفظه .

باب مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولد صلوات الله عليه وسلامه يوم الاثنين . لما رواه مسلم فى صحيحه من حديث غيلان بن جرير بن عبد الله بن معبد الزمانى عن أبى قتادة أن اعرابيا قال يا رسول الله ، ما تقول فى صوم يوم الاثنين فقال « ذاك يوم ولدت فيه وانزل على فيه » . وقال الامام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة عن

خالد بن أبى عمران عن حنش الصنعانى عن ابن عباس قال : ولد رسول الله (ص) يوم الاثنين، واستنبىء يوم الاثنين ، وخرج مهاجرا من مكة الى المدينة يوم الاثنين ، وقدم المدينة يوم الاثنين ، وتوفى يوم الاثنين ، و رفع الحجر الاسود يوم الاثنين . تفرد به أحمد ورواه عمرو بن بكير عن ابن لهيعة وزاد نزلت سورة المائدة يوم الاثنين (اليوم أكملت لكم دينكم). وهكذا رواه بعضهم عن موسى بن داود به وزاد أيضا وكانت وقعة بدر يوم الاثنين. وممن قال هذا يزيد بن حبيب وهذا منكر جداً. قال ابن عساكر والمحفوظ ان بدراً ونزول (اليوم أكملت لكم دينكم) يوم الجمعة وصدق ابن عساكر . وروى عبدالله بن عمر عن كريب عن ابن عباس ولد رسول الله (ص) يوم الاثنين وتوفى يوم الاثنين. وهكذا روى من غير هذا الوجه عن ابن عباس انه ولد يوم الاثنين . وهذا مالا خلاف فيه انه ولد (ص) يوم الاثنين . وأبعد بل اخطأ من قال ولد يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من ربيع الأول نقله الحافظ ابن دحية فيما قرأه فى كتاب أعلام الروى بأعلام الهدى لبعض الشيعة. ثم شرع ابن دحية فى تضعيفه وهو جدير بالتضعيف إذ هو خلاف النص . ثم الجمهور على أن ذلك كان فى شهر ربيع الأول فقيل لليلتين خلتا منه قاله ابن عبد البر فى الاستيعاب ورواه الواقدى عن أبى معشر نجيح بن عبد الرحمن المدنى . وقيل لثمان خلون منه حكاه الحميدى عن ابن حزم . ورواه مالك وعقيل ويونس بن يزيد وغيرهم عن الزهرى عن محمد بن جبير بن مطعم و نقل ابن عبد البر عن أصحاب التاريخ انهم صححوه وقطع به الحافظ الكبير محمد بن موسى الخوارزمى ورجحه الحافظ أبو الخطاب بن دحية فى كتابه التنوير فى مولد البشير النذير وقيل لعشر خلون منه نقله ابن دحية فى كتابه ورواه ابن عساكر عن أبى جعفر الباقر ورواه مجالد عن الشعبى كما مر. وقيل لثنتى عشرة خلت منه نص عليه ابن اسحاق ورواه ابن أبى شيبة فى مصنفه عن عفان عن سعيد بن ميناء عن جابر وابن عباس انهما قالا : ولد رسول الله (ص) عام الفيل يوم الاثنين الثامن عشر [1] من شهر ربيع الاول وفيه بعث وفيه عرج به الى السماء وفيه هاجر وفيه مات . وهذا هو المشهور عند الجمهور والله أعلم . وقيل لسبعة عشر خلت منه كما نقله ابن دحية عن بعض الشيعة . وقيل لثمان بقين منه نقله ابن دحية من خط الوزير أبى رافع بن الحافظ أبى محمد بن حزم عن أبيه والصحيح عن ابن حزم الاول انه لثمان مضين منه كما نقله عنه الحميدى وهو اثبت . والقول الثانى انه ولد فى رمضان نقله ابن عبد البر عن الزبير بن بكار وهو قول غريب جداً وكان مستنده انه عليه الصلاة والسلام أوحى اليه فى رمضان بلاخلاف وذلك على رأس أربعين سنة من عمره فيكون مولده فى رمضان وهذا فيه نظر والله اعلم . وقد روى خيثمة بن سليمان الحافظ عن خلف بن محمد كردوس الواسطى عن المعلى بن عبد الرحمن عن عبد الحميد بن جعفر عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن

(١) بهامش المصرية : قال مؤلفه : كذا رأيته الثامن عشر . وصوابه الثانى عشر

ابن عباس قال ولد رسول الله (ص) يوم الاثنين فى ربيع الاول وانزلت عليه النبوة يوم الاثنين فى أول شهر ربيع الأول وانزلت عليه البقرة يوم الاثنين فى ربيع الاول . وهذا غريب جداً رواه ابن عساكر . قال الزبير بن بكار حملت به أمه فى أيام التشريق فى شعب أبى طالب عند الجمرة الوسطى . وولد بمكة بالدار المعروفة بمحمد بن يوسف أخى الحجاج بن يوسف لثنتى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان. ورواه الحافظ ابن عساكر من طريق محمد بن عثمان بن عقبة بن مكرم عن المسيب بن شريك عن شعيب بن شعيب عن ابيه عن جده قال حمل برسول الله (ص) فى يوم عاشوراء فى المحرم وولد يوم الاثنين لثنتى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين من غزوة اصحاب الفيل . وذكر غيره ان الخيزران وهى أم هارون الرشيد لما حجت امرت ببناء هذه الدار مسجداً. فهو يعرف بها اليوم . وذكر السهيلى أن مولده عليه الصلاة والسلام كان فى العشرين من نيسان . وهذا أعدل الزمان والفصول وذلك لسنة اثنتين وثمانين وثمانمائة لذى القرنين فيما ذكر أصحاب الزيج . وزعموا ان الطالع كان لعشرين درجة من الجدى وكان المشترى وزحل مقترنين فى ثلاث درج من العقرب وهى درجة وسط السماء . وكان موافقا من البروج الحمل وكان ذلك عند طلوع القمر أول الليل نقله كله ابن دحية والله أعلم .

قال ابن اسحاق : وكان مولده عليه الصلاةوالسلام عام الفيل وهذا هو المشهور عن الجمهور . قال ابراهيم بن المنذر الحزامى : وهو الذى لا يشك فيه أحد من علمائنا انه عليه الصلاة والسلام ولد عام الفيل وبعث على رأس أربعين سنة من الفيل . وقد رواه البيهقى من حديث أبى اسحاق السبيعى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : ولد رسول الله (ص) عام الفيل وقال محمد بن اسحاق حدثنى المطلب بن عبدالله بن قيس بن مخرمة عن أبيه عن جده قيس بن مخرمة قال ولدت انا ورسول الله (ص) عام الفيل ، كنا لدين . قال وسأل عثمان رضى الله عنه قباث بن اشيم أخا بنى يعمر بن ليث أنت أكبر أم رسول الله (ص) ؟ فقال: رسول الله (ص) أكبر منى وانا اقدم منه فى الميلاد . ورأيت خزق الفيل اخضر محيلا . ورواه الترمذى والحاكم من حديث محمد بن اسحاق به .

قال ابن اسحاق : وكان رسول الله (ص) عام عكاظ ابن عشرين سنة .

وقال ابن اسحاق : كان الفجار بعد الفيل بعشرين سنة ، وكان بناء الكعبة بعد الفجار بخمسة عشر سنة ، والمبعث بعد بنائها بخمس سنين . وقال محمد بن جبير بن مطعم : كانت عكاظ بعد الفيل بخمس عشرة سنة ، وبناء الكعبة بعد عكاظ بعشر سنين ، والمبعث بعد بنائها بخمس عشرة سنة . وروى الحافظ البيهقى من حديث عبد العزيز بن أبى ثابت المدينى حدثنا الزبير بن موسى عن أبى الحويرث قال سمعت عبد الملك بن مروان يقول لقباث بن اشيم الكنانى ثم الليثى : ياقباث انت أكبر أم رسول الله

(ص) ؟ قال: رسول الله (ص) أكبر مني ، وانا اسن . ولد رسول الله (ص) عام الفيل ، ووقفت بي أمي على روث الفيل محيلا اعقله . وتنبأ رسول الله (ص) على رأس أربعين سنة . وقال يعقوب بن سفيان حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثنا نعيم يعني ابن ميسرة - عن بعضهم عن سويد بن غفلة انه قال انا لدة رسول الله (ص) ولدت عام الفيل . قل البيهقي وقد روى عن سويد بن غفلة انه قال أنا أصغر من رسول الله (ص) بسنتين . قال يعقوب وحدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا عبد العزيز بن ابي ثابت حدثني عبد الله بن عثمان بن ابي سليمان النوفلي عن أبيه عن محمد بن جبير بن مطعم . قال ولد رسول الله (ص) عام الفيل ، وكانت بعده عكاظ بخمس عشرة سنة ، وبنى البيت على رأس خمس وعشرين سنة من الفيل ، وتنبأ رسول الله (ص) على رأس أربعين سنة من الفيل .

والمقصود أن رسول الله (ص) ولد عام الفيل على قول الجمهور فقيل بعده بشهر ، وقيل باربعين يوما ، وقيل بخمسين يوما - وهو أشهر - وعن أبي جعفر الباقر كان قدوم الفيل للنصف من المحرم ، ومولد رسول الله (ص) بعده بخمس وخمسين ليلة ، وقال آخرون بل كان عام الفيل قبل مولد رسول الله (ص) بعشر سنين . قاله ابن أبزى . وقيل بثلاث وعشرين سنة رواه شعيب بن شعيب عن أبيه عن جده كما تقدم وقيل بعد الفيل بثلاثين سنة . قاله موسى بن عقبة عن الزهري رحمه الله . واختاره موسى بن عقبة أيضا رحمه الله . وقال أبو زكريا العجلاني : بعد الفيل باربعين عاما ، رواه ابن عساكر وهذا غريب جدا ، واغرب منه ما قال خليفة بن خياط حدثني شعيب بن حبان عن عبد الواحد بن أبي عمرو عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، قال : ولد رسول الله (ص) قبل الفيل بخمس عشرة سنة وهذا حديث غريب ومنكر وضعيف أيضا ، قال خليفة بن خياط والمجتمع عليه انه عليه السلام ولد عام الفيل .

صفة مولده الشريف عليه الصلاة والسلام

قد تقدم ان عبد المطلب لما ذبح تلك الابل المائة عن ولده عبد الله حين كان نذر ذبحه فسلمه الله تعالى لما كان قدر في الازل من ظهور النبي الامي (ص) خاتم الرسل وسيد ولد آدم من صلبه ، فذهب كما تقدم فزوجه اشرف عقيلة في قريش آمنة بنت وهب بن عبدمناف بن زهرة الزهرية ، فحين دخل بها وافضى اليها حملت برسول الله (ص) ، وقد كانت أم قتال رقيقة بنت نوفل أخت ورقة بن نوفل توسمت ما كان بين عيني عبد الله قبل أن يجامع آمنة من النور ، فودت أن يكون ذلك متصلا بها لما كانت تسمع من اخيها من البشارات بوجود محمد (ص) ، وانه قد أزف زمانه فعرضت نفسها عليه . قال بعضهم ليتزوجها وهو أظهر والله اعلم ، فامتنع عليها فلما انتقل ذلك النور الباهر إلى آمنة بمواقعته

أباها كانه تندم على ما كانت عرضت عليه . فتعرض لها لتعاوده . فقالت لا حاجة لى فيك وتأسفت على ما فاتها من ذلك وأنشدت فى ذلك ما قدمناه من الشعر الفصيح البليغ . وهذه الصيانة لعبد الله ليست له وإنما هى لرسول الله (ص) ، فانه كما قال تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالاته) وقد تقدم الحديث المروى من طريق جيد أنه قال عليه الصلاة والسلام : « ولدت من نكاح لا من سفاح »

والمقصود أن أمه حين حملت به توفى أبوه عبدالله وهو حمل فى بطن أمه على المشهور . قال محمد ابن سعد حدثنا محمد بن عمر - هو الواقدى - حدثنا موسى بن عبيدة اليزيدى . وحدثنا سعيد بن أبى زيد عن أيوب بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة . قال : خرج عبد الله بن عبد المطلب إلى الشام إلى غزة فى عير من عيران قريش يحملونه تجارات ، ففرغوا من تجاراتهم ثم انصرفوا فمروا بالمدينة وعبدالله ابن عبد المطلب يومئذ مريض ، فقال أتخلف عند أخوالى بنى عدى بن النجار ، فأقام عندهم مريضاً شهراً ومضى أصحابه فقدموا مكة فسألهم عبد المطلب عن ابنه عبد الله فقالوا خلفناه عند أخواله بنى عدى بن النجار وهو مريض . فبعث اليه عبد المطلب أكبر ولده الحارث . فوجده قد توفى ودفن فى دار النابغة فرجع إلى ابيه فاخبره ، فوجد عليه عبد المطلب وإخوته وأخواته وجداً شديداً ، ورسول الله (ص) يومئذ حمل . ولعبد الله بن عبد المطلب يوم توفى خمس وعشرون سنة .

قال الواقدى : هذا هو أثبت الاقاويل فى وفاة عبدالله وسنه عندنا . قال الواقدى : وحدثنى معمر عن الزهرى أن عبد المطلب بعث عبد الله الى المدينة يمتار لهم تمراً فمات . قال محمد بن سعد وقد انبأنا هشام بن محمد بن السائب الكلبى عن أبيه وعن عوانة بن الحكم . قالا : توفى عبد الله بن عبد المطلب بعد ما أتى على رسول الله (ص) ثمانية وعشرين شهراً ، وقيل سبعة أشهر . وقال محمد بن سعد : والأول أثبت أنه توفى ورسول الله (ص) حمل . وقال الزبير بن بكار : حدثنى محمد بن حسن عن عبد السلام عن ابن خربوذ . قال : توفى عبد الله بالمدينة ورسول الله (ص) ابن شهرين ، وماتت أمه وهو ابن أربع سنين ، ومات جده وهو ابن ثمان سنين ، فأوصى به إلى عمه أبى طالب . والذى رجحه الواقدى وكاتبه الحافظ محمد بن سعد أنه عليه الصلاة والسلام توفى أبوه وهو جنين فى بطن أمه وهذا أبلغ اليتم وأعلى مراتبه . وقد تقدم فى الحديث « ورؤيا أمى الذى رأت حين حمل بى كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام » وقال محمد بن اسحاق فكانت آمنة بنت وهب أم رسول الله (ص) تحدث أنها أتيت حين حملت برسول الله (ص) فقيل لها إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ، فاذا وقع إلى الأرض فقولى : أعيذه بالواحد ، من شر كل حاسد ، من كل بر عاهد[1] وكل عبد رائد ، يذود عنى ذائد ، فانه عند الحميد الماجد ، حتى أراه قد أتى المشاهد . وآية ذلك أنه يخرج معه نور يملأ قصور بصرى من أرض الشام ، فاذا وقع فسميه محمداً . فان اسمه فى التوراة احمد يحمده أهل السماء وأهل

---

(١) كذا فى الاصلين ولم نقف عليه ولم يظهر لنا معناه .

الارض، واسمه فى الانجيل احمد يحمده أهل السماء وأهل الارض ، واسمه فى القرآن محمد . وهذا وذاك يقتضى أنها رأت حين حملت به عليه السلام كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام . ثم لما وضعته رأت عياناً تأويل ذلك كما رأته قبل ذلك ها هنا والله أعلم .

وقال محمد بن سعد : أنبأنا محمد بن عمر ـ هو الواقدى ـ حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم عن الزهرى . وقال الواقدى : حدثنا موسى بن عبدة عن أخيه ومحمد بن كعب القرظى . وحدثنى عبد الله ابن جعفر الزهرى عن عمته أم بكر بنت المسود عن أبيها . وحدثنا عبد الرحمن بن ابراهيم المزنى وزياد ابن حشرج عن أبى وجزة . وحدثنا معمر عن أبى نجيح عن مجاهد . وحدثنا طلحة بن عمرو عن عطاء عن ابن عباس: دخل حديث بعضهم فى حديث بعض . أن آمنة بنت وهب قالت لقد علقت به ـ تعنى رسول الله (ص) ـ فما وجدت له مشقة حتى وضعته ، فلما فصل منى خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق الى المغرب ، ثم وقع الى الارض معتمداً على يديه ، ثم أخذ قبضة من التراب فقبضها ورفع رأسه الى السماء . وقال بعضهم وقع جاثياً على ركبتيه ، وخرج معه نور أضاءت له قصور الشام وأسواقها حتى رؤيت أعناق الابل ببصرى ، رافعاً رأسه الى السماء . وقال الحافظ أبو بكر البيهقى أنبأنا محمد بن عبد الله الحافظ أنبأنا محمد بن اسماعيل أنبأنا محمد بن اسحاق حدثنا يونس بن مبشر بن الحسن حدثنا يعقوب بن محمد الزهرى حدثنا عبد العزيز بن عمران حدثنا عبد الله بن عثمان بن أبى سليمان ابن جبير بن مطعم عن أبيه عن ابن أبى سويد الثقفى عن عثمان بن أبي العاص حدثتنى أمى أنها شهدت ولادة آمنة بنت وهب رسول الله (ص) ليلة ولدته ، قالت فما شيء أنظره فى البيت إلا نور وإنى أنظر الى النجوم تدنو حتى إنى لأقول ليقعن على .

وذكر القاضى عياض عن الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف أنها كانت قابلته وأنها أخبرت به حين سقط على يديها واستهل سمعت قائلا يقول يرحمك الله ، وإنه سطع منه نور رؤيت منه قصور الروم .

قال محمد بن اسحاق : فلما وضعته بعثت إلى عبد المطلب جاريتها ـ وقد هلك أبوه وهى حبلى ويقال إن عبد الله هلك والنبى (ص) ابن ثمانية وعشرين شهراً فالله أعلم أى ذلك كان ـ فقالت قد ولد لك غلام فانظر اليه ، فلما جاءها أخبرته وحدثته بما كانت رأت حين حملت به ، وما قيل لها فيه ، وما أمرت أن تسميه . فاخذه عبد المطلب فادخله على هبل فى جوف الكعبة ، فقام عبد المطلب يدعو ويشكر الله عز وجل ويقول :

الحمدُ للهِ الذى أعطانى	هذا الغلامَ الطيبَ الأردانِ
قد سادَ فى المهدِ على الغِلمان	أعيذُه بالبيتِ ذي الأركان
حتى يكونَ بُلغةَ الفتيان	حتى أراه بالغَ البنيان

أعيذه من كل ذي شَنآنِ من حاسدٍ مضطرب العنان
ذي هِمَّةٍ ليس له عينـان حتى أراه رافعَ اللسان [١]
أنتَ الذي سمّيتَ في القرآن في كتُبٍ ثابتة المثانى

* احمدُ مكتوبٌ على اللسان *

وقال البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو بكر محمد بن احمد بن حاتم الدرابودى [٢] - بمرو - حدثنا أبو عبدالله البوشنجى حدثنا أبو أيوب سليمان بن سلمة الخبائرى حدثنا يونس بن عطاء بن عثمان ابن ربيعة بن زياد بن الحارث الصدائى - بمصر - حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه . قال : ولد رسول الله (ص) مختونا مسرورا ، قال فاعجب جده عبد المطلب وحظى عنده . وقال : ليكونن لابنى هذا شأن فكان له شأن . وهذا الحديث فى صحته نظر وقد رواه الحافظ ابن عساكر من حديث سفيان بن محمد المصيصى عن هشيم عن يونس بن عبيد عن الحسن عن أنس . قال قال رسول الله (ص) : من كرامتى على الله أنى ولدت مختونا ولم ير سوأتى أحد ثم أورده من طريق الحسن بن عرفة عن هشيم به . ثم أورده من طريق محمد بن محمد بن سليمان - هو الباغندى - حدثنا عبد الرحمن بن أيوب الحمصى حدثنا موسى بن أبى موسى المقدسى حدثنى خالد بن سلمة عن نافع عن ابن عمر . قال : ولد رسول الله (ص) مسرورا مختونا . وقال أبو نعيم : حدثنا أبو أحمد محمد بن احمد الغطريفى حدثنا الحسين بن أحمد بن عبد الله المالكى حدثنا سليمان بن سلمة الخبائرى حدثنا يونس بن عطاء حدثنا الحكم بن أبان حدثنا عكرمة عن ابن عباس عن أبيه العباس . قال : ولد رسول الله (ص) مختونا مسرورا ، فأعجب ذلك جده عبد المطلب وحظى عنده ، وقال ليكونن لابنى هذا شأن ، فكان له شأن . وقد ادعى بعضهم صحته لما ورد له من الطرق حتى زعم بعضهم أنه متواتر وفى هذا كله نظر ، ومعنى مختونا أى مقطوع الختان ، ومسرورا أى مقطوع السرة من بطن أمه . وقد روى الحافظ ابن عساكر من طريق عبد الرحمن بن عيينة البصرى حدثنا على بن محمد المدائنى السلمى حدثنا سلمة بن محارب بن مسلم بن زياد عن أبيه عن أبى بكرة أن جبريل ختن النبى (ص) حين طهر قلبه وهذا غريب جدا . وقد روى أن جده عبدالمطلب ختنه وعمل له دعوة جمع قريشا عليها والله أعلم .

وقال البيهقى : أنبأنا أبوعبد الله الحافظ أنبأنى محمد بن كامل القاضى - شفاها - أن محمد بن اسماعيل حدثه - يعنى السلمى - حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح حدثنى معاوية بن صالح عن أبى الحكم التنوخى . قال : كان المولود اذا ولد فى قريش دفعوه الى نسوة من قريش الى الصبح يكفأن عليه برمة ، فلما ولد

---

(١) كذا فى الاصلين . وفى السهيلى : رافع اللسان : ولعلها : حتى أرى منه رفيع الشان .

(٢) كذا فى المصرية . وفى الحلبية: الدرابردى .

رسول الله (ص) دفعه عبد المطلب الى نسوة فكفأن عليه برمة ، فلما أصبحن أتين فوجدن البرمة قد انفلقت عنه باثنتين ووجدنه مفتوح العينين شاخصاً ببصره الى السماء . فأتاهن عبد المطلب فقلن له ما رأينا مولودا مثله، وجدناه قد انفلقت عنه البرمة ، ووجدناه مفتوحا عينيه شاخصا ببصره الى السماء . فقال احفظنه فاني أرجو أن يكون له شأن ، أوأن يصيب خيرا ، فلما كان اليوم السابع ذبح عنه ودعا له قريشا فلما أكلوا قالوا ياعبد المطلب أرأيت ابنك هذا الذى أكرمتنا على وجهه ما سميته ؟ قال سميته محمدا ، قالوا فما رغبت به عن أسماء أهل بيته ؟ قال أردت أن يحمده الله فى السماء وخلقه فى الارض قال أهل اللغة : كل جامع لصفات الخير يسمى محمدا كما قال بعضهم :

اليك - أبيتَ اللعنَ - أعملتُ ناقتى الى الماجدِ القرْمِ الكريم المحمَّدِ

وقال بعض العلماء : ألهمهم الله عز وجل أن سموه محمدا لما فيه من الصفات الحميدة ليلتقى الاسم والفعل ، ويتطابق الاسم والمسمى فى الصورة والمعنى ، كما قال عمه أبو طالب ويروى لحسان :

وشقَّ له من إسمه ليجله فذو العرشِ محمود وهذا محمد

وسنذكر أسماءه عليه الصلاة والسلام وشمائله وهى صفاته الظاهرة وأخلاقه الطاهرة ودلائل نبوته وفضائل منزلته فى آخر السيرة إن شاء الله .

قال الحافظ أبو بكر البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا احمد ابن شيبان الرملى حدثنا احمد بن ابراهيم الحبلى حدثنا الهيثم بن جميل حدثنا زهير عن محارب بن دثار عن عمرو بن يثربى عن العباس بن عبد المطلب قال قلت : يارسول الله ! دعانى الى الدخول فى دينك أمارة لنبوتك ، رأيتك فى المهد تناغى القمر وتشير اليه باصبعك ، فحيث اشرت اليه مال قال : « إنى كنت أحدثه ويحدثنى ويلهينى عن البكاء ، واسمع وجبته حين يسجد تحت العرش » . ثم قال تفرد به الليثى وهو مجهول .

فصل

﴿ فيما وقع من الآيات ليلة مولده عليه الصلاة والسلام ﴾

قد ذكرنا فى باب هواتف الجان ما تقدم من خرور كثير من الأصنام ليلتئذ لوجوهها وسقوطها عن اماكنها ، وما رآه النجاشى ملك الحبشة ، وظهور النور معه حتى أضاءت له قصور الشام حين ولد ، وما كان من سقوطه جاثيا رافعاً رأسه الى السماء ، وانفلاق تلك البرمة عن وجهه الكريم ، وما شوهد من النور فى المنزل الذى ولد فيه ودنو النجوم منهم وغير ذلك .

حكى السهيلى عن تفسير بقى بن مخلد الحافظ أن ابليس رن أربع رنات : حين لعن ، وحين أهبط ،

وحين ولد رسول الله (ص) ، وحين انزلت الفاتحة . قال محمد بن اسحاق : وكان هشام بن عروة يحدث عن أبيه عن عائشة قالت: كان يهودى قد سكن مكة يتجر بها فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله (ص) قال فى مجلس من قريش : يامعشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود ؟ فقال القوم والله ما نعلمه فقال الله أكبر ، أما اذا أخطأكم فلا بأس انظروا واحفظوا ما أقول لكم : ولد هذه الليلة نبى هذه الامة الاخيرة ، بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس . لا يرضع ليلتين وذلك أن عفريتا من الجن ادخل أصبعه فى فمه فمنعه الرضاع فتصدع القوم من مجلسهم وهم يتعجبون من قوله وحديثه فلما صاروا الى منازلهم أخبر كل انسان منهم أهله فقالوا قد والله ولد لعبدالله بن عبدالمطلب غلام سموه محمدا فالتقى القوم فقالوا هل سمعتم حديث اليهودى وهل بلغكم مولد هذا الغلام ؟ فانطلقوا حتى جاءوا اليهودى فاخبروه الخبر . قال فاذهبوا معى حتى أنظر اليه . فخرجوا به حتى أدخلوه على آمنة فقالوا اخرجى الينا ابنك فاخرجته وكشفوا له عن ظهره . فرأى تلك الشامة . فوقع اليهودى مغشيا عليه . فلما أفاق قالوا له مالك ويلك ؟ قال قد ذهبت والله النبوة من بنى اسرائيل ، فرحتم بها يامعشر قريش . والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب .

وقال محمد بن اسحاق: حدثنى صالح بن ابراهيم عن يحيى بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة قال حدثنى من شئت من رجال قومى ممن لا أتهم عن حسان بن ثابت . قال : إنى لغلام يفعة ابن سبع سنين ـ أو ثمان سنين ـ أعقل ما رأيت وسمعت اذا بيهودى فى يثرب يصرخ ذات غداة يامعشر يهود فاجتمعوا اليه ـ وأنا أسمع ـ فقالوا ويلك مالك؟ قال قد طلع نجم احمد الذى يولد به فى هذه الليلة . وروى الحافظ أبو نعيم فى كتاب دلائل النبوة من حديث أبى بكر بن عبد الله العامرى عن سليمان بن سحيم وذريح بن عبد الرحمن كلاهما عن عبدالرحمن بن أبى سعيد عن أبيه قال سمعت أبى مالك بن سنان يقول جئت بنى عبد الأشهل يوما لا تحدث فيهم ونحن يومئذ فى هدنة من الحرب ، فسمعت يوشع اليهودى يقول : أظل خروج نبى يقال له أحمد يخرج من الحرم . فقال له خليفة بن ثعلبة الأشهلى ـ كالمستهزئ به ما صفته ؟ فقال رجل ليس بالقصير ولا بالطويل فى عينيه حمرة يلبس الشملة ويركب الحمار . سيفه على عاتقه وهذا البلد مهاجره . قال فرجعت الى قومى بنى خدرة وأنا يومئذ أتعجب مما يقول يوشع فاسمع رجلا منا يقول ويوشع يقول هذا وحده؟! كل يهود يثرب يقولون هذا . قال أبى مالك بن سنان فخرجت حتى جئت بنى قريظة فأجد جمعاً فتذاكروا النبى (ص) . فقال الزبير بن باطا : قد طلع الكوكب الاحمر الذى لم يطلع إلا لخروج نبى أو ظهوره ولم يبق أحد إلا احمد وهذا مهاجره . قال أبو سعيد فلما قدم النبى (ص) أخبره أبى هذا الخبر فقال رسول الله (ص) : «لو أسلم الزبير لأسلم ذووه من رؤساء اليهود انما هم له تبع » وقال أبو نعيم: حدثنا عمر بن محمد حدثنا ابراهيم بن السندى حدثنا النضر بن سلمة حدثنا

اسماعيل بن قيس بن سليمان بن زيد بن ثابت عن أم سعد بنت سعد بن الربيع سمعت زيد بن ثابت يقول: كان أحبار يهود بنى قريظة والنضير يذكرون صفة النبى (ص.) فلما طلع الكوكب الاحمر أخبروا أنه نبى وأنه لا نبى بعده. واسمه احمد ومهاجره الى يثرب فلما قدم رسول الله (ص.) المدينة أنكروا وحسدوا وكفروا. وقد أورد هذه القصة الحافظ أبو نعيم فى كتابه من طرق أخرى ولله الحمد.

وقال أبو نعيم ومحمد بن حبان: حدثنا أبو بكر بن أبى عاصم حدثنا وهب بن بقية حدثنا خالد عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أسامة بن زيد، قال قال زيد بن عمرو ابن نفيل قال لى حبر من أحبار الشام: قد خرج فى بلدك نبى - أو هو خارج - قد خرج نجمه فارجع فصدقه واتبعه.

ذكر ارتجاس ايوان كسرى

﴿ وسقوط الشرفات وخمود النيران ورؤيا الموبذان وغير ذلك من الدلالات ﴾

قال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطى فى كتاب هواتف الجان: حدثنا على بن حرب حدثنا أبو أيوب يعلى بن عمران - من آل جرير بن عبد الله البجلى - حدثنى مخزوم بن هانى المخزومى عن أبيه - وأتت عليه خمسون ومائة سنة - قال: لما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله (ص.) ارتجس إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وخمدت نار فارس، ولم تخمد قبل ذلك بالف عام، وغاضت بحيرة ساوة، ورأى الموبذان إبلا صعاباً تقود خيلا عراباً قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادهم، فلما أصبح كسرى أفزعه ذلك فتصبر عليه تشجعاً، ثم رأى أنه لا يدخر ذلك عن مرازبته فجمعهم ولبس تاجه وجلس على سريره. ثم بعث اليهم فلما اجتمعوا عنده. قال: أتدرون فيم بعثت اليكم قالوا لا إلا أن يخبرنا الملك، فبينما هم كذلك إذ ورد عليهم كتاب خمود النيران فازداد غماً إلى غمه، ثم أخبرهم بما رأى وما هاله، فقال الموبذان وأنا - أصلح الله الملك - قد رأيت فى هذه الليلة رؤيا ثم قص عليه رؤياه فى الابل، فقال أى شىء يكون هذا ياموبذان؟ قال حدث يكون فى ناحية العرب - وكان أعلمهم من أنفسهم - فكتب عند ذلك: من كسرى ملك الملوك الى النعمان بن المنذر، أما بعد فوجه الىّ برجل عالم بما أريد أن أسأله عنه، فوجه اليه بعبد المسيح بن عمرو بن حيان بن نفيلة الغسانى، فلما ورد عليه قال له: ألك علم بما أريد أن أسألك عنه؟ فقال لتخبرنى أو ليسألنى الملك عما أحب، فان كان عندى منه علم وإلا أخبرته بمن يعلم. فأخبره بالذى وجه به اليه فيه. قال علم ذلك عند خال لى يسكن مشارف الشام يقال له سطيح، قال فائته فاسأله عما سألتك عنه ثم ائتنى بتفسيره. فخرج عبد المسيح

حتى انتهى إلى سطيح وقد أشفى على الضريح . فسلم عليه وكلمه فلم يرد اليه سطيح جواباً فانشأ يقول :

أصمٌّ أم يسمع غِطريفَ اليَمَنْ أم فادَ فازْلَمَّ بهِ شأوُ العنن

يا فاصِلَ الخطة أعيَتْ من ومن أتاكَ شيخُ الحي من آل سنن

وأمه من آلِ ذئب بن حجَن أزرقُ نهمُ النابِ صرّار الاذن

أبيضُ فضفاض الرداء والبدَن رسول قَيْل العُجْم يسري للوسن

يجوبُ بى الارضَ علنداةُ شزن لا يَرهب الرعدَ ولا رَيْبَ الزمن

ترفعنى وجنا وتهوى بى وجَن حتى أتى عاري الجآجي والقطن

تلفه فى الريح بوغاءُ الدِّمن كأنما حثحثَ من حضنى ثكن(١)

قال فلما سمع سطيح شعره رفع رأسه يقول : عبد المسيح ، على جمل مشيح ، أتى سطيح ، وقد أوفى على الضريح ، بعثك ملك بنى ساسان ، لارتجاس الايوان ، وخمود النيران ، ورؤيا الموبذان ، رأى إبلا صعاباً ، تقود خيلا عراباً ، قد قطعت دجلة ، وانتشرت فى بلادها ، ياعبد المسيح إذا كثرت التلاوة ، وظهر صاحب الهراوة ، وفاض وادى السماوة ، وغاضت بحيرة ساوة ، وخمدت نار فارس ، فليس الشام لسطيح شاماً . يملك منهم ملوك وملكات ، على عدد الشرفات وكلما هو آت آت . ثم قضى سطيح مكانه فنهض عبد المسيح إلى راحلته وهو يقول :

شَمِّرْ فإنك ماضي العزم شِمّير لا يُفزعنّك تفريق وتغيير

إن يُمس مُلكُ بنى ساسان أفرطهم فإن ذا الدهرَ أطوارٌ دهارير

فربما ربما أضحَوا بمنزلةٍ يخاف صَولهم الأسْدُ المهاصير

منهم أخو الصَّرح بهرامٌ وإخوتَه والهرْمُزان وشابورٌ وسابور

والناسُ أولاد علاتٍ فمن عَلِموا أنْ قد أقلَّ فمحقورٌ ومهجور

ورب قومٍ لهم صحبانِ ذى اذُن بدتْ تلهّيهمُ فيه المزامير

وهم بنو الأم إما إن رأوا نَشَباً فذاك بالغيبِ محفوظٌ ومنصور

والخيرُ والشرّ مقرونان فى قَرَنٍ فالخير متَّبَع والشرّ محذور

قال فلما قدم عبد المسيح على كسرى أخبره بما قال له سطيح ، فقال كسرى إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكا كانت أمور وأمور ، فملك منهم عشرة فى أربع سنين ، وملك الباقون إلى خلافة عثمان رضى الله عنه . ورواه البيهقى من حديث عبد الرحمن بن محمد بن إدريس عن على بن حرب الموصلى بنحوه .

---

(١) راجعنا كثيراً من مظان هذه القصة فوجدنا فيها اختلافاً كبيراً بزيادة ونقص وقد اعتمدنا فى تصحيحها على لسان العرب فى مادة سطح ج ٢ ص ٣١٢ نقلا عن محمود الامام

قلت : كان آخر ملوكهم ـ الذى سلب منه الملك يزدجرد بن شهريار بن أبرويز بن هرمز بن أنوشروان وهو الذى انشق الايوان فى زمانه . وكان لاسلافه فى الملك ثلاثة آلاف سنة ومائة وأربعة وستون سنة . وكان أول ملوكهم خيومرت بن أميم بن لاوذ بن سام بن نوح [١] .

أما سطيح هذا فقال الحافظ ابن عساكر فى تاريخه هو الربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب ابن عدى بن مازن بن الازد . ويقال الربيع بن مسعود وامه ردعا بنت سعد بن الحارث الحجورى وذكر غير ذلك فى نسبه . قال وكان يسكن الجابية ثم روى عن أبى حاتم السجستانى قال سمعت المشيخة منهم أبو عبيدة وغيره قالوا وكان من بعد لقمان بن عاد . ولد فى زمن سيل العرم وعاش إلى ملك ذى نواس وذلك نحو من ثلاثين قرناً وكان مسكنه البحرين وزعمت عبد القيس أنه منهم وتزعم الازد أنه منهم وأكثر المحدثين يقولون هو من الازد ولا ندرى ممن هو غير أن ولده يقولون إنه من الازد . وروى عن ابن عباس أنه قال : لم يكن شئ من بنى آدم يشبه سطيحاً إنما كان لحما على وضم ليس فيه عظم ولا عصب إلا فى رأسه وعينيه وكفيه وكان يطوى كما يطوى الثوب من رجليه إلى عنقه . ولم يكن فيه شئ يتحرك إلا لسانه . وقال غيره إنه كان إذا غضب انتفخ وجلس . ثم ذكر ابن عباس أنه قدم مكة فتلقاه جماعة من رؤسائهم منهم عبد شمس وعبد مناف أبناء قصى فامتحنوه فى أشياء فأجابهم فيها بالصدق ، فسألوه عما يكون فى آخر الزمان . فقال خذوا منى ومن الهام الله إياى : أنتم الآن يا معشر العرب فى زمان الهرم سواء بصائركم وبصائر العجم ، لا علم عندكم ولا فهم ، وينشو من عقبكم ذووفهم ، يطلبون أنواع العلم فيكسرون الصنم ، ويتبعون الردم ، ويقتلون العجم ، يطلبون الغنم . ثم قال والباقى الابد ، والبالغ الامد ليخرجن من ذا البلد ، نبى مهتد ، يهدى الى الرشد ، يرفض يغوث والفند ، يبرأ عن عبادة الضدد ، يعبد رباً انفرد ، ثم يتوفاه الله بخير دار محموداً ، من الأرض مفقوداً ، وفى السماء مشهوداً ، ثم يلى أمره الصديق إذا قضى صدق ، وفى رد الحقوق لا خرق ولا نزق ، ثم يلى أمره الحنيف ، مجرب غطريف ، قد أضاف المضيف ، وأحكم التحنيف . ثم ذكر عثمان ومقتله وما يكون بعد ذلك من أيام بنى أمية ثم بنى العباس . وما بعد ذلك من الفتن والملاحم ساقه ابن عساكر بسنده عن ابن عباس بطوله . وقد قدمنا قوله لربيعة بن نصر ملك اليمن حين أخبره برؤياه قبل أن يخبره بها ثم ما يكون فى بلاد اليمن من الفتن وتغيير الدول حتى يعود إلى سيف بن ذى يزن فقال له : أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع ؟ قال بل ينقطع . قال ومن يقطعه ؟ قال نبى زكى يأتيه الوحى من قبل العلى قال وممن هذا النبى ؟ قال من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكون الملك فى قومه الى آخر الدهر قال وهل للدهر من آخر ؟ قال نعم ، يوم يجمع فيه الأولون والآخرون ، يسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون. قال أحق ما تخبرنى ؟

---

(١) من هنا إلى قوله وقال أبو نعيم فى صفحة ٢٧٢ مكتوب بحاشية الحلبية لم يرد فى المصرية .

قال نعم والشفق والغسق والقمر إذا اتسق إن ما أنبأتك عليـه لحق . ووافقه على ذلك شق سوآ بسواء بعبارة أخرى كما تقدم . ومن شعر سطيح قوله :

عليكم بتقوى الله في السرّ والجهر ولا تلبسوا صدْقَ الامانة بالغَدْر

وكونوا لجار الجنْب حِصناً وجنة إذا ما عَرتهُ النـائبـاتُ منَ الدهر

وروى ذلك الحافظ ابن عساكر ثم أورد ذلك المعافى بن زكريا الجريرى فقال : وأخبار سطيح كثيرة وقد جمعها غير واحد من أهل العلم . والمشهور أنه كان كاهناً وقد أخبر عن النبى (ص) وعن نعته ومبعثه . وروى لنا باسناد الله به أعلم أن النبى (ص) سئل عن سطيح فقال : « نبى ضيعه قومه » .

قلت : أما هـذا الحديث فلا أصل له فى شىء من كتب الاسلام المعهودة ولم أره باسناد أصلا . ويروى مثله فى خـبر خالد بن سنان العبسى ولا يصح أيضاً وظاهر هـذه العبارات تدل على علم جيـد لسطيح وفيها روائح التصديق لـكنه لم يدرك الاسلام كما قال الجريرى . فانه قد ذكرنا فى هذا الاثر أنه قال لابن أخته : يا عبـد المسيح إذا كثرت التلاوة ، وظهر صاحب الهراوة ، وفاض وادى السماوة وغاضت بحيرة ساوة ، وخمدت نار فارس ، فليس الشام لسطيح شاماً يملك منهم ملوك وملـكات ، على عدد الشرفات وكل ماهو آت آت ثم قضى سطيح مكانه وكان ذلك بعد مولد رسول الله (ص) بشهر ـ أو شية ـ أى أقل منه ـ وكانت وفاته باطراف الشام مما يلى أرض العراق ـ فالله أعلم بأمره وما صار اليه . وذكر ابن طرار الحريرى[1] أنه عاش سبعمائة سنة . وقال غيره خمسمائة سنة ، وقيل ثلاثمائة سنة فالله أعلم . وقد روى ابن عساكر أن ملـكا سأل سطيحاً عن نسب غلام اختلف فيه فأخبره على الجلية فى كلام طويل مليح فصيح . فقال له الملك ياسطيح ألا تخبرنى عن علمك هـذا؟ فقال إن علمى هـذا ليس منى ولا بجزم ولا بظن ولكن أخذته عن أخ لى قد سمع الوحى بطور سيناء . فقال له أرأيت أخاك هذا الجنى أهو معك لا يفارقك ، فقال انه ليزول حيث أزول ، ولا أنطق إلا بما يقول . وتقدم أنه ولد هو وشق بن مصعب بن يشكر بن رهم بن بسر بن عقبة الـكاهن الآخر ولدا فى يوم واحد ، فحملا إلى الكاهنة طريفة بنت الحسين الحميدية فتفلت فى أفواههما فورثا منها الكهانة وماتت من يومها . وكان نصف إنسان ويقال إن خالد بن عبد الله القسرى من سلالته ، وقد مات شق قبل سطيح بدهر .

وأما عبـد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن نفيلة الغسانى النصرانى فـكان من المعمرين وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر فى تاريخه وقال هو الذى صالح خالد بن الوليد على[2] . . وذكر له معه قصة طويلة وأنه أكل من يده سم ساعة فلم يصبه سوء لانه لما أخـذه قال : بسم الله و بالله رب الارض والسماء الذى لا يضر مع اسمه أذى . ثم أكله فعلته غشيـة فضرب بيديه على صدره ثم عرق وأفاق رضى الله عنه

(١) هكذا بالاصل ولعله المعافى بن زكريا الجريرى . (٢) كذا فى الاصل بياض

وذكر لعبد المسيح أشعاراً غير ما تقدم(١)

وقال ابو نعيم: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن ،حدثنا محمد بن عثمان بن أبى شيبه حدثنا عقبة بن مكرم حدثنا المسيب بن شريك حدثنا محمد بن شريك عن شعيب بن شعيب عن أبيه عن جده . قال: كان بمر الظهران راهب من الرهبان يدعى عيصا من أهل الشام وكان متخفرا بالعاص بن وائل وكان الله قد آتاه علما كثيراً وجعل فيه منافع كثيرة لأهل مكة من طيب ورفق وعلم . وكان يلزم صومعة له ويدخل مكة فى كل سنة فيلقى الناس ويقول إنه يوشك ان يولد فيكم مولود يا اهل مكة يدين له العرب ويملك العجم هذا زمانه ومن أدركه واتبعه اصاب حاجته ومن أدركه فخالفه اخطأ حاجتـه وبالله ما تركت أرض الخمر والخير والأمن ولا حللت بارض الجوع والبؤس والخوف الا فى طلبه وكان لا يولد بمكة مولود إلا يسأل عنه فيقول ما جاء بعد . فيقال له فصفه فيقول لا . ويكتم ذلك للذى قد علم انه لاق من قومه مخافة على نفسه ان يكون ذلك داعية الى ادنى ما يكون اليه من الاذى يوماً . ولما كان صبيحة اليوم الذى ولد فيه رسول الله (ص.) خرج عبدالله بن عبدالمطلب حتى أتى عيصا فوقف فى أصل صومعته ثم نادى: ياعيصاه . فناداه من هذا ؟ فقال انا عبد الله فاشرف عليه فقال كن اباه فقد ولد المولود الذى كنت احدثكم عنه يوم الاثنين ويبعث يوم الاثنين ويموت يوم الاثنين قال فانه قد ولد لى مع الصبح مولود .قال فما سميته ؟ قال محمداً قال والله لقد كنت اشتهى أن يكون هذا المولود فيكم أهل البيت لثلاث خصال نعرفه بها منها أن نجمه طلع البارحة وانه ولد اليوم وان اسمه محمد . انطلق اليه فان الذى كنت أخبركم عنه ابنك . قال فما يدريك انه ابنى ولعله أن يولد فى هذا اليوم مولود غيره ؟ قال قد وافق ابنك الاسم ولم يكن الله ليشبه علمه على العلماء فانه حجـة . وآية ذلك أنه الآن وجـع فيشتكى أياماً ثلاثة ، فيظهر به الجوع ثلاثاً ثم يعافى . فاحفظ لسانك فانه لم يحسد أحد حسده قط ولم يبغ على أحد كما يبغى عليه . ان تعش حتى يبدو مقاله ثم يدعو لظهر لك من قومك مالا تحتمله الا على صبر وعلى ذل فاحفظ لسانك ودارعنه قال فما عمره ؟ قال ان طال عمره وان قصر لم يبلغ السبعين ، يموت فى وتر دونها من الستين فى احدى وستين او ثلاث وستين فى اعمار جل امته . قال وحمل برسول الله (ص.) فى عاشر المحرم. وولد يوم الاثنين لثنتى عشرة خلت من رمضان سنة ثلاث وعشرين من غزوة اصحاب الفيل هكذا رواه أبو نعيم وفيه غرابة .

حواضنه ومراضعه عليه الصلاة والسلام

كانت ام أيمن واسمها بركة تحضنه ، وكان قد ورثها عليه الصلاة والسلام من ابيه فلما كبر اعتقها وزوجها مولاه زيد بن حارثة ، فولدت له أسامة بن زيد رضى الله عنهم . وارضعته مع امه عليه الصلاة والسلام مولاة عمه ابى لهب ثوبية قبل حليمة السعدية . اخرج البخارى ومسلم فى صحيحهما من حديث

(١) إلى هنا آخر الحاشية التى بالحلبية .

الزهرى عن عروة بن الزبير عن زينب بنت ام سلمة عن أم حبيبة بنت ابى سفيان . قالت: يارسول الله انكح اختى بنت أبى سفيان ـ ولمسلم عزة بنت أبى سفيان ـ . فقال رسول الله صلى عليه وسلم « أو تحبين ذلك ؟ » قلت نعم ! لست لك بمخلية ، واحب من شاركنى فى خير اختى . فقال النبى صلى الله عليه وسلم « فان ذلك لايحل لى » قالت فانا نحدث انك تريد أن تنكح بنت أبى سلمة ـ وفى رواية درة بنت أبى سلمة قال « بنت أم سلمة »؟ قالت نعم قال «انها لولم تسكن ربيبتى فى حجرى ما حلت لى. انها لابنة أخى من الرضاعة . ارضعتنى وابا سلمة ثويبة . فلا تعرضن على بناتكن ولا اخواتكن » زاد البخارى قال عروة . وثويبة مولاة لابى لهب اعتقها فارضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما مات ابو لهب أريه بعض أهله بشر خيبة . فقال له ماذا لقيت ؟ فقال أبو لهب لم ألق بعدكم خيراً غير أنى سقيت فى هذه بعتاقتى ثويبة ـ وأشار الى النقرة التى بين الابهام والتى تليها من الاصابع ـ .

وذكر السهيلى وغيره : ان الرائى له هو اخوه العباس . وكان ذلك بعد سنة من وفاة ابى لهب بعد وقعة بدر . وفيه ان أبا لهب قال للعباس انه ليخفف علىّ فى مثل يوم الاثنين . قالوا لانه لما بشرته ثويبة بميلاد ابن أخيه محمد بن عبدالله أعتقها من ساعته فجوزى بذلك لذلك .

رضاعه عليه الصلاة والسلام

من حليمة بنت ابى ذؤيب السعدية وماظهر عليه من البركة وآيات النبوة

قال محمد بن اسحاق : فاسترضع له عليه الصلاة والسلام من حليمة بنت أبى ذؤيب ، واسمه عبدالله ابن الحارث بن شجنة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان بن مضر (١) قال واسم ابى رسول الله (ص.) الذى أرضعه ـ يعنى زوج حليمة الحارث بن عبد العزى بن رفاعة بن ملان بن ناصرة بن سعد بن بكر بن هوازن. وأخوته عليه الصلاة والسلام ـ يعنى من الرضاعة ـ عبدالله بن الحارث وأنيسة بنت الحارث وحذافة بنت الحارث وهى الشيماء وذكروا انهما كانت تحضن رسول الله (ص.) مع امه اذ كان عندهم .

قال ابن اسحاق: حدثنى جهم بن أبى جهم مولى لامرأة من بنى تميم كانت عند الحارث بن حاطب ، ويقال له مولى الحارث بن حاطب . قال حدثنى من سمع عبد الله بن جعفر بن ابى طالب قال حدثت عن حليمة بنت الحارث انها قالت ! قدمت مكة فى نسوة (وذكر الواقدى باسناده انهن كن عشرة نسوة من بنى سعد بن بكر يلتمسن بها الرضاء) من بنى سعد نلتمس بها الرضاء فى سنة شهباء فقدمت

(١) والذى فى ابن هشام : ابن ناصرة بن قصية بن نصر بن سعد بن بكر الخ وفى السهيلى فصية بالفاء تصغير فصاة. وهى النواة . ووقع فى جميع نسخ ابن هشام قصية بالقاف .

على أتان لى قمراء كانت أذمّت بالركب [١] ومعى صبى لنا وشارف لنا والله ما تبض بقطرة . وما ننام ليلتنا ذلك أجمع [٢] مع صبينا ذاك ما نجد فى ثديى ما يغنيه ولا فى شارفنا ما يغذيه . ولكنا كنا نرجو الغيث والفرج . فخرجت على أتانى تلك فلقد أذمت بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفاً وعجفاً . فقدمنا مكة فوالله ما علمت منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله (ص) فتأباه إذا قيل إنه يتيم تركناه . قلنا ماذا عسى أن تصنع الينا أمه ؟ إنما نرجو المعروف من أبى الولد فاما أمه فماذا عسى أن تصنع الينا ، فوالله ما بقى من صواحبى امرأة إلا أخذت رضيعاً غيرى . فلما لم نجد غيره وأجمعنا الانطلاق قلت لزوجى الحارث بن عبد العزى والله إنى لأكره أن أرجع من بين صواحبى ليس معى رضيع . لا نطلقن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه . فقال لا عليك أن تفعلى فعسى أن يجعل الله لنا فيه بركة . فذهبت فاخذته فوالله ما أخذته إلا أنى لم أجد غيره ، فما هو إلا أن أخذته فجئت به رحلى فاقبل عليه ثدياى بما شاء من لبن . فشرب حتى روى وشرب أخوه حتى روى . وقام صاحبى إلى شارفنا تلك فاذا إنها لحافل ، فحلب ما شرب وشربت حتى روينا . فبتنا بخير ليلة فقال صاحبى حين أصبحنا يا حليمة والله إنى لأراك قد أخذت نسمة مباركة . ألم ترى ما بتنا به الليلة من الخير والبركة حين أخذناه . فلم يزل الله عز وجل يزيدنا خيراً . ثم خرجنا راجعين إلى بلادنا فوالله لقطعت أتانى بالركب حتى ما يتعلق بها حمار حتى أن صواحبى ليقلن ويلك يا بنت أبى ذؤيب هذه أتانك التى خرجت عليها معنا ؟ فاقول نعم والله إنها لهى فقلن والله إن لها لشأناً . حتى قدمنا أرض بنى سعد . وما أعلم أرضا من أرض الله أجدب منها فان كانت غنمى لتسرح ثم تروح شباعاً لبنا فتحلب ما شئنا وما حوالينا أو حولنا أحد تبض له شاة بقطرة لبن وإن أغنامهم لتروح جياعاً حتى إنهم ليقولون لرعاتهم - أو لرعيانهم - ويحكم انظروا حيث تسرح غنم بنت أبى ذؤيب فاسرحوا معهم . فيسرحون مع غنمى حيث تسرح فتروح أغنامهم جياعاً ما فيها قطرة لبن وتروح أغنامى شباعاً لبناً نحلب ما شئنا. فلم يزل الله يرينا البركة نتعرفها حتى بلغ سنتين فكان يشب شباباً لا تشبه الغلمان . فوالله ما بلغ السنتين حتى كان غلاماً جفرا [٣] فقدمنا به على أمه ونحن أضن شىء به مما رأينا فيه من البركة . فلما رأته أمه قلت لها دعينا نرجع بابننا هذه السنة الأخرى فانا نخشى عليه وباء مكة . فوالله ما زلنا بها حتى قالت نعم . فسرحته معنا فأقمنا به شهرين أو ثلاثة فبينما هو خلف بيوتنا مع أخ له من الرضاعة فى بهم لنا جاء أخوه ذلك يشتد فقال ذاك أخى القرشى جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه فشقا بطنه . فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوه فنجده قائماً منتقعا لونه . فاعتنقه أبوه وقال يا بنى

---

(١) أى جاءت بما تذم عليه . أو يكون من قولهم بئر ذمة أى قليلة الماء . ويروى حتى أذمت أى حبستهم وكأنه من الماء الدائم (٢) الذى فى ابن هشام : وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذى معنا من بكائه من الجوع . (٣) استجفر الصبى إذا قوى على الأكل نقلا عن محمود الامام

ما شأنك ؟ قال جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض أضجعانى وشقا بطنى ثم استخرجا منه شيئاً فطرحاه ثم رداه كما كان فرجعنا به معنا فقال أبوه ياحليمة لقد خشيت أن يكون ابنى قد أصيب فانطلقى بنا نرده إلى أهله قبل أن يظهر به ما نخوف . قالت حليمة فاحتملناه فلم ترع أمه إلا به . فقدمنا به عليها فقالت ما رد كما به ياظئر فقد كنتما عليه حريصين ؟ فقالا لا والله الا أن الله قد أدى عنا وقضينا الذى علينا وقلنا نخشى الاتلاف والاحداث نرده إلى أهله . فقالت ماذاك بكما فاصدقانى شأنكما ؟ فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره ، فقالت أخشيتما عليه الشيطان ، كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل . والله إنه لكائن لابنى هذا شأن ألا أخبر كما خبره ؟ قلنا بلى ! قالت حملت به فما حملت حملا قط أخف منه فاريت فى النوم حين حملت به كأنه خرج منى نور أضاءت له قصور الشام ثم وقع حين ولدته وقوعاً ما يقعه المولود ، معتمداً على يديه رافعاً رأسه إلى السماء ، فدعاه عنكما . وهذا الحديث قد روى من طرق أخر وهو من الاحاديث المشهورة المتداولة بين أهل السير والمغازى .

وقال الواقدى: حدثنى معاذ بن محمد عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس قال خرجت حليمة تطلب النبى (ص.) وقد وجدت البهم تقيل فوجدته مع أخته فقالت فى هذا الحر ؟ فقالت اخته ياأمه ماوجد أخى حراً .رأيت غمامة تظلل عليه اذا وقف وقفت واذا سار سارت حتى انتهى الى هذا الموضع .

وقال ابن اسحاق: حدثنى ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله (ص.) أنهم قالوا له أخبرنا عن نفسك .قال : « نعم أنا دعوة أبى ابراهيم وبشرى عيسى عليهما السلام ، ورأت أمى حين حملت بى أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام ، واسترضعت فى بنى سعد بن بكر ،فبينا أنا فى بهم لنا أتانى رجلان عليهما ثياب بيض معهما طست من ذهب مملوء ثلجا فاضجعانى فشقا بطنى ثم استخرجا قلبى فشقاه فاخرجا منه علقة سوداء فالقياها .ثم غسلا قلبى وبطنى بذلك الثلج ، حتى اذا القياه رداه كما كان ، ثم قال أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمته فوزننى بعشرة فوزنتهم ، ثم قال زنه بمائة من أمته فوزننى بمائة فوزنتهم .ثم قال زنه بالف من أمته فوزننى بالف فوزنتهم ، فقال دعه عنك فلو وزنته بامته لوزنهم » وهذا اسناد جيد قوى .

وقد روى أبو نعيم الحافظ فى الدلائل من طريق عمر بن الصبح وهو أبو نعيم عن ثور بن يزيد عن مكحول عن شداد بن اوس هذه القصة مطولة جداً ولكن عمر بن صبح هذا متروك كذاب متهم بالوضع . فلهذا لم نذكر لفظ الحديث اذ لا يفرح به ثم قال : وحدثنا أبو عمرو بن حمدان حدثنا الحسن بن نفير حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا بقية بن الوليد عن بحير بن سعيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن ابن عمرو السلمى عن عتبة بن عبد الله أنه حدثه أن رجلا سأل النبى (ص.) فقال: كيف كان أول شأنك يارسول الله ؟ قال: « كانت حاضنتى من بنى سعد بن بكر فانطلقت أنا وابن لها فى بهم لنا ولم نأخذ

معنا زاداً فقلت يا أخي اذهب فائتنا بزاد من عنـد امنا فانطلق أخي ومكثت عنـد البهم فاقبل طائران أبيضان كأنهما نسران ، فقال أحدهما لصاحبه أهو هو ؟ فقال نعم فاقبلا يبتدراني فاخذاني فبطحاني للقفا فشقا بطني ثم استخرجا قلبي فشقاه . فاخرجا منه علقتين سوداوين ، فقال أحدهما لصاحبه ائتني بماء ثلج فغسلا به جوفي ثم قال ائتني بمـاء برد فغسلا به قلبي ثم قال ائتني بالسكينة فذرها في قلبي ثم قال أحدهما لصاحبه خطه فخاطه وختم على قلبي بخاتم النبوة ، فقال أحدهما لصاحبه اجعله في كفة واجعل ألفاً من أمته في كفة ، فاذا أنا أنظر الى الالف فوقي اشفق أن يخر على بعضهم . فقال لو أن أمته وزنت به لمال بهم ثم انطلقا فتركاني وفرقت فرقاً شـديداً ، ثم انطلقت الى أمي فاخـبرتها بالذي لقيت فاشفقت أن يكون قد لبس بي فقالت أعيـذك بالله . فرحلت بعيراً لها وحملتني على الرحل وركبت خلفي حتى بلغنا الى أمي ، فقالت أديت أمانتي وذمتي وحـدثتها بالذي لقيت فلم يرعها . وقالت إني رأيت خرج مني نور أضاءت منه قصور الشام » ورواه أحمد من حديث بقية بن الوليد به . وهكذا رواه عبد الله بن المبارك وغيره عن بقية بن الوليد به . وقد رواه ابن عساكر من طريق أبي داود الطيالسي حدثنا جعفر بن عبد الله بن عثمان القرشي أخـبرني عمير بن عمر بن عروة بن الزبير . قال سمعت عروة بن الزبير يحدث عن أبي ذر الغفاري قال قلت يارسول الله كيف علمت أنك نبي حين علمت ذلك واستيقنت أنك نبي ؟ قال: « يا أبا ذر أتاني ملـكان وأنا ببعض بطحاء مكة فوقع أحدهما على الارض ، وكان الآخر بين السماء والأرض فقال أحدهما لصاحبه أهو هو ؟ قال هو هو . قال زنه برجل فوزنني برجل فرجحته » وذكر تمامه ، وذكر شق صدره وخياطته وجعل الخاتم بين كتفيه قال « فما هو الا أن وليا عني فـكأنما أعاين الأمر معاينة » ثم أورد ابن عساكر عن أبي بن كعب بنحو ذلك . ومن حديث شداد بن أوس بابسط من ذلك . وثبت في صحيح مسلم من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك : أن رسول الله (ص) أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فاخـذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب واستخرج منه علقة سوداء فقال هـذا حظ الشيطان ، ثم غسله في طشت من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه ، ثم أعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون الى أمه ـ يعني ظئره ـ فقالوا إن محمـداً قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون . قال أنس وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره . وقد رواه ابن عساكر من طريق ابن وهب عن عمرو ابن الحارث عن عبد ربه بن سعيد عن ثابت البناني عن أنس أن الصلاة فرضت بالمدينة ، وأن ملـكين أتيا رسول الله (ص) فذهبا به الى زمزم فشقا بطنه فاخرجا حشوته في طشت من ذهب فغسلاه بماء زمزم ثم لبسا جوفه حكمة وعلماً . ومن طريق ابن وهب أيضا عن يعقوب بن عبـد الرحمن الزهري عن أبيه عن عبد الرحمن بن عامر بن عتبة بن أبي وقاص عن أنس قال : أتي رسول الله (ص) ثلاث ليال قال خذوا خيرهم وسيدهم ، فأخذوا رسول (ص) فعمد به إلى زمزم فشق جوفه ثم أتي بتور من ذهب فغسل

جوفه ثم ملئ حكمة وإيماناً . وثبت من رواية سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس . وفى الصحيحين من طريق شريك بن أبى نمر عن أنس وعن الزهرى عن أنس عن أبى ذر وقتادة عن أنس وعن مالك بن صعصعة عن النبى (ص) فى حديث الاسراء كما سيأتى قصة شرح الصدر ليلتئذ وإنه غسل بماء زمزم ، ولا منافاة لاحتمال وقوع ذلك مرتين مرة وهو صغير ومرة ليلة الاسراء ليتأهب للوفود إلى الملأ الأعلى ولمناجاة الرب عز وجل والمثول بين يديه تبارك وتعالى .

وقال ابن اسحاق : وكان رسول الله (ص) يقول لأصحابه : « أنا أعربكم ، أنا قرشى واسترضعت فى بنى سعد بن بكر » وذكر ابن اسحاق: أن حليمة لما أرجعته إلى أمه بعد فطامه مرت به على ركب من النصارى فقاموا اليه عليه الصلاة والسلام فقلبوه وقالوا إنا سنذهب بهذا الغلام إلى ملكنا فانه كائن له شأن فلم تكد تنفلت منهم إلا بعد جهد. وذكر أنها لما ردته حين تخوفت عليه أن يكون أصابه عارض ، فلما قربت من مكة افتقدته فلم تجده فجاءت جده عبد المطلب فخرج هو وجماعة فى طلبه ، فوجده ورقة بن نوفل ورجل آخر من قريش فأتيا به جده ، فأخذه على عاتقه وذهب فطاف به يعوذه ويدعو له ثم رده إلى أمه آمنة .

وذكر الأموى من طريق عثمان بن عبد الرحمن الوقاصى ـ وهو ضعيف ـ عن الزهرى عن سعيد بن المسيب قصة مولده عليه الصلاة والسلام ورضاعه من حليمة على غير سياق محمد بن اسحاق . وذكر أن عبد المطلب أمر ابنه عبد الله أن يأخذه فيطوف به فى أحياء العرب ليتخذ له مرضعة فطاف حتى استأجر حليمة على رضاعه وذكر أنه أقام عندها ست سنين تزيره جده فى كل عام فلما كان من شق صدره عندهم ما كان ردته اليهم فأقام عند أمه حتى كان عمره ثمانى سنين ماتت فكفله جده عبد المطلب فمات وله عليه الصلاة والسلام عشر سنين ، فكفله عماه شقيقا أبيه الزبير وأبو طالب ، فلما كان له بضع عشرة سنة خرج مع عمه الزبير الى اليمن . فذكر أنهم رأوا منه آيات فى تلك السفرة منها أن فحلا من الابل كان قد قطع بعض الطريق فى واد ممرهم عليه فلما رأى رسول الله (ص) برك حتى حك بكلكله الأرض فركبه عليه الصلاة والسلام . ومنها أنه خاض بهم سيلا عرماً فأيبسه الله تعالى حتى جاوزوه ثم مات عمه الزبير وله أربع عشرة سنة فانفرد به أبو طالب .

والمقصود أن بركته عليه الصلاة والسلام حلت على حليمة السعدية وأهلها وهو صغير ثم عادت على هوازن بكمالهم فواضله حين أسرهم بعد وقعتهم ، وذلك بعد فتح مكة بشهر . فمتوا اليه برضاعه فاعتقهم وتحنن عليهم وأحسن اليهم كما سيأتى مفصلا فى موضعه إن شاء الله تعالى .

قال محمد بن اسحاق : فى وقعة هوازن عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . قال : كنا مع رسول الله (ص) بحنين فلما أصاب من أموالهم وسباياهم أدركه وفد هوازن بالجعرانة وقد أسلموا ، فقالوا يا رسول الله إنا أهل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك ، فامنن علينا منّ الله عليك . وقام

خطيبهم زهير بن صرد فقال : يارسول الله إن ما فى الحظائر من السبايا خالاتك وحواضنك اللاتى كن يكفلنك ، فلو أنا ملحنا (١) ابن أبى شمر ، أو النعمان بن المنذر ثم أصابنا منهما مثل الذى أصابنا منك رجونا عائدتهما وعطفهما ، وأنت خير المكفولين . ثم أنشد :

أُمننْ علينـا رسولَ الله فى كَرَم ... فإنك المرءُ نرجوهُ وندَّخر

امننْ على بيضةٍ قد عاقها قَدَر ... ممزّق شَمْلُهـا فى دهرها غِـيَر

أبقت لنا الدهرَ هتّافاً على حَزَن ... على قلوبهم الغمّاءُ والغمر

إن لم تَداركْها نعماءُ تنشرُها ... يا أرجحَ الناسِ حِلماً حين يُختبر

امنن على نسوةٍ قد كنت ترضعُها ... إذ فوكَ يملؤه من محضها دُرر

امنن على نسوةٍ قد كنتَ ترْضَعها ... وإذ يَزينُـك ما تأتي وما تَذَر

لا تجعلنّا كمن شالت نَعامتُه ... واستبْقِ منّا فانا معشر زُهُر

إنا لنشكر للنّعمى وإن كفرتْ ... وعندَنا بعـدَ هذا اليوم مدَّخر

وقد رويت هذه القصة من طريق عبيد الله بن رماحس الكلبى الرملى عن زياد بن طارق الجشمى عن أبى صرد زهير بن جرول ـ وكان رئيس قومه ـ قال لما أسرنا رسول الله (ص) يوم حنين فبينا هو يميز بين الرجال والنساء وثبتُ حتى قعدت بين يديه وأسمعته شعراً ، أذكره حين شب ونشأ فى هوازن حيث أرضعوه :

امننْ علينا رسولَ الله فى دعةٍ ... فانك المرءُ نرجوهُ وننتظر

امنن على بيضة قدعاقها قدر ... ممزق شملهـا فى دهرها غـير

أبقت لنا الحرب هتافاً على حزن ... علي قلوبهم الغماء والغمر

إن لم تداركها نعماء تنشرها ... يا أرجح الناس حلماً حين يختبر

امنن على نسوة قد كنت ترضعها ... إذ فوك تملؤه من محضها الدرر

إذ أنت طفل صغير كنت ترضعها ... وإذ يزينك ما تأتى وما تذر

لا تجعلنا كمن شالت نعامتـه ... واستبق منـا فانا معشر زهر

إنا لنشكر للنعمى وإن كفرت ... وعندنا بعد هذا اليوم مدخر

فألبسِ العفو مَن قد كنتَ تَرضَعه ... من أمهاتِكَ إن العفوَ مشتهر

إنّا نؤمّل عفواً منك تُلبسه ... هذي البريّةَ إذ تعفو وتنتصر

فاغفرْ عفا الله عما أنتَ راهبُه ... يومَ القيامة إذ يُهدى لك الظَفَر

---

(١) يعنى أرضعنا . وابن أبى شمر هو الحارث الغسانى .

قال فقال رسول الله (ص): « أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لله ولكم » فقالت الانصار : وما كان لنا فهو لله ولرسوله (ص). وسيأتى أنه عليه الصلاة والسلام أطلق لهم الذرية وكانت ستة آلاف ما بين صبى وامرأة ، وأعطاهم أنعاماً وأناسى كثيراً . حتى قال أبو الحسين بن فارس فكان قيمة ما أطلق لهم يومئذ خمسمائة ألف ألف درهم . فهذا كله من بركته العاجلة فى الدنيا ، فكيف ببركته على من اتبعه فى الدار الآخرة .

فصل

قال ابن اسحاق : بعد ذكر رجوعه عليه الصلاة والسلام إلى أمه آمنة بعد رضاعة حليمة له . فكان رسول الله (ص) مع أمه آمنة بنت وهب ، وجده عبد المطلب فى كلاءة الله وحفظه ، ينبته الله نباتاً حسناً لما يريد به من كرامته فلما بلغ ست سنين توفيت أمه آمنة بنت وهب .

قال ابن اسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن أم رسول الله (ص) آمنة توفيت وهو ابن ست سنين بالابواء بين مكة والمدينة ، كانت قد قدمت به على اخواله من بنى عدى بن النجار تزيره إياهم . فماتت وهى راجعة به إلى مكة . وذكر الواقدى باسانيده أن النبى (ص) خرجت به أمه إلى المدينة ومعها أم أيمن وله ست سنين ، فزارت اخواله . قالت أم أيمن فجاءنى ذات يوم رجلان من يهود المدينة فقالا لى أخرجى الينا أحمد ننظر اليه ، فنظرا اليه وقلباه فقال أحدهما لصاحبه هذا نبى هذه الأمة وهذه دار هجرته ، وسيكون بها من القتل والسبى أمر عظيم . فلما سمعت أمه خافت وانصرفت به ، فماتت بالابواء وهى راجعة * وقد قال الامام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا أيوب ابن جابر عن سماك عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابن بريدة عن أبيه قال : خرجنا مع رسول الله (ص) حتى إذا كنا بودّان قال « مكانكم حتى آتيكم » فانطلق ثم جاءنا وهو ثقيل ، فقال : « إنى أتيت قبر أم محمد فسألت ربى الشفاعة ـ يعنى لها ـ فمنعنيها ، وانى كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، وكنت نهيتكم عن لحوم الأضاحى بعد ثلاثة أيام فكلوا وامسكوا ما بدا لكم ، ونهيتكم عن الاشربة فى هذه الاوعية فاشربوا ما بدا لكم » وقد رواه البيهقى من طريق سفيان الثورى عن علقمة بن يزيد عن سليمان ابن بريدة عن أبيه قال : انتهى النبى (ص) إلى رسم قبر فجلس وجلس الناس حوله ، فجعل يحرك رأسه كالمخاطب ثم بكى فاستقبله عمر فقال ما يبكيك يارسول الله ؟ قال : « هذا قبر آمنة بنت وهب استأذنت ربى فى أن أزور قبرها فاذن لى ، واستأذنته فى الاستغفار لها فابى على ، وأدركتنى رقتها فبكيت » . قال فما رؤيت ساعة أكثر باكيا من تلك الساعة . تابعه محارب بن دثار عن بريدة عن أبيه . ثم روى البيهقى عن الحاكم عن الاصم عن بحر بن نصر عن عبد الله بن وهب حدثنا ابن جريج عن أيوب بن هانى عن

مسروق بن الاجدع عن عبد الله بن مسعود . قال : خرج رسول الله (ص) ينظر فى المقابر ، وخرجنا معه ، فامرنا فجلسنا ثم تخطى القبور حتى انتهى الى قبر منها ـ فناجاه طويلا ثم ارتفع نحيب رسول الله (ص) باكياً فبكينا لبكاء رسول الله (ص) ثم ان رسول الله (ص) اقبل الينا فتلقاه عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله ما الذى ابكاك ؟ لقد أبكانا وافزعنا . فجاء فجلس الينا فقال : « افزعكم بكائى » ؟ قلنا نعم ! قال : « ان القبر الذى رأيتمونى اناجى قبر آمنة بنت وهب ، وانى استأذنت ربى فى زيارتها فاذن لى ، واستأذنت ربى فى الاستغفار لها فلم يأذن لى فيه ، ونزل على ﴿ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم اصحاب الجحيم ، وماكان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لاواه حليم﴾ فاخذنى ماياخذ الولد للوالدة من الرقة فذلك الذى ابكانى » غريب ولم يخرجوه . وروى مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة عن محمد بن عبيد عن يزيد بن كيسان عن أبى حازم عن أبى هريرة قال: زار النبى (ص) قبر أمه فبكى وابكى من حوله ثم قال : «استأذنت ربى فى زيارة قبر أمى فأذن لى واستأذنته فى الاستغفار لها فلم يأذن لى ، فزوروا القبور تذكركم الموت » . وروى مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة عن عفان عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رجلا قال : يا رسول الله أين أبى ؟ قال : « فى النار » فلما قفا دعاه فقال : « إن أبى وأباك فى النار » . وقد روى البيهقى من حديث أبى نعيم الفضل بن دكين عن ابراهيم بن سعد عن الزهرى عن عامر بن سعد عن أبيه . قال : جاء أعرابى الى النبى (ص) فقال إن أبى كان يصل الرحم، وكان، وكان ، فأين هو ؟ قال : « فى النار » قال فكأن الأعرابى وجد من ذلك ، فقال يا رسول الله أين أبوك ؟ قال : « حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار » قال فاسلم الاعرابى بعد ذلك . فقال : لقد كلفنى رسول الله (ص) تعباً ، مامررت بقبر كافر الا بشرته بالنار . غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه . وقال الامام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا سعيد ـ هو ابن أبى أيوب ـ حدثنا ربيعة بن سيف المعافرى عن ابى عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمرو . قال بينما نحن نمشى مع رسول الله (ص) إذ بصر بامرأة لايظن أنه عرفها ، فلما توسط الطريق وقف حتى انتهت اليه ، فاذا فاطمة بنت رسول الله (ص) فقال : « ما أخرجك من بيتك يافاطمة ؟ فقالت أتيت اهل هذا البيت فترحمت اليهم ميتهم وعزيتهم . قال: « لعلك بلغت معهم الكدى [1] » قالت معاذ الله أن أكون بلغتها معهم وقد سمعتك تذكر فى ذلك ما تذكر [2] . قال : « لو بلغتيها معهم ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك » ثم رواه أحمد وأبو داود والنسائى والبيهقى من حديث ربيعة بن سيف بن مانع المعافرى الصنمى

---

(١) أراد بها المقابر وذلك لأنها كانت مقابرهم فى مواضع صلبة. وهى جمع كدية القطعة الغليظة من الأرض

(٢) هو مارواه أصحاب السنن من قوله (ص) « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج »

الاسكندرى وقد قال البخارى عنـده مناكير . وقال النسائى : ليس به بأس وقال مرة صدوق ، وفى نسخة ضعيف . وذكره ابن حبان فى الثقات وقال كان يخطئ كثيراً . وقال الدارقطنى صالح . وقال ابن يونس فى تاريخ مصر فى حديثه مناكير توفى قريبا من سنة عشرين ومائة ، والمراد بالكدى القبور – وقيل النوح –

والمقصود أن عبد المطلب مات على ما كان عليه من دين الجاهليـة خلافا لفرقة الشيعة فيه وفى ابنه أبى طالب على ما سيأتى فى وفاة أبى طالب ، وقد قال البيهقى – بعد روايته هذه الاحاديث فى كتابه دلائل النبوة : وكيف لا يكون أبواه وجده عليه الصـلاة والسلام بهذه الصفة فى الآخرة وقد كانوا يعبـدون الوثن ، حتى ماتوا ولم يدينوا دين عيسى بن مريم عليه السلام ، وكفرهم لا يقدح فى نسبه عليه الصلاة والسلام لأن انكحة الكفار صحيحة. الاتراهم يسلمون مع زوجاتهم فلا يلزمهم تجديد العقد ولا مفارقتهن إذا كان مثله يجوز فى الاسلام وبالله التوفيق . انتهى كلامه .

قلت : واخباره (ص) عن أبويه وجده عبد المطلب بأنهم من أهل النار لا ينافى الحديث الوارد عنه من طرق متعددة أن أهل الفترة والاطفال والمجانين والصم يمتحنون فى العرصات يوم القيامة، كما بسطناه سنداً ومتناً [فى تفسيرنا] عند قوله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) فيكون منهم من يجيب ومنهم من لا يجيب . فيكون هؤلاء من جملة من لا يجيب فلا منافاة ولله الحمد والمنة .

وأما الحديث الذى ذكره السهيلى وذكر أن فى اسناده مجهولين الى ابن أبى الزناد عن عروة عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله (ص) سأل ربه أن يحيى أبويه، فاحياهما وآمنا به ، فانه حديث منكر جداً . وان كان ممكنا بالنظر الى قدرة الله تعالى . لـكن الذى ثبت فى الصحيح يعارضه والله أعلم .

فصل

قال ابن اسحاق : وكان رسول الله (ص) مع جده عبـد المطلب بن هاشم – يعنى بعد موت أمه آمنة بنت وهب – فكان يوضع لعبـد المطلب فراش فى ظل الكعبة وكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج اليه ، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالا له . قال فكان رسول الله (ص) يأتى وهو غلام جفر حتى يجلس عليه. فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه .فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم : دعوا إبنى فوالله إن له لشأناً ، ثم يجلسه معـه على فراشه ويمسح ظهره بيـده ويسره مايراه يصنع . وقال الواقدى : حدثنى محمد بن عبد الله عن الزهرى وحدثنا عبد الله بن جعفر عن عبد الواحد بن حمزة بن عبد الله . وحدثنا هاشم بن عاصم الاسلمى عن المنذر بن جهم . وحـدثنا معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد . وحدثنا عبد الرحمن بن عبد العزيز عن أبى الحويرث . وحدثنا ابن أبى سبرة عن سليمان بن

سحيم عن نافع عن ابن جبير ـ دخل حديث بعضهم فى بعض ـ قالوا : كان رسول الله (ص) يكون مع أمه آمنة بنت وهب ، فلما توفيت قبضه اليه جده عبد المطلب وضمه ورق عليه رقة لم يرقها على ولده ، وكان يقربه منه ويدنيه ويدخل عليه اذا خلا وإذا نام . وكان يجلس على فراشه فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك دعوا ابنى إنه يؤنس ملكاً .

وقال قوم من بنى مدلج لعبد المطلب احتفظ به فانا لم نر قدماً أشبه بالقدم الذى فى المقام منه . فقال عبد المطلب لأبى طالب : اسمع ما يقول هؤلاء ! فكان أبو طالب يحتفظ به . وقال عبد المطلب لأم أيمن ـ وكانت تحضنه ـ يا بركة لا تغفلى عن ابنى فانى وجدته مع غلمان قريب من السدرة ، وإن أهل الكتاب يزعمون أن ابنى نبى هذه الأمة . وكان عبد المطلب لا يأكل طعاماً إلا يقول على بابنى فيؤتى به اليه .

فلما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله (ص) وحياطته ثم مات عبد المطلب ودفن بالحجون .

وقال ابن اسحاق : فلما بلغ رسول الله (ص) ثمان سنين هلك جده عبد المطلب بن هاشم . ثم ذكر جمعه بناته وأمره إياهن أن يرثينه . وهن ، أروى وأميمة ، وبرة ، وصفية ، وعاتكة ، وأم حكيم البيضاء وذكر أشعارهن وما قلن فى رثاء أبيهن وهو يسمع قبل موته وهذا أبلغ النوح . وبسط القول فى ذلك وقد قال ابن هشام ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر .

قال ابن اسحاق : فلما هلك عبد المطلب بن هاشم ولى السقاية وزمزم بعده ابنه العباس ، وهو من أحدث إخوته سناً فلم تزل اليه حتى قام الاسلام وأقرها فى يده رسول الله (ص) . وكان رسول الله (ص) بعد جده عبد المطلب مع عمه أبى طالب لوصية عبد المطلب له به ، ولأنه كان شقيق أبيه عبد الله أمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم . قال فكان أبو طالب هو الذى يلى أمر رسول الله (ص) وكان اليه ومعه . وقال الواقدى : أخبرنا معمر عن ابن نجيح عن مجاهد . وحدثنا معاذ بن محمد الانصارى عن عطاء عن ابن عباس . وحدثنا محمد بن صالح وعبد الله بن جعفر وابراهيم بن اسماعيل بن أبى حبيبة ـ دخل حديث بعضهم فى حديث بعض ـ قالوا : لما توفى عبد المطلب قبض أبو طالب رسول الله (ص) فكان يكون معه ، وكان أبو طالب لا مال له وكان يحبه حباً شديداً لا يحبه ولده ، وكان لا ينام إلا إلى جنبه ، ويخرج فيخرج معه . وصب به أبو طالب صبابة لم يصب مثلها بشئ قط . وكان يخصه بالطعام وكان إذا أكل عيال أبى طالب جميعاً أو فرادى لم يشبعوا ، وإذا أكل معهم رسول الله (ص) شبعوا . فكان اذا أراد أن يغديهم قال كما أنتم حتى يأتى ولدى . فيأتى رسول الله (ص) فيأكل معهم فكانوا يفضلون من طعامهم وإن لم يكن منهم لم يشبعوا فيقول أبو طالب إنك

لمبارك . وكان الصبيان يصبحون رمصا شمثاً ويصبح رسول الله (ص) دهينا كحيلا .

وقال الحسن بن عرفة حدثنا على بن ثابت عن طلحة بن عمرو سمعت عطاء بن أبى رباح سمعت ابن عباس يقول : كان بنو أبى طالب يصبحون رمصا عمصاً ويصبح رسول الله (ص) صقيلا دهيناً وكان أبو طالب يقرب الى الصبيان صفحتهم أول البكرة ، فيجلسون وينتهبون ويكف رسول الله (ص) يده فلا ينتهب معهم . فلما رأى ذلك عمه عزل له طعامه على حدة .

وقال ابن اسحاق : حدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير أن اباه حدثه أن رجلا من لهب كان عائفاً فكان اذا قدم مكة أتاه رجال من قريش بغلمانهم ينظر اليهم ويعتاف لهم فيهم . قال فاتى أبو طالب برسول الله (ص) وهو غلام مع من يأتيه قال فنظر الى رسول الله (ص) ثم شغله عنه شئ . فلما فرغ قال : الغلام على به . فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيبه عنه فجعل يقول ويلكم ردوا على الغلام الذى رأيته آنفاً فوالله ليكونن له شأن . قال وانطلق به أبو طالب .

فصل

﴿ فى خروجه عليه الصلاة والسلام مع عمه أبى طالب إلى الشام وقصته مع بحيرى الراهب ﴾

قال ابن اسحاق : ثم إن أبا طالب خرج فى ركب تاجراً إلى الشام . فلما تهيأ للرحيل وأجمع السير صب به رسول الله (ص) ـ فيما يزعمون ـ فرق له أبو طالب وقال والله لأخرجن به معى ولا أفارقه ولا يفارقنى أبداً ـ أو كما قال ـ فخرج به . فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام وبها راهب يقال له بحيرى فى صومعة له . وكان اليه علم أهل النصرانية ، ولم يزل فى تلك الصومعة منذ قط راهب فيها . اليه يصير علمهم عن كتاب فيما يزعمون . يتوارثونه كابراً عن كابر ، فلما نزلوا ذلك العام ببحيرى ـ وكانوا كثيراً ما يمرون به فلا يكلمهم ولا يعرض لهم ـ حتى كان ذلك العام . فلما نزلوا قريباً من صومعته صنع لهم طعاماً كثيراً وذلك فيما يزعمون عن شئ رآه وهو فى صومعته ، يزعمون أنه رأى رسول الله (ص) فى الركب حتى أقبل وغمامة تظلله من بين القوم . ثم أقبلوا فنزلوا فى ظل شجرة قريباً منه . فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله (ص) حتى استظل تحتها . فلما رأى ذلك بحيرى نزل من صومعته وقد أمر بطعام فصنع . ثم أرسل اليهم . فقال إنى صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش فأنا أحب أن تحضروا كلكم ، كبيركم وصغيركم ، وعبدكم وحركم . فقال له رجل منهم والله يا بحيرى إن لك لشأناً اليوم . ما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيراً فما شأنك اليوم ؟ قال له بحيرى صدقت قد كان ما تقول ولكنكم ضيف وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً فتأكلون منه كلكم فاجتمعوا اليه وتخلف رسول الله (ص) من بين القوم لحداثة سنه فى رحال القوم تحت الشجرة

فلما رآهم بحيرى لم ير الصفة التى يعرف ويجده عنده فقال يا معشر قريش لا يتخلفن أحد منكم عن طعامى قالوا يا بحيرى ما تخلف أحد ينبغى له أن يأتيك إلا غلام وهو أحدثنا سناً . فتخلف فى رحالنا . قال لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم . قال فقال رجل من قريش مع القوم : واللات والعزى إن كان للؤم بنا أن يتخلف محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا . ثم قام اليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم ، فلما رأى بحيرى جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر الى أشياء من جسده ، قد كان يجدها عنده من صفته ، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام اليه بحيرى وقال له يا غلام : أسألك بحق اللات والعزى الا أخبرتنى عما أسألك عنه . وانما قال له بحيرى ذلك لانه سمع قومه يحلفون بهما . فزعموا أن رسول الله (ص) قال له : لا تسألنى باللات والعزى شيئاً . فوالله ما ابغضت شيئاً قط بغضهما . فقال له بحيرى : فبالله الا ما أخبرتنى عما أسألك عنه ؟ فقال له سلنى عما بدا لك . فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره . فجعل رسول الله (ص) يخبره . فوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته . ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه موضعه من صفته التى عنده ، فلما فرغ أقبل على عمه أبى طالب فقال ما هذا الغلام منك ؟ قال ابنى قال بحيرى ما هو بابنك وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً ، قال فانه ابن أخى . قال فما فعل أبوه ؟ قال مات وأمه حبلى به قال صدقت ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود . فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شراً ، فانه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فاسرع به إلى بلاده ، فخرج به عمه أبو طالب سريعاً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام .

قال ابن اسحاق : فزعموا فيما روى الناس أن زريراً ، وثماما ، ودريسا ـ وهم نفر من أهل الكتاب ـ قد كانوا رأوا رسول الله (ص) مثلما رأى بحيرى فى ذلك السفر الذى كان فيه مع عمه أبى طالب فارادوه فردهم عنه بحيرى . فذكرهم الله وما يجدون فى الكتاب من ذكره وصفته وأنهم اجمعوا لما أرادوا به لم يخلصوا اليه حتى عرفوا ما قال لهم وصدقوه بما قال فتركوه وانصرفوا عنه . وقد ذكر يونس بن بكير عن ابن اسحاق أن أبا طالب قال فى ذلك ثلاث قصائد . هكذا ذكر ابن إسحاق هذا السياق من غير اسناد منه . وقد ورد نحوه من طريق مسند مرفوع .

فقال الحافظ أبو بكر الخرائطى حدثنا عباس بن محمد الدورى حدثنا قراد أبو نوح حدثنا يونس عن أبى اسحاق عن أبى بكر بن أبى موسى عن أبيه قال خرج أبو طالب الى الشام ومعه رسول الله (ص) فى أشياخ من قريش . فلما أشرفوا على الراهب ـ يعنى بحيرى ـ هبطوا فحلوا رحالهم فخرج اليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج ولا يلتفت اليهم قال فنزل وهم يحلون رحالهم . فجعل يتخللهم حتى جاء فاخذ بيد النبى (ص) فقال هذا سيد العالمين . وفى رواية البيهقى زيادة هذا رسول رب العالمين ، بعثه الله رحمة للعالمين . فقال له أشياخ من قريش : وما علمك ؟ فقال إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق

شجرة ولا حجر الا خر ساجدا ، ولا يسجدون الا لنبى ، وإنى أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه . ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما أتاهم به ـ وكان هو فى رعية الابل ـ فقال أرسلوا اليـه فاقبل وغمامة تظله . فلما دنا من القوم قال انظروا اليه عليه غمامة فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه الى فىء الشجرة فلما جلس مال فىء الشجرة عليـه . قال انظروا الى فىء الشجرة مال عليـه قال فبينما هو قائم عليهم وهو ينشدهم ألا يذهبوا به الى الروم فان الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه فالتفت فاذا هو بسبعة نفر من الروم قد اقبلوا . قال فاستقبلهم فقال ماجاء بكم ؟ قالوا جئنا أن هذا النبى خارج فى هذا الشهر فلم يبق طريق الا بعث اليه ناس وإنا أخبرنا خبره الى طريقك هذه . قال فهل خلفكم أحد هو خير منكم ؟ قالوا لا إنما اخبرنا خبره الى طريقك هذه . قال أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده ؟ فقالوا لا . قال فبايعوه وأقاموا معه عنـده . قال فقال الراهب أنشدكم الله أيكم وليه ؟ قالوا أبو طالب . فلم يزل يناشده حتى رده وبعث معه أبو بكر بلالا وزوده الراهب من الكعك والزيت . هكذا رواه الترمذى عن أبى العباس الفضل بن سـهل الاعرج عن قراد أبى نوح به . والحاكم والبيهقى وابن عساكر من طريق أبى العباس محمـد بن يعقوب الأصم عن عباس بن محمد الدورى به . وهكذا رواه غير واحـد من الحفاظ من حديث أبى نوح عبـد الرحمن بن غزوان الخزاعى مولاهم ، ويقال له الضبى ويعرف بقراد . سكن بغداد وهو من الثقات الذين أخرج لهم البخارى ، ووثقه جماعة من الأئمة والحفاظ ولم أر احداً جرحه ومع هـذا فى حديثه هذا غرابة ، قال الترمذى حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه . وقال عباس الدورى ليس فى الدنيا أحـد يحدث به غير قراد أبى نوح وقد سمعه منه أحمـد بن حنبل رحمه الله ويحيى بن معين لغرابته وانفراده . حكاه البيهقى وابن عساكر .

قلت : فيه من الغرائب أنه من مرسلات الصحابة فان أبا موسى الأشعرى إنما قدم فى سـنة خيبر سنة سبع من الهجرة . ولا يلتفت إلى قول ابن اسحاق فى جعله له من المهاجرة إلى أرض الحبشة من مكة وعلى كل تقدير فهو مرسل . فان هذه القصة كانت ولرسول الله (ص) من العمر فيما ذكره بعضهم ثنتا عشرة سنة ، ولعل أبا موسى تلقاه من النبى (ص) فيكون أبلغ ، أو من بعض كبار الصحابة رضى الله عنهم ، أو كان هذا مشهوراً مذكوراً أخذه من طريق الاستفاضة .

الثانى : أن الغمامة لم تذكر فى حديث اصح من هذا .

الثالث . أن قوله وبعث معه أبو بكر بلالا إن كان عمره عليه الصلاة والسلام إذ ذاك ثنتى عشرة سنة فقد كان عمر أبى بكر إذ ذاك تسع سنين أو عشرة ، وعمر بلال أقل من ذلك ، فأين كان أبو بكر إذ ذاك ؟ ثم أين كان بلال ؟ كلاهما غريب اللهم إلا أن يقال إن هـذا كان ورسول الله (ص) كبيراً . إما بأن يكون سفره بعد هذا أو إن كان القول بأن عمره كان إذ ذاك ثنتى عشرة سنة غير محفوظ ، فانه إنما

ذكره مقيداً بهذا الواقدى . وحكى السهيلى عن بعضهم أنه كان عمره عليه الصلاة والسلام إذ ذاك تسع سنين والله أعلم . قال الواقدى : حدثنى محمد بن صالح وعبد الله بن جعفر وابراهيم بن اسماعيل بن أبى حبيبة عن داود بن الحصين . قالوا : لما بلغ رسول الله (ص) اثنتى عشرة سنة خرج به عمه أبو طالب إلى الشام فى العير التى خرج فيها للتجارة ونزلوا بالراهب بحيرى . فقال لأبى طالب بالسر ما قال . وأمره أن يحتفظ به فرده معه أبو طالب إلى مكة .

وشب رسول الله (ص) مع أبى طالب يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من أمور الجاهلية ومعائبها لما يريد من كرامته حتى بلغ أن كان رجلا أفضل قومه مروءة ، وأحسنهم خلقاً ، وأكرمهم مخالطة ، وأحسنهم جواراً ، وأعظمهم حلماً وأمانة ، وأصدقهم حديثاً ، وأبعدهم من الفحش والأذى . ما رؤى ملاحياً ولا ممارياً أحداً ، حتى سماه قومه الأمين . لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة فكان أبو طالب يحفظه ويحوطه وينصره ويعضده حتى مات .

وقال محمد بن سعد : أخبرنا خالد بن معدان حدثنا معتمر بن سليمان سمعت أبى يحدث عن أبى مجلز أن عبد المطلب - أو أبا طالب شك خالد - قال لما مات عبد الله عطف على محمد فكان لا يسافر سفراً إلا كان معه فيه ، وإنه توجه نحو الشام فنزل منزلا فأتاه فيه راهب . فقال إن فيكم رجلا صالحاً : ثم قال أين أبو هذا الغلام ؟ قال فقال ها أنا ذا وليه - أو قيل هذا وليه - قال احتفظ بهذا الغلام ولا تذهب به إلى الشام إن اليهود حسد وإنى أخشاهم عليه . قال ما أنت تقول ذلك ، ولكن الله يقوله . فرده وقال اللهم إنى أستودعك محمداً ثم إنه مات .

قصة بحيرا

حكى السهيلى عن سير الزهرى أن بحيرى كان حبراً من أحبار يهود .

قلت : والذى يظهر من سياق القصة أنه كان راهباً نصرانياً والله أعلم . وعن المسعودى أنه كان من عبد القيس وكان اسمه جرجيس . وفى كتاب المعارف لابن قتيبة سمع هاتف فى الجاهلية قبل الاسلام بقليل يهتف ويقول : ألا إن خير أهل الأرض ثلاثة ، بحيرى ، ورئاب بن البراء الشنى ، والثالث المنتظر . وكان الثالث المنتظر هو الرسول (ص) . قال ابن قتيبة وكان قبر رئاب الشنى وقبر ولده من بعده لا يزال يرى عندهما طش ، وهو المطر الخفيف .

فصل

فى منشئه عليه الصلاة والسلام ومرباه وكفاية الله له ، وحياطته ، وكيف كان يتيماً فآواه وعائلا فأغناه

قال محمد بن اسحاق : فشب رسول الله (ص) يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية ، لما

يريد من كرامته ورسالته حتى بلغ أن كان رجلا أفضل قومه مروءة ، وأحسنهم خلقاً وأكرمهم حسباً ، وأحسنهم جواراً ، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً ، وأعظمهم أمانة ، وأبعدهم من الفحش والاخلاق التى تدنس الرجال تنزهاً وتكرماً ، حتى ما اسمه فى قومه إلا الامين ، لما جمع الله فيه من الامور الصالحة وكان رسول الله (ص.) فيما ذكر لى يحدث عما كان الله يحفظه به فى صغره وأمر جاهليته أنه قال : « لقد رأيتنى فى غلمان من قريش ننقل الحجارة لبعض ما يلعب الغلمان ، كلنا قد تعرى وأخذ إزاره وجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة ، فانى لأقبل معهم كذلك وأدبر إذ لكمنى لاكم ما أراه لكمة وجيعة ، ثم قال شد عليك إزارك . قال فأخذته فشددته على ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتى وإزارى على من بين أصحابى » . وهذه القصة شبيهة بما فى الصحيح عند بناء الكعبة حين كان ينقل هو وعمه العباس فان لم تكنها فهى متقدمة عليها كالتوطئة لها والله أعلم .

قال عبد الرزاق : أخبرنا ابن جريج أخبرنى عمرو بن دينار أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : لما بنيت الكعبة ذهب رسول الله (ص.) ينقل الحجارة . فقال العباس لرسول الله (ص.) إجعل ازارك على عاتقك من الحجارة ففعل فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ، ثم قام فقال : « ازارى » فشد عليه إزاره أخرجاه فى الصحيحين من حديث عبد الرزاق . وأخرجاه أيضاً من حديث روح بن عبادة عن زكرياء بن أبي اسحاق عن عمرو بن دينار عن جابر بنحوه .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبى عمرو قالا أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن اسحاق الصاغانى حدثنا محمد بن بكير الحضرمى حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله الدشتكى حدثنا عمرو بن أبى قيس عن سماك عن عكرمة حدثنى ابن عباس عن أبيه أنه كان ينقل الحجارة إلى البيت حين بنت قريش البيت ، قال وأفردت قريش رجلين رجلين ، الرجال ينقلون الحجارة ، وكانت النساء تنقل الشيد . قال فكنت أنا وابن أخى وكنا نحمل على رقابنا وأزرنا تحت الحجارة ، فاذا غشينا الناس أتزرنا . فبينما أنا أمشى ومحمد أمامى قال فخر وانبطح على وجهه ، فجئت أسعى وألقيت حجرى وهو ينظر إلى السماء فقلت ما شأنك ؟ فقام وأخذ إزاره قال « إنى نهيت أن أمشى عرياناً » . قال وكنت أكتمها من الناس مخافة أن يقولوا مجنون . وروى البيهقى من حديث يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثنى محمد بن عبد الله بن قيس بن مخرمة عن الحسن بن محمد بن على بن أبى طالب عن أبيه عن جده على بن أبى طالب . قال سمعت رسول الله (ص.) يقول « ما هممت بشئ مما كان أهل الجاهلية يهمون به من النساء الا ليلتين كلتاهما عصمنى الله عز وجل فيهما . قلت ليلة لبعض فتيان مكة - ونحن فى رعاء غنم أهلها - فقلت لصاحبى أبصر لى غنمى حتى أدخل مكة أسمر فيها كما يسمر الفتيان فقال بلى . قال فدخلت حتى جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفا بالغرابيل والمزامير فقلت ما هذا

قالوا تزوج فلان فلانة . فجلست أنظر وضرب الله على أذنى فوالله ما ايقظنى الامس الشمس ، فرجعت الى صاحبى ، فقال ما فعلت ؟ فقلت ما فعلت شيئا ثم أخبرته بالذى رأيت ، ثم قلت له ليلة أخرى أبصر لى غنمى حتى اسمر ففعل فدخلت فلما جئت مكة سمعت مثل الذى سمعت تلك الليلة . فسألت فقيل نكح فلان فلانة ، فجلست أنظر وضرب الله على أذنى فوالله ما أيقظنى الامس الشمس ، فرجعت الى صاحبى فقال ما فعلت ؟ فقلت لا شىء ثم أخبرته الخبر ، فوالله ما هممت ولا عدت بعدهما لشىء من ذلك حتى أكرمنى الله عز وجل بنبوته » وهذا حديث غريب جدا وقد يكون عن على نفسه ويكون قوله فى آخره « حتى أكرمنى الله عز وجل بنبوته » مقحما والله أعلم .

وشيخ ابن اسحاق هذا ذكره ابن حبان فى الثقات . وزعم بعضهم أنه من رجال الصحيح . قال شيخنا فى تهذيبه ولم أقف على ذلك والله أعلم .

وقال الحافظ البيهقى : حدثنى أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا الحسن ابن على بن عفان العامرى حدثنا أبو أسامة حدثنا محمد بن عمرو عن أبى سلمة ، ويحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب عن أسامة بن زيد عن زيد بن حارثة . قال : كان صنم من نحاس يقال له اساف ونائلة يتمسح به المشركون إذا طافوا . فطاف رسول الله (ص) وطفت معه ، فلما مررت مسحت به فقال رسول الله (ص) « لا تمسه » . قال زيد فطفنا فقلت فى نفسى لأمسنه حتى أنظر ما يكون ، فمسحته فقال رسول الله (ص) « ألم تنه » قال البيهقى : زاد غيره عن محمد بن عمرو باسناده قال زيد فوالذى أكرمه وأنزل عليه الكتاب ما استلم صنما قط حتى أكرمه الله تعالى بالذى أكرمه وأنزل عليه .

وتقدم قوله عليه الصلاة والسلام لبحيرى حين سأله بااللات والعزى « لا تسألنى بهما فوالله ما أبغضت شيئاً بغضهما » فاما الحديث الذى قاله الحافظ أبو بكر البيهقى أخبرنا أبو سعد المالينى . أنبأنا أبو احمد بن عدى الحافظ حدثنا ابراهيم بن اسباط حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا جرير عن سفيان الثورى عن محمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال كان النبى (ص) يشهد مع المشركين مشاهدهم قال فسمع ملكين خلفه وأحدهما يقول لصاحبه : اذهب بنا حتى نقوم خلف رسول الله (ص) . قال كيف نقوم خلفه وانما عهده باستلام الاصنام ؟ . قال فلم يعد بعد ذلك ان يشهد مع المشركين مشاهدهم. فهو حديث أنكره غير واحد من الأئمة على عثمان بن أبى شيبة حتى قال الامام احمد فيه لم يكن أخوه يتلفظ بشىء من هذا . وقد حكى البيهقى عن بعضهم أن معناه أنه شهد مع من يستلم الأصنام وذلك قبل أن يوحى اليه والله أعلم . وقد تقدم فى حديث زيد بن حارثة أنه اعتزل شهود مشاهد المشركين حتى أكرمه الله برسالته . وثبت فى الحديث أنه كان لا يقف بالمزدلفة ليلة عرفة بل كان يقف مع الناس بعرفات كما قال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق * حدثنى عبدالله بن أبى بكر

عن عثمان بن أبى سليمان عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه جبير . قال : لقد رأيت رسول الله (ص.) وهو على دين قومه ، وهو يقف على بعير له بعرفات من بين قومه حتى يدفع معهم، توفيقا من الله عز وجل له .

قال البيهقى : معنى قوله على دين قومه ما كان بقى من ارث ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، ولم يشرك بالله قط صلوات الله وسلامه عليه دائما.

قلت : ويفهم من قوله هذا أيضا انه كان يقف بعرفات قبل أن يوحى اليه. وهذا توفيق من الله له . ورواه الامام أحمد عن يعقوب عن محمد بن اسحاق به . ولفظه رأيت رسول الله (ص.) قبل ان ينزل عليه وإنه لواقف على بعير له مع الناس بعرفات حتى يدفع معهم توفيقاً من الله . وقال الامام أحمد : حدثنا سفيان عن عمرو عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : أضللت بعيرا لى بعرفة فذهبت اطلبه فاذا النبى (ص.) واقف فقلت إن هذا من الحُمس [1] ما شأنه ههنا ؟ واخرجاه من حديث سفيان بن عيينة به .

شهوده عليه الصلاة والسلام حرب الفجار

قال ابن اسحاق : هاجت حرب الفجار ورسول الله (ص.) ابن عشرين سنة ، وانما سمى يوم الفجار ، بما استحل فيه هذان الحيان - كنانة وقيس عيلان - من المحارم بينهم. وكان قائد قريش وكنانة حرب بن أمية بن عبد شمس .وكان الظفر فى أول النهار لقيس على كنانة .حتى إذا كان وسط النهار كان الظفر لكنانة على قيس .

وقال ابن هشام : فلما بلغ رسول الله (ص.) أربع عشرة سنة - أو خمس عشرة سنة - فيما حدثنى به أبو عبيدة النحوى عن أبى عمرو بن العلاء هاجت حرب الفجار بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان . وكان الذى هاجها ان عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن أجاز لطيمة - أى تجارة - للنعمان بن المنذر . فقال البراض بن قيس -أحد بنى ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة- اتجيزها على كنانة ؟ قال نعم وعلى الخلق . فخرج فيها عروة الرحال وخرج البراض يطلب غفلته . حتى اذا كان بتيمن ذى طلال بالعالية غفل عروة فوثب عليه البراض فقتله فى الشهر الحرام ،فلذلك سمى الفجار ، وقال البراض فى ذلك :

وداهيةٍ تهمّ الناسَ قبلي ... شددتُ لها بني بَكْرٍ ضلوعي
هدمتُ بها بيوتَ بني كلابٍ ... وأرضعتُ المواليَ بالضروع

---

(١) الحمس جمع أحمس .وهم قريش ومن ولدت ، وكنانة ، وجديلة سموا حمسا ، لانهم تحمسوا فى دينهم أى تشددوا . والحماسة الشجاعه كانوا يقفون فى المزدلفة ، ويقولون : نحن اهل الله فلا نخرج من الحرم

رفعتُ له بذي طـلالَ كفِّي فخرَّ يميـد كالجِذْع الصريع

وقال لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب :

وأبلغْ - إن عرضتَ - بنى كلاب وعامرَ والخطوبُ لها موالى
وأبلغ - ان عرضتَ - بنى نُمَـيْر واخوالَ القتيـلِ بنى هلال
بأنّ الوافـدَ الرحّال أمسى مقيماً عند تَيْمَنَ ذي طلال

قال ابن هشام : فأتى آت قريشاً فقال : ان البراض قد قتل عروة، وهو فى الشهر الحرام بعكاظ . فارتحلوا وهوازن لاتشعر بهم . ثم بلغهم الخبر فاتبعوهم فادركوهم قبل أن يدخلوا الحرم . فاقتتلوا حتى جاء الليل فدخلوا الحرم فامسكت هوازن عنهم ، ثم التقوا بعد هذا اليوم أياما والقوم متساندون على كل قبيل من قريش و كنانة رئيس منهم وعلى كل قبيل من قيس رئيس منهم . قال وشهد رسول الله (ص) بعض ايامهم . أخرجه اعمامه معهم وقال رسول الله (ص) « كنت أنبِّل على أعمامى » أى أرد عليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها .

قال ابن هشام : وحـديث الفجار طويل هو أطول مما ذكرت وانما منعنى من استقصائه قطعه حديث سيرة رسول الله (ص) .

وقال السهيلى : والفجار بكسر الفاء عـلى وزن قتال . وكانت الفجارات فى العرب أربعة ذكرهن المسعودى . وآخرهن ، فجار البراض هذا . وكان القتال فيه فى أربعة أيام ، يوم شمطة ، ويوم العبلاء ، وهما عند عكاظ ، ويوم الشرب - وهو أعظمها يوما - وهو الذى حضره رسول الله (ص) وفيه قيدا رئيس قريش وبنى كنانة وهما حرب بن أمية وأخوه سفيان أنفسهما لئلا يفروا . وانهزمت يومئذ قيس إلا بنى نضر فانهم ثبتوا . ويوم الحريرة عند نخلة . ثم تواعدوا من العام المقبل الى عكاظ . فلما توافوا الموعد ركب عتبة بن ربيعة جمله ونادى يا معشر مضر علام تقاتلون ؟ فقالت له هوازن: ما تدعو اليه ؟ قال الصلح ، قالوا وكيف ؟ قال ندى قتـلاكم ونرهنكم رهائن عليها ، ونعفو عن دياتنا . قالوا ومن لنا بذلك قال أنا ، قالوا ومن أنت ؟ قال عتبة بن ربيعة فوقع الصلح على ذلك وبعثوا اليهم أربعـين رجلا فيهم حكيم بن حزام فلما رأت بنو عامر بن صعصعة الرهن فى أيديهم عفوا عن دياتهم وانقضت حرب الفجار . وقـد ذكر الاموى حروب الفجار وأيامها واستقصاها مطولا فيما رواه عن الاثرم . وهو المغيرة ابن على عن أبى عبيدة معمر بن المثنى فذكر ذلك .

فصل

قال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو سعد المالينى أنبأنا أبو احمـد بن عدى الحافظ حدثنا يحيى بن على

ابن هاشم الخفاف حدثنا أبو عبد الرحمن الازدى حدثنا اسماعيل بن علية عن عبد الرحمن بن اسحاق عن الزهرى عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه . قال قال رسول الله (ص) : « شهدت مع عمومتى حلف المطيبين فما أحب أن أنكثه ـ أو كلمة نحوها ـ وإن لى حمر النعم » . قال وكذلك رواه بشر بن المفضل عن عبد الرحمن . قال وأخبرنا أبو نصر بن قتادة حدثنا أبو عمرو بن مطر حدثنا أبو بكر بن احمد بن داود السمنانى حدثنا معلى بن مهدى حدثنا أبو عوانة عن عمر بن أبى سلمة عن أبيه عن أبى هريرة . قال قال رسول الله (ص) : « ماشهدت حلفاً لقريش إلا حلف المطيبين ، وما أحب أن لى حمر النعم وأنى كنت نقضته » قال : والمطيبون هاشم ، وأمية ، وزهرة ، ومخزوم ، قال البيهقى : كذا روى هذا التفسير مدرجاً فى الحديث ولا أدرى قائله ، وزعم بعض أهل السير أنه أراد حلف الفضول فان النبى (ص) لم يدرك حلف المطيبين .

قلت : هذا لا شك فيه ، وذلك أن قريشاً تحالفوا بعد موت قصى وتنازعوا فى الذى كان جعله قصى لابنه عبد الدار من السقاية ، والرفادة ، واللواء ، والندوة ، والحجابة ، ونازعهم فيه بنو عبد مناف . وقامت مع كل طائفة قبائل من قريش وتحالفوا على النصرة لحزبهم فأحضر أصحاب بنى عبد مناف جفنة فيها طيب فوضعوا أيديهم فيها وتحالفوا . فلما قاموا مسحوا أيديهم بأركان البيت . فسموا المطيبين كما تقدم وكان هذا قديما ولكن المراد بهذا الحلف حلف الفضول وكان فى دار عبد الله بن جدعان كما رواه الحميدى عن سفيان بن عيينة عن عبدالله عن محمد وعبدالرحمن ابنى أبى بكر قالا قال رسول الله (ص) : « لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفاً لو دعيت به فى الاسلام لأجبت ، تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها وألا يعد[1] ظالم مظلوماً » . قالوا : وكان حلف الفضول قبل المبعث بعشرين سنة فى شهر ذى القعدة ، وكان بعد حرب الفجار بأربعة أشهر . وذلك لأن الفجار كان فى شعبان من هذه السنة ، وكان حلف الفضول أكرم حلف سمع به وأشرفه فى العرب ، وكان أول من تكلم به ودعا اليه الزبير بن عبد المطلب وكان سببه أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل فحبس عنه حقه ، فاستعدى عليه الزبيدى الاحلاف عبد الدار ومخزوماً وجمحا وسهماً وعدى بن كعب فأبوا أن يعينوا على العاص بن وائل وزبروه ـ أى انتهروه ـ فلما رأى الزبيدى الشر أوفى على أبى قبيس عند طلوع الشمس ـ وقريش فى أنديتهم حول الكعبة ـ فنادى بأعلى صوته :

يا آلَ فِهْرٍ لمظلومٍ بضاعتُه ببطنِ مكة نائِي الدارِ والنَفَرِ
ومحرِمٍ أشعثٍ لم يقضِ عمرتَه يا للرجالِ وبين الحِجرِ والحجَرِ
إنّ الحرامَ لمن تمّت كرامتُه ولا حرامَ لثوبِ الفاجرِ الغَدِرِ

---

(١) كذا بالأصلين . والذى فى السهيلى : يعز ظالم مظلوماً .

فقام فى ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال : ما لهذا مترك فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة فى دار عبد الله بن جدعان فصنع لهم طعاماً وتحالفوا فى ذى القعدة فى شهر حرام فتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونُنّ يداً واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدى اليه حقه ما بلّ بحر صوفة . ومارسى ثبير وحراء مكنهما . وعلى التأسى فى المعاش . فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول ، وقالوا لقد دخل هؤلاء فى فضل من الأمر . ثم مشوا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدى فدفعوها اليه . وقال الزبير بن عبد المطلب فى ذلك :

حلفتُ لنعقِدَنْ حِلفاً عليهم ... وإنْ كُنا جميعاً أهلَ دار
نسمّيه الفُضولَ إذا عَقَدْنا ... يَعَزبه الغريبُ لذي الجوار
ويعلمُ مَن حوالى البيتِ أنا ... أباةُ الضيمِ نمنعُ كلّ عار

وقال الزبير أيضاً :

إن الفضولَ تعاقدوا وتحالفوا ... ألا يُقيم ببطنِ مكةَ ظالم
أمرٌ عليه تعاقدوا وتواثقوا ... فالجارُ والمُعْتَرُّ فيهمْ سالم

وذكر قاسم بن ثابت ـ فى غريب الحديث ـ : أن رجلا من خثعم قدم مكة حاجاً ـ أو معتمراً ـ ومعه ابنة له يقال لها القتول من أوضأ نساء العالمين ، فاغتصبها منه نبيه بن الحجاج وغيبها عنه . فقال الخثعمى : من يعديني على هذا الرجل ؟ فقيل له عليك بحلف الفضول . فوقف عند الكعبة ونادى يال حلف الفضول : فاذا هم يعنقون اليه من كل جانب ، وقد انتضوا أسيافهم يقولون : جاءك الغوث فما لك ؟ فقال إن نبيهاً ظلمنى فى بنتى وانتزعها منى قسراً فساروا معه حتى وقفوا على باب داره ، فخرج اليهم فقالوا له أخرج الجارية ويحك فقد علمت من نحن وما تعاقدنا عليه ، فقال افعل ، ولكن متعونى بها الليلة ، فقالوا لا والله ولا شخب لقحة فاخرجها اليهم وهو يقول :

راحَ صحبي ولم أحيّي القَتولا ... لم أودّعهمُ وَداعاً جميلا
إذ أجدّ الفضولَ أنْ يمنعوها ... قد أراني ولا أخافُ الفُضولا
لا تخالي أني عشيّةَ راحَ الرَّكْـ ... ـبُ هُنتم عليَّ أنْ لا يزولا (١)

وذكر أبياتاً أخر غير هذه . وقد قيل إنما سمى هذا حلف الفضول لأنه أشبه حلفاً تحالفته جرهم على مثل هذا من نصر المظلوم على ظالمه . وكان الداعى اليه ثلاثة من أشرافهم اسم كل واحد منهم فضل : وهم الفضل بن فضالة ، والفضل بن وداعة ، والفضل بن الحارث . هذا قول ابن قتيبة . وقال غيره

---

(١) كذا فى الحلبية ، والمصرية : ان لا يزولا . وفى السهيلى : ان لا أقولا .

الفضل بن شراعة ، والفضل بن بضاعة ، والفضل بن قضاعة [1] وقد أورد السهيلى هذا رحمه الله .

وقال محمد بن اسحاق بن يسار : وتداعت قبائل من قريش إلى حلف فاجتمعوا له فى دار عبد الله ابن جدعان لشرفه وسنه . وكان حلفهم عنده بنو هاشم وبنو عبد المطلب وبنو أسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة . فتعاهدوا وتعاقدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا كانوا معه وكانوا على من ظلمه حتى يرد عليه مظلمته فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول .

قال محمد بن اسحاق : فحدثنى محمد بن زيد بن المهاجر قنفذ التيمى أنه سمع طلحة بن عبد الله بن عوف الزهرى يقول قال رسول الله (ص) : « لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لى به حمر النعم ولو دعى به فى الاسلام لأجبت » .

قال ابن اسحاق : وحدثنى يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد الليثى أن محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمى حدثه أنه كان بين الحسين بن على بن أبى طالب وبين الوليد بن عتبة بن أبى سفيان ـ والوليد يومئذ أمير المدينة ، أمره عليها عمه معاوية بن أبى سفيان . ـ منازعة فى مال كان بينهما بذى المروة فكان الوليد تحامل على الحسين فى حقه لسلطانه ، فقال له الحسين : أحلف بالله لتنصفنى من حقى أو لآخذن سيفى ثم لأقومن فى مسجد رسول الله (ص)، ثم لأدعون بحلف الفضول . قال فقال عبد الله بن الزبير ـ وهو عند الوليد حين قال له الحسين ما قال ـ وأنا أحلف بالله لئن دعا به لآخذن سيفى ثم لأقومن معه حتى ينصف من حقه أو نموت جميعاً . قال وبلغت المسور بن مخرمة بن نوفل الزهرى فقال مثل ذلك . وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمى فقال مثل ذلك . فلما بلغ ذلك الوليد ابن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضى .

تزويجه عليه الصلاة والسلام خديجة بنت خويلد

قال ابن اسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال على مالها مضاربة . فلما بلغها عن رسول الله (ص) ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه بعثت اليه فعرضت عليه أن يخرج لها فى مال تاجراً إلى الشام وتعطيه أفضل ما تعطى غيره من التجار . مع غلام لها يقال له ميسرة ، فقبله رسول الله (ص) منها وخرج فى مالها ذلك ، وخرج معه غلامها ميسرة حتى

---

(١) كذا فى الحلبية . وفى المصرية : الفضل بن شراعة ، والفضل بن قضاعة . ولم يذكر الثالث . وفى السهيلى والنهاية : الفضل بن شراعة ، والفضل بن وداعة ، والفضل بن قضاعة .

نزل الشام ، فنزل رسول الله (ص) في ظل شجرة قريبا من صومعة راهب من الرهبان ، فاطلع الراهب إلى ميسرة . فقال: من هذا الرجل الذى نزل تحت الشجرة ؟ فقال ميسرة هذا رجل من قريش من أهل الحرم فقال له الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة الا نبي ثم باع رسول الله (ص) سلعته ـ يعنى تجارته ـ التي خرج بها واشترى ما أراد أن يشترى . ثم اقبل قافلا إلى مكة ومعه ميسرة ، فكان ميسرة ـ فيما يزعمون ـ إذا كانت الهاجرة واشتد الحر ، يرى ملكين يظلانه من الشمس وهو يسير على بعيره ، فلما قدم مكة على خديجة بمالها باعت ما جاء به فاضعف أو قريبا ، وحدثها ميسرة عن قول الراهب وعما كان يرى من اظلال الملائكة إياه وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة مع ما أراد الله بها من كرامتها . فلما أخبرها ميسرة ما أخبرها بعثت إلى رسول الله (ص) فقالت له ـ فيما يزعمون ـ ـ يا ابن عم أني قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك [1] في قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك ، ثم عرضت نفسها عليه وكانت أوسط نساء قريش نسباً وأعظمهن شرفا وأكثرهن مالا . كل قومها كان حريصا على ذلك منها لو يقدر عليه ، فلما قالت ذلك لرسول الله (ص) ذكر ذلك لأعمامه ، فخرج معه عمه حمزة حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها اليه فتزوجها عليه الصلاة والسلام .

قال ابن هشام : فأصدقها عشرين بكرة وكانت أول امرأة تزوجها ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت .

قال ابن اسحاق : فولدت لرسول الله (ص) ولده كلهم إلا إبراهيم : القاسم وكان به يكنى ، والطيب والطاهر ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة .

قال ابن هشام : أكبرهم القاسم ، ثم الطيب ، ثم الطاهر . وأكبر بناته رقية ، ثم زينب ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة .

قال البيهقى عن الحاكم : قرأت بخط أبي بكر بن أبي خيثمة حدثنا مصعب بن عبد الله الزبيرى قال أكبر ولده عليه الصلاة والسلام القاسم ، ثم زينب ، ثم عبدالله ، ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية . وكان أول من مات من ولده القاسم ، ثم عبد الله . وبلغت خديجة خمساً وستين سنة ، ويقال خمسين . وهو أصح . وقال غيره بلغ القاسم أن يركب الدابة والنجيبة ثم مات بعد النبوة ، وقيل مات وهو رضيع فقال رسول الله (ص) : « إن له مرضعاً في الجنة يستكمل رضاعه » والمعروف ان هذا في حق إبراهيم

وقال يونس بن بكير: حدثنا إبراهيم بن عثمان عن القاسم عن ابن عباس قال ولدت خديجة لرسول الله (ص) غلامين واربع نسوة: القاسم ، وعبد الله ، وفاطمة ، وأم كلثوم ، وزينب ، ورقية . وقال الزبير بن بكار عبد الله هو الطيب وهو الطاهر ، سمى بذلك لانه ولد بعد النبوة فماتوا قبل البعثة .

---

(١) قوله : وسطتك فسره السهيلي من الوسط . وقال فلان أوسط القبيلة اعرفها واولاها بالصميم .

وأما بناته فادركن البعثة ودخلن فى الاسلام وهاجرن معه (ص.) قال ابن هشام: واما ابراهيم فمن مارية القبطية التى أهداهاله المقوقس صاحب اسكندرية من كورة انصنا[1] وسنتكلم على أزواجه وأولاده عليه الصلاة والسلام فى باب مفرد لذلك فى آخر السيرة ان شاء الله تعالى وبه الثقة .

قال ابن هشام : وكان عمر رسول الله (ص.) حين تزوج خديجة خمساً وعشرين سنة فيما حدثنى غير واحد من أهل العلم ، منهم أبو عمرو المدنى. وقال يعقوب بن سفيان كتبت عن ابراهيم بن المنذر حدثنى عمر بن أبى بكر المؤملى حدثنى غير واحد أن عمرو بن أسد زوّج خديجة من رسول الله (ص.) وعمره خمساً وعشرين سنة وقريش تبنى الكعبة . وهكذا نقل البيهقى عن الحاكم أنه كان عمر رسول الله (ص.) حين تزوج خديجة خمساً وعشرين سنة وكان عمرها إذ ذاك خمساً وثلاثين - وقيل خمساً وعشرين سنة -

وقال البيهقى : ﴿ باب ما كان يشتغل به رسول الله (ص.) قبل أن يتزوج خديجة ﴾

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو بكر بن عبد الله أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا سويد بن سعيد حدثنا عمرو بن أبى يحيى بن سعيد القرشى عن جده سعيد عن أبى هريرة . قال قال رسول الله (ص.) : « مابعث الله نبياً إلا راعى غنم » فقال له أصحابه وانت يا رسول الله ؟ قال : « وانا رعيتها لاهل مكة بالقراريط » رواه البخارى عن أحمد بن محمد المكى عن عمرو بن يحيى به . ثم روى البيهقى من طريق الربيع بن بدر - وهو ضعيف - عن أبى الزبير عن جابر . قال قال رسول الله (ص.): « آجرت نفسى من خديجة سفرتين بقلوص » وروى البيهقى من طريق حماد بن سلمة عن على بن زيد عن عمار بن أبى عمار عن ابن عباس : أن أبا خديجة زوج رسول الله (ص.) وهو - اظنه - قال سكران .

ثم قال البيهقى : أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان أنا عبد الله بن جعفر حدثنا يعقوب بن سفيان قال حدثنى إبراهيم بن المنذر حدثنى عمر بن أبى بكر المؤملى حدثنى عبد الله بن أبى عبيد بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه عن مقسم بن أبى القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل أن عبدالله بن الحارث حدثه ان عمار ابن ياسر كان إذا سمع ما يتحدث به الناس عن تزويج رسول الله (ص.) خديجة وما يكثرون فيه يقول : انا أعلم الناس بتزويجه إياها ، انى كنت له ترباً و كنت له إلفاً وخدناً . وإنى خرجت مع رسول الله (ص.) ذات يوم حتى اذا كنا بالحزورة أجزنا على أخت خديجة وهى جالسة على ادم تبيعها ، فنادتنى فانصرفت اليها ووقف لى رسول الله (ص.) . فقالت : امابصاحبك هذا من حاجة فى تزويج خديجة ؟ قال عمار فرجعت اليه فاخبرته فقال « بلى لعمرى » فذكرت لها قول رسول الله (ص.) فقالت اغدوا علينا إذا أصبحنا ، فغدونا عليهم فوجدناهم قد ذبحوا بقرة والبسوا أبا خديجة حلة ، وصفرت لحيته ، وكلمت أخاها فكلم أباه وقد

---

(١) أنصنا : بالفتح ثم السكون مدينة أزلية من نواحى الصعيد بشرقى النيل .

سقى خمراً فذكر له رسول (ص.) ومكانه وسألته أن يزوجه فزوجه خديجة وصنعوا من البقرة طعاما فا كلنامنه ونام أبوها ثم استيقظ صاحيا . فقال :ماهذه الحلة وماهذه الصفرة وهذا الطعام فقالت له ابنته التي كانت قد كلمت عمارا هذه حلة كسا كها محمد بن عبدالله ختنك وبقرة أهداها لك فذبحناها حين زوجته خديجة ، فانكر ان يكون زوجه ، وخرج يصيح حتى جاء الحجر ، وخرج بنو هاشم برسول الله (ص.) فجاؤه فكلموه . فقال أين صاحبكم الذى تزعمون أنى زوجته خديجة ؟ فبرز له رسول الله (ص.) فلما نظر اليه قال إن كنت زوجته فسبيل ذاك وإن لم أكن فعلت فقد زوجته .

وقد ذكر الزهرى فى سيره ان أباها زوجها منه وهو سكران وذكر نحو ماتقدم حكاه السهيلى .

قال المؤملى : المجتمع عليه أن عمها عمرو بن أسد هو الذى زوجها منه وهذا هو الذى رجحه السهيلى . وحكاه عن ابن عباس وعائشة قالت وكان خويلد مات قبل الفجار ، وهو الذى نازع تبعاً حين أراد أخذ الحجر الأسود إلى اليمن ، فقام فى ذلك خويلد وقام معه جماعة من قريش ثم رأى تبع فى منامه ماروعه ، فنزع عن ذاك وترك الحجر الاسود مكانه .

وذكر ابن اسحاق : فى آخر السيرة أن أخاها عمرو بن خويلد هو الذى زوجها رسول الله (ص.) فالله أعلم .

فصل

قال ابن اسحاق : وقد كانت خديجة بنت خويلد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن قصى ـ وكان ابن عمها وكان نصرانياً قد تتبع الكتب وعلم من علم الناس ما ذكر لها غلامها من قول الراهب وما كان يرى منه إذ كان الملكان يظلانه ـ فقال ورقة : لئن كان هذا حقاً ياخديجة إن محمداً لنبى هذه الأمة ، قد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبى ينتظر هذا زمانه ـ أوكما قال ـ فجعل ورقة يستبطئ الأمر ويقول حتى متى ؟ وقال فى ذلك :

لججتُ وكنتُ فى الذكرى لَجُوجاً ... لِهمٍّ طالما بعثَ النَّشيجا

ووصْفٍ من خديجةَ بعدَ وصْفٍ ... فقد طالَ انتظاري ياخَديجا

ببطنِ المكَّتَيْنِ على رَجائي ... حَديثَكِ أن أرى منهُ خُروجا

بما خَبَّرتِنا من قولِ قَسٍّ ... منَ الرهبانِ أكرهُ أن يَعُوجا

بأنَّ محمداً سيسودُ قوماً ... ويخصِمُ مَن يكونُ له حَجيجا

ويُظهرُ فى البلادِ ضياءَ نور ... يقومُ به البَرِيَّةَ أنْ تموجا

فيلقَى مَن يحاربُه خَساراً ... ويَلقى من يُسالمُهُ فُلوجا

فياليتي إذا ماكانَ ذاكُم ... شهِدْتُ وكُنتُ أوَّلهم وُلوجا

وُلوجاً فى الذى كرهتْ قُريشٌ ولو عجّتْ بمكّتها عجيجا
أُرجّي بالذى كرِهوا جميعاً إلى ذي العرش إن سفلوا عُروجا
وهل أمرُ السفالة غيرُ كفرٍ بمن يختارُ من سَمَكَ البروجا
فان يبقوا وأبقَ يكنْ أمورٌ يَضِجّ الكافرونَ لها ضجيجا
وإن أهلِكْ فكلّ فتى سيلقى منَ الأقدارِ متْلفةً خروجا

وقال ورقة أيضا فيما رواه يونس بن بكير عن ابن اسحاق عنه :

أتبكرُ أمْ أنتَ العشيّةَ رائحُ وفي الصدرِ من إضمارِك الحزنَ قادح؟
لفُرقةِ قومٍ لا أحبّ فِراقَهم كأنكَ عنهم بعدَ يومين نازحُ
وأخبارِ صدقٍ خُبّرتْ عن محمد يخبّرها عنهُ إذا غابَ ناصح
أتاكِ الذي وجّهتِ ياخيرَ حُرة بغورٍ وبالنجدَيْن حيثُ الصَحاصح
إلى سوقِ بصرى فى الركابِ التى غدتْ وهنّ من الأحمال قُعصٌ دوالح [1]
فيخبرُنا عن كل خيرٍ بعلمِهِ وللحقّ أبوابٌ لهنّ مفاتح
بأن ابنَ عبدِ الله احمدَ مرسَلٌ إلى كل من ضمّتْ عليه الأباطح
وظني به أنْ سوف يبعث صادقاً كما أُرسل العبْدان هودٌ وصالح
وموسَى وابراهيمَ حتى يُرى له بهاءٌ ومنشورٌ منَ الذِّكر واضح
ويتبعه حيّا لؤيٍّ وغالبٍ شبابُهم والأشيبون الجحاجح
فان أبقَ حتى يُدركَ الناسَ دهرُه فإني به مستبشرُ الودّ فارح
وإلا فإني ياخديجةُ فاعلمي عن أرضِك فى الأرضِ العريضة سائح

وزاد الأموى :

فمتبعٌ دينَ الذي أسّس البِنا وكانَ له فضلٌ على الناسِ راجح
وأسّسَ بنياناً بمكّةَ ثابتاً تلألأُ فيهِ بالظلامِ المصابح
مَثاباً لأفناء القبائل كلّها تخبُّ إليهِ اليَعْملات الطلائح
حراجيجُ [2] أمثالِ القِداحِ منَ السُّرى يعلّق في أرساغهنّ السرايح

ومن شعره فيما أورده أبو القاسم السهيلى فى روضه :

لقد نصحتُ لأقوامٍ وقلتُ لهم أنا النذيرُ فلا يغرّرْكُم أحدُ

---

(١) الدلح : أن يمشي البعير بالحمل وقد أثقله (٢) الحراجيج جمع حرجيج ، وهى الناقة الطويلة

لا تعبدُنّ إلهاً غيرَ خالقِكم فان دعَوْكم فقولوا بيْننا حَدَد
سُبْحانَ ذي العرشِ سبحاناً يدومُ له وقبلَنا سبّح الجوديّ والجَمَد
مسخَّرٌ كلّ ما تحتَ السماءِ له لا ينبغى أن يناوِي ملكَه أحد
لا شيءَ مما نَرى تبقى بَشاشتُه يبقى الاله ويودي المالُ والولد
لم تُغنِ عن هرْمزٍ يوماً خزائنه والخُلْدَ قد حاولتْ عادٌ فما خلدوا
ولا سليمانُ إذ تجرى الرياحُ به والجنُّ والانسُ فيما بينها مَرَد
أينَ الملوكُ التي كانت لعزّتها من كلّ أوبٍ إليها وافدٌ يَفِد
حوضٌ هنالك مورودٌ بلا كَذبٍ لا بدّ من ورِدِه يوماً كما وَردوا

ثم قال هكذا نسبه أبو الفرج إلى ورقة ، قال وفيه أبيات تنسب إلى أمية بن أبى الصلت

قلت : وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان يستشهد فى بعض الأحيان بشيء من هذه الأبيات والله أعلم .

فصل

فى تجديد قريش بناء الكعبة قبل المبعث بخمس سنين

ذكر البيهقى بناء الكعبة قبل تزويجه عليه الصلاة والسلام خديجة . والمشهور أن بناء قريش الكعبة بعد تزويج خديجة كما ذكرناه بعشر سنين . ثم شرع البيهقى فى ذكر بناء الكعبة فى زمن ابراهيم كما قدمناه فى قصته ، وأورد حديث ابن عباس المتقدم فى صحيح البخارى وذكر ما ورد من الاسرائيليات فى بنائه فى زمن آدم ولا يصح ذلك ، فان ظاهر القرآن يقتضى أن ابراهيم أول من بناه مبتدئاً وأول من أسسه ، وكانت بقعته معظمة قبل ذلك معتنى بها مشرفة فى سائر الأعصار والأوقات قال الله تعالى ﴿إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا﴾ وثبت فى الصحيحين عن أبى ذر قال قلت يا رسول الله أى مسجد وضع أول ؟ قال: « المسجد الحرام » قلت ثم أى ؟ قال : « المسجد الأقصى » قلت كم بينهما ؟ قال: « أربعون سنة » وقد تكلمنا على هذا فيما تقدم ، وإن المسجد الأقصى أسسه اسرائيل وهو يعقوب عليه السلام . وفى الصحيحين أن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة . وقال البيهقى أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو عبد الله الصفار حدثنا احمد بن مهران حدثنا عبيدالله حدثنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو . قال : كان البيت قبل الارض بألفى سنة ، (وإذا الارض مدت) قال من تحته مدت . قال وقد تابعه منصور عن مجاهد .

قلت : وهذا غريب جداً وكأنه من الزاملتين اللتين أصابهما عبد الله بن عمرو يوم اليرموك وكان فيهما اسرائيليات يحدث منها وفيهما منكرات وغرائب .

ثم قال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو جعفر محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله البغدادي حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح حدثنا أبو صالح الجهني حدثني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي الخير عن عبد الله بن عمرو بن العاص . قال قال رسول الله (ص) : « بعث الله جبريل إلى آدم وحواء فقال لهما ابنيا لي بيتاً ، فخط لهما جبريل فجعل آدم يحفر وحواء تنقل ، حتى أجابه الماء نودي من تحته حسبك يا آدم ، فلما بنيا أوحى الله تعالى اليه أن يطوف به وقيل له أنت أول الناس ، وهذا أول بيت ، ثم تناسخت القرون حتى حجه نوح ، ثم تناسخت القرون حتى رفع ابراهيم القواعد منه » .

قال البيهقي : تفرد به ابن لهيعة هكذا مرفوعاً .

قلت : وهو ضعيف ، ووقفه على عبد الله بن عمرو أقوى وأثبت والله أعلم .

وقال الربيع : أنبأنا الشافعي أنبأنا سفيان عن ابن أبي لبيد عن محمد بن كعب القرظي - أو غيره - قال : حج آدم فلقيته الملائكة فقالوا بر نسكك يا آدم لقد حججنا قبلك بألفي عام . وقال يونس بن بكير عن ابن اسحاق حدثني بقية - أو قال ثقة - من أهل المدينة عن عروة بن الزبير أنه قال : ما من نبي إلا وقد حج البيت إلا ما كان من هود وصالح .

قلت: وقد قدمنا حجهما اليه . والمقصود الحج إلى محله وبقعته وإن لم يكن ثم بناء والله أعلم .
ثم أورد البيهقي حديث ابن عباس المتقدم في قصة ابراهيم عليه السلام بطوله وتمامه وهو في صحيح البخاري .
ثم روى البيهقي من حديث سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة قال سأل رجل علياً عن قوله تعالى (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين) أهو أول بيت بني في الارض ؟ قال لا ولكنه أول بيت وضع فيه البركة للناس والهدى ومقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً . وإن شئت نبأتك كيف بناؤه . إن الله تعالى أوحى إلى ابراهيم أن ابن لي بيتا في الأرض فضاق به ذرعا فارسل اليه السكينة وهي ريح خجوج لها رأس فاتبع أحدهما صاحبه حتى انتهت ثم تطوقت في موضع البيت تطوق الحية ، فبنى ابراهيم حتى بلغ مكان الحجر قال لابنه أبغني حجراً فالتمس حجراً حتى أتاه به فوجد الحجر الأسود قد ركب فقال لأبيه من أين لك هذا ؟ قال جاء به من لا يتكل على بنائك ، جاء به جبريل من السماء فأتمه . قال فمر عليه الدهر فانهدم فبنته العمالقة ، ثم انهدم فبنته جرهم ، ثم انهدم فبنته قريش ورسول الله (ص) يومئذ رجل شاب . فلما أرادوا أن يرفعوا الحجر الأسود اختصموا فيه فقالوا نحكم بيننا أول رجل يخرج من هذه السكة ، فكان رسول (ص) أول من خرج عليهم فقضى بينهم أن يجعلوه في مرط ثم ترفعه جميع القبائل كلهم . وقال أبو داود الطيالسي حدثنا حماد بن سلمة وقيس وسلام كلهم عن سماك

ابن حرب عن خالدبن عرعرة عن على بن أبى طالب . قال : لما انهدم البيت بعد جرهم بنته قريش فلما أرادوا وضع الحجر تشاجروا من يضعه فاتفقوا أن يضعه أول من يدخل من هذا الباب فدخل رسول الله (ص.) من باب بنى شيبة فأمر بثوب فوضع الحجر فى وسطه وأمر كل فخذ أن يأخذوا بطائفة من الثوب فرفعوه وأخذه رسول الله (ص.) فوضعه ، قال يعقوب بن سفيان أخبرنى أصبغ بن فرج أخبرنى ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب قال لما بلغ رسول الله (ص.) الحلم جمرت امرأة الكعبة فطارت شرارة من مجمرها فى ثياب الكعبة فاحترقت فهدموها حتى إذا بنوها فبلغوا موضع الركن اختصمت قريش فى الركن أى القبائل تلى رفعه . فقالوا : تعالوا نحكم أول من يطلع علينا ، فطلع عليهم رسول الله (ص.) وهو غلام عليه وشاح نمرة فحكموه فأمر بالركن فوضع فى ثوب ثم أخرج سيد كل قبيلة فأعطاه ناحية من الثوب ثم ارتقى هو فرفعوا اليه الركن فكان هو يضعه فكان لا يزداد على السن الارضى حتى دعوه الأمين قبل أن ينزل عليه الوحى ، فطفقوا لا ينحرون جزوراً الا التمسوه فيدعو لهم فيها ، وهذا سياق حسن ، وهو من سير الزهرى ، وفيه من الغرابة قوله : فلما بلغ الحلم . والمشهور أن هذا كان ورسول الله (ص.) عمره خمس وثلاثون سنة ، وهو الذى نص عليه محمد بن اسحاق بن يسار رحمه الله .

وقال موسى بن عقبة : كان بناء الكعبة قبل المبعث بخمس عشرة سنة . وهكذا قال مجاهد ، وعروة ، و محمد بن جبير بن مطعم ، و غيرهم . فالله اعلم .

وقال موسى بن عقبة : كان بين الفجار و بين بناء الكعبة خمس عشرة سنة .

قلت : وكان الفجار وحلف الفضول فى سنة واحدة اذ كان عمر رسول الله (ص.) عشرون سنة . وهذا يؤيد ماقال محمد بن اسحاق و الله اعلم .

قال موسى بن عقبة: وانما حمل قريشاً على بنائها ان السيول كانت تأتى من فوقها ، من فوق الردم الذى صنعوه فخر به فخافوا ان يدخلها الماء . وكان رجل يقال له مليح سرق طيب الكعبة . فأرادوا ان يشيدوا بنيانها وان يرفعوا بابها حتى لا يدخلها إلا من شاءوا فاعدوا لذلك نفقة وعمالا . ثم غدوا اليها ليهدموها على شفق وحذر أن يمنعهم الذى ارادوا . فكان اول رجل طلعها وهدم منها شيئاً الوليد بن المغيرة فلما رأوا الذى فعل الوليد تتابعوا فوضعوها فأعجبهم ذلك . فلما ارادوا أن يأخذوا فى بنيانها احضروا عمالهم فلم يقدر رجل منهم أن يمضى امامه موضع قدم فزعموا انهم رأوا حية قد أحاطت بالبيت رأسها عند ذنبها . فأشفقوا منها شفقة شديدة ، وخشوا ان يكونوا قد وقعوا مما عملوا فى هلكة . وكانت الكعبة حرزهم ومنعتهم من الناس وشرفالهم . فلما سقط فى ايديهم والتبس عليهم امرهم قام فيهم المغيرة ابن عبدالله بن عمرو بن مخزوم فذكر ماكان من نصحه لهم وامره إياهم ان لايتشاجروا ولا يتحاسدوا فى فى بنائها . وأن يقتسموها ارباعا . وان لا يدخلوا فى بنائها ملا حراما . وذكر انهم لما عزموا على ذلك

ذهبت الحية فى السماء وتغيبت عنهم ورأوا ان ذلك من الله عز وجل . قال : ويقول بعض الناس إنه اختطفها طائر وألقاها نحو أجياد .

وقال محمد بن اسحاق بن يسار : فلما بلغ رسول (ص.) خمسا وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبناء الكعبة وكانوا يهمون بذلك ليسقفوها ويهابون هدمها . وإنما كانت رضيا فوق القامة . فأرادوا رفعها وتسقيفها وذلك ان نفراً سرقوا كنز الكعبة ، وانما كان فى بئر فى جوف الكعبة . وكان الذى وجد عنده الكنز دويك مولى لبنى مليح بن عمرو بن خزاعة . فقطعت قريش يده وتزعم قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دويك . وكان البحر قد رمى بسفينة الى جدة لرجل من تجار الروم . فتحطمت . فاخذوا خشبها فأعدوه لتسقيفها . قال الاموى : كانت هذه السفينة لقيصر ملك الروم تحمل آلات البناء من الرخام والخشب والحديد سرحها قيصر مع باقوم الرومى الى الكنيسة التى احرقها الفرس للحبشة فلما بلغت مرضاها من جدة بعث الله عليها ريحا فحطمتها .

قال ابن اسحاق: وكان بمكة رجل قبطى نجار فتهيأ لهم فى أنفسهم بعض ما يصلحها . وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التى كانت تطرح فيها ما يهدى اليها كل يوم . فتشرف على جدار الكعبة وكانت مما يهابون ، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا احزألت [1] وكشت وفتحت فاها ، فكانوا يهابونها ، فبينا هى يوماً تشرف على جدار الكعبة كما كانت تصنع ، بعث الله عليها طائراً فاختطفها فذهب بها . فقالت قريش : إنا لنرجو أن يكون الله تعالى قد رضى ما أردنا ، عندنا عامل رقيق وعندنا خشب وقد كفانا الله الحية .

وحكى السهيلى : عن رزين أن سارقاً دخل الكعبة فى أيام جرهم ليسرق كنزها . فانهار البئر عليه حتى جاءوا فأخرجوه وأخذوا منه ما كان أخذه ، ثم سكنت هذا البئر حية رأسها كرأس الجدى وبطنها أبيض وظهرها أسود فأقامت فيها خمسمائة عام وهى التى ذكرها محمد بن اسحاق .

قال محمد بن اسحاق : فلما أجمعوا أمرهم لهدمها وبنيانها قام أبو وهب عمرو بن عايذ بن عبد بن عمران بن مخزوم ـ وقال ابن هشام عايذ بن عمران بن مخزوم ـ فتناول من الكعبة حجراً فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه . فقال : يا معشر قريش لا تدخلوا فى بنيانها من كسبكم إلا طيباً . لا يدخل فيها مهر بغى ولا بيع ربا ، ولا مظلمة أحد من الناس ـ والناس ينحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم . ثم رجح ابن اسحاق أن قائل ذلك أبو وهب بن عمرو ـ قال وكان خال أبى النبى (ص.) وكان شريفاً ممدحاً .

وقال ابن اسحاق: ثم ان قريشاً تجزأت الكعبة . فكان شق الباب لبنى عبد مناف وزهرة ، وما

---

(١) احزألت : أى اجتمعت تريد الوثوب .

بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا اليهم . وكان ظهر الكعبة لبني جمح وسهم . وكان شق الحجر لبني عبد الدار بن قصي ولبني أسد بن عبد العزى ولبني عدى بن كعب ، وهو الحطيم . ثم إن الناس هابوا هدمها وفرقوا منه . فقال الوليد بن المغيرة أنا أبدؤكم في هدمها فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول : اللهم لم ترع اللهم إنا لا نريد إلا الخير . ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس تلك الليلة ، وقالوا : ننظر فان أصيب لم نهدم منها شيئا ورددناها كما كانت وإن لم يصبه شيء فقد رضى الله ما صنعنا من هدمها . فأصبح الوليد غادياً على عمله فهدم وهدم الناس معه - حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس - أساس ابراهيم عليه السلام - أفضوا إلى حجارة خضر كالأسنة أخذ بعضها بعضاً - ووقع في صحيح البخاري عن يزيد بن رومان كأسنمة الابل - قال السهيلي وأرى رواية السيرة كالألسنة وهماً والله أعلم .

قال ابن اسحاق : فحدثني بعض من يروى الحديث أن رجلا من قريش ممن كان يهدمها ادخل عتلة بين حجرين منها ليقلع بها أحدهما ، فلما تحرك الحجر انتفضت مكة بأسرها . فانتهوا عن ذلك الأساس .

وقال موسى بن عقبة : وزعم عبد الله بن عباس أن أولية قريش كانوا يحدثون أن رجلا من قريش لما اجتمعوا لينزعوا الحجارة إلى تأسيس ابراهيم واسماعيل عليهما السلام عمد رجل منهم إلى حجر من الأساس الأول فرفعه وهو لا يدرى أنه من الأساس الأول ، فأبصر القوم برقة تحت الحجر كادت تلتمع بصر الرجل ، ونزا الحجر من يده فوقع في موضعه وفزع الرجل والبناة . فلما ستر الحجر عنهم ما تحته إلى مكانه عادوا إلى بنيانهم وقالوا لا تحركوا هذا الحجر ولا شيئا بحذائه .

قال ابن اسحاق : وحدثت أن قريشاً وجدوا في الركن كتاباً بالسريانية فلم يعرفوا ما هو ، حتى قرأه لهم رجل من يهود ، فاذا هوا أنا الله ذو بكة ، خلقتها يوم خلقت السماوات والأرض ، وصورت الشمس والقمر ، وحففتها بسبعة أملاك حنفاء لا تزول حتى يزول أخشباها - قال ابن هشام يعني جبلاها - مبارك لأهلها في الماء واللبن .

قال ابن اسحاق : وحدثت أنهم وجدوا في المقام كتاباً فيه : مكة الله الحرام ، يأتيها رزقها من ثلاثة سبل ، لا يحلها أول من أهلها . قال وزعم ليث بن أبي سليم أنهم وجدوا في الكعبة قبل مبعث النبي (ص.) بأربعين سنة - إن كان ما ذكر حقاً - مكتوباً فيه : من يزرع خيراً يحصد غبطة ، ومن يزرع شراً يحصد ندامة . يعملون السيئات ويجزون الحسنات ؟ أجل كما يجتنى من الشوك العنب .

وقال سعيد بن يحيى الأموى : حدثنا المعتمر بن سليمان الرقي عن عبد الله بن بشر الزهري - يرفع الحديث إلى النبي (ص.) - قال : « وجد في المقام ثلاثة أصفح ، في الصفح الأول : إني أنا الله

ذو بكة ، صنعتها يوم صنعت الشمس والقمر وحففتها بسبعة أملاك حنفاء ، وباركت لأهلها فى اللحم واللبن وفى الصفح الثانى : إنى أنا الله ذو بكة، خلقت الرحم وشققت لها من اسمى . فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته ، وفى الصفح الثالث : إنى أنا الله ذو بكة ، خلقت الخير والشر وقدرته . فطوبى لمن أجريت الخير على يديه وويل لمن أجريت الشر على يديه .

قال ابن اسحاق : ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها ، كل قبيلة تجمع على حدة . ثم بنوها حتى بلغ البناء موضع الركن فاختصموا فيه كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى . حتى تحاوروا أو تحالفوا ، وأعدوا للقتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دماً . ثم تعاقدوا هم وبنو عدى ابن كعب بن لؤى على الموت ، وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم فى تلك الجفنة . فسموا لعقة الدم . فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمساً ثم انهم اجتمعوا فى المسجد فتشاوروا وتناصفوا . فزعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ـ وكان عامئذ أسن قريش كلها قال : يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه . ففعلوا . فكان أول داخل دخل رسول الله (ص.) . فلما رأوه قالوا : هذا الأمين رضينا ، هذا محمد . فلما انتهى اليهم وأخبروه الخبر قال رسول الله (ص.) : « هلموا إلى ثوباً » فأتى به وأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال « لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب . ثم ارفعوه جميعاً » ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده (ص.) . ثم بنى عليه . وكانت قريش تسمى رسول الله (ص.) الأمين .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الصمد حدثنا ثابت ـ يعنى أبا يزيد ـ حدثنا هلال يعنى ابن حبان عن مجاهد عن مولاه ـ وهو السائب بن عبد الله ـ انه حدثه انه كان فمن بنى الكعبة فى الجاهلية قال : وكان لى حجر ـ انا نحته أعبده من دون الله ـ قال : وكنت أجىء باللبن الخاثر الذى آنفه على نفسى فاصبه عليه فيجىء الكلب فيلحسه ثم يشغر فيبول عليه قال : فبنينا حتى بلغنا موضع الحجر ولا يرى الحجر أحد . فاذا هو وسط أحجارنا مثل رأس الرجل يكاد يتراءا منه وجه الرجل . فقال بطن من قريش : نحن نضعه وقال آخرون نحن نضعه فقالوا اجعلوا بينكم حكما . فقالوا أول رجل يطلع من الفج . فجاء رسول الله (ص.) وقالوا أتاكم الامين . فقالوا له فوضعه فى ثوب . ثم دعا بطونهم فرفعوا نواحيه فوضعه هو (ص.) .

قال ابن اسحاق : وكانت الكعبة على عهد النبى (ص.) ثمانى عشرة ذراعا وكانت تكسى القباطى . ثم كسيت بعد البرود . واول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف .

قلت : وقد كانوا أخرجوا منها الحجر ـ وهو ستة أذرع أو سبعة أذرع من ناحية الشام ـ قصرت بهم النفقة أى لم يتمكنوا أن يبنوه على قواعد ابراهيم . وجعلوا للكعبة بابا واحداً من ناحية الشرق . وجعلوه

مرتفعا لئلا يدخل اليها كل أحد فيدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا وقد ثبت فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله (ص.) قال لها : « ألم ترَىْ أن قومك قصرت بهم النفقة . ولولا حدثان قومك بكفر لنقضت الكعبة وجعلت لها بابا شرقياً وبابا غربيا ، وأدخلت فيها الحجر » ولهذا لما تمكن ابن الزبير بناها على ما اشار اليه رسول الله (ص.) وجاءت فى غاية البهاء والحسن والسناء كاملة على قواعد الخليل . لها بابان ملتصقان بالارض شرقيا وغربيا . يدخل الناس من هذا ويخرجون من الآخر . فلما قتل الحجاج ابن الزبير كتب الى عبد الملك بن مروان ـ وهو الخليفة يومئذ ـ فيما صنعه ابن الزبير واعتقدوا انه فعل ذلك من تلقاء نفسه . فامر باعادتها الى ما كانت عليه فعمدوا الى الحائط الشامى فحصوه واخرجوا منه الحجر ورصوا حجارته فى أرض الكعبة . فارتفع باباها وسدوا الغربى واستمر الشرقى على ما كان عليه فلما كان فى زمن المهدى ـ أو ابنه المنصور ـ استشار مالكا فى اعادتها على ما كان صنعه ابن الزبير . فقال مالك رحمه الله : إنى اكره أن يتخذها الملوك ملعبة . فتركها على ماهى عليه . فهى الى الآن كذلك .

وأما المسجد الحرام : فاول من أخر البيوت من حول الكعبة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، اشتراها من أهلها وهدمها فلما كان عثمان اشترى دوراً وزادها فيه . فلما ولى ابن الزبير أحكم بنيانه ، وحسن جدرانه وأكثر ابوابه . ولم يوسعه شيئا آخر . فلما استبد بالأمر عبد الملك بن مروان زاد فى ارتفاع جدرانه وامر بالكعبة فكسيت الديباج . وكان الذى تولى ذلك بامره الحجاج بن يوسف . وقد ذكرنا قصة بناء البيت والاحاديث الواردة فى ذلك فى تفسير سورة البقرة عند قوله (وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل) وذكرنا ذلك مطولا مستقصى فمن شاء كتبه هاهنا ولله الحمد والمنة .

قال ابن اسحاق : فلما فرغوا من البنيان وبنوها على ما أرادوا قال الزبير بن عبد المطلب ، فيما كان من أمر الحية التى كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها :

عجبتُ لِمَا تصوَّبتِ العقابُ	الى الثعبانِ وهي لها اضطرابُ
وقد كانتْ تكونُ لها كشيشٌ	واحياناً يكونُ لها وِثاب
اذا قُمنا الى التأسيسِ شدَّت	تُهيِّبُنا البناءَ وقد نَهاب
فلما أَن خَشِينا الزجرَ جاءتْ	عُقابٌ تتلئبُّ لها انصباب
فضمَّتْها إليها ثم خلَّتْ	لنا البنيانَ ليسَ لها حِجاب
فقمنا حاشِدِينَ الى بناءٍ	لنا منهُ القواعدُ والتراب
غداةَ يرفَّع التأسيسُ منه	وليسَ على مُساوِينا ثياب
أعزَّ به المليكُ بني لؤيٍّ	فليسَ لأَصلِهِ منهم ذَهاب
وقد حَشدتْ هناك بنو عَدِيٍّ	ومُرَّةُ قد تقدَّمها كِلاب

فبوّأنا المليكُ بذاك عزاً وعنـد الله يُلتمَس الثواب

وقد قدمنا فى فصل ما كان الله يحوط به رسول (ص.) من أقذار الجاهلية ، أنه كان هو والعباس عمه ينقلان الحجارة ، وأنه عليـه الصلاة والسلام لما وضع إزاره تحت الحجارة على كتفه نهى عن خلع إزاره فأعاده إلى سيرته الاولى .

فصل

وذكر ابن اسحاق ما كانت قريش ابتدعوه فى تسميتهم الحمس ، وهو الشدة فى الدين والصلابة . وذلك لأنهم عظموا الحرم تعظيما زائداً بحيث التزموا بسببه أن لا يخرجوا منه ليلة عرفة . وكانوا يقولون نحن أبناء الحرم وقطان بيت الله . فكانوا لا يقفون بعرفات مع علمهم أنها من مشاعر ابراهيم عليه السلام ، حتى لا يخرجوا عن نظام ما كانوا قرروه من البدعة الفاسدة . وكانوا لا يدخرون من اللبن أقطا ولا سمنا ولا يسلون شحما وهم حرم . ولا يدخلون بيتا من شعر ولا يستظلون ان استظلوا الا ببيت من أدَم . وكانوا يمنعون الحجيج والعمار ـ ما داموا محرمين ـ أن يأكلوا إلا من طعام قريش ، ولا يطوفوا الا فى ثياب قريش ، فان لم يجد احد منهم ثوب أحـد من الحمس وهم قريش وما ولدوا ومن دخل معهم من كنانة وخزاعة طاف عريانا ولو كانت امرأة ولهذا كانت المرأة اذا اتفق طوافها لذلك وضعت يدها على فرجها وتقول :

اليومَ يبدو بعضُه أو كلّه وبعدَ هذا اليومِ لا أحلّه (١)

فان تكرم أحـد ممن يجد ثوب أحمسى فطاف فى ثياب نفسه فعليه إذا فرغ من الطواف ان يلقيها فلا ينتفع بها بعد ذلك . وليس له ولا لغيره أن يمسها . وكانت العرب تسمى تلك الثياب اللقى قال بعض الشعراء :

كفى حزنا كرى عليـه كأنه لقى بين أيدى الطائفين حريم

قال ابن اسحاق : فكانوا كذلك حتى بعث الله محمداً (ص.) وأنزل عليـه القرآن رداً عليهم فيما ابتدعوه فقال (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) أى جمهور العرب من عرفات (واستغفروا الله إن الله غفور رحيم) وقد قدمنا أن رسول الله (ص.) كان يقف بعرفات قبل أن ينزل عليـه توفيقاً من الله له ، وأنزل الله عليـه رداً عليهم فيما كانوا حرموا من اللباس والطعام على الناس (يا بنى آدم خذوا زينتكم عنـد كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق) الآية . وقال زياد البكائى عن ابن اسحاق : ولا أدرى أكان ابتداءهم لذلك قبل الفيل أو بعده .

---

(١) وفى المصرية وابن هشام : وما بدا منه فلا أحله .

مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

تسليما كثيراً . وذكر شيء من البشارات بذلك

قال محمد بن اسحاق رحمه الله : وكانت الأحبار من اليهود والكهان من النصارى ومن العرب قد تحدثوا بأمر رسول الله (ص.) قبل مبعثه لما تقارب زمانه ، أما الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى فمما وجدوا فى كتبهم من صفته وصفة زمانه وما كان من عهد أنبيائهم اليهم فيه . قال الله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والانجيل) الآية وقال الله تعالى (وإذ قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل إنى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه احمد) . وقال الله تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل) الآية . وقال الله تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى ؟ قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) وفى صحيح البخارى عن ابن عباس قال : « ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه وليتبعنه » يعلم من هذا أن جميع الأنبياء بشروا وأمروا باتباعه .

وقد قال إبراهيم عليه السلام فيما دعا به لأهل مكة : (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك) الآية .

وقال الامام أحمد : حدثنا أبو النضر حدثنا الفرج بن فضالة حدثنا لقمان بن عامر سمعت أبا أمامة قال قلت يارسول الله ، ما كان بدء أمرك ؟ قال : « دعوة أبى ابراهيم ، و بشرى عيسى ، ورأت أمى أنه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام » وقد روى محمد بن اسحاق عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله (ص.) عنه مثله ومعنى هذا أنه أراد بدء أمره بين الناس واشتهار ذكره وانتشاره فذكر دعوة ابراهيم الذى تنسب اليه العرب ، ثم بشرى عيسى الذى هو خاتم أنبياء بنى اسرائيل كما تقدم . يدل هذا على أن من بينهما من الأنبياء بشروا به أيضا .

أما فى الملأ الاعلى فقد كان أمره مشهوراً مذكورا معلوما من قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام كما قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد الكلبي

عن عبد الأعلى بن هلال السلمى عن العرباض بن سارية . قال قال رسول الله (ص) : « إنى عبد الله خاتم النبيين ، وان آدم لمنجدل فى طينته ، وسأنبئكم باول ذلك ، دعوة أبى ابراهيم ، وبشارة عيسى بى ورؤيا أمى التى رأت ، وكذلك أمهات المؤمنين ». وقد رواه الليث عن معاوية بن صالح وقال : ان أمه رأت حين وضعته نوراً أضاءت منه قصور الشام . وقال الامام احمد أيضا حدثنا عبدالرحمن حدثنا منصور بن سعد عن بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن ميسرة الفجر قال: قلت يا رسول الله ، متى كنت نبيا ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » تفرد بهن احمد .

وقد رواه عمر بن احمد بن شاهين فى كتاب دلائل النبوة من حديث أبى هريرة فقال حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز - يعنى أبا القاسم البغوى - حدثنا أبو همام الوليد بن مسلم عن الاوزاعى حدثنى يحيى عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال : سئل رسول الله (ص) متى وجبت لك النبوة ؟ قال : « بين خلق آدم ونفخ الروح فيه » ورواه من وجه آخر عن الاوزاعى به . وقال : « وآدم منجدل فى طينته » . وروى عن البغوى أيضاً عن احمد بن المقدام عن بقية بن سعيد بن بشير عن قتادة عن أبى هريرة - مرفوعاً - فى قول الله تعالى (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) قال رسول الله (ص) : « كنت أول النبيين فى الخلق وآخرهم فى البعث » ومن حديث أبى مزاحم عن قيس بن الربيع عن جابر عن الشعبى عن ابن عباس قيل يا رسول الله متى كنت نبياً ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » .

وأما الكهان من العرب فاتتهم به الشياطين من الجن مما تسترق من السمع ، إذ كانت وهى لا تحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم ، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما بعض ذكر أموره ولا يلقى العرب لذلك فيه بالا . حتى بعثه الله تعالى ، ووقعت تلك الأمور التى كانوا يذكرون فعرفوها ، فلما تقارب أمر رسول الله (ص) وحضر زمان مبعثه حجبت الشياطين عن السمع ، وحيل بينها وبين المقاعد التى كانت تعقد لاستراق السمع فيها ، فرموا بالنجوم فعرفت الشياطين أن ذلك لأمر حدث من أمر الله عز وجل . قال وفى ذلك أنزل الله على رسوله (ص) (قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً) إلى آخر السورة . وقد ذكرنا تفسير ذلك كله فى كتابنا التفسير ، وكذا قوله تعالى (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين ، قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم) الآيات ، ذكرنا تفسير ذلك كله هناك .

قال محمد بن اسحاق : حدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس أنه حدث أن أول العرب فزع للرمى بالنجوم حين رمى بها - هذا الحى من ثقيف - وإنهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية

أحد بنى علاج وكان أدهى العرب وأمكرها ، فقالوا له يا عمرو ألم تر ما حدث فى السماء من القذف بهذه النجوم ؟ قال بلى ، فانظروا فإن كانت معالم النجوم التى يهتدى بها فى البر والبحر ويعرف بها الانواء من الصيف والشتاء ، لما يصلح الناس فى معايشهم هى التى يرمى بها ،فهو والله طى الدنيا ، وهلاك هذا الخلق وإن كانت نجوماً غيرها وهى ثابتة على حالها فهذا لأمر أراد الله به هذا الخلق فما هو ؟ .

قال ابن اسحاق : وحدثنى بعض أهل العلم أن امرأة من بنى سهم ـ يقال لها الغيطلة ـ كانت كاهنة فى الجاهلية جاءها صاحبها ليلة من الليالى فانقض تحتها ، ثم قال : أدر ما أدر ، يوم عقر ونحر ، قالت قريش حين بلغها ذلك ما يريد ؟ ثم جاءها ليلة أخرى فانقض تحتها ثم قال : شعوب ماشعوب ؟ تصرع فيه كعب الجنوب . فلما بلغ ذلك قريشا قالوا ماذا يريد ؟ إن هذا لأمر هو كائن فانظروا ما هو ، فما عرفوه حتى كانت وقعة بدر وأحد بالشعب فعرفوا أنه كان الذى جاء به إلى صاحبته .

قال ابن اسحاق : وحدثنى على بن نافع الجرشى أن جنبا ـ بطنا من اليمن ـ كان لهم كاهن فى الجاهلية، فلما ذكر أمر رسول الله (ص.) وانتشر فى العرب ؛ قالت له جنب انظر لنا فى أمر هذا الرجل واجتمعوا له فى أسفل جبله . فنزل اليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم قائماً متكئاً على قوس له ، فرفع رأسه إلى السماء طويلا، ثم جعل ينزو ، ثم قال : أيها الناس إن الله أكرم محمداً واصطفاه وطهر قلبه وحشاه ومكثه فيكم أيها الناس قليل . ثم اشتد فى جبله راجعاً من حيث جاء ، ثم ذكر ابن اسحاق قصة سواد بن قارب وقد أخرناها إلى هواتف الجان .

فصل

قال ابن اسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا إن مما دعانا إلى الاسلام ـ مع رحمة الله تعالى وهداه لنا ـ أن كنا نسمع من رجال من يهود ـ وكنا أهل شرك أصحاب أوثان ، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا إنه قد تقارب زمان نبى يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم ، فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسول الله (ص.) أجبناه حين دعانا إلى الله ، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به . فبادرناهم اليه ، فآمنا به وكفروا به . ففينا وفيهم نزلت هذه الآية . (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) .

وقال ورقاء عن ابن أبى نجيح عن على الازدى : كانت اليهود تقول اللهم ابعث لنا هذا النبى يحكم بيننا وبين الناس يستفتحون به ـ أى يستنصرون به ـ رواه البيهقى . ثم روى من طريق عبد الملك ابن هارون بن عنبرة عن أبيه عن جده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : كانت اليهود بخيبر

تقاتل غطفان فكلما التقوا هزمت يهود خيبر ، فعاذت اليهود بهذا الدعاء فقالوا : اللهم نسألك بحق محمد النبي الأمى الذى وعدتنا أن تخرجه فى آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم ، قال فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان ، فلما بعث النبي (ص) كفروا به . فأنزل الله عز وجل (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) الآية . وروى عطية عن ابن عباس نحوه . وروى عن عكرمة من قوله نحو ذلك أيضاً .

وقال ابن اسحاق : وحدثنى صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن لبيد عن سلمة بن سلام بن وقش ــ وكان من أهل بدر ــ قال كان لنا جار من يهود فى بنى عبد الاشهل ، قال فخرج علينا يوما من بيته حتى وقف على بنى عبد الاشهل . قال سلمة وأنا يومئذ أحدث من فيه سنا على فروة لى مضطجع فيها بفناء أهلى ، فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار . قال فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان لا يرون أن بعثا كائن بعد الموت ، فقالوا له ويحك يا فلان أو ترى هذا كائنا ؟ إن الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار يجزون فيها باعمالهم ؟ قال نعم ، والذى يحلف به ويود أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور فى الدار يحمونه ثم يدخلونه اياه فيطبقونه عليه وأن ينجون من تلك النار غداً قالوا له ويحك يا فلان فما آية ذلك ؟ قال نبى مبعوث من نحو هذه البلاد . واشار بيده الى نحو مكة واليمن قالوا ومتى نراه ؟ قال ــ فنظر الى وأنا من أحدثهم سنا ــ فقال أن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه . قال سلمة فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله (ص) وهو حى بين أظهرنا ، فآمنا به وكفر به بغياً وحسداً . قال فقلنا له ويحك يافلان ألست بالذى قلت لنافيه ما قلت ؟ قال بلى ولكن ليس به . رواه احمد عن يعقوب عن ابيه عن ابن عباس . ورواه البيهقى عن الحاكم باسناده من طريق يونس بن بكير .

وروى أبو نعيم فى الدلائل عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن محمد بن سلمة قال : لم يكن فى بنى عبد الاشهل الا يهودى واحد يقال له يوشع ، فسمعته يقول ــ وإنى لغلام فى ازار ــ قد اظلكم خروج نبى يبعث من نحو هذا البيت . ثم اشار بيده الى بيت الله ، فمن ادركه فليصدقه . فبعث رسول الله (ص) فاسلمنا وهو بين أظهرنا لم يسلم حسداً وبغيا . وقد قدمنا حديث ابى سعيد عن أبيه فى اخبار يوشع هذا عن خروج رسول الله (ص) وصفته و نعته واخبار الزبير بن باطا عن ظهور كوكب مولد رسول الله (ص) ورواه الحاكم عن البيهقى باسناده من طريق يونس بن بكير عنه .

قال ابن اسحاق : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بنى قريظة قال قال لى : هل تدرى عم كان اسلام ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية ، وأسد بن عبيد ــ نفر من بنى هدل ، اخوة بنى قريظة كانوا معهم فى جاهليتهم ، ثم كانوا سادتهم فى الاسلام ــ قال قلت لا ، قال فان رجلا من اليهود من ارض

الشام يقال له ابن الهيبان قدم علينا قبل الاسلام بسنين فحل بين اظهرنا لا والله ما رأينا رجلا قط لا يصلى الخمس افضل منه ، فاقام عندنا فكنا اذا قحط عنا المطر قلنا له اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا ، فيقول لا والله حتى تقدموا بين يدى مخرجكم صدقة ، فنقول له كم ؟ فيقول صاعا من تمر ، أو مدين من شعير . قال فنخرجها ، ثم يخرج بنا الى ظاهر حرثنا فيستسقى لنا ، فوالله ما يبرح مجلسه حتى يمر السحاب ويسقى . قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاثا . قال ثم حضرته الوفاة عندنا ، فلما عرف أنه ميت قال يامعشر يهود ما ترونه أخرجنى من أرض الخمر والخمير الى أرض البؤس والجوع ؟ قال قلنا أنت أعلم قال فانى إنما قدمت هذه البلدة أتوكف خروج نبى قد أظل زمانه ، هذه البلدة مهاجره فكنت ارجوان يبعث فاتبعه ، وقد أظلكم زمانه فلا تسبقن اليه يامعشر يهود ، فانه يبعث بسفك الدماء وسبى الذرارى فيمن خالفه فلا يمنعنكم ذلك منه . فلما بعث رسول الله (ص) وحاصر بنى قريظة قال هؤلاء الفتية ـ وكانوا شبابا أحداثا ـ : يا بنى قريظة والله إنه للنبى الذى عهد اليكم فيه ابن الهيبان . قالوا ليس به قالوا بلى والله إنه لهو بصفته . فنزلوا فاسلموا فاحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم

قال ابن إسحاق فهذا ما بلغنا عن اخبار يهود .

قلت : وقد قدمنا فى قدوم تبع اليمانى وهو أبو كرب تبان أسعد إلى المدينة ومحاصرته إياها وانه خرج اليه ذانك الحبران من اليهود فقالا له إنه لاسبيل لك عليها ، أنها مهاجر نبى يكون فى آخر الزمان فثناه ذلك عنها . وقد روى أبو نعيم فى الدلائل من طريق الوليد بن مسلم حدثنا محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده . قال قال عبد الله بن سلام : ان الله لما أراد هدى زيد ابن سعية قال زيد لم يبق شئ من علامات النبوة إلا وقد عرفتها فى وجه محمد (ص) حين نظرت اليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه : يسبق حلمه جهله ، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً . قال فكنت أتلطف له لأن أخالطه فاعرف حلمه وجهله ، فذكر قصة إسلافه للنبى (ص) مالا فى ثمرة ، قال فلما حل الأجل أتيته فاخذت بمجامع قميصه وردائه ـ وهو فى جنازة مع أصحابه ـ ونظرت اليه بوجه غليظ ، وقلت : يامحمد ألا تقضينى حقى ؟ فوالله ما علمتكم بنى عبد المطلب لمطل ، قال فنظر إلى عمر وعيناه يدوران فى وجهه كالفلك المستدير . ثم قال يا عدو الله أتقول لرسول الله (ص) ما أسمع ، وتفعل ما أرى ؟ فوالذى بعثه بالحق لولا ما أحاذر لومه لضربت بسيفى رأسك ، ورسول الله (ص) ينظر إلى عمر فى سكون وتؤدة وتبسم . ثم قال : « أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر ، أن تأمرنى بحسن الاداء ، وتأمره بحسن التباعة ، اذهب به يا عمر فاقضه حقه . وزده عشرين صاعاً من تمر » فأسلم زيد بن سعية رضى الله عنه . وشهد بقية المشاهد مع رسول الله (ص) ، وتوفى عام تبوك رحمه الله .

ثم ذكر ابن اسحاق رحمه الله : اسلام سلمان الفارسى رضى الله عنه وأرضاه فقال حدثنى عاصم بن

عمر بن قتادة الأنصارى عن محمود بن لبيد عن عبد الله بن عباس . قال حدثنى سلمان الفارسى – من فيه – قال كنت رجلا فارسياً من أهل أصبهان من أهل قرية يقال لها جى وكان أبى دهقان قريته وكنت أحب خلق الله اليه ، فلم يزل حبه إياى حتى حبسنى فى بيته كما تحبس الجارية ، واجتهدت فى المجوسية ، حتى كنت قطن النار التى يوقدها لا يتركها تخبو ساعة قال وكانت لأبى ضيعة عظيمة ، قال فشغل فى بنيان له يوماً فقال لى يا بنى إنى قد شغلت فى بنيانى هذا اليوم عن ضيعتى ، فاذهب اليها فاطلعها ، وأمرنى فيها ببعض ما يريد . ثم قال لى ولا تحتبس عنى فانك إن احتبست عنى كنت أهم إلى من ضيعتى وشغلتنى عن كل شىء من أمرى . قال فخرجت أريد ضيعته التى بعثنى اليها فمررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون . وكنت لا أدرى ما أمر الناس لحبس أبى إياى فى بيته ، فلما سمعت اصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون فلما رأيتهم أعجبتنى صلاتهم ورغبت فى أمرهم . وقلت هذا والله خير من الدين الذى نحن عليه ، فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبى فلم آتها . ثم قلت لهم أين أصل هذا الدين ؟ قالوا بالشام ، فرجعت إلى أبى وقد بعث فى طلبى وشغلته عن أمره كله. فلما جئت قال أى بنى أين كنت ألم أكن أعهد اليك ما عهدته ؟ قال قلت يا أبة مررت بأناس يصلون فى كنيسة لهم فأعجبنى ما رأيت من دينهم فوالله مازلت عندهم حتى غربت الشمس قال أى بنى ، ليس فى ذلك الدين خير ، دينك ودين آبائك خير منه . قال قلت كلا والله إنه لخير من ديننا . قال فخافنى فجعل فى رجلى قيداً ثم حبسنى فى بيته ، قال وبعثت إلى النصارى فقلت لهم : إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبرونى بهم . قال فقدم عليهم ركب من الشام فجاؤنى النصارى فأخبرونى بهم . فقلت إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فآذنونى قال فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبرونى بهم فألقيت الحديد من رجلى ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام ، فلما قدمتها قلت من أفضل أهل هذا الدين علماً ؟ قالوا الأسقف فى الكنيسة . قال فجئته فقلت له إنى قد رغبت فى هذا الدين وأحببت أن أكون معك وأخدمك فى كنيستك وأتعلم منك فأصلى معك . قال ادخل فدخلت معه فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها ، فاذا جمعوا له شيئاً كنزه لنفسه ولم يعطه المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق ، قال وابغضته بغضا شديداً لما رأيته يصنع . ثم مات واجتمعت له النصارى ليدفنوه . فقلت لهم إن هذا كان رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فاذا جئتموه بها كنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئا . قال فقالوا لى وما علمك بذلك ؟ قال فقلت لهم انا أدلكم على كنزه ، قالوا فدلنا . قال فاريتهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهباً وورقا ، فلما رأوها قالوا لا ندفنه أبداً قال فصلبوه ورجموه بالحجارة. وجاؤا برجل آخر فوضعوه مكانه . قال سلمان فما رأيت رجلا لا يصلى الخمس أرى أنه أفضل منه أزهد فى الدنيا ولا أرغب فى الاخرة ولا أدأب ليلا ونهاراً . قال فاحببته حبا

لم احب شيئاً قبله مثله. قال فاقمت معه زمانا ثم حضرته الوفاة فقلت له إنى قد كنت معك وأحببتك حباً لم أحبه شيئاً قبلك وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى فالى من توصى بى؟ وبم تأمرنى به؟ قال أى بنى والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنت عليه. لقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه الا رجلا بالموصل وهو فلان وهو على ما كنت عليه فالحق به. قال فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل. فقلت يا فلان إن فلاناً أوصانى عند موته أن ألحق بك وأخبرنى أنك على أمره، فقال لى أقم عندى. فاقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه فلم يلبث أن مات فلما حضرته الوفاة قلت له يافلان إن فلاناً أوصى بى اليك وأمرنى باللحوق بك وقدحضرك من أمر الله ما ترى فالى من توصى بى وبم تأمرنى؟ قال يا بنى والله ما أعلم رجلا على مثل ماكنا عليه الا رجلا بنصيبين وهو فلان فالحق به، فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فاخبرته خبرى وما أمرنى به صاحباى. فقال أقم عندى فاقمت عنده. فوجدته على أمر صاحبيه فاقمت مع خير رجل، فوالله مالبث أن نزل به الموت فلما حضر قلت له يافلان ان فلاناً كان أوصى بى الى فلان ثم أوصى بى فلان الى فلان ثم أوصى بى فلان اليك فالى من توصى بى وبم تأمرنى؟ قال يابنى والله ما اعلمه بقى أحد على أمرنا آمرك ان تأتيه الا رجل بعمورية من أرض الروم فانه على مثل مانحن عليه. فان أحببت فائته فانه على امرنا. فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية فاخبرته خبرى فقال أقم عندى فاقمت عند خير رجل على هدى أصحابه وامرهم. قال واكتسبت حتى كانت لى بقرات وغنيمة، قال ثم نزل به أمر الله فلما حضر قلت له يافلان انى كنت مع فلان فاوصى بى الى فلان ثم أوصى بى فلان الى فلان ثم أوصى بى فلان الى فلان. ثم أوصى بى فلان اليك فالى من توصى بى وبم تأمرنى؟ قال أى بنى، والله ما أعلم أصبح أحد على مثل ماكنا عليه من الناس آمرك ان تأتيه، ولكنه قد أظل زمان نبى مبعوث بدين ابراهيم يخرج بارض العرب مهاجره الى الارض بين حرتين بينهما نخل به علامات لا تخفى يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل. قال ثم مات وغيب ومكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث. ثم مر بى نفر من كلب تجار فقلت لهم احملونى الى أرض العرب وأعطيكم بقراتى هذه وغنيمتى هذه قالوا نعم فاعطيتهموها وحملونى معهم حتى اذا بلغوا وادى القرى ظلمونى فباعونى من رجل يهودى عبدا، فكنت عنده ورأيت النخل فرجوت أن يكون البلد الذى وصف لى صاحبى، ولم يحق فى نفسى. فبينا أنا عنده إذ قدم عليه ابن عم له من بنى قريظة من المدينة، فابتاعنى منه فاحتملنى الى المدينة، فوالله ما هو الا ان رأيتها فعرفتها بصفة صاحبى لها، فاقمت بها وبعث رسول الله (ص) فاقام بمكة ما أقام ولا أسمع له بذكر مما أنا فيه من شغل الرق، ثم هاجر الى المدينة فوالله انى لفى رأس عذق لسيدى أعمل فيه بعض العمل. وسيدى جالس تحتى اذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال يافلان قاتل الله بنى قيلة. والله إنهم لمجتمعون الآن بقباء على

رجل قدم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي . قال سلمان فلما سمعتها أخذتني الرعده حتى ظننت انى ساقط على سيدى فنزلت عن النخلة ، فجعلت أقول لابن عمه ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟ قال فغضب سيدى فلكمني لكمة شديدة . ثم قال مالك ولهذا ؟ أقبل على عملك ، قال فقلت لا شىء إنما أردت أن أستثبته عما قال . قال وقد كان عندى شئ قد جمعته فلما أمسيت أخذته . ثم ذهبت به إلى رسول الله (ص.) — وهو بقباء — فدخلت عليه فقلت له إنه قد بلغنى أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شىء كان عندى للصدقة ، فرأيتكم أحق به من غيركم . قال فقربته اليه فقال رسول الله (ص.) لأصحابه « كلوا » وأمسك يده فلم يأكل ، فقلت فى نفسى هذه واحدة ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً وتحول رسول الله (ص.) إلى المدينة . ثم جئته فقلت له إنى قد رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها . قال فأكل رسول الله (ص.) منها وأمر أصحابه فأكلوا معه ، قال فقلت فى نفسى هاتان ثنتان . قال ثم جئت رسول الله (ص.) وهو ببقيع الغرقد قد تبع جنازة رجل من أصحابه وعليه شملتان وهو جالس فى أصحابه فسلمت عليه . ثم استدبرته أنظر إلى ظهره ، هل أرى الخاتم الذى وصف لى صاحبى ؟ فلما رآنى رسول الله (ص.) استدبرته عرف أنى أستثبت فى شىء وصف لى . فألقى رداءه عن ظهره فنظرت الى الخاتم فعرفته ، فأكببت عليه أقبله وأبكى فقال لى رسول الله (ص.): « تحول » فتحولت بين يديه ، فقصصت عليه حديثى كما حدثتك يا ابن عباس . فأعجب رسول الله (ص.) أن يسمع ذاك أصحابه . ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله (ص.) بدر وأحد . قال سلمان : ثم قال لى رسول الله (ص.) « كاتب يا سلمان » فكاتبت صاحبى على ثلاثمائة نخلة أحييها له بالفقير [1] وأربعين أوقية . فقال رسول الله (ص.) لأصحابه « أعينوا أخاكم » فأعانونى فى النخل : الرجل بثلاثين ودية ، والرجل بعشرين ودية ، والرجل بخمس عشرة ودية والرجل بعشرة . يعين الرجل بقدر ما عنده حتى اجتمعت لى ثلاثمائة ودية . فقال لى رسول الله (ص.) « اذهب ياسلمان ففقر لها ، فاذا فرغت فائتنى أكن أنا أضعها بيدى » . قال : ففقرت ، وأعاننى أصحابى ، حتى إذا فرغت جئته فاخبرته . فخرج رسول الله (ص.) معى اليها . فجعلنا نقرب اليه الودى ، ويضعه رسول الله (ص.) بيده حتى اذا فرغنا فوالذى نفس سلمان بيده ما ماتت منها ودية واحدة . فاديت النخل وبقى على المال . فأتى رسول الله (ص.) بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن . فقال « ما فعل الفارسى المكاتب ؟ » قال فدعيت له قال « خذ هذه فادها مما عليك ياسلمان » قال قلت : وأين تقع هذه مما على يارسول الله ؟ قال « خذها فان الله سيؤدى بها عنك » قال فاخذتها فوزنت لهم منها — والذى نفس سلمان بيده — أربعين أوقية ، فأوفيتهم حقهم وعتق سلمان . فشهدت مع رسول الله (ص.) الخندق حرا ثم لم يفتنى معه مشهد .

---

(١) فقير النخلة : حفرة تحفر للفسيلة إذا حولت لتغرس فيها . من النهاية .

قال ابن اسحاق : وحدثنى يزيد بن أبى حبيب عن رجل من عبد القيس عن سلمان أنه قال لما قلت وأين تقع هذه من الذى على يا رسول الله ؟ أخذها رسول الله (ص.) فقلبها على لسانه ، ثم قال : « خذها فأوفهم منها » فأخذتها فأوفيتهم منها حقهم كله أربعين أوقية .

وقال محمد بن اسحاق : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة حدثنى من لا أتهم عن عمر بن عبد العزيز ابن مروان قال حدثت عن سلمان انه قال لرسول الله (ص.) حين اخبره أن صاحب عمورية قال له : إيت كذا وكذا من أرض الشام ، فان بها رجلا بين غيضتين يخرج كل سنة من هذه الغيضه مستجيزا يعترضه ذوو الاسقام فلا يدعو لاحد منهم الاشفى فاسأله عن هذا الدين الذى تبتغى فهو يخبرك عنه قال سلمان فخرجت حتى جئت حيث وصف لى فوجدت الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هناك حتى يخرج لهم تلك الليلة مستجيزا من احدى الغيضتين الى الاخرى . فغشيه الناس بمرضاهم لا يدعو لمريض الاشفى وغلبونى عليه فلم أخلص اليه حتى دخل الغيضة التى يريد ان يدخل الا منكبه . قال فتناولته فقال من هذا ؟ والتفت الى قال قلت يرحمك الله أخبرنى عن الحنيفية دين ابراهيم ، قال انك لتسأل عن شئ ما يسأل عنه الناس اليوم ، قد أظلك زمان نبى يبعث بهذا الدين من أهل الحرم ، فأته فهو يحملك عليه . ثم دخل فقال رسول الله (ص.) لسلمان : « لئن كنت صدقتنى يا سلمان لقد لقيت عيسى بن مريم » هكذا وقع فى هذه الرواية . وفيها رجل مبهم وهو شيخ عاصم بن عمر بن قتادة . وقد قيل إنه الحسن ابن عمارة ثم هو منقطع بل معضل بين عمر بن عبدالعزيز وسلمان رضى الله عنه . قوله لئن كنت صدقتنى يا سلمان لقد لقيت عيسى بن مريم غريب جداً بل منكر . فان الفترة أقل ما قيل فيها انها أربعمائة سنة ، وقيل ستمائة سنة بالشمسية ، وسلمان أكثر ما قيل انه عاش ثلاثمائة سنة وخمسين سنة . وحكى العباس ابن يزيد البحرانى اجماع مشايخه على أنه عاش مائتين وخمسين سنة . واختلفوا فيما زاد الى ثلاثمائة وخمسين سنة والله أعلم . والظاهر أنه قال لقد لقيت وصى عيسى بن مريم فهذا ممكن بالصواب .

وقال السهيلى : الرجل المبهم هو الحسن بن عمارة وهو ضعيف وإن صح لم يكن فيه نكارة . لان ابن جرير ذكر أن المسيح نزل من السماء بعد مارفع فوجد أمه وامرأة أخرى يبكيان عند جذع المصلوب فأخبرهما أنه لم يقتل وبعث الحواريين بعد ذلك . قال وإذا جاز نزوله مرة جاز نزوله مراراً ثم يكون نزوله الظاهر حين يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويتزوج حينئذ امرأة من بنى جذام وإذا مات دفن فى حجرة روضة رسول الله (ص.) .

وقد روى البيهقى فى كتاب دلائل النبوة قصة سلمان هذه من طريق يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق كما تقدم ورواها أيضاً عن الحاكم عن الاصم عن يحيى بن أبى طالب . حدثنا على بن عاصم حدثنا حاتم بن أبى صفرة عن سماك بن حرب عن يزيد بن صوحان أنه سمع سلمان يحدث كيف كان أول

إسلامه . فذكر قصة طويلة وذكر انه كان من رامهرمز وكان له أخ أكبر منه غنى وكان سلمان فقيراً فى كنف أخيه ، وأن ابن دهقانها كان صاحباً له وكان يختلف معه إلى معلم لهم وأنه كان يختلف ذلك الغلام إلى عباد من النصارى فى كهف لهم فسأله سلمان أن يذهب به معه اليهم فقال له إنك غلام وأخشى أن تنم عليهم فيقتلهم أبى ، فالتزم له أن لا يكون منه شىء يكرهه فذهب به معه فاذا هم ستة ـ أو سبعة ـ كأن الروح قد خرجت منهم من العبادة يصومون النهار ويقومون الليل يأكلون الشجر وما وجدوا فذكر عنهم أنهم يؤمنون بالرسل المتقدمين وأن عيسى عبد الله ورسوله وابن أمته أيده بالمعجزات . وقالوا له يا غلام إن لك رباً وإن لك معاداً وإن بين يديك جنة وناراً وإن هؤلاء القوم الذين يعبدون النيران أهل كفر وضلالة لا يرضى الله بما يصنعون وليسوا على دينه . ثم جعل يتردد مع ذلك الغلام اليهم ثم لزمهم سلمان بالكلية ثم أجلاهم ملك تلك البلاد وهو أبو ذلك الغلام الذى صحبه سلمان اليهم عن أرضه واحتبس الملك ابنه عنده وعرض سلمان دينهم على أخيه الذى هو أكبر منه فقال إنى مشتغل بنفسى فى طلب المعيشة فارتحل معهم سلمان حتى دخلوا كنيسة الموصل فسلم عليهم أهلها ثم أرادوا أن يتركونى عندهم فأبيت الا صحبتهم فخرجوا حتى أتوا وادياً بين جبال فتحدر اليهم رهبان تلك الناحية يسلمون عليهم واجتمعوا اليهم وجعلوا يسألونهم عن غيبتهم عنهم ويسألونهم عنى فيثنون على خيراً ، وجاء رجل معظم فيهم فخطبهم فأثنى على الله بما هو أهله وذكر الرسل وما أيدوا به وذكر عيسى بن مريم وأنه كان عبد الله ورسوله وأمرهم بالخير ونهاهم عن الشر ، ثم لما أرادوا الانصراف تبعه سلمان ولزمه قال فكان يصوم النهار ويقوم الليل من الاحد إلى الاحد فيخرج اليهم ويعظهم ويأمرهم وينهاهم فمكث على ذلك مدة طويلة ، ثم أراد أن يزور بيت المقدس فصحبه سلمان اليه قال فكان فيما يمشى يلتفت الى ويقبل على فيعظنى ويخبرنى أن لى رباً وأن بين يدى جنة وناراً وحساباً ويعلمنى ويذكرنى نحو ما كان يذكر القوم يوم الأحد قال فيما يقول لى : يا سلمان إن الله سوف يبعث رسولا اسمه احمد يخرج من تهامة يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم [النبوة] وهذا زمانه الذى يخرج فيه قد تقارب فاما أنا فانى شيخ كبير ولا أحسبنى أدركه فان أدركته أنت فصدقه واتبعه ، قلت له وإن أمرنى بترك دينك وما أنت عليه قال وإن أمرك فان الحق فيما يجىء به ورضى الرحمن فيما قال . ثم ذكر قدومهما إلى بيت المقدس وأن صاحبه صلى فيه ههنا وهاهنا ثم نام وقد أوصاه أنه إذا بلغ الظل مكان كذا أن يوقظه فتركه سلمان حيناً آخر أزيد مما قال ليستريح ، فلما استيقظ ذكر الله ولام سلمان على ترك ما أمره من ذلك ثم خرجا من بيت المقدس فسأله مقعد فقال يا عبد الله سألتك حين وصلت فلم تعطنى شيئاً وها أنا أسألك فنظر فلم يجد أحداً فأخذ بيده وقال قم بسم الله فقام وليس به بأس ولا قلبة [1] كأنما نشط من عقال . فقال لى يا عبد الله

---

(١) القلبة محركة : داء وألم من علة .

احمل على متاعى حتى أذهب إلى أهلى فأبشرهم ، فاشتغلت به ثم أدركت الرجل فلم ألحقه ولم أدر أين ذهب وكلما سألت عنه قوماً قالوا أمامك حتى لقيني ركب من العرب من بنى كلب فسألتهم فلما سمعوا لغتى أناخ رجل منهم بعيره فحملنى خلفه حتى أتوا بى بلادهم . فباعونى فاشترتنى امرأة من الانصار فجعلتنى فى حائط لها وقدم رسول الله (ص.)، ثم ذكر ذهابه اليه بالصدقة والهدية ليستعلم ما قال صاحبه ، ثم تطلب النظر إلى خاتم النبوة فلما رآه آمن من ساعته . وأخبر رسول الله (ص.) خبره الذى جرى له قال فأمر رسول الله (ص.) أبا بكر الصديق فاشتراه من سيدته فاعتقه ، قال ثم سألته يوماً عن دين النصارى فقال : لا خير فيهم . قال فوقع فى نفسى من أولئك الذين صحبتهم ومن ذلك الرجل الصالح الذى كان معى بيت المقدس فدخلنى من ذلك أمر عظيم حتى أنزل الله على رسول الله (ص.) (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون) فدعانى رسول الله (ص.) فجئت وأنا خائف فجلست بين يديه فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم (ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون) الآيات . ثم قال «يا سلمان أولئك الذين كنت معهم وصاحبك لم يكونوا نصارى كانوا مسلمين» فقلت يا رسول الله والذى بعثك بالحق لهو أمرنى باتباعك . فقلت له فان أمرنى بترك دينك وما أنت عليه ؟ قال نعم فاتركه فان الحق وما يرضى الله فيما يأمرك . وفى هذا السياق غرابة كثيرة وفيه بعض المخالفة لسياق محمد بن اسحاق وطريق محمد بن اسحاق أقوى إسناداً وأحسن اقتصاصاً وأقرب إلى ما رواه البخارى فى صحيحه من حديث معتمر بن سليمان بن طرخان التيمى عن أبيه عن أبى عثمان النهدى عن سلمان الفارسى أنه تداوله بضعة عشر ، من رب إلى رب ، أى من معلم إلى معلم ومرب إلى مثله والله أعلم .

قال السهيلى : تداوله ثلاثون سيداً من سيد إلى سيد ، فالله أعلم . وكذلك استقصى قصة إسلامه الحافظ ابو نعيم فى الدلائل وأورد لها أسانيد وألفاظاً كثيرة ، وفى بعضها أن اسم سيدته التى كاتبته حليسة فالله أعلم .

ذكر أخبار غريبة فى ذلك

قال أبو نعيم فى الدلائل : حدثنا سليمان بن احمد حدثنا محمد بن زكرياء الغلابى حدثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبى السوية المنقرى حدثنا عباد بن كسيب عن أبيه عن أبى عتوارة الخزاعى عن سعير بن سوادة العامرى [1] قال كنت عشيقاً لعقيلة من عقائل الحى ، أركب لها الصعب والذلول لا أبقى من البلاد مسرحا أرجو ربحا فى متجر إلا أتيته ، فانصرفت من الشام بحرث وأثاث أريد به كبة الموسم

(١) قد تقصيت الدلائل . فلم أقف على هذا الخبر . فليحرر .

ودهاء العرب، فدخلت مكة بليل مسدف فأقمت حتى تعرى عنى قميص الليل فرفعت رأسى فاذا قباب مسامتة شعف الجبال، مضروبة بأنطاع الطائف وإذا جزر تنحر وأخرى تساق، وإذا أكلة وحثثة على الطهاة يقولون: الا عجلوا الا عجلوا، وإذا رجل يجهر على نشز من الارض، ينادى يا وفد الله ميلوا إلى الغداء. وأنيسان على مدرجة يقول: يا وفد الله من طعم فليرح إلى العشاء، فجهرنى ما رأيت فاقبلت أريد عميد القوم، فعرف رجل الذى بى، فقال أمامك، وإذا شيخ كأن فى خديه الأساريع، وكأن الشعرى توقد من جبينه، قد لاث على رأسه عمامة سوداء قد أبرز من ملاثها جمة فينانة كأنها سماسم. قال فى بعض الروايات تحته كرسى سماسم[1] ومن دونها نمرقة بيده قضيب متخصر به حوله مشايخ جلس نواكس الأذقان ما منهم أحد يفيض بكلمة. وقد كان نمى إلى خبر من أخبار الشام أن النبى الأمى هذا أوان نجومه، فلما رأيته ظننته ذلك. فقلت السلام عليك يا رسول الله. فقال: مهمه، كلا وكأن قد وليتنى إياه فقلت من هذا الشيخ؟ فقالوا هذا أبو نضلة، هذا هاشم بن عبد مناف، فوليت وأنا أقول هذا والله المجد لا مجد آل جفنة ـ يعنى ملوك عرب الشام من غسان كان يقال لهم آل جفنة ـ. وهذه الوظيفة التى حكاها عن هاشم هى الرفادة يعنى إطعام الحجيج زمن الموسم.

وقال أبو نعيم: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا محمد بن احمد بن أبى يحيى حدثنا سعيد بن عثمان حدثنا على بن قتيبة الخراسانى حدثنا خالد بن الياس عن أبى بكر بن عبد الله بن أبى الجهم عن أبيه عن جده. قال سمعت أبا طالب يحدث عن عبد المطلب قال: بينا أنا نائم فى الحجر إذ رأيت رؤيا هالتنى ففزعت منها فزعاً شديداً، فأتيت كاهنة قريش وعلى مطرف خز وجمتى تضرب منكبى فلما نظرت إلىّ عرفت فى وجهى التغيير وأنا يومئذ سيد قومى فقالت: ما بال سيدنا قد أتانا متغير اللون؟ هل رابه من حدثان الدهر شىء؟ فقلت لها بلى! وكان لا يكلمها أحد من الناس حتى يقبل يدها اليمنى، ثم يضع يده على أم رأسها ثم يذكر حاجته ولم أفعل لأنى كبير قومى. فجلست فقلت إنى رأيت الليلة وأنا نائم فى الحجر كأن شجرة تنبت قد نال رأسها السماء وضربت بأغصانها المشرق والمغرب، وما رأيت نوراً أزهر منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفاً. ورأيت العرب والعجم ساجدين لها وهى تزداد كل ساعة عظماً ونوراً وارتفاعاً ساعة تخفى وساعة تزهر، ورأيت رهطاً من قريش قد تعلقوا بأغصانها، ورأيت قوماً من قريش يريدون قطعها. فاذا دنوا منها أخرهم شاب لم أر قط أحسن منه وجهاً ولا أطيب منه ريحاً فيكسر أظهرهم ويقلع أعينهم. فرفعت يدى لأتناول منها نصيباً، فمنعنى الشاب فقلت لمن النصيب؟ فقال النصيب لهؤلاء الذين تعلقوا بها وسبقوك اليها. فانتبهت مذعوراً فزعاً فرأيت وجه الكاهنة قد تغير، ثم قالت لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب ويدين له الناس

(١) سماسم: الأولى عيدان السمسم. والثانية خشب أسود كالأبنوس

ثم قال ـ يعني عبد المطلب ـ لأبي طالب ، لعلك تكون هذا المولود قال فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث بعد ما ولد رسول الله (ص.) وبعد ما بعث . ثم قال كانت الشجرة والله أعلم أبا القاسم الأمين ، فيقال لأبي طالب ألا تؤمن ؟ فيقول السبة والعار .

وقال أبو نعيم : حدثنا سليمان بن احمد حدثنا محمد بن زكرياء الغلابي حدثنا العباس بن بكار الضبي حدثنا أبو بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس . قال قال العباس : خرجت في تجارة إلى اليمن في ركب ـ منهم أبو سفيان بن حرب ، فقدمت اليمن فكنت أصنع يوماً طعاماً وانصرف بأبي سفيان وبالنفر ويصنع أبو سفيان يوماً ، ويفعل مثل ذلك ، فقال لي في يومي الذي كنت أصنع فيه : هل لك يا أبا الفضل أن تنصرف إلى بيتي وترسل إليّ غداءك ؟ فقلت نعم. فانصرفت أنا والنفر إلى بيته وأرسلت إلى الغداء فلما تغدى القوم قاموا واحتبسني فقال هل علمت يا أبا الفضل أن ابن أخيك يزعم أنه رسول الله فقلت أيّ بني أخي ؟ فقال أبو سفيان اياي تكتم ؟ وأي بني أخيك ينبغي أن يقول هذا الا رجل واحد ؟ قلت وأيهم على ذلك ؟ قال : هو محمد بن عبد الله ، فقلت قد فعل ؟ قال بلى قد فعل. واخرج كتابا باسمه من ابنه حنظلة بن أبي سفيان فيه: أخبرك ان محمداً قام بالابطح فقال: «انا رسول ادعوكم الى الله عز وجل» فقال العباس قلت اجده باأبا حنظلة صادق. فقال مهلا ياأبا الفضل فوالله ما أحب أن يقول مثل هذا ، إني لأخشى أن يكون على ضير من هذا الحديث يا بني عبد المطلب ، إنه والله مابرحت قريش تزعم ان لكم هنة وهنة ، كل واحدة منهما غاية . لنشدتك يا أبا الفضل هل سمعت ذلك ؟ قلت نعم قد سمعت . قال فهذه والله شؤمتكم . قلت فلعلها يمنتنا ، قال فما كان بعد ذلك الاليال حتى قدم عبدالله بن حذافة بالخبر وهو مؤمن ، ففشا ذلك في مجالس اليمن ، وكان أبو سفيان يجلس مجلساً باليمن يتحدث فيه حبر من أحبار اليهود ، فقال له اليهودي ماهذا الخبر ؟ بلغني أن فيكم عم هذا الرجل الذي قال ما قال ؟ قال أبو سفيان صدقوا وانا عمه ، فقال اليهودي أخو أبيه ؟ قال نعم ! قال فحدثني عنه قال لا تسألني ما أحب ان يدعى هذا الأمر ابدا ، وما أحب ان أعيبه وغيره خير منه ، فرأى اليهودي انه لا يغمس عليه ولا يحب ان يعيبه . فقال اليهودي ليس به بأس على اليهود ، وتوراة موسى . قال العباس فناداني الحبر ، فجئت فخرجت حتى جلست ذلك المجلس من الغد ، وفيه أبو سفيان بن حرب والحبر ، فقلت للحبر بلغني انك سألت ابن عمي عن رجل منا زعم انه رسول الله (ص.) وأخبرك أنه عمه ، وليس بعمه . ولكن ابن عمه وانا عمه واخو ابيه . قال أخو أبيه ؟ قلت أخو أبيه ، فاقبل على أبي سفيان فقال صدق ؟ قال نعم صدق ، فقلت سلني فان كذبت فليرد علي ، فاقبل علي فقال نشدتك هل كان لابن أخيك صبوة أو سفهة ؟ قلت لا وإله عبد المطلب ولا كذب ولاخان ، وانه كان اسمه عند قريش الامين . قال فهل كتب بيده ؟ قال العباس فظننت انه خيرله ان يكتب بيده فاردت ان أقولها ثم ذكرت مكان أبي سفيان يكذبني ويرد علي

فقلت لا يكتب فوثب الحبر ونزل رداؤه وقال ذبحت يهود ، وقتلت يهود . قال العباس فلما رجعنا الى منزلنا ، قال أبو سفيان يا أبا الفضل إن اليهود تفزع من ابن أخيك ، قلت قد رأيت ما رأيت ، فهل لك يا أبا سفيان ان تؤمن به ، فان كان حقا كنت قد سبقت وان كان باطلا فمعك غيرك من اكفائك؟ قال لا أؤمن به حتى أرى الخيل فى كداء ، قلت ماتقول؟ قال كلمة جاءت على فمى الا انى اعلم أن الله لا يترك خيلا تطلع من كداء . قال العباس فلما استفتح رسول الله (ص.) مكة ونظرنا الى الخيل وقد طلعت من كداء ، قلت يا أبا سفيان تذكر الكلمة ؟ قال اى والله إنى لذاكرها فالحمد لله الذى هدانى للاسلام . وهذا سياق حسن عليه البهاء والنور وضياء الصدق وان كان فى رجاله من هو متكلم فيه والله أعلم .

وقد تقدم ما ذكرناه فى قصة أبى سفيان مع أمية بن أبى الصلت ، وهو شبيه بهذا الباب وهو من أغرب الاخبار واحسن السياقات وعليه النور . وسيأتى أيضا قصة أبى سفيان مع هرقل ملك الروم حين سأله عن صفات رسول الله (ص.) واحواله ، واستدلاله بذلك على صدقه ونبوته ورسالته . وقال له : كنت أعلم انه خارج ، ولكن لم أكن أظن انه فيكم ، ولو أعلم انى اخلص اليه لتجشمت لقيه . ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه . ولئن كان ماتقول حقا ليملكن موضع قدمى هاتين . وكذلك وقع ولله الحمد والمنة .

وقد أكثر الحافظ أبو نعيم من إيراد الآثار والاخبار عن الرهبان والاحبار والعرب . فاكثر وأطنب واحسن وأطيب رحمه الله ورضى عنه .

قصة عمرو بن مرة الجهنى

قال الطبرانى : حدثنا على بن ابراهيم الخزاعى الأهوازى حدثنا عبد الله بن داود بن دلهاث بن اسماعيل بن عبد الله بن شريح بن ياسر بن سويد صاحب رسول الله (ص.) حدثنا أبى عن أبيه دلهاث عن أبيه اسماعيل أن أباه عبد الله حدثه عن أبيه أن أباه ياسر بن سويد حدثه عن عمرو بن مرة الجهنى قال : خرجت حاجا فى جماعة من قومى فى الجاهلية ، فرأيت فى نومى وأنا بمكة ، نورا ساطعاً من الكعبة حتى وصل الى جبل يثرب . واشعر جهينة . فسمعت صوتا بين النور وهو يقول : انقشعت الظلماء ، وسطع الضياء ، وبعث خاتم الانبياء . ثم اضاء اضاءة أخرى ، حتى نظرت الى قصور الحيرة وأبيض المدائن ، وسمعت صوتا من النور وهو يقول : ظهر الاسلام ، وكسرت الاصنام ، ووصلت الارحام ، فانتبهت فزعا فقلت لقومى : والله ليحدثن لهذا الحى من قريش حدث ـ واخبرتهم بما رأيت فلما انتهينا الى بلادنا جاءنى رجل يقال له أحمد قد بعث فاتيته فاخبرته بما رأيت . فقال « ياعمرو بن مرة أنا النبى المرسل الى العباد كافة . أدعوهم الى الاسلام ، وآمرهم بحقن الدماء وصلة الأرحام ، وعبادة الله

ورفض الأصنام، وحج البيت وصيام شهر رمضان من اثنى عشر شهرا . فمن اجاب فله الجنة، ومن عصى فله النار . فآمن ياعمرو يؤمنك الله من هول جهنم » فقلت اشهد ان لا إله الا الله وانك رسول الله آمنت بما جئت من حلال وحرام، وان رغم ذلك كثيرا من الأقوام. ثم أنشدته أبياتا قلتها حين سمعت به . وكان لنا صنم . وكان أبى سادناله فقمت اليه فكسرته . ثم لحقت بالنبى (ص) وانا أقول :

شهدتُ بأن الله حقٌّ وانني ... لآلهة الأحجارِ أولُ تاركِ

وشمّرتُ عن ساق الإزار مُهاجراً ... اليكَ أجوبُ القفرَ بعد الدكادك

لاصحبَ خيرَ الناس نفساً ووالداً ... رسولُ مليكُ الناسِ فوقَ الحبائك

فقال النبى (ص): « مرحبا بك ياعمرو بن مرة » فقلت يارسول الله ابعثنى الى قومى . لعل الله يمن عليهم بى كما من على بك . فبعثنى اليهم . وقال : « عليك بالرفق والقول السديد . ولا تكن فظاً . ولا متكبراً ولا حسوداً » فذكر انه أتى قومه، فدعاهم الى ما دعاه اليه رسول الله (ص) فاسلموا كلهم . الا رجلا واحداً منهم، وانه وفد بهم الى رسول الله (ص) . فرحب بهم وحياهم . وكتب لهم كتابا هذه نسخته « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من الله على لسان رسول الله (ص)، بكتاب صادق، وحق ناطق مع عمرو بن مرة الجهنى لجهينة بن زيد : ان لكم بطون الأرض وسهولها، وتلاع الأودية وظهورها، تزرعون نباته وتشربون صافيه، على ان تقروا بالخمس، وتصلوا صلاة الخمس وفى التبيعة والصريمة ان اجتمعتا وان تفرقتا شاة شاة، ليس على أهل الميرة صدقة، ليس الوردة اللبقة [1] وشهد على نبينا (ص) من حضر من المسلمين بكتاب قيس بن شماس » . وذكر شعرا قاله عمرو بن مرة فى ذلك كما هو مبسوط فى المسند الكبير وبالله الثقة وعليه التكلان .

وقال الله تعالى : ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظاً﴾ قال كثيرون من السلف : لما أخذ الله ميثاق بنى آدم يوم (ألست بربكم ؟) أخذ من النبيين ميثاقا خاصاً، وأكده مع هؤلاء الخمسة أولى العزم أصحاب الشرائع الكبار الذين أولهم نوح وآخرهم محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وقد روى الحافظ أبو نعيم فى كتاب دلائل النبوة من طرق عن الوليد بن مسلم حدثنا الاوزاعى حدثنا يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن أبى هريرة : سئل النبى (ص) متى وجبت لك النبوة ؟ قال « بين خلق آدم ونفخ الروح فيه » وهكذا رواه الترمذى من طريق الوليد بن مسلم . وقال حسن غريب من حديث أبى هريرة، لا نعرفه الا من هذا الوجه .

وقال أبو نعيم : حدثنا سليمان بن احمد حدثنا يعقوب بن اسحاق بن الزبير الحلبى حدثنا أبو جعفر

---

(١) اللبقة . كذا فى الاصل ولعلها يريد أنه لا يؤخذ فى الصدقة كرائم الاموال

النفيلى حدثنا عمرو بن واقد عن عروة بن رويم عن الصنابحى . قال قال عمر : يارسول الله ، متى جعلت نبياً ؟ قال : « وآدم منجدل فى الطين » ثم رواه من حديث نصر بن مزاحم عن قيس بن الربيع عن جابر الجعفى عن الشعبى عن ابن عباس قال : قيل يا رسول الله متى كنت نبياً ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » وفى الحديث الذى أوردناه فى قصة آدم حين استخرج الله من صلبه ذريته خص الانبياء بنور بين أعينهم . والظاهر - والله أعلم - أنه كان على قدر منازلهم ورتبهم عند الله . وإذا كان الأمر كذلك فنور محمد (ص) كان أظهر وأكبر وأعظم منهم كلهم . وهذا تنويه عظيم وتنبيه ظاهر على شرفه وعلو قدره . وفى هذا المعنى الحديث الذى قال الامام أحمد * حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد الكلبى عن عبد الاعلى بن هلال السلمى عن العرباض بن سارية . قال قال رسول الله (ص) : « انى عند الله لخاتم النبيين وان آدم لَمُنْجَدِلٌ فى طينته وسأنبئكم بأول ذلك : دعوة أبى ابراهيم وبشارة عيسى بى ، ورؤيا أمى التى رأت . وكذلك أمهات المؤمنين يرين » ورواه الليث وابن وهب عن عبد الرحمن بن مهدى ، وعبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح وزاد « إن أمه رأت حين وضعته نوراً أضاءت منه قصور الشام » وقال الامام أحمد حدثنا عبدالرحمن حدثنا منصور بن سعيد عن بديل عن عبد الله بن شقيق عن ميسرة الفجر قال قلت يارسول الله متى كنت نبياً ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » اسناده جيد أيضا وهكذا رواه ابراهيم بن طهمان وحماد ابن زيد وخالد الحذاء عن بديل بن ميسرة به . ورواه أبو نعيم عن محمد بن عمر بن أسلم عن محمد بن بكر بن عمرو الباهلى عن شيبان عن الحسن بن دينار عن عبدالله بن سفيان عن ميسرة الفجر قال : قلت يارسول الله متى كنت نبياً ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » .

وقال الحافظ أبو نعيم فى كتابه دلائل النبوة : حدثنا أبو عمرو بن حمدان حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا هشام بن عمار حدثنا الوليد بن مسلم عن خليد بن دعلج وسعيد عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة عن النبى (ص) ، فى قوله تعالى (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) قال « كنت أول النبيين فى الخلق وآخرهم فى البعث » ثم رواه من طريق هشام بن عمار عن بقية عن سعيد بن نسير عن قتادة عن الحسن عن أبى هريرة مرفوعا مثله . وقد رواه من طريق سعيد بن أبى عروبة وشيبان عن قتادة قال ذكر لنا أن رسول الله (ص) قال مثله . وهذا أثبت وأصح والله أعلم .

وهذا إخبار عن التنويه بذكره فى الملأ الأعلى وانه معروف بذلك بينهم بانه خاتم النبيين وآدم لم ينفخ فيه الروح ، لأن علم الله تعالى بذلك سابق قبل خلق السموات والارض لا محالة فلم يبق الا هذا الذى ذكرناه من الاعلام به فى الملأ الاعلى والله أعلم .

وقد أورد أبو نعيم من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبى هريرة الحديث المتفق عليه

« نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، المقضى لهم قبل الخلائق بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم » وزاد أبو نعيم فى آخره : فكان (ص) آخرهم فى البعث وبه ختمت النبوة . وهو السابق يوم القيامة . لأنه أول مكتوب فى النبوة والعهد . ثم قال : ففى هذا الحديث الفضيلة لرسول الله (ص) لما أوجب الله له النبوة قبل تمام خلق آدم . ويحتمل أن يكون هذا الايجاب هو ما أعلم الله ملائكته ما سبق فى علمه وقضائه من بعثته له فى آخر الزمان وهذا الكلام يوافق ماذكرناه ولله الحمد

وروى الحاكم فى مستدركه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم - وفيه كلام - عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله (ص) : « لما اقترف آدم الخطيئة قال : يا رب أسألك بحق محمد إلا غفرت لى ، فقال الله : يا آدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقه بعد ؟ فقال يارب لأنك لما خلقتنى بيدك ونفخت فىّ من روحك رفعت رأسى ، فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله . فعلمت أنك لم تضف الى اسمك الا احب الخلق اليك . فقال الله صدقت يا آدم انه لاحب الخلق الىّ واذ قد سألتنى بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك » قال البيهقى : تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف والله أعلم .

وقد قال الله تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمننّ به ولتنصرُنه قال أأقررْتم وأخذتم على ذلكم إصرى ؟ قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولىّ بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) قال على بن أبى طالب وعبد الله بن عباس رضى الله عنهما : ما بعث الله نبياً من الانبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد (ص) وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه [وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه] (١) وهذا تنويه وتنبيه على شرفه وعظمته فى سائر الملل وعلى ألسنة الانبياء وإعلام لهم ومنهم برسالته فى آخر الزمان . وإنه أكرم المرسلين وخاتم النبيين . وقد أوضح أمره وكشف خبره وبين سره ، وجلى مجده ومولده وبلده ابراهيم الخليل فى قوله عليه السلام حين فرغ من بناء البيت (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم) فكان أول بيان أمره على الجلية والوضوح بين أهل الأرض على لسان ابراهيم الخليل أكرم الأنبياء على الله بعد محمد صلوات الله عليه وسلامه عليهما وعلى سائر الانبياء . ولهذا قال الامام احمد حدثنا أبو النضر حدثنا الفرج - يعنى ابن فضالة - حدثنا لقمان بن عامر سمعت أبا أمامة قال قلت يا نبى الله ما كان بدء امرك ؟ قال « دعوة أبى ابراهيم ، وبُشرى عيسى ، ورأت أمى أنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام » تفرد به الامام احمد ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة . وروى الحافظ أبو بكر بن أبى عاصم فى كتاب

(١) هذه الجملة ليست فى المصرية نقلا عن محمود الامام .

المولد من طريق بقية عن صفوان بن عمرو عن حجر بن حجر عن أبي مريق أن إعرابياً قال يارسول الله أي شيء كان أول أمر نبوتك ؟ فقال « أخذ الله مني الميثاق كما أخذ من النبيين ميثاقهم . ورأت أم رسول الله (ص) في منامها أنه خرج من بين رجليها سراج أضاءت له قصور الشام [١] . وقال الامام محمد بن اسحاق بن يسار: حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله (ص) أنهم قالوا : يارسول الله ، أخبرنا عن نفسك . قال « دعوة أبي ابراهيم ، وبشرى عيسى . ورأت أمي حين حبلت كأنه خرج منها نور أضاءت له بُصرى من أرض الشام » إسناده جيد أيضاً . وفيه بشارة لأهل محلتنا أرض بصرى وإنها أول بقعة من أرض الشام خلص اليها نور النبوة ، ولله الحمد والمنة ولهذا كانت أول مدينة فتحت من أرض الشام وكان فتحها صلحاً في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، كما سيأتي بيانه . وقد قدمها رسول الله (ص) مرتين في صحبة عمه أبي طالب وهو ابن اثنتي عشرة سنة وكانت عندها قصة بحيرى الراهب كما بيناه . والثانية ومعه ميسرة مولى خديجة في تجارة لها . وبها مبرك الناقة التي يقال لها ناقة رسول الله (ص) بركت عليه فأثر ذلك فيها فيما يذكر . ثم نقل وبنى عليه مسجد مشهور اليوم . وهي المدينة التي أضاءت اعناق الابل عندها من نور النار التي خرجت من أرض الحجاز سنة أربع وخمسين وستمائة وفق ما أخبر به رسول الله (ص) في قوله « تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الابل ببصرى » وسيأتي الكلام على ذلك في موضعه إن شاء الله ، وبه الثقة وعليه التكلان .

وقال الله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبيَّ الأميَّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم . فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) الآية . قال الامام احمد حدثنا اسماعيل عن الجريري عن أبي صخر العقيلي حدثني رجل من الأعراب قال : جلبت جلوبة إلى المدينة في حياة رسول الله (ص) . فلما فرغت من بيعي قلت لا لقين هذا الرجل فلأسمعنّ منه . قال : فتلقاني بين أبي بكر وعمر يمشون ، فتبعتهم حتى أتوا على رجل من اليهود ناشر التوراة يقرؤها يعزي بها نفسه عن ابن له في الموت كأحسن الفتيان وأجمله . فقال رسول الله (ص) « أنشدك بالذي أنزل التوراة ، هل تجدني في كتابك ذا صفتي ومخرجي ؟ » فقال برأسه هكذا ـ أي لا ـ فقال ابنه : إيْ والذي أنزل التوراة إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله . فقال : « أقيموا اليهودي عن أخيكم » ثم ولى كفنه والصلاة عليه . هذا إسناد جيد وله شواهد في الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه . وقال أبو القاسم البغوي حدثنا عبد الواحد ابن غياث ـ أبو بحر ـ حدثنا عبدالعزيز بن مسلم حدثنا عاصم بن كليب عن أبيه عن الصلتان بن عاصم

---

(١) هذه الجملة ليست في المصرية .

وذكر أن خاله قال : كنت جالساً عند النبي (ص) إذ شخص بصره إلى رجل فاذا يهودي عليه قميص وسراويل ونعلان . قال فجعل النبي (ص) يكلمه وهو يقول : يا رسول الله . فقال رسول الله (ص) « أتشهد أني رسول الله ؟ » قال لا . قال رسول الله (ص) « أتقرأ التوراة ؟ » قال نعم قال « أتقرأ الانجيل ؟ » قال نعم . قال « والقرآن ؟ » قال لا . ولو تشاء قرأته . فقال النبي (ص) « فبم تقرأ التوراة والانجيل ، أتجدني نبياً ؟ » قال إنا نجد نعتك ومخرجك . فلما خرجت رجونا أن تكون فينا . فلما رأيناك عرفناك انك لست به . قال رسول الله (ص) « ولم يا يهودي ؟ » قال : إنا نجده مكتوباً ، يدخل من أمته الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ، ولا نرى معك إلا نفراً يسيراً . فقال رسول الله (ص) « إن أمتي لأكثر من سبعين ألفاً وسبعين ألفاً » . هذا حديث غريب من هذا الوجه ، ولم يخرجوه . وقال محمد بن اسحاق عن سالم مولى عبد الله بن مطيع عن أبي هريرة قال : أتى رسول الله (ص) [يهود] فقال « أخرجوا أعلمكم » فقالوا عبد الله بن صوريا ، فخلا به رسول الله (ص) ، فناشده بدينه ، وما أنعم الله به عليهم ، وأطعمهم من المن والسلوى ، وظللهم به من الغمام « أتعلمني رسول الله ؟ » قال اللهم نعم . وان القوم ليعرفون ما أعرف ، وأن صفتك ونعتك لمبين في التوراة . ولكنهم حسدوك . قال « فما يمنعك أنت ؟ » قال أكره خلاف قومي . وعسى أن يتبعوك ويسلموا فاسلم . وقال سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقول كتب رسول الله (ص) إلى يهود خيبر « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله صاحب موسى ، وأخيه ، والمصدق بما جاء به موسى ، ألا إن الله قال لكم يا معشر يهود وأهل التوراة ، إنكم تجدون ذلك في كتابكم : إن محمداً (رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود . ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار . وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما) . وإني أنشدكم بالله وبالذي أنزل عليكم ، وأنشدكم بالذي أطعم من كان قبلكم من أسلافكم وأسباطكم المن والسلوى ، وأنشدكم بالذي أيبس البحر لآبائكم حتى أنجاكم من فرعون وعمله إلا أخبرتمونا هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد ؟ فان كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كره عليكم ، قد تبين الرشد من الغي . وأدعوكم إلى الله وإلى نبيه (ص) » .

وقد ذكر محمد بن اسحاق بن يسار في كتاب المبتدا عن سعيد بن بشير عن قتادة عن كعب الأحبار ، وروى غيره عن وهب بن منبه أن بختنصر بعد أن خرب بيت المقدس واستذل بني اسرائيل بسبع سنين رأى في المنام رؤيا عظيمة هالته فجمع الكهنة والحزار ، وسألهم عن رؤياه تلك . فقالوا ليقصها الملك حتى نخبره بتأويلها . فقال : إني نسيتها ، وإن لم تخبروني بها إلى ثلاثة أيام قتلتكم عن آخركم . فذهبوا

خائفين وجلين من وعيده. فسمع بذلك دانيال عليه السلام وهو فى سجنه. فقال للسجان: اذهب اليه فقل له إن هاهنا رجلا عنده علم رؤياك وتأويلها. فذهب اليه فأعلمه فطلبه، فلما دخل عليه لم يسجد له. فقال له ما منعك من السجود لى؟ فقال: إن الله آتانى علماً وعلمنى وأمرنى أن لا أسجد لغيره. فقال له بختنصر إنى أحب الذين يوفون لأربابهم بالعهود. فأخبرنى عن رؤياى. قال له دانيال: رأيت صنماً عظيماً رجلاه فى الأرض ورأسه فى السماء، أعلاه من ذهب ووسطه من فضة، وأسفله من نحاس، وساقاه من حديد، ورجلاه من فخار، فبينا أنت تنظر اليه قد أعجبك حسنه وإحكام صنعته قذفه الله بحجر من السماء. فوقع على قمة رأسه حتى طحنه واختلط ذهبه وفضته ونحاسه وحديده وفخاره حتى تخيل لك أنه لو اجتمع الانس والجن على أن يميزوا بعضه من بعض لم يقدروا على ذلك. ونظرت إلى الحجر الذى قذف به يربو ويعظم وينتشر حتى ملأ الأرض كلها فصرت لا ترى الا الحجر والسماء. فقال له بختنصر صدقت هذه الرؤيا التى رأيتها فما تأويلها؟ فقال دانيال أما الصنم فأمم مختلفة فى أول الزمان وفى وسطه وفى آخره، وأما الحجر الذى قذف به الصنم فدين يقذف الله به هذه الامم فى آخر الزمان فيظهره عليها فيبعث الله نبياً أمياً من العرب فيدوخ به الأمم والأديان كما رأيت الحجر دوخ أصناف الصنم ويظهر على الاديان والامم كما رأيت الحجر ظهر على الأرض كلها، فيمحص الله به الحق ويزهق به الباطل ويهدى به أهل الضلالة ويعلم به الأميين ويقوى به الضعفة ويعز به الاذلة وينصر به المستضعفين. وذكر تمام القصة فى اطلاق بختنصر بنى اسرائيل على يدى دانيال عليه السلام، وذكر الواقدى بأسانيده عن المغيرة بن شعبة فى قصة وفوده على المقوقس ملك الاسكندرية وسؤاله له عن صفات رسول الله (ص) قريباً من سؤال هرقل لابى سفيان صخر بن حرب، وذكر أنه سأل اساقفة النصارى فى الكنائس عن صفة رسول الله (ص) وأخبروه عن ذلك وهى قصة طويلة ذكرها الحافظ أبو نعيم فى الدلائل. وثبت فى الصحيح أن رسول الله (ص) مر بمدارس اليهود فقال لهم «يامعشر اليهود اسلموا فوالذى نفسى بيده إنكم لتجدون صفتى فى كتبكم» الحديث. وقال الامام أحمد: حدثنا موسى بن داود حدثنا فليح بن سليمان عن هلال بن على عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت أخبرنى عن صفات رسول الله (ص) فى التوراة فقال أجل والله إنه لموصوف فى التوراة بصفته فى القرآن، يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وحرزاً للاميين، أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل لافظ ولا غليظ ولاصخاب فى الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيموا الملة العوجاء بأن يقولوا الا إله الا الله يفتح به أعينا عمياً وآذانا صما وقلوبا غلفا. ورواه البخارى عن محمد بن سنان العوفى عن فليح به. ورواه أيضاً عن عبد الله - قيل ابن رجاء، وقيل ابن صالح - عن عبد العزيز بن أبى سلمة عن هلال بن علوية ولفظه قريب

من هـذا وفيه زيادة . ورواه ابن جرير من حـديث فليح عن هلال عن عطاء وزاد قال عطاء فلقيت كعبا فسألته عن ذلك فما اختلف حرفا، وقال فى البيوع . وقل سعيد عن هلال عن عطاء عن عبـد الله ابن سـلام قال الحافظ أبو بكر البيهقى أخبرناه أبو الحسين بن المفضل القطان حـدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا يعقوب بن سفيان حدثنا أبو صالح حدثنا الليث حـدثنى خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال ابن أسامة عن عطاء بن يسار عن ابن سـلام انه كان يقول : إنا لنجد صفة رسول الله (ص.) إنا أرسلناك شاهـداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين ، أنت عبـدى ورسولى ، سميته المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الاسواق ولا يجزىء السيئة بمثلها ولـكن يعفو ويتجاوز ولن يقبضه حـتى يقيم به الملة العوجاء بأن يشهدوا أن لا إله إلا الله يفتح به أعينا عمياً واذانا صما وقلوبا غلفا . وقال عطاء بن يسار : وأخبرنى الليثى أنه سمع كعب الاحبار يقول مثل ما قال ابن سلام .

قلت : وهذا عن عبد الله بن سلام اشبه ولـكن الرواية عن عبد الله بن عمرو أكثر، مع أنه كان قد وجـد يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب وكان يحدث عنهما كثيراً ، وليعلم أن كثيراً من السلف كانوا يطلقون التوراة على كتب أهل الكتاب فهى عندهم أعم من التى انزلها الله على موسى وقد ثبت شاهد ذلك من الحديث . وقال يونس عن محمد بن اسحاق حدثنى محمد بن ثابت بن شرحبيل عن ابن أبى أوفى عن أم الدرداء قالت قلت لكعب الاحبار كيف تجدون صفة رسول الله (ص.) فى التوراة قال نجده محمـد رسول الله اسمه المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الاسواق واعطى المفاتيح فيبصر الله به أعينا عوراً ويسمع آذانا وقراً ويقيم به ألسنا معوجة حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله واحد لا شريك له يعين به المظلوم ويمنعه . وقد روى عن كعب من غير هذا الوجه . وروى البيهقى عن الحاكم عن أبى الوليد الفقيه عن الحسن بن سفيان حدثنا عتبة بن مكرم حـدثنا أبو قطن عمرو بن الهيثم حدثنا حمزة بن الزيات عن سليمان الاعمش عن على بن مدرك عن أبى زرعة عن أبى هريرة (وما كنت بجانب الطور إذ نادينا) قال نودوا يا أمة محمـد استجبت لـكم قبل أن تدعونى ، واعطيتكم قبل أن تسألونى . وذكر وهب بن منبه أن الله تعالى أوحى الى داود فى الزبور ياداود إنه سيأتى من بعدك نبى اسمه أحمد ومحمد صادقا سـيداً لا أغضب عليه أبدا ، ولا يغضبنى أبداً وقد غفرت له قبل أن يعصينى ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأمته مرحومة أعطيتهم من النوافل مثل ما اعطيت الانبياء ، وفرضت عليهم الفرائض التى افترضت على الأنبياء والرسـل حتى يأتونى يوم القيامة ونورهم مثل نور الانبياء . الى أن قال : يا داود إنى فضلت محمـداً وأمته على الامم كلها . والعلم بانه موجود فى كتب أهل الـكتاب معلوم من الدين ضرورة وقد دل على ذلك آيات كثيرة فى الكتاب العزيز تـكلمنا عليها فى مواضعها ولله الحمد . فمن ذلك قوله (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ، وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من

ربنا إنا كنا من قبله مسلمين) وقال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) وقال تعالى (إن الذين أتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا) أى ان كان وعدنا ربنا بوجود محمد وارساله لكائن لا محالة فسبحان القدير على ما يشاء لا يعجزه شيء. وقال تعالى اخباراً عن القسيسين والرهبان (واذا سمعوا ما أُنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين) وفى قصة النجاشى وسلمان وعبد الله بن سلام وغيرهم كما سيأتى شواهد كثيرة لهذا المعنى ولله الحمد والمنة .

وذكرنا فى تضاعيف قصص الانبياء ما تقدم الاشارة اليه من وصفهم لبعثة رسول الله (ص) ونعته وبلد مولده ودار مهاجره ونعت أمته فى قصة موسى وشعيا وأرمياء ودانيال وغيرهم وقد أخبر الله تعالى عن آخر أنبياء بنى اسرائيل وخاتمهم عيسى بن مريم انه قام فى بنى اسرائيل خطيبا قائلا لهم (إنى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) . وفى الانجيل البشارة بالفارقليط والمراد محمد (ص) . وروى البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن يونس بن عمرو عن العيزار بن حرب عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله (ص) قال « مكتوب فى الانجيل لا فظ ولا غليظ ولا صخاب فى الاسواق ولا يجزى بالسيئة مثلها بل يعفو ويصفح » وقال يعقوب بن سفيان حدثنا فيض البجلى حدثنا سلام بن مسكين عن مقاتل ابن حيان قال : أوحى الله عز وجل الى عيسى بن مريم جد فى أمرى واسمع واطع ياابن الطاهرة البكر البتول ـ أنا خلقتك من غير فحل فجعلتك آية للعالمين فاياى فاعبد فبين لاهل سوران بالسريانية ، بلغ من بين يديك انى أنا الحق القائم الذى لا أزول صدقوا بالنبى الأمى العربى صاحب الجمل والمدرعة والعمامة ـ وهى التاج ـ والنعلين والهراوة ـ وهى القضيب ـ الجعد الرأس الصلت الجبين المقرون الحاجبين الأنجل العينين الاهدب الاشفار الأدعج العينين الاقنى الانف الواضح الخدين الكث اللحية عرقه فى وجهه كاللؤلؤ ريح المسك ينضح منه كأن عنقه ابريق فضة وكان الذهب يجرى فى تراقيه له شعرات من لبته الى سرته تجرى كالقضيب ليس فى بطنه شعر غيره شثن الكف والقدم اذا جاء مع الناس غمرهم واذا مشى كأنما ينقلع من الصخر ويتحدر من صبب ذو النسل القليل ـ وكأنه أراد الذكور من صلبه ـ هكذا رواه البيهقى فى دلائل النبوة من طريق يعقوب بن سفيان . وروى البيهقى عن عثمان بن الحكم بن رافع بن سنان حدثنى بعض عمومتى وآبائى أنهم كانت عندهم ورقة يتوارثونها فى الجاهلية حتى جاء الله بالاسلام وبقيت عندهم فلما قدم رسول الله (ص) المدينة ذكروها له وأتوه بها مكتوب فيها بسم الله وقوله الحق وقول الظالمين فى تباب . هذا الذكر لأمة تأتى فى آخر الزمان يبلون اطرافهم ويوترون على

أوساطهم ويخوضون البحور الى أعدائهم فيهم صلاة لو كانت فى قوم نوح ما أهلكوا بالطوفان ، وفى عاد ما أهلكوا بالريح ، وفى ثمود ما أهلكوا بالصيحة : بسم الله وقوله الحق وقول الظالمين فى تباب . ثم ذكر قصة أخرى قال فعجب رسول الله (ص) لما قرأت عليه فيها .

وذكرنا عند قوله تعالى فى سورة الأعراف (الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل) قصة هشام بن العاص الاموى حين بعثه الصديق فى سرية الى هرقل يدعوه الى الله عز وجل . فذكر أنه أخرج لهم صور الانبياء فى رُقعة من آدم الى محمد صلوات الله عليه وسلامه عليهم أجمعين على النعت والشكل الذى كانوا عليه . ثم ذكر أنه لما أخرج صورة رسول الله (ص) قام قائما إكراما له . ثم جلس وجعل ينظر إليها ويتأملها . قال فقلنا له من أين لك هذه الصورة ؟ فقال : إن آدم سأل ربه أن يريه جميع الانبياء من ذلك ، فانزل عليه صورهم ، فكان فى خزانة آدم عليه السلام عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين ، فدفعها الى دانيال . ثم قال : اما والله إن نفسى قد طابت بالخروج من ملكى وأنى كنت عبداً لاشركم ملكة حتى أموت . ثم أجازنا فاحسن جائزتنا وسرحنا . فلما أتينا أبا بكر الصديق فحدثناه بما رأينا وما أجازنا وما قال لنا ، قال فبكى وقال : مسكين لو أراد الله به خيراً لفعل ، ثم قال أخبرنا رسول الله (ص) أنهم واليهود يجدون نعت محمد عندهم . رواه الحاكم بطوله فليكتب ها هنا من التفسير . ورواه البيهقى فى دلائل النبوة .

وقال الأموى : حدثنا عبد الله بن زياد عن ابن اسحاق . قال وحدثنى يعقوب بن عبد الله بن جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه عن جده عمرو بن أمية قال : قدمت برقيق من عند النجاشى أعطانيهم فقالوا لى يا عمرو لو رأينا رسول الله لعرفناه من غير أن تخبرنا ، فمر أبو بكر فقلت أهو هذا ؟ قالوا لا ، فمر عمر فقلت أهو هذا ؟ قالوا لا فدخلنا الدار فمر رسول الله (ص) فنادونى ياعمرو هذا رسول الله (ص) . فنظرت فاذا هو هو من غير أن يخبرهم به أحد ، عرفوه بما كانوا يجدونه مكتوباً عندهم وقد تقدم انذار سبأ لقومه وبشارته لهم بوجود رسول الله (ص) فى شعر أسلفناه فى ترجمته فأغنى عن إعادته ، وتقدم قول الحبرين من اليهود لتبع اليمانى حين حاصر أهل المدينة إنها مهاجر نبى يكون فى آخر الزمان فرجع عنها ونظم شعراً يتضمن السلام على النبى (ص) .

قصة سيف بن ذى يزن وبشارته بالنبى

وقال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطى فى كتابه هواتف الجان : حدثنا على بن حرب حدثنا احمد بن عثمان بن حكيم حدثنا عمرو بن بكر ـ هو ابن بكار القعنبى ـ عن احمد بن القاسم عن محمد بن السائب الكلبى عن أبى صالح عن عبد الله بن عباس . قال : لما ظهر سيف بن ذى يزن قال ابن المنذر ـ واسمه النعمان بن قيس ـ على الحبشة وذلك بعد مولد رسول الله (ص) بسنتين أتته وفود

العرب وشعراؤها تهنئه وتمدحه وتذكر ما كان من حسن بلائه ، وأتاه فيمن أتاه وفود قريش فيهم عبد المطلب بن هاشم ، وأمية بن عبد شمس أبي عبد الله [1] وعبد الله بن جدعان ، وخويلد بن أسد فى أناس من وجوه قريش فقدموا عليه صنعاء ، فاذا هو فى رأس غمدان الذى ذكره أمية أبى الصلت :

واشربْ هنيئاً عليكَ التاجُ مرتفعاً   فى رأسِ غَمدانَ داراً منك محلالا

فدخل عليه الآذن ، فاخبره بمكانهم فاذن لهم ، فدنا عبد المطلب فاستأذنه فى الكلام فقال له ان كنت ممن يتكلم بين يدى فقد أذنا لك ، فقال له عبد المطلب ان الله قد احلك أيها الملك محلا رفيعا صعباً منيعا ، شامخا باذخا ، وانبتك منبتا طابت أرومته ، وعذيت جرثومته ، وثبت اصله ، وبسق فرعه فى اكرم موطن واطيب معدن فانت — ابيت اللعن — ملك العرب وربيعها الذى تخصب به البلاد ، ورأس العرب الذى له تنقاد ، وعمودها الذى عليه العماد ، ومعقلها الذى يلجأ اليه العباد . وسلفك خير سلف ، وأنت لنا منهم خير خلف . فلن يخمد من هم سلفه ولن يهلك من أنت خلفه ، ونحن أيها الملك أهل حرم الله وسدنة بيته ، اشخصنا اليك الذى أبهجك من كشف الكرب الذى قد فدحنا ، وفد التهنئة لا وفد المرزئة . قال : وايهم أنت أيها المتكلم ؟ قال أنا عبد المطلب بن هاشم . قال ابن أختنا ؟ قال نعم ، قال ادن فادناه ، ثم أقبل عليه وعلى القوم فقال مرحبا وأهلا وناقة ورحلا ، ومستناخا سهلا ، وملكا ربحلا [2] يعطى عطاء جزلا . قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم ، وقبل وسيلتكم ، فانتم أهل الليل والنهار ، ولكم الكرامة ما اقمتم والحباء إذا ظعنتم ، ثم نهضوا الى دار الكرامة والوفود ، فاقاموا شهراً لا يصلون اليه ولا يأذن لهم بالانصراف ، ثم انتبه لهم انتباهة فارسل الى عبد المطلب فادنى مجلسه واخلاه ثم قال : يا عبد المطلب إنى مفض اليك من سر علمى ما لو يكون غيرك لم أبح به . ولكنى رأيتك معدنه فاطلعتك طليعه فليكن عندك مطويا حتى يأذن الله فيه ، فان الله بالغ أمره ، انى أجد فى الكتاب المكنون والعلم المخزون الذى اخترناه لانفسنا واحتجبناه دون غيرنا خبراً عظيما ، وخطراً جسيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة . فقال عبد المطلب أيها الملك مثلك سر وبر ، فما هو فداؤك أهل الوبر زمراً بعد زمر ؟ قال إذا ولد بتهامة ، غلام به علامة ، بين كتفيه شامة كانت له الامامة ، ولكم به الزعامة الى يوم القيامة . قال عبد المطلب — ابيت اللعن — لقد أبت بخير ما آب به وافد ، ولولا هيبة الملك واجلاله واعظامه لسألته من بشارته إياى ما ازداد به سرورا . قال ابن ذى يزن هذا حينه الذى يولد فيه أوقد ولد واسمه محمد . يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه . ولدناه مراراً والله باعثه جهاراً ، وجاعل له منا انصاراً يعزبهم أولياءه ويذل بهم أعداءه ، ويضرب بهم الناس عن عرض ، ويستبيح بهم كرائم الأرض ، يكسر الأوثان ويخمد النيران ، يعبد الرحمن ويدحر

---

(١) كلمة أبى عبد الله . غير موجودة فى الدلائل . (٢) الربحل الكثير العطاء .

الشيطان ، قوله فصل وحكمه عدل يأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله . فقال عبد المطلب أيها الملك ـ عز جدك وعلا كعبك ، ودام ملكك ، وطال عمرك . فهذا نجارى فهل الملك سارلى بافصاح فقد أوضح لى بعض الايضاح . فقال ابن ذى يزن : والبيت ذى الحجب والعلامات على النقب انك ياعبد المطلب لجده غير كذب ، فخر عبد المطلب ساجدا فقال ارفع رأسك ثلج صدرك وعلا أمرك فهل أحسست شيئا مما ذكرت لك . فقال أيها الملك كان لى ابن وكنت به معجباً وعليه رفيقا فزوجته كريمة من كرائم قومه آمنة بنت وهب فجاءت بغلام سميته محمداً فمات أبوه وأمه وكفلته انا وعمه . قال ابن ذى يزن إن الذى قلت لك كما قلت فاحتفظ بابنك واحذر عليه اليهود فانهم له أعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا ، واطو ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك فانى لست آمن ان تدخل لهم النفاسة من أن تكون لكم الرياسة فيطلبون له الغوائل وينصبون له الحبائل فهم فاعلون أو ابناؤهم ولولا انى اعلم أن الموت مجتاحى قبل مبعثه لسرت بخيلى ورجلى حتى اصير بيثرب دار مملكته فانى أجد فى الكتاب الناطق والعلم السابق ان بيثرب استحكام امره وأهل نصرته وموضع قبره ولولا انى أقيه الآفات واحذر عليه العاهات لاعلنت على حداثة سنه أمره ولأوطأت اسنان العرب عقبه ، ولكنى صارف ذلك اليك عن غير تقصير بمن معك . قال ثم أمر لكل رجل منهم بعشرة أعبد وعشرة اماء وبمائة من الابل وحلتين من البرود وبخمسة ارطال من الذهب وعشرة ارطال فضة وكرش مملوء عنبراً وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك وقال له : اذا حال الحول فأتنى فمات ابن ذى يزن قبل أن يحول الحول ، فكان عبد المطلب كثيراً ما يقول لا يغبطنى رجل منكم بجزيل عطاء الملك فانه الى نفاد ولكن ليغبطنى بما يبقى لى ولعقبى من بعدى ذكره وفخره وشرفه ، فاذا قيل له متى ذلك قال سيعلم ولو بعد حين قال وفى ذلك يقول أمية بن عبد شمس :

جَلبْنا النُّصحَ تحقُبه المطايا ... علی أكوارِ أجمالٍ ونُوقِ

مقلقةً مراتعُها تعالَى ... إلى صنعاءَ من فجّ عميقِ (١)

تؤمُّ بنا ابنَ ذي يَزَنٍ وتَفرى ... بذاتِ بُطونها ذمَّ الطريقِ

وترعَى من مخَائله بُروقا ... مُواصِلةَ الوميضِ الى بُروقِ

فلمّا واصلتْ صَنعاءَ حلّتْ ... بدارِ الملْكِ والحَسَب العريقِ

وهكذا رواه الحافظ ابو نعيم فى الدلائل من طريق عمرو بن بكير بن بكار القعنبى ثم قال أبو نعيم أخبرت عن أبى الحسن على بن ابراهيم بن عبد ربه بن محمد بن عبد العزيز بن عفير بن عبد العزيز بن السفر بن عفير بن زرعة بن سيف بن ذى يزن حدثنى أبى أبو يزن ابراهيم حدثنا عمى احمد بن محمد ابو

---

(١) كذا بالاصول ولم نجد هذا الشعر فى الدلائل ولا فى غيره من المراجع .

رواه به حدثنا عمى محمد بن عبد العزيز حدثنى عبد العزيز بن عفير عن أبيه عن زرعة بن سيف بن ذى يزن الحميرى قال لما ظهر جدى سيف بن ذى يزن على الحبشة . وذكره بطوله . وقال أبو بكر الخرائطى حدثنا أبو يوسف يعقوب بن اسحاق القلوسى حدثنا العلاء بن الفضل بن أبى سوية أخبرنى أبى عن أبيه عبد الملك بن أبى سوية عن جده أبى سوية عن أبيه خليفة قال سألت محمد بن عثمان بن ربيعة بن سواة ابن خثعم بن سعد فقلت كيف سماك أبوك محمداً ؟ فقال سألت أبي عما سألتنى عنه ، فقال خرجت رابع أربعة من بنى تميم أنا منهم ، وسفيان بن مجاشع بن دارم ، وأسامة بن مالك بن جندب بن العقيد ، ويزيد ابن ربيعة بن كنانة بن حربوص بن مازن ، ونحن نريد ابن جفنة ملك غسان فلما شارفنا الشام نزلنا على غدير عليه شجرات فتحدثنا فسمع كلامنا راهب ، فأشرف علينا فقال إن هذه لغة ما هى بلغة هذه البلاد فقلنا نعم نحن قوم من مضر ، قال من أى المضرين ؟ قلنا من خندف قال أما إنه سيبعث وشيكا نبى خاتم النبيين ، فسارعوا اليه وخذوا بحظكم منه ترشدوا . فقلنا له ما اسمه ؟ قال : اسمه محمد . قال فرجعنا من عند ابن جفنة فولد لكل واحد منا ابن فسماه محمداً . يعنى ان كل واحد منهم طمع فى أن يكون هذا النبى المبشر به ولده .

وقال الحافظ أبو بكر الخرائطى : حدثنا عبد الله بن أبى سعد حدثنا حازم بن عقال بن الزهر بن حبيب بن المنذر بن أبى الحصين بن السموأل بن عاديا حدثنى جابر بن جدان بن جميع بن عثمان بن سماك بن الحصين بن السموأل بن عاديا . قال لما حضرت الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر الوفاة اجتمع اليه قومه من غسان فقالوا إنه قد حضرك من أمر الله ما ترى وكنا نأمرك بالتزوج فى شبابك فتأبى وهذا أخوك الخزرج له خمسة بنين، وليس لك ولد غير مالك فقال : لن يهلك هالك ترك مثل مالك إن الذى يخرج النار من الوثيمة (١) قادر أن يجعل لمالك نسلا ورجالا بسلا وكل إلى الموت ثم أقبل على مالك وقال : أى بنى المنية ولا الدنية ، العقاب ولا العتاب ، التجلد ولا التلدد (٢) القبر خير من الفقر ، إنه من قل ذل ، ومن كر فر ، من كرم الكريم الدفع عن الحريم . و لدهر يومان فيوم لك ويوم عليك ، فاذا كان لك فلا تبطر ، وإذا كان عليك فاصطبر ، وكلاهما سينحسر ، ليس يثبت منهما الملك المتوج ، ولا اللئيم الملهج ، سلم ليومك حياك ربك ، ثم أنشأ يقول :

شهدتُ السبايا يومَ آلِ محرّقٍ   وأدركَ أمرى صيحةَ اللهِ فى الحِجْر

فلم أر ذا مُلكٍ من الناسِ واحداً   ولا سُوقةً إلا إلى الموتِ والقبر

فعلّ الذى أردى ثموداً وجُرهماً   سيعقِبُ لي نَسْلاً على آخر الدهر

---

(١) الوثيمة الحجارة ، يريد ما يكون من شرر إذا قدحت الحجارة بالزند .

(٢) فى الامالى لابى على القالى هذه القصة بسياق غير هذا وزيادة ونقصان .

تقرّبهم من آلِ عمرو بن عامرٍ   غيونٌ لدى الداعي إلى طَلَب الوِتْر
فان لم تكُ الايام أبلينَ جِدّتي   وشيّبن رأسي والمشيبُ مع العُمر
فانّ لنا رباً علا فوقَ عرشه   عَليماً بما يأتي من الخير والشر
ألم يأتِ قومي أن لله دعوةً   يفوزُ بها أهلُ السعادة والبر
إذا بُعثَ المبعوثُ من آل غالبٍ   بمكةَ فيما بين مكة والحِجْر
هنالك فابغوا نَصرَهُ ببلادكم   بني عامرٍ إن السعادةَ في النصر

قال ثم قضى من ساعته .

باب في هواتف الجان

وقد تقدم كلام شق وسطيح لربيعة بن نصر ملك اليمن فى البشارة بوجود رسول الله (ص) ، رسول ذكى يأتى اليه الوحى من قبل العلى . وسيأتى فى المولد قول سطيح لعبد المسيح : إذا كثرت التلاوة وغاضت بحيرة ساوة وجاء صاحب الهراوة يعنى بذلك رسول الله (ص) كما سيأتى بيانه مفصلا (١)

وقال البخارى حدثنا يحيى بن سليمان الجعفى حدثنى ابن وهب حدثنى عمرو ــ هو محمد بن زيد ــ أن سالماً حدثه عن عبدالله بن عمر قال ما سمعت عمر يقول لشيء قط إنى لأظنه إلا كان كما يظن . بينما عمر بن الخطاب جالس إذ مر به رجل جميل ، فقال لقد أخطأ ظنى أو إن هذا على دينه فى الجاهلية أو لقد كان كاهنهم ، علىّ الرجل ، فدعى به فقال له ذلك فقال : ما رأيت كاليوم استقبل به رجلا مسلماً . قال فانى أعزم عليك إلا ما أخبرتنى قال كنت كاهنهم فى الجاهلية ، قال فما أعجب ما جاءتك به جنيتك ؟ قال بينما أنا فى السوق يوماً جاءتنى أعرف فيها الفزع . فقالت :

ألم ترَ الجنّ وإبلاسَها   ويأسَها من بعدِ أنكاسِها؟
ولحوقها بالقلاص وأحلاسها

قال عمر صدق بينا أنا نائم عند آلهتهم جاء رجل بعجل فذبحه فصرخ به صارخ لم أسمع صارخاً قط أشد صوتاً منه يقول : ياجليح أمر نجيح ، رجل فصيح ، يقول لا إله إلا الله فوثب القوم ، فقلت لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا . ثم نادى ياجليح أمر نجيح ، رجل فصيح يقول لا إله إلا الله ، فقمت فما نشبنا أن قيل هذا نبى . تفرد به البخارى .

وهذا الرجل هو سواد بن قارب الأردى . ويقال السدوسى من أهل السراة من جبال البلقاء

(١) من أول الباب إلى هنا كله تفردت به النسخة الحلبية ولم ترد فى المصرية .

له صحبة ووفادة . قال أبو حاتم وابن منده روى عنه سعيد بن جبير ، وأبو جعفر محمد بن على ، وقال البخارى له صحبة . وهكذا ذكره فى أسماء الصحابة احمد بن روح البرذعى الحافظ ، والدارقطنى ، وغيرهما وقال الحافظ عبد الغنى بن سعيد المصرى سواد بن قارب بالتخفيف وقال عثمان الوقاصى عن محمد بن كعب القرظى كان من أشراف أهل اليمن ذكره أبو نعيم فى الدلائل . وقد روى حديثه من وجوه أخر مطولة بالبسط من رواية البخارى .

وقال محمد بن اسحاق : حدثنى من لا اتهم عن عبد الله بن كعب مولى عثمان بن عفان انه حدث أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بينما هو جالس فى الناس فى مسجد رسول الله (ص) اذ أقبل رجل من العرب داخل المسجد يريد عمر بن الخطاب . فلما نظر اليه عمر قال ان الرجل لعلى شركه ما فارقه بعد أو لقد كان كاهنا فى الجاهلية فسلم عليه الرجل ثم جلس ، فقال له عمر : هل اسلمت ؟ قال نعم يا أمير المؤمنين . قال فهل كنت كاهنا فى الجاهلية ؟ فقال الرجل سبحان الله يا أمير المؤمنين ، لقد خلت فىّ واستقبلتنى بأمر ما أراك قلته لأحد من رعيتك منذ وليت ما وليت . فقال عمر : اللهم غفرا قد كنا فى الجاهلية على شر من هذا نعبد الأصنام ونعتنق الأوثان حتى أكرمنا الله برسوله وبالاسلام . قال نعم والله يا أمير المؤمنين لقد كنت كاهنا فى الجاهلية قال فاخبرنى ما جاء به صاحبك . قال جاءنى قبل الاسلام بشهر أو شيعه [1] فقال : ألم تر الى الجن وابلاسها ، وإياسها من دينها ، ولحوقها بالقلاص واحلاسها .

قال ابن اسحاق : هذا الكلام سجع ليس بشعر . [قال عبد الله بن كعب] .

فقال عمر عند ذلك يحدث الناس : والله انى لعند وثن من أوثان الجاهلية فى نفر من قريش قد ذبح له رجل من العرب عجلا ، فنحن ننتظر قسمه ان يقسم لنا منه ، إذ سمعت من جوف العجل صوتا ما سمعت صوتا قط أشد منه ، وذلك قبل الاسلام بشهر أو شيعه يقول : يا ذريح أمر نجيح رجل يصيح يقول لا إله إلا الله . قال ابن هشام ويقال رجل يصيح بلسان فصيح يقول لا إله إلا الله قال وأنشدنى بعض أهل العلم بالشعر :

عجبت للجنّ وابلاسِها وشدِّها العيسَ بأحلاسِها
تهوي الى مكةَ تبغي الهدى ما مؤمنو الجنِّ كأنجاسِها

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا يحيى بن حجر بن النعمان الشامى حدثنا على بن منصور الأنبارى عن محمد بن عبد الرحمن الوقاصى عن محمد بن كعب القرظى . قال بينما عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذات يوم جالس إذ مر به رجل . فقيل يا أمير المؤمنين أتعرف هذا المار ؟ قال ومن هذا ؟ قالوا هذا سواد بن قارب الذى أتاه رئيه بظهور رسول الله (ص) قال فارسل اليه عمر . فقال له أنت سواد

---

(١) أى دونه بقليل ، وشيع كل شىء ماهو له تبع .

بن قارب قال نعم . قال فأنت على ما كنت عليـه من كهانتك ؟ قال فغضب . وقال ما استقبلنى بهذا أحد منذ أسلمت يا أمير المؤمنين ، فقال عمر يا سبحان الله ما كنا عليـه من الشرك أعظم مما كنت عليه من كهانتك ، فأخبرنى ما أنبأك رئيك بظهور رسول الله (ص.) ؟ قال نعم يا أمير المؤمنين بينما أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان إذ أتانى رئيى فضربنى برجله وقال قم ياسواد بن قارب ، واسمع مقالتى واعقل ان كنت تعقل، إنه قد بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته ثم أنشأ يقول :

عجبتُ للجنّ وتِطلابها ... وشدِّها العيسَ بأقتابها
تهوي إلى مكّةَ تبغي الهُدى ... ما صادقُ الجنّ كـكذّابها
فارحل إلى الصفوةِ من هاشمٍ ... ليسَ قُدامُاها كأذنابهـا

قال قلت دعنى أنام فأنى أمسيت ناعساً . قال فلما كانت الليلة الثانيـة أتانى فضربنى برجله وقال قم يا سواد بن قارب واسمع مقالتى ، واعقل إن كنت تعقل ، إنه بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته ، ثم أنشأ يقول :

عجبتُ للجنّ وتِجبارِها ... وشدُّها العيسَ بأكوارها
تهوي الى مكةَ تبغي الهدى ... مامؤمنو الجنّ ككفّارِها
فارحل إلى الصَفوةِ من هاشمٍ ... بينَ رَوابيهـا وأحجارها

قال قلت دعنى أنام ، فانى أمسيت ناعساً ، فلما كانت الليلة الثالثة أتانى فضربنى برجله . وقال : قم يا سواد بن قارب ، فاسمع مقالتى ، واعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو الى الله والى عبادته ثم أنشأ يقول :

عَجبتُ للجنّ وتِحساسِهـا ... وشدِّها العيسَ بأحلاسها
تهوي إلى مكةَ تبغي الهدى ... ما خيِّر الجنّ كأنجاسها
فارحل إلى الصفوة من هاشمٍ ... واسمُ بعينيكَ إلى راسِهـا

قال فقمت وقلت : قد امتحن الله قلبى ، فرحلت ناقتى ثم أتيت المدينة ـ يعنى مكة ـ فاذا رسول الله (ص.) فى أصحابه فدنوت فقلت : اسمع مقالتى يا رسول الله . قال هات فأنشأت أقول :

أتاني نجيّ بعدَ هَدْءٍ ورقْدةٍ ... ولم يكُ فيما قد تلوْتُ بكاذب
ثلاثَ ليـالٍ قولُه كلَّ ليلةٍ ... أتاكَ رسولٌ من لؤيّ بن غالب
فشمّرتُ عن ذيلي الازارَ ووسّطتْ ... بيَ الدعلبُ الوجْناءُ غُبْرَ السباسِب
فأشهدُ أنّ الله لا شيءَ غيرَه ... وأنكَ مأمونٌ على كلّ غالبِ
وأنك أدنى المرسَلين وَسيلةً ... إلى اللهِ يا ابنَ الأكرمين الأطايبِ

فمُرْنا بما يأتيك يا خيرَ من مشى   وإن كان فيما جاء شَيْبُ الذوائب
وكُنْ لى شفيعاً يومَ لاذو شفاعةٍ   سِواكَ بمغنٍ عن سوادِ بن قارب

قال ففرح رسول الله (ص) وأصحابه بمقالتى فرحاً شديداً ، حتى رؤى الفرح فى وجوههم . قال فوثب اليه عمر بن الخطاب فالتزمه وقال قد كنت أشتهى أن أسمع هذا الحديث منك فهل يأتيك رئيك اليوم ؟ قال أما منذ قرأت القرآن فلا ، ونعم العوض كتاب الله من الجن . ثم قال عمر : كنا يوماً فى حى من قريش يقال لهم آل ذريح وقد ذبحوا عجلالهم والجزار يعالجه ، إذ سمعنا صوتا من جوف العجل ـ ولا نرى شيئا ـ قال يا آل ذريح ، أمر نجيح صائح يصيح بلسان فصيح يشهد أن لا إله إلا الله ، وهذا منقطع من هذا الوجه ويشهد له رواية البخارى . وقد تساعدوا على أن السامع الصوت من العجل هو عمر بن الخطاب والله أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطى فى كتابه الذى جمعه فى هواتف الجان : حدثنا أبو موسى عمران بن موسى المؤدب حدثنا محمد بن عمران بن محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى حدثنا سعيد بن عبيد الله الوصابى عن أبيه عن أبى جعفر محمد بن على . قال : دخل سواد بن قارب السدوسى على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال نشدتك بالله ياسواد بن قارب ، هل تحسن اليوم من كهانتك شيئاً ؟ فقال : سبحان الله يا أمير المؤمنين ، ما استقبلت أحداً من جلسائك بمثل ما استقبلتنى به قال سبحان الله يا سواد ما كنا عليه من شركنا أعظم مما كنت عليه من كهانتك ، والله يا سواد لقد بلغنى عنك حديث إنه لعجيب من العجب ، قال إى والله يا أمير المؤمنين إنه لعجب من العجب . قال فحدثنيه قال كنت كاهناً فى الجاهلية ، فبينا أنا ذات ليلة نائم إذ أتانى نجيى فضربنى برجله . ثم قال يا سواد اسمع أقل لك ، قلت هات قال :

عجبتُ للجنّ وأنجاسها (١)   ورَحْلِها العيسَ بأحلاسها
تهوي إلى مكةَ تبغي الهدى   مامؤمنوها مثلُ أرجاسها
فارحلْ إلى الصفوةِ من هاشم   واسمُ بعينيكَ إلى رأسها

قال فنمت ولم أحفل بقوله شيئاً ، فلما كانت الليلة الثانية أتانى فضربنى برجله ثم قال لى قم يا سواد ابن قارب اسمع أقل لك ، قلت هات . قال :

عجبتُ للجنّ وتِطلابِها   وشدِّها العيسَ بأقتابها
تهوي إلى مكةَ تبغي الهدى   ما صادقُ الجنّ ككذابها
فارحلْ إلى الصفوة من هاشم   ليس المقاديمُ كأذنابها

---

(١) وفى المصرية وإنجاسها . وفى ابن هشام وإبلاسها .

قال فحرك قوله منى شيئاً ونمت فلما كانت الليلة الثالثة أتانى فضربنى برجله ثم قال يا سواد بن قارب أتعقل أم لا تعقل ؟ قلت وما ذاك ؟ قال ظهر بمكة نبى يدعو إلى عبادة ربه فالحق به ، اسمع اقل لك . قلت هات قال :

عجبتُ للجنِّ وتنفارِها ... ورَحْلِها العيسَ بأكوارِها

تهوي إلى مكةَ تبغي الهدى ... ما مؤمنو الجنِّ ككفارِها

فارحل إلى الصفوةِ من هاشمٍ ... بينَ روابيها وأحجارِها

قال فعلمت أن الله قد أراد بي خيراً . فقمت إلى بردة لى ففتقتها ولبستها ووضعت رجلى فى غرز ركاب الناقة . وأقبلت حتى انتهيت إلى النبى (ص) فعرض على الاسلام فأسلمت ، وأخبرته الخبر فقال « إذا اجتمع المسلمون فاخبرهم » فلما اجتمع المسلمون قمت فقلت :

أتاني نجيِّي بعدَ هَدْءٍ ورَقْدةٍ ... ولم يكُ فيما قد بَلَوْتُ بكاذبِ

ثلاثَ ليالٍ قولُه كلَّ ليلةٍ ... أتاك رسول من لؤيِّ بنِ غالب

فشمرتُ عن ذيلي الازارَ ووسَّطت ... بيَ الدعلبُ الوجناءُ غُبْرَ السباسب [1]

وأعلم أن اللهَ لا ربَّ غيرُه ... وأنك مأمونٌ على كلِّ غائب

وأنك أدنى المرسلين وسيلةً ... إلى الله يا ابنَ الأكرمينَ الأطايب

فمرْنا بما يأتيكَ يا خيرَ مرسَلٍ ... وإن كانَ فيما جاءَ شَيْبُ الذوائب [2]

قال فسر المسلمون بذلك ، فقال عمر هل تحس اليوم منها بشىء ؟ قال أما اذ علمنى الله القرآن فلا

وقد رواه محمد بن السائب الكلبى عن أبيه عن عمر بن حفص . قال لما ورد سواد بن قارب على عمر قال : يا سواد بن قارب ما بقى من كهانتك ؟ فغضب وقال ما أظنك يا أمير المؤمنين استقبلت أحداً من العرب بمثل هذا ، فلما رأى ما فى وجهه من الغضب ، قال : أنظر سوّاد للذى كنا عليه قبل اليوم من الشرك أعظم . ثم قال يا سواد حدثنى حديثاً كنت أشتهى أسمعه منك ، قال نعم ، بين أنا فى ابل لى بالسراة ليلا وأنا نائم وكان لى نجى من الجن أتانى فضربنى برجله فقال لى قم يا سواد بن قارب فقد ظهر بتهامة نبى يدعو الى الحق والى طريق مستقيم ، فذكر القصة كما تقدم وزاد فى آخر الشعر :

وكن لى شفيعا يوم لا ذو قرابة ... سواك بمغن عن سواد بن قارب [3]

---

(١) كذا فى الأصلين . والذى فى السهيلى :

رفعتُ اذيالَ الإزارِ وشمّرتْ ... بيَ العرمِسُ الوَجْناءُ جُولَ السَباسبِ

(٢) فى السهيلى : فمرنا بما يأتيكَ من وَحْيِ رَبِنا ... وانْ كانَ فيما جئتَ شَيْبُ النوائب

(٣) فى السهيلى : بمغنٍ فتيلاً عن سواد بن قارب .

فقال رسول الله (ص.): « مر فى قومك وقل هذا الشعر فيهم » ..

ورواه الحافظ ابن عساكر من طريق سليمان بن عبد الرحمن عن الحكم بن يعلى بن عطاء المحاربى عن عباد بن عبدالصمد عن سعيد بن جبير قال أخبرنى سواد بن قارب الازدى . قال : كنت نائما على جبل من جبال السراة فاتانى آت فضربنى برجله ـ وذكر القصة أيضاً .

ورواه أيضا من طريق محمد بن البراء عن أبى بكر بن عياش عن أبى إسحاق عن البراء . قال قال سواد بن قارب : كنت نازلا بالهند فجاءنى رئيى ذات ليلة فذكر القصة . وقال بعد انشاد الشعر الأخير فضحك رسول الله (ص.) حتى بدت نواجذه وقال : « أفلحت يا سواد » .

وقال أبو نعيم فى كتاب دلائل النبوة [١] حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا عبد الرحمن بن الحسن حدثنا على بن حرب حدثنا أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب عن أبيه عن عبد الله العمانى . قال كان منا رجل يقال له مازن بن العضوب يسدن صنما بقرية يقال لها سمايا ، من عمان ، وكانت تعظمه بنو الصامت وبنو حطامة ومهرة وهم اخوال مازن . أمه زينب بنت عبد الله بن ربيعة بن خويص [٢] أحد بنى نمران قال مازن : فعترنا يوما عند الصنم عتيرة ـ وهى الذبيحة [٣] ـ فسمعت صوتا من الصنم يقول : يامازن اسمع تسر ، ظهر خير وبطن شر ، بعث نبى من مضر ، بدين الله الاكبر ، فدع نحيتا من حجر . تسلم من حرسقر . قال ففزعت لذلك فزعاً شديداً . ثم عترنا بعد أيام عتيرة أخرى ، فسمعت صوتا من الصنم يقول : اقبل الى اقبل ، تسمع مالا تجهل ، هـذا نبى مرسل ، جاء بحق منزل ، فآمن به كى تعدل عن حر نار تشعل وقودها الجندل . قال مازن : فقلت إن هذا لعجب وان هذا لخير يراد بى وقدم علينا رجل من الحجاز فقلت ما الخبر وراءك ؟ فقال ظهر رجل يقال له أحمد ، يقول لمن أتاه أجيبوا داعى الله ، فقلت هـذا نبأ ما سمعت ، فثرت الى الصنم فكسرته جـذاذا وركبت راحلتى حتى قدمت على رسول الله (ص.) فشرح الله صدرى للاسلام ، فاسلمت ، وقلت :

كسّرتُ باجرَ [٤] أجذاذاً وكانَ لنا ... رَبّاً نُطيفُ به ضلّاً بتضلال

فالهاشميّ هَـدانا مِن ضَلالتنا ... ولم يكنْ دِينُه منّي على بال

يا راكباً بلّغنْ عَمْراً وإخوتَها ... إني لِمَنْ قالَ ربّيَ باجرْ قالي

يعنى بعمرو الصامت واخوتها حطامة . فقلت يا رسول الله إنى امرؤ مولع بالطرب وبالهلوك من النساء وشرب الخمر . وألحت علينا السنون فاذهبن الأموال واهزلن السرارى وليس لى ولد ، فادعو

---

(١) هذه القصة كانت مؤخرة فى الحلبية . (٢) فى الدلائل لابى نعيم حويص بالحاء المهملة .

(٣) شاة تذبح فى رجب أو ذبيحة تذبح للاصنام فيصب دمها على رأسها . من النهاية .

(٤) وفى الدلائل : باحرا بالحاء . نقلا عن محمود الامام .

الله أن يذهب عني ما أجد ويأتينا بالحيا ، ويهب لي ولدا فقال النبي (ص) : « اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن ، وبالحرام الحلال وبالاثم وبالعهر عفة وآته بالحيا وهب له ولدا » قال فاذهب الله عني ما أجد واخصبت عمان وتزوجت أربع حرائر وحفظت شطر القرآن ، ووهب لي حيان بن مازن وأنشأ يقول :

اليكَ رسولَ الله خبّتْ مطيتي　　تجوبُ الفيافي من عمان الى العرج

لتشفع لي ياخير من وطئ الحصى　　فيغفرلي ربي فأرجعَ بالفَلَج

الى معشرٍ خالفتُ في الله دينَهم　　فلارأيهم رأيي ولاشَرْجُهم شرجي

وكنتَ امرءا بالخمر والعهرِ مولعاً　　شبابيَ حتى آذنَ الجسمَ بالنهج

فبدّلني بالخمر خوفاً وخشيةً　　وبالعهرِ إحصاناً فحصّن لي فرجي

فاصبحت همّي في الجهاد ونيّتي　　فلله ماصومي ولله ما حجّي

قال فلما أتيت قومي انبوني وشتموني ، وامروا شاعرا لهم فهجاني ، فقلت إن رددت عليه فانما اهجو نفسي . فرحلت عنهم فأتتني منهم زلفة عظيمة وكنت القيم بامورهم فقالوا يا ابن عم : عبنا عليك أمرا وكرهنا ذلك فان أبيت ذلك فارجع وقم بأمورنا وشأنك وما تدين به . فرجعت معهم وقلت :

لَبغضكمُ عندنا مُرٌّ مذاقته　　وبغضنا عندكم يا قومَنا لَبَنَ

لا يفطن الدهرَ ان بُثّتْ معائبكم　　وكلّكم حينَ يُثنى عيبُنا فطِن

شاعرنا مفحَم عنكم وشاعرُكم　　في حدبنا مبلغٌ في شتمنا لَسِن

ما في القلوب عليكم فاعلموا وغر　　وفي قلوبكم البغضاءُ والإحَن

قال مازن : فهداهم الله بعد الى الاسلام جميعا .

وروى الحافظ أبو نعيم من حديث عبدالله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله قال إن أول خبر كان بالمدينة بمبعث رسول الله (ص) ان امرأة بالمدينة كان لها تابع من الجن ، فجاء في صورة طائر أبيض فوقع على حائط لهم ، فقالت له لم لا تنزل الينا فتحدثنا ونحدثك ، وتخبرنا ونخبرك ؟ فقال لها إنه قد بعث نبي بمكة حرم الزنا ومنع منا القرار .

وقال الواقدي : حدثني عبدالرحمن بن عبدالعزيز عن الزهري عن علي بن الحسين . قال : ان أول خبر قدم المدينة عن رسول الله (ص) ان امرأة تدعى فاطمة كان لها تابع ، فجاءها ذات يوم ، فقام على الجدار فقالت ألا تنزل ؟ فقال لا انه قد بعث الرسول الذي حرم الزنا .

وارسله بعض التابعين أيضاً وسماه بابن لوذان وذكر انه كان قد غاب عنها مدة ، ثم لما قدم عاتبته فقال اني جئت الرسول فسمعته يحرم الزنا فعليك السلام .

وقال الواقدي : حدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة . قال قال عثمان بن عفان :

خرجنا فى عير الى الشام - قبل أن يبعث رسول الله (ص) - فلما كنا بأفواه الشام - وبها كاهنة - فتعرضتنا ، فقالت أتانى صاحبى فوقف على بابى ؛ فقلت ألا تدخل فقال لا سبيل الى ذلك ، خرج أحمد وجاء أمر لا يطاق ، ثم انصرفت فرجعت الى مكة فوجدت رسول الله (ص) قد خرج بمكة يدعو الى الله عز وجل

وقال الواقدى : حدثنى محمد بن عبد الله الزهرى . قال : كان الوحى يسمع فلما كان الاسلام منعوا وكانت امرأة من بنى أسد يقال لها سميرة لها تابع من الجن ، فلما رأى الوحى لا يستطاع أتاها فدخل فى صدرها فضج فى صدرها فذهب عقلها فجعل يقول من صدرها : وضع العناق ومنع الرفاق وجاء أمر لا يطاق واحمد حرم الزنا .

وقال الحافظ أبو بكر الخرائطى : حدثنا عبد الله بن محمد البلوى - بمصر - حدثنا عمارة بن زيد حدثنا عيسى بن يزيد عن صالح بن كيسان عمن حدثه عن مرداس بن قيس السدوسى قال حضرت النبى (ص) - وقد ذكرت عنده الكهانة وما كان من تغييرها عند مخرجه - فقلت يا رسول الله قد كان عندنا فى ذلك شىء أخبرك أن جارية منا يقال لها الخلصة لم يعلم عليها إلا خيراً ، إذ جاءتنا فقالت يا معشر دوس العجب العجب لما أصابنى ، هل علمتم إلا خيراً ؟ قلنا وما ذاك ؟ قالت انى لفى غنمى إذ غشيتنى ظلمة ووجدت كحس الرجل مع المرأة فقد خشيت أن أكون قد حبلت . حتى إذا دنت ولادتها وضعت غلاما أغضف له أذنان كاذنى الكلب فمكث فينا حتى انه ليلعب مع الغلمان اذ وثب وثبة والقى إزاره وصاح بأعلى صوته وجعل يقول : يا ويلة يا ويلة ، ياعولة ياعولة ، يا ويل غنم ، ياويل فهم ، من قابس النار . الخيل والله وراء العقبة ، فيهن فتيان حسان نجبة . قال فركبنا وأخذنا للاداة وقلنا يا ويلك ما ترى فقال [هل] من جارية طامث فقلنا ومن لنا بها ؟ فقال شيخ منا هى والله عندى عفيفة الأم فقلنا فعجلها فأتى بالجارية وطلع الجبل وقال للجارية اطرحى ثوبك واخرجى فى وجوههم ، وقال للقوم اتبعوا أثرها ، وقال لرجل منا يقال له احمد بن حابس يا احمد بن حابس عليك أول فارس . فحمل احمد فطعن أول فارس فصرعه وانهزموا فغنمناهم . قال فابتنينا عليهم بيتاً وسميناه ذا الخلصة ، وكان لا يقول لنا شيئاً إلا كان كما يقول حتى إذا كان مبعثك يا رسول الله قال لنا يوماً يامعشر دوس نزلت بنوا الحارث بن كعب فركبنا فقال لنا أكدسوا الخيل كدساً ، أحشوا القوم رمسا ، أنفوهم غدية واشربوا الخمر عشية . قال فلقيناهم فهزمونا وغلبونا فرجعنا اليه فقلنا ما حالك وما الذى صنعت بنا فنظرنا اليه وقد احمرت عيناه وانتصبت أذناه وانبرم غضبانا حتى كاد أن ينفطر وقام فركبنا واغتفرنا هذه له ومكثنا بعد ذلك حينا ثم دعانا فقال هل لكم فى غزوة تهب لكم عزا وتجعل لكم حرزاً ويكون فى أيديكم كنزا ؟ فقلنا ما أحوجنا إلى ذلك فقال اركبوا فركبنا فقلنا ما تقول فقال بنو الحارث بن مسلمة ؛ ثم قال قفوا فوقفنا

ثم قال عليكم بفهم ، ثم قال ليس لكم فيهم دم،عليكم بمضرهم أرباب خيل ونعم ثم قال لا ، رهط دريد ابن الصمة قليل العدد وفى الذمة ثم قال لا ، ولكن عليكم بكعب بن ربيعة وأسكنوها ضيعة عامر بن صعصعة فليكن بهم الوقيعة قال فلقيناهم فهزمونا وفضحونا فرجعنا وقلنا ويلك ماذا تصنع بنا قال ما أدرى كذبنى الذى كان يصدقنى . أسجنونى فى بيتى ثلاثا ثم ائتونى ففعلنا به ذلك ثم أتيناه بعد ثالثة ففتحنا عنه فاذا هو كأنه حجرة نار ، فقال يا معشر دوس حرست السماء وخرج خير الأنبياء قلنا أين ؟ قال بمكة وأنا ميت فادفنونى فى رأس جبل فانى سوف أضطرم ناراً وإن تركتمونى كنت عليكم عاراً فاذا رأيتم اضطرامى وتلهبى فاقذفونى بثلاثة أحجار ثم قولوا مع كل حجر بسمك اللهم فانى أهدى وأطفى . قال وإنه مات فاشتعل ناراً ففعلنا به ما أمر وقد قذفناه بثلاثة أحجار نقول مع كل حجر بسمك اللهم فخمد وطفى وأقمنا حتى قدم علينا الحاج فاخبرونا بمبعثك يا رسول الله . غريب جداً . وروى الواقدى عن أبيه عن ابن أبى ذئب عن مسلم بن جندب عن النضر بن سفيان الهذلى عن أبيه . قال : خرجنا فى عير لنا إلى الشام فلما كنا بين الزرقا ومعان قد عرسنا من الليل فاذا بفارس يقول وهو بين السماء والأرض : أيها النيام هبوا فليس هذا بحين رقاد قد خرج أحمد فطردت الجن كل مطرد ففزعنا ونحن رفقة حزورة كلهم قد سمع بهذا فرجعنا إلى أهلنا فاذا هم يذكرون اختلافاً بمكة بين قريش فى نبى قد خرج فيهم من بنى عبد المطلب اسمه احمد . ذكره أبو نعيم . وقال الخرائطى : حدثنا عبد الله بن محمد البلوى ـ بمصر ـ حدثنا عمارة بن زيد حدثنى عبد الله بن العلاء حدثنى يحيى بن عروة عن أبيه أن نفراً من قريش منهم ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى وزيد بن عمرو بن نفيل وعبد الله بن جحش بن رئاب وعثمان بن الحويرث كانوا عند صنم لهم يجتمعون اليه قد اتخذوا ذلك اليوم من كل سنة عيداً كانوا يعظمونه وينحرون له الجزور ثم يأكلون ويشربون الخمر ويعكفون عليه فدخلوا عليه فى الليل فرأوه مكبوباً على وجهه ، فأنكروا ذلك فأخذوه فردوه إلى حاله ، فلم يلبث أن انقلب انقلاباً عنيفاً ، فأخذوه فردوه إلى حاله فانقلب الثالثة فلما رأوا ذلك اغتموا له وأعظموا ذلك . فقال عثمان بن الحويرث ماله قد أكثر التنكس إن هذا لامر قد حدث وذلك فى الليلة التى ولد فيها رسول الله (ص) فجعل عثمان يقول :

أيا صنمَ العيدِ الذي صُفَّ حولَه ... صَناديدُ وَفدٍ من بعيدٍ ومن قُرْبِ
تنكّستَ مغلوباً فما ذاكَ قُلْ لنا ... أذاكَ سفيهٌ أم تنكَّستَ للعَتْبِ
فإن كانَ من ذَنْبٍ أتينا فإننا ... نَبوءُ بإقرارٍ ونَلوي عَنِ الذَنْبِ
وإنْ كنتَ مغلوباً ونُكّستَ صاغراً ... فما أنتَ في الأوثانِ بالسيِّدِ الربِّ

قال فأخذوا الصنم فردوه إلى حاله فلما استوى هتف بهم هاتف من الصنم بصوت جهير وهو يقول :

تردّى لمولودٍ أنارتْ بنورهِ جميعُ فجاجِ الأرضِ فى الشّرقِ والغربِ
وخرّت له الأوثانُ طراً وأرعدتْ قلوبُ ملوكِ الأرضِ طرّاً من الرعْبِ
ونارُ جميعِ الفُرْسِ باختْ وأظلمت وقد باتَ شاهُ الفرسِ فى أعظمِ الكَرْبِ
وصدّتْ عن الكهانِ بالغيبِ جنّها فلا مخبرٌ عنهم بحقٍّ ولا كذْبِ
فيا لقصيٍّ ارجعوا عن ضلالِكم وهبّوا إلى الإسلامِ والمنزلِ الرحبِ

قال فلما سمعوا ذلك خلصوا نجيا فقال بعضهم لبعض تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض ، فقالوا أجل ، فقال لهم ورقة بن نوفل تعلمون والله ما قومكم على دين ولقد اخطئوا الحجة وتركوا دين ابراهيم ما حجر تطيفون به لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر يا قوم التمسوا لأنفسكم الدين . قال فخرجوا عند ذلك يضربون فى الأرض ويسألون عن الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام فأما ورقة بن نوفل فتنصر وقرأ الكتب حتى علم علماً وأما عثمان بن الحويرث فسار إلى قيصر فتنصر وحسنت منزلته عنده وأما زيد بن عمرو بن نفيل فأراد الخروج فحبس ثم إنه خرج بعد ذلك فضرب فى الأرض حتى بلغ الرقة من أرض الجزيرة فلقى بها راهباً عالما فأخبره بالذى يطلب فقال له الراهب إنك لتطلب ديناً ما تجد من يحملك عليه ، ولكن قد أظلك زمان نبى يخرج من بلدك يبعث بدين الحنيفية فلما قال له ذلك رجع يريد مكة فغارت عليه لخم فقتلوه ، وأما عبد الله بن جحش فأقام بمكة حتى بعث النبى (ص.) ثم خرج مع من خرج إلى أرض الحبشة ، فلما صار بها تنصر وفارق الاسلام فكان بها حتى هلك هنالك نصرانياً . تقدم فى ترجمة زيد بن عمر بن نفيل له شاهد .

وقد قال الخرائطى : حدثنا أحمد بن اسحاق بن صالح أبو بكر الوزاق حدثنا عمرو بن عثمان حدثنى أبى حدثنا عبد الله بن عبد العزيز حدثنى محمد بن عبدالعزيز عن الزهرى عن عبدالرحمن بن أنس السلمى عن العباس بن مرداس انه كان يعر فى لقاح له نصف النهار إذ طلعت عليه نعامة بيضاء عليها راكب عليه ثياب بياض مثل اللبن فقال : ياعباس بن مرداس ألم تر أن السماء قد كفت احراسها ، وان الحرب تجرعت انفاسها ، وان الخيل وضعت احلاسها ، وان الذى نزل بالبر والتقوى ، يوم الاثنين ليلة الثلاثاء ، صاحب الناقة القصوى قال فرجعت مرعوبا قد راعنى ما رأيت وسمعت حتى جئت وثناً لنا يدعى الضماد وكنا نعبده ونكلم من جوفه فكنست ما حوله ثم تمسحت به وقبلته فاذا صائح من جوفه يقول :

قلْ للقبائلِ من سليمٍ كلّها هلكَ الضمادُ وفازَ أهلُ المسجدِ
هلكَ الضمادُ وكانَ يُعبَدُ مرّةً قبلَ الصلاةِ مع النبيِّ محمدِ
إنّ الذي ورثَ النبوّةَ والهدى بعدَ ابنِ مريمَ من قريشٍ مهتدِ

قال فخرجت مرعوبا حتى أتيت قومى فقصصت عليهم القصة واخبرتهم الخبر وخرجت فى ثلاثمائة

من قومى بنى حارثة الى رسول الله (ص) وهو بالمدينة فدخلنا المسجد فلما رآنى رسول الله (ص) قال لى: « ياعباس كيف كان اسلامك » ؟ فقصصت عليه القصة . قال فسر بذلك واسلمت أنا وقومى. ورواه الحافظ أبو نعيم فى الدلائل من حديث أبي بكر بن أبي عاصم عن عمرو بن عثمان به . ثم رواه أيضا من طريق الاصمعى حدثنى الوصافى عن منصور بن المعتمر عن قبيصة بن عمرو بن اسحاق الخزاعى عن العباس بن مرداس السلمى . قال: أول اسلامى ان مرداساً أبي لما حضرته الوفاة أوصانى بصنم له يقال ضماد فجعلته فى بيت وجعلت آتيه كل يوم مرة فلما ظهر النبى (ص) سمعت صوتا مرسلا فى جوف الليل راعنى فوثبت الى ضماد مستغيثا وإذا بالصوت من جوفه وهو يقول :

قل للقبيلة من سليم كلها ... هلك الانيس وعاش أهل المسجد

أودى ضماد وكان يعبد مرة ... قبل الكتاب الى النبى محمد

ان الذى ورث النبوة والهدى ... بعد ابن مريم من قريش مهتد

قال فكتمته الناس فلما رجع الناس من الأحزاب بينا انا فى ابلى بطرف العقيق من ذات عرق راقداً سمعت صوتا واذا برجل على جناح نعامة وهو يقول : النور الذى وقع ليلة الثلاثاء مع صاحب الناقة العضباء فى ديار اخوان بنى العنقاء ، فاجابه هاتف من شماله وهو يقول :

بَشِّرِ الجنّ وابلاسَها ... أن وضَعت المطيّ أحلاسَها

وكَلأتِ السماءُ أحراسَها

قال فوثبت مذعوراً وعلمت ان محمداً مرسل ، فركبت فرسى واحتثثت السير حتى انتهيت اليه فبايعته ثم انصرفت الى ضماد فاحرقته بالنار ثم رجعت الى رسول الله (ص) فانشدته شعراً أقول فيه :

لعمرُكَ انى يومَ أجعلُ جاهلاً ... ضماداً لربّ العالمين مشاركا

وتركي رسولَ الله والأوسَ حوله ... أولئك أنصارٌ له ما أولئكا

كتاركِ سهلِ الارض والحَزْن يبتغي ... ليسلكَ فى وَعْثِ الامور المسالكا

فآمنتُ بالله الذي أنا عبدهُ ... وخالفتُ من أمسَى يريد المهالكا

ووجّهتُ وجهي نحو مكةَ قاصداً ... أبايع نبيّ الاكرمين المباركا

نبيّ أتانا بعدَ عيسى بناطقٍ ... من الحقّ فيه الفصلُ فيه كذلكا

أمينٌ على القرآنِ أولُ شافعٍ ... وأولُ مبعوثٍ يجيبُ الملائكا

تلافَى عُرى الاسلام بعدَ انتقاضِها ... فأحكمَها حتى أقام المناسكا

عنيتُكَ يا خيرَ البريّة كلّها ... توسطتَ فى الفرعَين والمجدِ مالكا

وانتَ المصفّى من قريشٍ اذا سمَتْ ... على ضمرها تبقى القرون المباركا

إذا انتسبَ الحيّانِ كعبٌ ومالكٌ وجدناك محضاً والنساءَ العواركا

قال الخرائطى : وحدثنا عبد الله بن محمد البلوى بمصر حدثنا عمارة بن زيد حدثنا اسحاق بن بشر وسلمة بن الفضل عن محمد بن اسحاق حدثنى شيخ من الانصار يقال له عبد الله بن محمود من آل محمد ابن مسلمة قال بلغنى أن رجالا من خثعم كانوا يقولون ان مما دعانا الى الاسلام انا كنا قوما نعبد الاوثان فبينا نحن ذات يوم عند وثن لنا إذ أقبل نفر يتقاضون اليه يرجون الفرج من عنده لشئ شجر بينهم إذ هتف بهم هاتف يقول :

يا أيها الناسُ ذوو الاجسام	من بين اشياخٍ الى غلام
ما أنتمُ وطائشُ الأحلام	ومسندُ الحُكمِ الى الاصنام
أكلكم فى حيرةٍ نيام	أم لا ترَوْن ماالذي أمامي
من ساطع يجلو دُجى الظلام	قد لاحَ للناظر من تِهام
ذاك نبيٌّ سيّدُ الأنام	قد جاء بعد الكفر بالاسلام
أكرمه الرحمنُ من امام	ومن رسولٍ صادق الكلام
أعدلُ ذي حكمٍ من الاحكام	يأمرُ بالصلاة والصيام
والبِر والصِّلاتِ للأرحام	ويزجرُ الناسَ عن الآثام
والرجسِ والاوثانِ والحرام	من هاشمٍ فى ذِرْوة السَّنام

مستعلنا فى البلد الحرام

قال فلما سمعنا ذلك تفرقنا عنه وآتينا النبى (ص) فاسلمنا .

وقال الخرائطى : حدثنا عبدالله البلوى حدثنا عمارة حدثنى عبيدالله بن العلاء حدثنا محمد بن عكبر عن سعيد بن جبير أن رجلا من بنى تميم يقال له رافع بن عمير ـ وكان أهدى الناس للطريق واسراهم بليل ، وأهجمهم على هول ، وكانت العرب تسميه لذلك دعموص العرب لهدايته وجراءته على السير ـ فذكر عن بدء إسلامه قال إنى لأسير برمل عالج ذات ليلة إذ غلبنى النوم فنزلت عن راحلتى و انختها وتوسدت ذراعها ونمت وقد تعوذت قبل نومى فقلت أعوذ بعظيم هذا الوادى من الجن من أن أوذى أو أهاج فرأيت فى منامى رجلا شاباً يرصد ناقتى وبيده حربة يريد أن يضعها فى نحرها ، فانتبهت لذلك فزعاً فنظرت يميناً وشمالا فلم أر شيئاً ، فقلت هذا حلم ثم عدت فغفوت فرأيت فى منامى مثل رؤياى الأولى فانتبهت فدرت حول ناقتى فلم أر شيئاً وإذا ناقتى ترعد ، ثم غفوت فرأيت مثل ذلك فانتبهت فرأيت ناقتى تضطرب والتفت فاذا أنا برجل شاب كالذى رأيت فى المنام بيده حربة ورجل شيخ ممسك بيده يرده عنها وهو يقول :

يامالكَ بنَ مُهلهِلِ بنِ دِثَارِ مهلاً فدىً لك مئزري وإزاري
عَن ناقةِ الأنسيِّ لا تعرِضْ لها واخترْ بها ما شئتَ من أثواري
ولقد بَدا ليَ منكَ ما لم أحتسِبْ ألا رَعَيتَ قرابتي وذِماري
تسمو إليهِ بِحَرْبةٍ مسمومةٍ تَبًّا لِفِعلِكَ يا أبا الغفَار
لولا الحياءُ وأنَّ أهلَكَ جيرةٌ لَعُلِمتَ ما كشَّفتَ من أخباري

قال فأجابه الشاب وهو يقول :

أأردتَ أن تعلو وتخفضَ ذِكرَنا في غيرِ مُزريةٍ أبا العيزار
مَاكانَ فيهمْ سيد فيما مضى إن الخيارَ هُمو بنو الأخيار
فاقصِدْ لقصدِكَ يامُعَكبرُ إنما كانَ المجيرُ مُهلهِلَ بنَ دِثار

قال فبينما هما يتنازعان إذ طلعت ثلاثة اثوار من الوحش فقال الشيخ للفتى قم ياابن أخت فخذ أيها شئت فداء لناقة جارى الانسى ، فقام الفتى فاخذ منها ثوراً وانصرف . ثم التفت الى الشيخ فقال ياهذا إذا نزلت واديا من الاودية فخفت هوله فقل أعوذ بالله رب محمد من هول هذا الوادى ولا تعذ بأحد من الجن فقد بطل أمرها قال فقلت له ومن محمد هذا ؟ قال نبى عربى لا شرق ولا غربى بعث يوم الاثنين . قلت وابن مسكنه قال يثرب ذات النخل . قال فركبت راحلتى حين برق لى الصبح وجددت السير حتى تقحمت المدينة فرآنى رسول الله (ص.) فحدثنى بحديثى قبل ان أذكر له منه شيئا ودعانى الى الاسلام فاسلمت .قال سعيد بن جبير وكنا نرى أنه هو الذى أنزل الله فيه (وإنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) وروى الخرائطى من طريق ابراهيم بن اسماعيل بن حماد بن أبى حنيفة عن داود بن الحسين عن عكرمة عن ابن عباس عن على . قال : إذا كنت بواد تخاف السبع فقل أعوذ بدانيال والجب ، من شر الأسد . وروى البلوى عن عمارة بن زيد عن ابراهيم بن سعد عن محمد بن اسحاق حدثنى يحيى بن عبد الله بن الحارث عن أبيه عن ابن عباس قصة قتال على الجن بالبئر ذات العلم التى بالجحفة حين بعثه رسول الله (ص.) يستقى لهم الماء فارادوا منعه وقطعوا الدلو فنزل اليهم ، وهى قصة مطولة منكرة جدا والله أعلم .

وقال الخرائطى : حدثنى أبو الحارث محمد بن مصعب الدمشقى وغيره حدثنا سليمان ابن بنت شرحبيل الدمشقى حدثنا عبد القدوس بن الحجاج حدثنا خالد بن سعيد عن الشعبى عن رجل قال كنت فى مجلس عمر بن الخطاب وعنده جماعة من أصحاب النبى (ص.) يتذاكرون فضائل القرآن فقال بعضهم خواتيم سورة النحل ، وقال بعضهم سورة يس ، وقال على فأين أنتم عن فضيلة آية الكرسى أما إنها سبعون كلمة فى كل كلمة بركة . قال وفى القوم عمرو بن معدى كرب لا يحير جوابا ، فقال أين أنتم عن

بسم الله الرحمن الرحيم ؟ فقال عمر حدثنا يا أبا ثور . قال بينا أنا فى الجاهلية إذ جهدنى الجوع فأقحمت فرسى فى البرية فما أصبت الا بيض النعام ، فبينا أنا أسير اذا أنا بشيخ عربى فى خيمة ، والى جانبه جارية كأنها شمس طالعة ومعه غنيمات له ، فقلت له استأسر ثكلتك أمك . فرفع رأسه الى وقال يا فتى ان أردت قرى فانزل وان أردت معونة اعناك . فقلت له أستأسر فقال :

عَرَضْنا عَليكَ النَّزْلَ منّا تَكرُّماً　　فَلم ترعوي جَهْلاً كَفِعل الأَشائم

وَجِئتَ بِبُهتانٍ وزورٍ ودونَ ما　　تُمَنّيه بالبيضِ حزُّ الغلاصِم

قال ووثب الى وثبة وهو يقول : بسم الله الرحمن الرحيم . فكأني مثلت تحته . ثم قال اقتلك أم أخلى عنك ؟ قلت بل خل عنى قال فخلى عنى . ثم ان نفسى جاذبتنى بالمعاودة . فقلت استأسر ثكلتك أمك فقال :

بِبسم اللهِ والرَّحمنِ فُزْنا　　هُنالكَ والرحيمُ به قَهَرْنا

وما تُغني جَلادَةُ ذي حِفاظٍ　　اذا يوماً لمعركةٍ بَرزْنا

ثم وثب لى وثبة كأنى مثلت تحته . فقال أقتلك أم اخلى عنك ؟ قال قلت بل خل عنى . فخلى عنى فانطلقت غير بعيد . ثم قلت فى نفسى يا عمرو أيقهرك هذا الشيخ . والله للموت خير لك من الحياة ، فرجعت اليه فقلت له استأسر ثكلتك أمك . فوثب الىّ وثبة وهو يقول بسم الله الرحمن الرحيم فكأنى مثلت تحته ، فقال أقتلك أم أخلى عنك ؟ قلت بل خل عنى فقال هيهات ، ياجارية إئتينى بالمدية فأتته بالمدية فجز ناصيتى وكانت العرب إذا ظفرت برجل فجزت ناصيته استعبدته ، فكنت معه أخدمه مدة . ثم انه قال يا عمرو أريد أن تركب معى البرية وليس بى منك وجل ، فانى ببسم الله الرحمن الرحيم لواثق قال فسرنا حتى أتينا واديا أشبا مهولا مغولا . فنادى باعلى صوته بسم الله الرحمن الرحيم . فلم يبق طير فى وكره الا طار . ثم أعاد القول فلم يبق سبع فى مربضه الا هرب ، ثم أعاد الصوت فاذا نحن بحبشى قد خرج علينا من الوادى كالنخلة السحوق ، فقال لى يا عمرو اذا رأيتنا قد اتحدنا فقل غلبه صاحبى بسم الله الرحمن الرحيم . قال فلما رأيتهما قد اتحدا قلت غلبه صاحبى باللات والعزى فلم يصنع الشيخ شيئاً ، فرجع الى وقال قد علمت انك قد خالفت قولى . قلت أجل ولست بعائد ، فقال إذا رأيتنا قد اتحدنا فقل غلبه صاحبى ببسم الله الرحمن الرحيم ، فقلت أجل فلما رأيتهما قد اتحدا قلت غلبه صاحبى ببسم الله الرحمن الرحيم ، فاتكأ عليه الشيخ فبعجه بسيفه فاشتق بطنه فاستخرج منه شيئاً كهيئة القنديل الاسود ثم قال ياعمرو هذا غشه وغله . ثم قال اتدرى من تلك الجارية ؟ قلت لا ، قال تلك الفارعة بنت السليل الجرهمى من خيار الجن . وهؤلاء أهلها بنو عمها يغزونى منهم كل عام رجل ينصرنى الله عليه ببسم الله الرحمن الرحيم . ثم قال قد رأيت ما كان منى الى الحبشى . وقد غلب على الجوع فائتنى بشىء آكله ،

فاقحمت بفرسى البرية فما اصبت الابيض النعام ، فاتيته به فوجدته نائما ، واذا تحت رأسه شيء كهيئة الخشبة ، فاستللته فاذا هو سيف عرضه شبر فى سبعة أشبار ، فضربت ساقيه ضربة أبنت الساقين مع القدمين ، فاستوى على قفا ظهره وهو يقول قاتلك الله ما اغدرك يا غدار . قال عمر: ثم ماذا صنعت ؟ قلت فلم أزل أضربه بسيفي حتى قطعته إربا إربا . قال فوجم لذلك ثم أنشأ يقول :

بالغدرِ نلتَ أخا الإسلام عن كثَبٍ ... ما إنْ سمعتُ كذا فى سالفِ العربِ

والعُجْمُ تأنفُ مما جئتَه كرماً ... تباً لما جئتَه فى السيّد الأرِبِ

اني لأعجبُ أني نِلتَ قتلتَهُ ... أم كيفَ جازاكَ عندَ الذنبِ لم تذِبِ ؟

قِرْمٌ عفا عنكَ مرّاتٍ وقد عَلِقت ... بالجسمِ منكَ يداهُ موضعَ العَطَبِ

لو كنتَ آخذَ في الاسلام ما فعلوا ... فى الجاهلية أهلُ الشركِ والصُلُبِ

اذاً لنالتْكَ من عدليَّ مُشطَّبة ... تدعو لذائقِها بالويلِ والحَرَبِ

قال ثم ما كان من حال الجارية ؟ قلت ثم إني أتيت الجارية . فلما رأتنى قالت ما فعل الشيخ قلت قتله الحبشى ، فقالت كذبت بل قتلته أنت بغدرك ثم انشأت تقول :

ياعينُ جُودي للفارسِ المغوارِ ... ثم جُودي بوا كفاتٍ غِزار

لا تملّي البكاءَ إذ خانكِ الد ... هرُ بوافٍ حقيقةٍ صبار

وتقيٍّ وذي وَقارٍ وحِلْمٍ ... وعديلِ الفَخار يومَ الفَخار

لهفَ نفسي على بقائِك عمرو ... أسلمتْكَ الأعمارُ للأقدار

ولعمري لولم تَرمْهُ بغدرٍ ... رُمتَ ليثاً كصارمٍ بتّارِ

قال فأحفظنى قولها فاستللت سيفي ودخلت الخيمة لا قتلها فلم أر فى الخيمة أحداً فاستقت الماشية وجئت الى أهلى . وهذا أثر عجيب . والظاهر أن الشيخ كان من الجان وكان ممن أسلم وتعلم القرآن ، وفيما تعلمه بسم الله الرحمن الرحيم . وكان يتعوذ بها .

وقال الخرائطى: حدثنا عبد الله بن محمد البلوى حدثنا عمارة بن زيد قال حدثنى عبد الله بن العلاء عن هشام بن عروة عن أبيه عن جدته اسماء بنت أبى بكر قالت: كان زيد بن عمرو بن نفيل ، وورقة بن نوفل يذكران انهما اتيا النجاشى بعد رجوع أبرهة من مكة ، قالا فلما دخلنا عليه قال لنا أصدقانى أيها القرشيان هل ولد فيكم مولود أراد أبوه ذبحه فضرب عليه بالقداح فسلم ونحرت عنه ابل كثيرة ؟ قلنا نعم . قال فهل لكما علم به ما فعل ؟ قلنا تزوج امرأة يقال لها آمنة بنت وهب تركها حاملا وخرج قال فهل تعلمان ولد أم لا ؟ قال ورقة بن نوفل أخبرك أيها الملك أنى ليلة قد بت عند وثن لنا كنا نطيف به ، ونعبده إذ سمعت من جوفه هاتفا يقول :

وُلد النبيّ فقلّت الأملاك ونأى الضلالُ وأدبر الإشراك

ثم انتكس الصنم على وجهه . فقال زيد بن عمرو بن نفيل عندى كخبره أيها الملك . قال هات قال أنا فى مثل هذه الليلة التى ذكر فيها حديثه خرجت من عند أهلى وهم يذكرون حمل آمنة حتى أتيت جبال أبى قبيس أريد الخلو فيه لأمر رابنى إذ رأيت رجلا نزل من السماء له جناحان أخضران ، فوقف على أبى قبيس ثم أشرف على مكة فقال : ذل الشيطان وبطلت الأوثان ولد الأمين . ثم نشر ثوباً معه وأهوى به نحو المشرق والمغرب فرأيته قد جلل ما تحت السماء وسطع نور كاد أن يختطف بصرى وهالنى ما رأيت . وخفق الهاتف بجناحيه حتى سقط على الكعبة . فسطع له نور أشرقت له تهامة . وقال : ذكت الأرض وأدت ربيعها . وأومأ إلى الأصنام التى كانت على الكعبة فسقطت كلها . قال النجاشى ويحكما أخبركما عما أصابنى ، إنى لنائم فى الليلة التى ذكرتما فى قبة وقت خلوتى ، إذ خرج على من الأرض عنق ورأس ، وهو يقول حل الويل بأصحاب الفيل ، رمتهم طير أبابيل ، بحجارة من سجيل هلك الأشرم المعتدى المجرم ، وولد النبى الأمى ، المكى الحرمى ، من أجابه سعد ، ومن أباه عند . ثم دخل الارض فغاب فذهبت أصيح فلم أطق الكلام ، ورمت القيام فلم أطق القيام ، فصرعت القبة بيدى ؟ فسمع بذلك أهلى فجاؤنى فقلت احجبوا عنى الحبشة فحجبوهم عنى ثم أطلق عن لسانى ورجلى .

وسيأتى إن شاء الله تعالى فى قصة المولد رؤيا كسرى فى سقوط أربع عشرة شرافة من إيوانه ، وخمود نيرانه ورؤيا موبذانه ، وتفسير سطيح لذلك على يدى عبد المسيح . وروى الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى تاريخه فى ترجمة الحارث بن هانئ بن المدلج بن المقداد بن زمل بن عمرو العذرى عن أبيه عن جده عن أبيه عن زمل بن عمرو العذرى قال : كان لبنى عذرة صنم يقال له حمام وكانوا يعظمونه وكان فى بنى هند بن حرام بن ضبة بن عبد بن كثير بن عذرة وكان سادنه رجلا يقال له طارق وكانوا يعترون عنده . فلما ظهر رسول الله (ص) سمعنا صوتاً يقول يا بنى هند بن حرام . ظهر الحق وأودى صمام ودفع الشرك الاسلام . قال ففزعنا لذلك وهالنا فمكثنا أياماً . ثم سمعنا صوتاً وهو يقول : ياطارق يا طارق . بعث النبى الصادق ، بوحى ناطق ، صدع صادع بأرض تهامة ، لناصريه السلامة ، ولخاذليه الندامة ، هذا الوداع منى إلى يوم القيامة . قال زمل فوقع الصنم لوجهه . قال فابتعت راحلة ورحلت حتى أتيت النبى (ص) مع نفر من قومى وأنشدته شعراً قلته :

إليكَ رسولَ الله أعملتُ نصَّها وكلّفتُها حَزْناً وغَوراً من الرملِ
لأنصرَ خيرَ الناس نصراً مؤزّراً وأعقدَ حبلاً من حبالك فى حبلي
وأشهدَ أن الله لا شيءَ غيره أدينُ به ما أثقلتْ قدمي نعلي

قال فأسلمت وبايعته . وأخبرناه بما سمعنا فقال : « ذاك من كلام الجن » . ثم قال : « يا معشر العرب إني رسول الله اليكم وإلى الأنام كافة ، أدعوهم إلى عبادة الله وحده ، وإني رسوله وعبده ، وأن تحجوا البيت وتصوموا شهراً من إثني عشر شهراً وهو شهر رمضان ، فمن أجابني فله الجنة نزلا ، ومن عصاني كانت النار له منقلبا » . قال فأسلمنا وعقد لنا لواء . وكتب لنا كتاباً نسخته : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله لزمل بن عمرو ومن أسلم معه خاصة إني بعثته إلى قومه عامداً فمن أسلم ففي حزب الله ورسوله . ومن أبى فله أمان شهرين . شهد علي بن أبي طالب ومحمد بن مسلمة الأنصاري » ثم قال ابن عساكر : غريب جداً

وقال سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي في مغازيه : حدثني محمد بن سعيد - يعني عمه - . قال قال محمد بن المنكدر إنه ذكر لي عن ابن عباس قال هتف هاتف من الجن على أبي قبيس فقال :

قبَّحَ الله رأيكم آلَ فهرٍ ... ما أدقَّ العقولَ والأفهام
حينَ تُعصى لِمَن يعيبُ عليها ... دِينَ آبائها الحماةِ الكرام
حالفَ الجنَّ جنَّ بُصرى عليكم ... ورجالَ النخيلِ والآطام
توشِكُ الخيلُ أن تردَّها تهادى ... تقتلُ القومَ في حرامٍ بهام
هلْ كريمٌ منكمْ لهُ نفسُ حرٍّ ... ماجدِ الوالدَيْنِ والأعمام
ضاربٌ ضربةً تكونُ نكالاً ... ورَواحاً من كُربةٍ واغتمام

قال ابن عباس فأصبح هذا الشعر حديثا لأهل مكة يتناشدونه بينهم . فقال رسول الله (ص) : « هذا شيطان يكلم الناس في الأوثان يقال له مسعر ، والله مخزيه » فمكثوا ثلاثة أيام فاذا هاتف يهتف على الجبل يقول :

نحنُ قتلْنا في ثلاثٍ مِسْعرا ... إذْ سفَّهَ الجنَّ وسنَّ المنكَرا
قنَّعتُه سيفاً حُساماً مُشهَرا ... بشتمِهِ نبيَّنا المطهَّرا

فقال رسول الله (ص) : « هذا عفريت من الجن اسمه سمج آمن بي سميته عبد الله أخبرني أنه في طلبه ثلاثة أيام » فقال علي جزاه الله خيراً يا رسول الله .

وقد روى الحافظ أبو نعيم في الدلائل قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا أبو الفضل محمد بن عبد الرحمن بن موسى بن أبي حرب الصفار حدثنا عباس بن الفرج الرياشي حدثنا سليمان بن عبد العزيز بن أبي ثابت عن أبيه عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن ابن عباس عن سعد بن عبادة قال : بعثني رسول الله (ص) الى حضر موت في حاجة قبل الهجرة ، حتى اذا كنت في بعض الطريق ساعة من الليل فسمعت هاتفا يقول :

أبا عَمرو ناوبَني السُّهودُ ورَاحَ النومُ وامتنع الهجودُ
لذكرِ عِصابةٍ سَلفوا وبادوا وكلُّ الخلقِ قَصْرُهم يبيد
تولَّوا واردينَ إلى المنايا حِياضاً ليسَ مَنهلُها الورود
مضَوا لسبيلهمْ وبقيتُ خلفاً وَحيداً ليسَ يُسعفني وحيد
سُدى لا أستطيع علاجَ أمرٍ إذا ما عالجَ الطفلُ الوليد
فلأْياً مابقيتُ الى أناسٍ وقدْ باتت بمَهْلِكِها ثمود
وعادٌ والقرونُ بذي شُعوبٍ سَواءٌ كلُّهم إرَمٌ حصيد

قال ثم صاح به آخر : يا خرعب ذهب بك العجب . ان العجب كل العجب بين زهرة ويثرب . قال وما ذاك يا شاحب ؟ قال نبي السلام ، بعث بخير الكلام الى جميع الأنام ، فاخرج من البلد الحرام الى نخيل وآطام . قل ما هذا النبي المرسل والكتاب المنزل ، والامي المفضل ؟ قال رجل من ولد لؤى ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة . قال هيهات فات عن هذا سنى ، وذهب عنه زمنى لقد رأيتني والنضر بن كنانة نرمى غرضا واحداً ، ونشرب حلبا بارداً ، ولقد خرجت به من دوحة فى غداة شبمة وطلع مع الشمس وغرب معها ، يروى ما يسمع ويثبت ما يبصر . ولئن كان هذا من ولده لقد سل السيف وذهب الخوف ، ودحض الزنا ، وهلك الربا . قال فاخبرنى ما يكون ؟ قال ذهبت الضراء والبؤس والمجاعة ، والشدة والشجاعة ، الا بقية فى خزاعة . وذهبت الضراء والبؤس ، والخلق المنفوس الا بقية من الخزرج والأوس . وذهبت الخيلاء والفخر ، والنميمة والغدر ، إلا بقية فى بنى بكر . يعنى ابن هوازن . وذهب الفعل المندم والعمل المؤثم ، إلا بقية فى خثعم . قال أخبرنى ما يكون ؟ قال إذا غلبت البرة ، وكظمت الحرة ، فاخرج من بلاد الهجرة ، واذا كف السلام ، وقطعت الارحام فاخرج من البلد الحرام . قال أخبرنى ما يكون ؟ قال لولا أذن تسمع ، وعين تلمع لاخبرتك بما تفزع . ثم قال :

لا منامٌ هدّأتَه بنعيمٍ يا ابنَ غوطٍ ولا صباحٌ أتانا

قال ثم صرصر صرصرة كأنها صرصرة حبلى ، فذهب الفجر فذهبت لا نظر فاذا عظاية وثعبان ميتان . قال فما علمت أن رسول الله (ص.) هاجر الى المدينة إلا بهذا الحديث . ثم رواه عن محمد بن جعفر عن إبراهيم بن على عن النضر بن سلمة عن حسان بن عبادة بن موسى عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر عن ابن عباس عن سعد بن عبادة . قال : لما بايعنا رسول الله (ص.) ليلة العقبة خرجت الى حضر موت لبعض الحاج ، قال فقضيت حاجتى ثم أقبلت حتى اذا كنت ببعض الطريق نمت ، ففزعت من الليل بصائح يقول :

أبا عمرو ناوبَني السّهودُ وراحَ النومُ وانقطعَ الهجودُ

وذكر مثله بطوله .

وقال أبو نعيم: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا ابراهيم بن على حدثنا النضر بن سلمة حدثنا أبو غزية محمد بن موسى عن العطاف بن خالد الوصابى عن خالد بن سعيد عن أبيه قال سمعت تميما الدارى يقول : كنت بالشام حين بعث النبى (ص.) ، فخرجت لبعض حاجتى فادركنى الليـل . فقلت أنا فى جوار عظيم هذا الوادى الليلة . قال فلما أخذت مضجعى إذا أنا بمناد ينادى - لا أراه - عذبا لله فان الجن لا تجير أحداً على الله فقلت أيم الله تقول ؟ فقال قد خرج رسول الاميين رسول الله وصلينا خلفه بالحجون . فاسلمنا واتبعناه وذهب كيد الجن ورميت بالشهب . فانطلق الى محمد رسول رب العالمين فاسلم . قال تميم فلما أصبحت ذهبت الى دير أيوب فسألت راهبا واخبرته الخبر . فقال الراهب قد صدقوك يخرج من الحرم ومهاجره الحرم وهو خير الانبياء فلا تسبق اليه . قال تميم فتكلفت الشخوص حتى جئت رسول الله (ص.) فاسلمت .

وقال حاتم بن اسماعيل عن عبد الله بن يزيد الهذلى عن عبد الله بن ساعدة الهذلى عن أبيه قال كنا عند صنمنا سواع ، وقد جلبنا اليه غنما لنا مائتى شاة قد أصابها جرب ، فادنيناها منه لنطلب بركته فسمعت منادياً من جوف الصنم ينادى قد ذهب كيد الجن ورمينا بالشهب لنبى اسمه أحمد . قال فقلت غويت والله . فصدفت وجه غنمى منجداً الى أهلى فرأيت رجلا . فخبرنى بظهور النبى (ص.) . ذكره أبو نعيم هكذا معلقا ثم قال : حدثنا عمر بن محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن السندى حدثنا النضر بن سلمة حدثنا محمد بن مسلمة المخزومى حدثنا يحيى بن سليمان عن حكيم بن عطاء الظفرى - من بنى سليم من ولد راشد بن عبد ربه - عن أبيه عن جده عن راشد بن عبد ربه قال كان الصنم الذى يقال له سواع بالمعلاة من رهط تدين له هذيل و بنو ظفر بن سليم فارسلت بنو ظفر راشد بن عبد ربه بهدية من سليم الى سواع قال راشد فالقيت مع الفجر الى صنم قبل صنم سواع ، فاذا صارخ يصرخ من جوفه : العجب كل العجب من خروج نبى من بنى عبد المطلب ، يحرم الزنا والربا والذبح للاصنام . وحرست السماء ورمينا بالشهب العجب كل العجب . ثم هتف صنم آخر من جوفه ترك الضمار وكان يعبد، خرج النبى أحمد ، يصلى الصلاة ويأمر بالزكاة والصيام ، والبر والصلات للارحام . ثم هتف من جوف صنم آخر هاتف يقول :

ان الذي ورثَ النبوّةَ والهدى   بعد ابنِ مريمَ من قريشٍ مهتد
نبيٌّ أتى يخبر بما سبق   وبما يكون اليوم حقا أو غد [1]

---

(١) كذا فى الاصول وهذا البيت لم يرد فى السيرة الشامية (سبل الهدى والرشاد) وورد قبل البيت الاول

قل للقبائلِ من سليمٍ كلّها   هلكَ الأنيسُ وعاشَ أهلُ المسجد
اودى ضِمادُ وكانَ يُعبد مرّة   قبلَ الكتابِ الى النبيّ محمدِ

قال راشد : فألفيت سواعاً مع الفجر وثعلبان يلحسان ماحوله ، ويأكلان مايهدى له ، ثم يعوجان عليه يبولها ، فعند ذلك يقول راشد بن عبد ربه :

أربٌ يبولُ الثُّعلُبانُ برأسِهِ لقد ذَلَّ من بالتْ عليه الثعالب

وذلك عند مخرج النبي (ص.) ومهاجره إلى المدينة وتسامع الناس به فخرج راشد حتى أتى النبي (ص.) المدينة ومعه كلب له ، واسم راشد يومئذ ظالم ، واسم كلبه راشد فقال النبي (ص.): « ما اسمك ؟ » قال ظالم . قال : « فما اسم كلبك ؟ » قال راشد ، قال « اسمك راشد ، واسم كلبك ظالم » وضحك النبي (ص.) . وبايع النبي (ص.) وأقام بمكة معه ثم طلب من رسول الله (ص.) . قطيمة برهاط ـ ووصفها له ـ فاقطعه رسول الله (ص.) بالمعلاة من رهاط شأو الفرس ، ورميته ثلاث مرات بحجر ، وأعطاه إداوة مملوءة من ماء وتفل فيها وقال له « فرغها في أعلا القطيمة ولا تمنع الناس فضلها » ففعل فجعل الماء معينا يجرى إلى اليوم فغرس عليها النخل . ويقال ان رهاط كلها تشرب منه فسماها الناس ماء الرسول (ص.) . وأهل رهاط يغتسلون بها وبلغت رمية راشد الركب الذى يقال له ركب الحجر ، وغدا راشد على سواع فكسره .

وقال أبو نعيم: حدثنا سليمان بن احمد حدثنا على بن ابراهيم الخزاعى الاهوازى حدثنا أبو محمد عبد الله بن داود بن دلهاث بن اسماعيل بن مسرع بن ياسر بن سويد صاحب رسول الله (ص.) حدثنا أبى عن أبيه دلهاث عن أبيه اسماعيل أن أباه عبد الله حدثه عن أبيه مسرع بن ياسر أن أباه ياسر حدثه عن عمرو بن مرة الجهنى أنه كان يحدث قال : خرجت حاجاً فى جماعة من قومى فى الجاهلية . فرأيت فى المنام وأنا بمكة نوراً ساطعاً من الكعبة حتى أضاء فى جبل يثرب وأشعر جهينة . فسمعت صوتا فى النور وهو يقول : انقشعت الظلماء ، وسطع الضياء ، وبعث خاتم الأنبياء ، ثم أضاء إضاءة أخرى حتى نظرت إلى قصور الحيرة وابيض المدائن . فسمعت صوتا فى النور وهو يقول: ظهر الأسلام ، وكسرت الأصنام ، ووصلت الأرحام ، فانتبهت فزعاً ، فقلت لقومى والله ليحدثن فى هذا الحى من قريش حدث ، وأخبرتهم بما رأيت . فلما انتهينا إلى بلادنا جاءنا رجل فأخبرنا أن رجلا يقال له احمد قد بعث فأتيته فأخبرته بما رأيت فقال « ياعمرو بن مرة إنى المرسل إلى العباد كافة أدعوهم إلى الاسلام ، وآمرهم بحقن الدماء وصلة الأرحام ، وعبادة الله ورفض الأصنام ، وحج البيت . وصيام شهر من اثنى عشر شهراً وهو شهر رمضان ، فمن أجاب فله الجنة . ومن عصى فله النار ، فآمن يا عمرو بن مرة يؤمنك الله من نار جهنم » فقلت أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . آمنت بكل ما جئت به من حلال وحرام ، وإن أرغم ذلك كثيراً من الأقوام ، ثم أنشدته أبياتاً قلتها حين سمعت به وكان لنا صنم وكان أبى سادنا له فقمت اليه فكسرته ثم لحقت النبى (ص.) وأنا أقول :

شهدتُ بأنّ اللهَ حقٌّ وأنني ... لآلهةِ الأحجارِ أولُ تاركِ

فشمّرتُ عنْ ساقي إزارَ مهاجرٍ ... اليكَ أدبُّ الغَوْرَ بعدَ الدكادكِ

لأصحبَ خيرَ الناسِ نفساً ووالداً ... رسولَ مليكِ الناسِ فوقَ الحبائكِ

فقال النبي (ص) : «مرحباً بك يا عمرو بن مرة» . فقلت يارسول الله بأبي أنت وأمي إبعث بي الى قومي ، لعل الله أن يمن بي عليهم كما من بك على ، فبعثني اليهم وقال : «عليك بالقول السديد ولا تكن فظاً ولا متكبراً ولا حسوداً» فأتيت قومي فقلت لهم : يا بنى رفاعة ثم يا بنى جهينة إنى رسول من رسول الله اليكم أدعوكم إلى الجنة ، وأحذركم النار ، وآمركم بحقن الدماء ، وصلة الأرحام ، وعبادة الله ، ورفض الأصنام ، وحج البيت ، وصيام شهر رمضان ، شهر من إثنى عشر شهراً . فمن أجاب فله الجنة . ومن عصى فله النار . يامعشر جهينة إن الله ـ وله الحمد ـ جعلكم خيار من أنتم منه وبغض اليكم فى جاهليتكم ما حبب إلى غيركم من الرفث ، لأنهم كانوا يجمعون بين الأختين ، ويخلف الرجل على امرأة أبيه ، والترات فى الشهر الحرام . فأجيبوا هذا النبى المرسل (ص) من بنى لؤى بن غالب . تنالوا شرف الدنيا وكرامة الآخرة ، سارعوا سارعوا فى ذلك يكون لكم فضيلة عندالله . فأجابوا إلا رجلا منهم قام فقال : يا عمرو بن مرة أمر الله عليك عيشك ، أتأمرنا أن نرفض آلهتنا ونفرق جماعتنا بمخالفة دين آبائنا إلى ما يدعو هذا القرشي من أهل تهامة ؟ لا ولا مرحباً ولا كرامة ، ثم أنشأ يقول :

إن ابنَ مُرّةَ قد أتى بمقالةٍ ... ليستْ مقالةَ من يُريدُ صَلاحا

إني لأحسَبُ قولَه وفعالَهُ ... يوماً وإنْ طالَ الزمانُ رياحا

أتسفّهُ الأشياخَ ممن قدْ مضى ... مَن رامَ ذلكَ لا أصابَ فَلاحا

فقال عمرو بن مرة : الكاذب منى ومنك أمر الله عيشه ، وأبكم لسانه ، وأكمه بصره . قال عمرو ابن مرة والله ما مات حتى سقط فوه وكان لا يجد طعم الطعام ، وعمى وخرس . وخرج عمرو بن مرة ومن أسلم من قومه حتى أتوا النبي (ص) ، فرحب بهم وحباهم وكتب لهم كتاباً هذه نسخته : «بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من الله على لسان رسول الله بكتاب صادق ، وحق ناطق ، مع عمرو ابن مُرة الجهنى لجهينة بن زيد إن لكم بطون الارض وسهولها ، وتلاع الاودية وظهورها ، ترعون نباته وتشربون صافيه . على ان تقروا با لخمس ، وتصلوا الصلوات الخمس ، وفى التبعة والصريمة شاتان ان اجتمعتا وان تفرقتا فشاة شاة . ليس على أهل الميرة صدقة ، ليس الوردة اللبقه» . وشهد من حضرنا من المسلمين بكتاب قيس بن شماس رضى الله عنهم . وذلك حين يقول عمرو بن مرة :

ألم ترَ أنّ اللهَ أظهرَ دِينَه ... وبيّنَ برهانَ القُرانِ لعامرِ

كتابٌ منَ الرحمنِ نورٌ لجمعِنا ... وأحلافِنا في كلّ بادٍ وحاضرِ

الى خيرِ من يمشي على الارض كلّها ... وأفضلِها عند اعتكارِ الضرائر
أطعنا رسولَ الله لما تقطّعت ... بطونُ الاعادي بالظُّبَى والخواطر
فنحنُ قَبيلٌ قد بُني المجدُ حولَنا ... اذا اجتُليت في الحربِ هامُ الاكابر
بنو الحربِ نفريها بأيدٍ طويلة ... وَبيضٍ تلالا فى أكفّ المغاور
ترى حوله الانصارَ تحمي أميرَهم ... بسُمرِ العوالي والصّفاح البواتر
إذا الحربُ دارت عند كل عظيمة ... ودارت رحاها بالليوثِ الهواصر
تبلّجَ منهُ اللونُ وازداد وجهه ... كمثلِ ضياء البدرِ بينَ الزواهر

وقال أبو عثمان سعيد بن يحيى الأموى فى مغازيه : حدثنا عبدالله حدثنا أبو عبد الله حدثنا المجالد ابن سعيد والاجلح عن الشعبى حدثنى شيخ من جهينة قال : مرض منا رجل مرضا شديداً فثقل حتى حفرنا له قبره وهيأنا أمره فاغمى عليه ثم فتح عينيه وافاق فقال أحفرتم لى؟ قالوا نعم، قال فما فعل الفُصَل - وهو ابن عم له - قلنا صالح مر آنفا يسأل عنك، قال أما إنه يوشك أن يجعل فى حفرتى انه أتانى آت حين أغمى على فقال ابك هبل؟ أما ترى حفرتك تنتثل، وأمك قد كادت تثكل؟ أرأيتك أن حولناها عنك بالمحول، ثم ملأناها بالجندل، وقذفنا فيها الفصل، الذى مضى فاجزأك، وظن أن لن يفعل. أتشكر لربك، وتصل وتدع دين من أشرك وضل؟ قال قلت نعم. قال قم قد برئت. قال فبرىء الرجل. ومات الفصل فجعل فى حفرته. قال الجهينى: فرأيت الجهينى بعد ذلك يصلى ويسب الأوثان ويقع فيها.

وقال الأموى: حدثنا عبدالله قال بينما عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى مجلس يتحدثون عن الجن، فقال خريم بن فاتك الاسدى : الا أحدثك كيف كان اسلامى ؟ قال بلى، قال إنى يوما فى طلب ذود لى أنا منها على أثر تنصب وتصعد، حتى إذا كنت بابرق العراق انخت راحلتى وقلت أعوذ بعظيم هذه البلدة أعوذ برئيس هذا الوادى، فاذا بهاتف يهتف بي :

ويحكَ، عُذْ بالله ذي الجلال ... والمجدِ والعلياء والإفضال
ثم اتلُ آياتٍ من الأنفال ... ووحِّدِ الله ولا تبالى

قال فذعرت ذعراً شديدا ثم رجعت الى نفسى فقلت :

يا أيها الهاتفُ ما تقولُ ... أرَشَدٌ عندك أم تضليل؟
* بيّنْ هداك اللهُ ما الحويل *

قال فقال :

هذا رسولُ الله ذو الخيرات ... بيثربٍ يدعو الى النّجاة
يأمر بالبرّ وبالصلاة ... ويزَعُ الناسَ عن الهنَات

قال قلت له : والله لا أبرح حتى آتيه وأومن به ، فنصبت رجلي في غرز راحلتي وقلت :

أرشِدَني أرشِدَني هُديتا لاجُعتَ ما عشتَ ولا عَريتا
ولا برحتَ سيّداً مقيتا لا تُؤثِرِ الخيرَ الذي أُتيتا

* على جَميع الجنِّ ما بقيتا *

فقال :

صاحبَكَ اللهُ وأدّى رَحْلكا وعظَّمَ الأجرَ وعَافا نفسَكا
آمِنْ به أفلجْ ربي حقّكا وانصُرْه نَصْراً عزيزاً نصْرَكا

قال قلت من أنت عافاك الله ، حتى أخبره إذا قدمت عليه ؟ فقال أنا مالك بن مالك ، وأنا نقيبه على جن نصيبين . وكفيت ابلك حتى اضمها الى أهلك ان شاء الله . قال فخرجت حتى أتيت المدينة يوم الجمعة والناس ارسال الى المسجد والنبي (ص) على المنبر كأنه البدر يخطب الناس ، فقلت انيخ على باب المسجد حتى يصلي وادخل عليه فاسلم واخبره عن إسلامي ، فلما انخت خرج الى أبو ذر فقال مرحبا واهلا وسهلا قد بلغنا اسلامك ، فادخل فصل ، ففعلت ، ثم جئت إلى رسول الله (ص) فاخبرني باسلامي . فقلت الحمد لله . قال « أما إن صاحبك قد وفى لك وهو أهل ذلك ، وادى ابلك الى أهلك » .[1]

وقد رواه الطبراني فى ترجمة خريم بن فاتك من معجمه الكبير قائلا حدثنا الحسين بن اسحاق اليسيرى حدثنا محمد بن إبراهيم الشامى حدثنا عبدالله بن موسى الاسكندرى حدثنا محمد بن اسحاق عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال قال خريم بن فاتك لعمر بن الخطاب يا أمير المؤمنين ألا أخبرك كيف كان بدء اسلامى ، قال بلى ! فذكره غير أنه قال فخرج الى أبو بكر الصديق فقال أدخل ، فقد بلغنا اسلامك ، فقلت لا أحسن الطهور ، فعلمنى فدخلت المسجد فرأيت رسول الله (ص) كأنه البدر وهو يقول « ما من مسلم توضأ فاحسن الوضوء ثم صلى صلاة يحفظها ويعقلها إلا دخل الجنة » فقال لى عمر لتأتينى على هذا ببينة أو لأنكلن بك ، فشهد لى شيخ قريش عثمان بن عفان فاجاز شهادته . ثم رواه عن محمد بن عثمان بن أبى شيبة عن محمد بن تيم عن محمد بن خليفة عن محمد بن الحسن عن أبيه قال قال عمر بن الخطاب لخريم بن فاتك حدثنى بحديث يعجبنى فذكر مثل السياق الأول سواء .

وقال أبو نعيم :حدثنا سليمان بن احمد حدثنا أبو عبدالملك احمد بن ابراهيم القرشى الدمشقى حدثنا سليمان بن عبد الرحمن ابن بنت شرحبيل حدثنا اسماعيل بن عياش عن يحيى بن أبى عمرو الشيبانى عن عبد الله بن الديلمى قال أتى رجل ابن عباس فقال بلغنا أنك تذكر سطيحا تزعم أن الله خلقه ، لم يخلق من بنى آدم شيئا يشبهه ؟ قال قال نعم إن الله خلق سطيحاً الغسانى لحماً على وضم[2] ولم يكن فيه عظم ولا

---

(١) رواية الطبرانى ليست فى المصرية . (٢) الوضم شرائح من جريد النخل .

عصب إلا الجمجمة ، والكفان . وكان يطوى من رجليه إلى ترقوته كما يطوى الثوب ، ولم يكن فيه شى يتحرك إلا لسانه . فلما أراد الخروج إلى مكة حمل على وضمة فأتى به مكة ، فخرج اليه أربعة من قريش عبد شمس ، وهاشم ابنا عبد مناف بن قصى ، والاحوص بن فهر ، وعقيل بن أبى وقاص فانتموا إلى غير نسبهم وقالوا نحن أناس من جمح أتيناك بلغنا قدومك ، فرأينا أن إتياننا إياك حق لك واجب علينا وأهدى اليه عقيل صفيحة هندية ، وصعدة ردينية ، فوضعت على باب البيت الحرام لينظروا ، أهل يراها سطيح أم لا . فقال : ياعقيل ناولنى يدك فناوله يده فقال : ياعقيل والعالم الخفية ، والغافر الخطية ، والذمة الوفية ، والكعبة المبنية ، إنك للجائى بالهدية ، الصفيحة الهندية ، والصعدة الردينية . قالوا صدقت يا سطيح ، فقال والآتى بالفرح ، وقوس قزح ، وسائر الفرح ، واللطيم المنبطح ، والنخل والرطب والبلح ، إن الغراب حيث مرّ سنح ، فأخبر أن القوم ليسوا من جمح ، وإن نسبهم من قريش ذى البطح قالوا صدقت ياسطيح نحن أهل البيت الحرام ، أتيناك لنزورك لما بلغنا من علمك . فأخبرنا عما يكون فى زماننا هذا ومايكون بعده فلعل أن يكون عندك فى ذلك علم قال : الآن صدقتم ، خذوا منى ومن إلهام الله إياى ، أنتم يامعشر العرب فى زمان الهرم ، سواء بصائركم وبصائر العجم ، لا علم عندكم ولا فهم ، وينشو من عقبكم ذوو فهم ، يطلبون أنواع العلم ، فيكسرون الصنم ، ويبلغون الردم ، ويقتلون العجم ، يطلبون الغنم ، قالوا ياسطيح فمن يكون أولئك ؟ فقال لهم : والبيت ذى الأركان ، والامن والسكان لينشؤن من عقبكم ولدان يكسرون الاوثان ، وينكرون عبادة الشيطان ، ويوحدون الرحمن ، ينشرون دين الديان ، يشرفون البنيان ، ويستفتون الفتيان ، قالوا ياسطيح من نسل من يكون أولئك ؟ قال : وأشرف الاشراف ، والمفضى للاشراف ، والمزعزع الاحقاف ، والمضعف لاضعاف ، لينشؤن الآلاف من عبد شمس وعبدمناف ، نشوءا يكون فيه اختلاف . قالوا ياسوءتاه ياسطيح مما تخبرنا من العلم بأمرهم ومن أى بلد يخرج أولئك ؟ فقال والباقى الأبد ، والبالغ الأمد ، ليخرجن من ذا البلد ، فتى يهدى إلى الرشد يرفض يغوث والفند ، يبرأ من عبادة الضدد ، يعبد رباً انفرد ، ثم يتوفاه الله محموداً ، من الارض مفقوداً ، وفى السماء مشهوداً . ثم يلى أمره الصديق إذا قضى صدق ، فى رد الحقوق لا خرق ولا نزق ثم يلى أمره الحنيف ، مجرب غطريف ، ويترك قول العنيف . قد ضاف المضيف . وأحكم التحنيف . ثم يلى أمره داعياً لأمره مجرباً ، فتجتمع له جموعاً وعصباً ، فيقتلونه نقمة عليه وغضباً ، فيؤخذ الشيخ فيذبح أرباً فيقوم به رجال خطباً . ثم يلى أمره الناصر يخلط الرأى رأى المناكر يظهر فى الارض العساكر ثم يلى بعده ابنه يأخذ جمعه ويقل حمده . ويأخذ المال ويأكل وحده ، ويكثر المال بعقبه من بعده ، ثم يلى من بعده عدة ملوك لا شك الدم فيهم مسفوك ، ثم بعدهم الصعلوك يطويهم كطى الدرنوك . ثم يلى من بعده عظهور يقصى الحق ويدنى مصر يفتتح الارض افتتاحاً منكراً ، ثم يلى قصير القامة ، بظهره علامة

يموت موتا وسلامة . ثم يلى قليلا با كر، يترك الملك بائر يلى أخوه بسنته سابر ، يختص بالأموال والمنابر ثم يلى من بعده أهوج ،صاحب دنيا ونعيم مخاج ، يتشاوره معاشره وذووه ، ينهضون اليه يخلعونه بأخذ الملك ويقتلونه ، ثم يلى أمره من بعده السابع ، يترك الملك محلا ضائع ، بنوه فى ملكه كالمشوه جامع . عند ذلك يطمع فى الملك كل عريان ، ويلى أمره اللهفان . يرضى نزاراً جمع قحطان ، إذا التقيا بدمشق جمعان بين بنيان ولبنان ، يصنف اليمن يومئذ صنفان . صنف المشورة ، وصنف المخذول . لا ترى الاحياء محلول . وأسيراً مغلول . بين القراب والخيول . عند ذلك تخرب المنازل وتسلب الأرامل ، وتسقط الحوامل وتظهر الزلازل ، وتطاب الخلافة وائل ، فتغضب نزار فتدنى العبيد والأشرار ، وتقصى الامثال والأخيار . وتغلو الاسعار فى صفر الاصفار يقتل كل حيا منه ، ثم يسيرون إلى خنادق وإنها ذات أشعار وأشجار تصد له الأنهار ويهزمهم أول النهار ، تظهر الأخيار فلا ينفعهم نوم ولا قرار . حتى يدخل مصراً من الأمصار ، فيدركه القضاء والأقدار . ثم يجىء الرماة تلف مشاة ، لقتل الكماة ، وأسر الحماة . وتهلك الغواة هنالك بدرك فى أعلى المياه . ثم يبور الدين ، وتقلب الأمور ، وتكفر الزبور ، وتقطع الجسور ، فلا يفلت إلا من كان فى جزائر البحور ، ثم تبور الحبوب ، وتظهر الأعاريب ليس فيهم معيب على أهل الفسوق والريب فى زمان عصيب ، لو كان للقوم حيا ، وما تغنى المنى . قالوا ثم ماذا يا سطيح ؟ قال ثم يظهر رجل من أهل اليمن كالشطن ، يذهب الله على رأسه الفتن.

وهذا أثر غريب كتبناه لغرابته وما تضمن من الفتن والملاحم . وقد تقدم قصة شق وسطيح مع ربيعة ابن نصر ملك اليمن ، وكيف بشر بوجود رسول الله (ص.) وكذلك تقدم قصة سطيح مع ابن أخته عبد المسيح حين أرسله ملك بنى ساسان ، لارتجاس الايوان ، وخمود النيران ، ورؤيا الموبذان . وذلك ليلة مولد الذى نسخ بشريعته سائر الأديان.

تم الجزء الثانى من البداية والنهاية ويليه الجزء الثالث وأوله

﴿ باب كيفية بدء الوحى الى رسول الله (ص.) ﴾

فهرست

الجزء الثاني

من كتاب البداية والنهاية

الناشر
مكتبة المعارف
ص. ب — ١٧٦١ — بيروت